

موسوعة آباء الكنيسة

الجزء الأول

دار الثقافة

موسوعة آباء الكنيسة

الجزء الأول

المحرر المسئول

عادل فرج عبد المسيح



طبعة ثانية

الكتــاب : **موسوعة آباء الكنيسة (جـ١)**
المحرر المسئول : **عادل فرج**
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقــم الإيــداع : ٣٤٩٨/ ٩٩
الترقيم الدولــي : 5- 467 - 213 - 977
المطبعــــــة : مطبعة سيوبرس ت: ٦/ ٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة

١٠ / ٧٨١ ط٢ / ١-١,٥ / ٩٩ - ٢٠٠٦

اللجنة الأستشارية

المطران يوحنا ابراهيم
(متروبوليت حلب)

د.ق.مكرم نجيب

القس أندريه ذكي

الاب منصور مستريح

مقدمة الدار

كتابات الآباء جزء أصيل من التراث الأدبى المسيحى، الذى يزخر بأفكار لاهوتية ثرية. والبحث فى نشأة الفكر اللاهوتى أمر ضرورى ولازم لمعرفة أصول الفكر المسيحى.

وهذه السلسلة من موسوعة تاريخ آباء الكنيسة تتبع ما أرسوه من دعائم الفكر اللاهوتى المسيحى من خلال إسهاماتهم الأدبية حتى القرن العاشر الميلادى.

ويسر دار الثقافة أن تقدم للقارئ الدراسات الجادة التى تسهم فى تعميق الإدراك والفهم للمسيحية، والتى تدعو إلى مشاركة مجتمعنا قضاياه ومشاكله، كما كان الآباء مشاركين بآرائهم واجتهاداتهم فى مجتمعاتهم.

دار الثقافة

مقدمة

يزخر تاريخ الكنيسة بكثير من الأحداث والمعلومات، وبالحركة التى انبعثت عنها موجات.. قد تكون مداً أو جزراً.. غير أنها الحركة على أى حال، وفق قانون الطبيعة وعلى الباحث أن يتناول هاته الأحداث، وأن يتتبع تلك الموجات من المد والجزر بكثير من التدقيق والموضوعية. والباحث فى تاريخ الكنيسة- بعامة- يجد نفسه أمام بحر ملئ باللآلئ النفيسة. كما أن الباحث فى تاريخ آباء الكنيسة- بخاصة- يدرك أن ثمة أراضي بكراً كثيرة خصبة، تنتظر من يكتشفها. وأنها تحمل كثيراً من الثمار، لم تتذوقها بعد أفواه الدارسين والباحثين! فالاهتمام بموضوع آباء الكنيسة، يعد موضوعاً حديثاً فى الأدب العربى، إذا ما قورن بما يلقاه من الاهتمام فى الغرب.

ويتفق مع الاهتمام بآباء الكنيسة، أن كثيراً من دور النشر والمؤسسات تهتم بترجمة أعمال الآباء ونشرها. وهى تقوم بمجهود طيب،نحن بحاجة إليه. غير أن دراسة تشتمل على تاريخ آباء الكنيسة فى إطار تاريخ الكنيسة والخلفيات الثقافية والاجتماعية والسياسية... يظل مطلباً هاماً، للإلمام الشامل بتاريخ الكنائس، فى المواقع الجغرافية المختلفة.

ودراسة آباء كل كنيسة...وملامح الفكر اللاهوتى عند كل كنيسة.. ولدى كل أب من آبائها، تتيح لنا الوقوف على حقيقة كيف أن آباء الكنيسة كانوا يهتمون بموضوعات «الساعة» التى كانت تشغل الكنيسة، واهتمامات الناس آنذاك.

إن النظرة الشاملة فى تاريخ الآباء- على هذا النحو- تتيح للدارس قدراً من التأمل، وقدرة على الربط بين أجزائه، فضلاً عن إمكانية البحث فى أوجه التشابه والمسايرة أو الاختلاف والمغايرة، فى الفكر اللاهوتى، عند الكنائس، بل ومتابعة تطور الفكر اللاهوتى طوال تاريخ الكنيسة.

إن الفكر اللاهوتى المسيحى لا يبدأ من فراغ، ولا يدور فى فراغ، ومن ثم كان علينا أن نبدأ تاريخ الآباء..منذ أن أسس الآباء الأولون الكنائس الأولى فى بقاعٍ عديدة من العالم. بل علينا أن نبدأ من الزمن الذى بدأ فيه روح الله الإعداد للرسالة المسيحية. ونرى أنه من الضرورى ذكر ما قام به الرسل من عمل كرازى، لأن الآباء بنوا على الأساس الذي وضعه الرسل. مع دراسة مختصرة لأسفار العهد الجديد. تذكر الكاتب، ولمن كتب كل سفر، وأهم العناصر التى يحتويها السفر، حتى تكون رسالة العهد الجديد، وتاريخ الكنيسة، وإسهامات الآباء، واضحة فى ذهن القارئ. مما يساعد متابعة الفكر اللاهوتى وتطوره.

ثم تأتى دراسة المسيحية والمفاهيم الاجتماعية، وما هو دور المسيحية وأثرها على المجتمعات التى نشأت فيها..فماذا فعلت المسيحية تجاه نظام الرق الذى كان قائماً آنذاك. وما هى نظرة المسيحية للمرأة، والأسرة، والسياسة؟!! كل هذه موضوعات كان لزاماً علينا دراستها- دون إسهاب - حتى نستطيع أن ننقل للقارئ والدارس صورة شاملة واضحة لرؤية الكنيسة للمفاهيم الاجتماعية فى فترة ما قبل نيقية.

أما عن الكنيسة الأولى وتعاليمها وممارساتها، فكان لابد من إلقاء الضوء عليها. لذلك كان لزاماً علينا القيام بذلك لنعرف كيف بدأت الممارسات الكنسية، وكيف نشأ التعليم اللاهوتى وتطور من قبل نيقية وبعدها. وكذلك فإننا سنتعرض لموضوع من الموضوعات الشائكة فى الفكر اللاهوتى، ألا وهو موضوع الثالوث القدوس فى فكر الآباء قبل نيقية.

أما تطور الفكر اللاهوتى والانحرافات والهرطقات التى ظهرت بعد ذلك، فقد تعددت أشكاله وروافده.. ولذلك رصدنا تلك الهرطقات بصورة كافية لتوضيح أن الجانب الأعظم منها قد اندثر بفعل تصدى آباء الكنيسة لها فى كتاباتهم.

وكان ضرورياً أن نعرف كيف نشأ الفن فى المسيحية، وكيف نشأ الرمز الفنى، والمعانى التى يشير إليها، والدور الذى قام به فى الكنيسة الأولى، وكيف تطور. وأخيراً نختتم الجزء الذى بين يديك- عزيزى القارئ- بإلقاء نظرة على تاريخ الآباء وإنجازاتهم.

وسوف تحمل الأجزاء التالية-إن شاء الله-دراسة نشأة الكنيسة فى ثقافات عديدة، وملامح كل كنيسة، فمثلاً نتعرض لكنيسة الإسكندرية ومدرسة اللاهوت فيها، والآباء التابعين لها.. ونعرض لكل شخصية من الآباء: نشأته، حياته، إسهاماته الفكرية، وأعماله الأدبية التى كتبها، وتقديم أهم ملامح فكره اللاهوتى.

إننا نؤكد أن ثمة كثيراً من الموضوعات يمكن أن تكون محور موسوعة مستقلة، ونحن نقدم هذه الموسوعة آملين أن تكون باكورة لأعمال ودراسات موسوعية أخرى.

وسوف يجد القارئ أن بعض المواد قد وضعت فى خلفية مختلفة،وفى شكل برواز، وذلك لإلقاء الضوء عى شئ قد يغمض على الفهم، أو لمزيد من الإيضاح. وآثرنا وضعها فى هذه الصورة حتى يكون واضحاً منذ البداية أنها ليست جزءاً من السياق أو السرد.

وقد رأينا تزويد المادة بالخرائط والأشكال والصور، مما قد يكون له أثره الايجابى فى معرفة جغرافية البلاد، أو نقل بعض صور الماضى كما كانت عليه، من أجل فهم أعمق وأدق لما كانت عليه الأمور آنذاك.

إن ما قدمه الآباء لنا يعد ذخراً فكرياً وثقافياً، وتراثاً دافقا ثرياً. لابد أن نقترب منه بالتأمل والبحث والدراسة، بنظرة متعمقة فى جذوره وأصوله.، تلك النظرة التى بدونها لا يمكن أن يكتمل فهمنا وإدراكنا لما نحن عليه الآن.

إننى مدين بالشكر لكثيرين ممن عاونوا فى إخراج هذا العمل للنور..والشكر لله أولاً وأخيراً الذى أعاننا فى إنجاز هذا العمل منذ كان فكرة، وحتى أصبح واقعاً ملموساً.

ونرجو من القارئ العزيز أن يرسل إلينا بملاحظاته وآرائه لتضمينها- إذا لزم- فى الطبعات الجديدة لتكون أكثر اكتمالاً ووضوحاً.

وإلى اللقاء مع الأجزاء التالية بإذن الله.

عادل فرج عبد المسيح

المحرر المسئول

المحتويات

الباب الأول

الفصل الأول

التمهيد للمسيحية

أ- دعوة إبراهيم.

ب- اليهودية والهيلينية والإمبراطورية الرومانية.

ج- الوثنية.

ء- اليهودية والمسيحية.

هـ- الناموس والنبوة.

و- الحضارة اليونانية والإمبراطورية الرومانية.

ز- الفلسفة اليونانية الرومانية.

ح- مركزية مكانة السيد المسيح.

١ ـ دعوة إبراهيم

لقد اختارت نعمة الله الفائقة إبراهيم ونسله ليكونوا شهوداً لله، وليحملوا معرفة الله الإله الحى الوحيد للعالم الوثنى، وليكونوا وسيلة لتحقيق الوعد الكريم، وليكونوا مهداً للمسيحية. وقد بدا ذلك مع دعوة الله لإبراهيم، وعهد يهوه معه ليرث هو ونسله أرض كنعان، أرض الموعد. وفى مصر نموا وأصبحوا شعباً كبيراً. وبناءً على الناموس الذى تلقاه موسى فى سيناء تطورت الأمة اليهودية إلى دولة ثيوقراطية. وقد قاد يشوع الشعب فى طريق دخولهم إلى أرض الموعد، حيث بلغوا أوج مجدهم فى عهد القضاة والملوك، وبخاصة فى أيام داود وسليمان. ثم انقسمت المملكة إلى مملكتين، تعادى إحداهما الأخرى، ونتيجةً للصراعات الداخلية، وازدياد الخروج على الدين، بل ولأن كثيرين منهم أصبحوا وثنيين، فقد عوقبوا بأن أسرهم الغزاة الوثنيون ، ولكنهم عادوا مرة أخرى إلى أرض الآباء. وبعد سبعين عاماً من الإذلال وقعوا ـ مرة أخرى ـ تحت نير أعدائهم من الوثنيين. وفى النهاية تحقَّقت الرسالة السامية حيث وُلد المخلص فيهم. إن تاريخ العهد القديم هو فى الأساس تاريخ الأمة اليهودية التى جاء منها المسيح .

تختلف الديانة اليهودية عن ديانات سائر الشعوب الوثنية فى ذلك الوقت ـ اختلافاً بيِّناً. فقد كانت الديانة اليهودية آنذاك بمثابة واحة فى الصحراء. وكانت تتبع ناموساً أخلاقياً

البحر المتوسط
لبنان
جبال لبنان
فينيقية
صيدون
دمشق
جبل حرمون
دان
سوريه
بحيرة الحولة
باشان
كورازين
كفر ناحوم
سهل عكا
طبرية
بحر الجليل
الناصرة
جبل الكرمل
سهل شارون
قيشون
نهر اليرموك
ديكابوليس
المدن العشر
جلعاد
السامرة
السامرة
نهر اليبوق
نهر اليرقون
أفرايم
نهر الأردن
عقرون
بيت إيل
عمون
أريحا
أورشليم
بيت لحم
جبل بنو
لاخيش
الأردن
جت
حبرون
نهر أرنون
غزة
اليهودية
موآب
بير سبع
النقب
نهر زارد
وادي العريش
أدوم
بترا



خريطة فلسطين فى زمن السيد المسيح

وناموساً طقسياً متشدداً .

فكانت الأمة اليهودية تشغل موقعاً فى ملتقى قارات ثلاث. ومحاطة بأمم الحضارات القديمة العظيمة، وكانت تفصل بينهم وبينها الصحراء فى الجنوب والشرق، والبحر فى الغرب، والجبال من ناحية الشمال، وكان ذلك هو الذى حمى حرية الشعب زمناً طويلاً من التأثيرات الخارجية. وقد حملت اليهودية فى قلبها ذلك الوعد بأنه فى إبراهيم وفى نسله تتبارك جميع قبائل الأرض «لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم». (تكوين ١٧ : ٥).

فإبراهيم هو أبو الإيمان، وموسى الذى تسلّم الناموس، وداود الملك البطل، وصاحب المزامير، وإيليا التشبى الذى ظهر مع موسى على جبل التجلى وإشعياء النبى، ويوحنا المعمدان الذى يمثل حلقة بالغة الأهمية فى سلسلة الإعلان القديم .

إن الظروف الخارجية والحالة الدينية والأخلاقية التى كان عليها الشعب اليهودى فى وقت ميلاد السيد المسيح، بدت مغايرة ومخالفة للقصد الإلهى. إلا أنها برهنت على مايلى :

أولاً: إن حالة الفساد التى كان عليها الشعب كانت تحتاج إلى تدخُّل العناية الإلهية.

ثانياً: إن الفداء الذى تم فى المسيح، رغم ما بدت عليه حالتهم من سوء، كان تتويجاً لعمل الله الفريد.

ثالثاً: عاش أولاد ابراهيم الحقيقيون فى وسط هذا الكم الهائل من الفساد، متطلعين إلى خلاص إسرائيل، ومستعدين لقبول الرب يسوع المسيح، حسب الوعد، مخلصاً للعالم.

منذ أن فتح بومبى Pompey أورشليم فى سنة ٦٣ ق.م.، أصبح اليهود هدفاً للرومانيين الوثنيين، وقد حكموا اليهود بلا رحمة أو شفقة. فحكمهم أولاً هيرودس الأدومى وأبناؤه . ثم بعد ذلك حكمهم ولاة من الرومان.

وتحت ثقل ذلك النير الكريه، ازداد التطلع والتمسك برجاء مجىء المسِّيا. فانتظروا بشغف مخلِّصاً سياسياً، لكى يعيد سلطان داود على نحو دائم عظيم، وقد انزعجوا من الصورة التى جاء عليها المسيح إذ جاء «آخذاً صورة عبد» (فيلبى ٢ : ٧). كانت أخلاقهم فى ذلك الوقت أفضل - من جهة الظاهر والشكل لا المضمون - من أولئك الوثنيين، فبتذرعهم للطاعة الصارمة للناموس أخفوا فساداً عظيماً .

وقد وصفهم العهد الجديد بأنهم «غلاظ الرقبة»، «أولاد الأفاعى» .

أما يوسيفوس، المؤرخ اليهودى المعروف، الذى أراد أن يقدمهم لليونانيين والرومانيين على أفضل ما يكون، فقد وصفهم بأنهم أناس أشرار، وغشاشون، ويستحقون العقاب الذى وقع عليهم فى خراب أورشليم .

أما فيما يتعلق بالدين، فإن اليهود بعد عودتهم من السبى البابلى، تمسكوا تمسكاً شديداً بحرفية الناموس الطقسى، ولكن بدون معرفة بروح أو قوة الكتب المقدسة .

ب - اليهودية والهيلّينية والامبراطورية الرومانية

أولاً: اليهودية والهيلّينية / فيلو

ثانياً: اليهودية والإمبراطورية الرومانية

أولاً : اليهودية والهيلّينية / فيلو

* اليهودية والهيلّينية

إننا نعنى ذلك اللقاء وتلك المزاوجة بين الديانة اليهودية واللغة اليونانية وثقافتها وفلسفتها، وقد ظهرت على أفضل ماوصلت إليه فى الإسكندرية، بمصر بخاصة فى الفترة بين

القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الأول الميلادى.

وقد تمثّلت البداية فى اللقاء الذى حدث على نطاق أوسع نسبياً بين اليهودية والهيلّينية فى الترجمة اليونانية للعهد القديم، والمعروفة «بالترجمة السبعينية». (راجع الفصل الخاص بالإسكندرية).

انتشرت اللغة اليونانية والثقافة اليونانية فى كل شرقىّ حوض البحر المتوسط منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد. وكان مركز الإشعاع هو الإسكندرية ـ لذا فليس بعجيب أن نرى عدداً كبيراً من الكاتبين ـ الذين يدينون باليهودية ومن الجنس اليهودى يكتبون أعمالهم باللغة اليونانية الدارجة، والمعروفة بلغة كوينى (Koiné)، متمثّلين فى ذلك بالأعمال الكلاسيكية اليونانية والآداب الهيلّينية. ومع أن كتاباتهم كانت باللغة اليونانية، إلا أنها كانت تحمل الطابع اليهودى

وثمة فلاسفة عديدون من اليهود ـ الهيلّينستيين، كانت لهم أهمية بالغة فى نشأة أدب الآباء اليونانيين، وكذلك الأفلاطونية المحدثة ، والتى استمر تأثيرها على مدى عدة قرون .

الهيلينستية

كان للحضارة اليونانية أثر بالغ فى العصر الذى بزغت فيه ، حتى إنه سُمى بالعصر اليونانى . فكانت اللغة اليونانية وثقافتها هى لغة العالم المتقدم وثقافته.

وأصبحت كلمة هيلّينستية Hellenisticism تشير إلى كل من ليس هو من أصل يونانى، ولكنه يحاكى اليونانيين فى لغتهم وثقافتهم ونمط حياتهم، وسلوكهم.

لقد شغل أرسطوبولس Aristobulus مكانةً بارزةً فى الفلسفة الهيلّينية ـ اليهودية، وقد عاش فى نحو القرن الثانى قبل الميلاد ، أى أنه كان معاصراً لبطليموس فيلوميتور السادس، ومما يؤكد أن الجزازات المتبقية هى من أعماله، أن كلاً من القديس كليمندس السكندرى ويوسابيوس المؤرخ، قد اقتبس منها. إلا أن ثمة محاولات قام بها ر. سيمون R. Simon، هـ. هودى H. Hody وأخيراً أ.إلترA.Elter. من أجل إنكار أعمال أرسطو بولُس ، بل وإنكار وجوده فى القرن الثانى قبل الميلاد. وقد قام بنقدها نقداً وافياً ل.س. ڤالكنير L.C. Valckenaer، و وولتر Walter.

كان أرسطو بولُس أحد المؤيدين الأساسيين ـ إن لم يكن أكثرهم تأييداً ـ للفكرة التى تبنَّاها ، فيما بعد فيلو السكندرى والعديدون من الكُتّاب المسيحيين، والتى تقول باعتماد الفلاسفة اليونانيين والشعراء على الترجمة اليونانية للعهد القديم ، وفى عمله الذى أهداه لبطليموس فيلوميتور لم يتردد فى التأكيد على وجود ترجمة يونانية للكتب المقدسة العبرية أسبق من الترجمة السبعينية، وذكر على سبيل المثال فى (الفصل رقم (١٠) من الكتاب رقم (١٣) والذى يحمل عنوان:

The Praeparatio evangelica demonstrate سلسلة طويلة من الأسفار تحمل أسماء العديد من الكاتبين اليونانيين، غير أنه فى الواقع كان يجب أن هذا العمل الذى نُقل عن اليهودية (طبقاً لشورير Schurer) يكون ضمن عمل «هيكاتايوس» - مؤلف كتاب عن إبراهيم، ذكره كليمندس فى كتابه المتنوعات (٥ : ١١٣: ٣) (ومسألة نقل بعض الأعداد عن اليهودية، قد ذكرها أيضاً كليمندس وغيره فى كتابه المذكور سابقاً (٥:١٠٧ : ١ - ١٣٣: ٣) أما س. ليلاً S. lilla فيؤكد صحة ما أشار إليه وولتر Walter عن أنه يجب أن لا نعطى اهتماماً كبيراً بما وصف به أرسطو بولس أنه أرسطوطاليسى. إلا فيما يتعلق بما نادى به الأرسطو طاليون بالتسامى الأخلاقى المثالى.

لقد شهدت الفلسفة اليهودية ـ الهيلّينستية قمة التعبير عنها فى فيلو السكندرى، الذى عاش فى ختام القرن الأول قبل الميلاد، والنصف الأول من القرن الأول الميلادى، حيث كتب تفاسير «فلسفية» للعهد القديم، وحاول التوفيق بين الديانة اليهودية والفكر اليونانى، وكان يقصد بالتفسير الرمزى الذى استخدمه الوصول إلى المعنى الأعمق والأصح، ويختلف عن التفسير الحرفى الذى كان سائداً فى تلك الفترة.

* فيلو والثقافة اليهودية ـ الهيلّينستية

فيلو Philo الإسكندري هو الممثل الأكبر للثقافة اليهودية الهيلّينستية، وغير معروف على وجه التحديد تاريخ مولده أو وفاته، فبينما يذكر بعض الباحثين سنة ٣٠ ق.م. تاريخاً لمولده. يذكر آخرون سنة ٢٠ ق.م. تاريخاً آخر، وهكذا الحال لسنة وفاته والتي يرجح وقوعها بين سنتيْ ٤٠ م، ٥٠م، وعن تأثير فيلو فى الفكر اللاهوتي يرى هـ. كروزل H.Crouzel أن لفيلو أثراً كبيراً فى فكر بعض الآباء مثل القديس إكليمندس الإسكندري، والعّلامة أوريجانوس، والقديس أمبروزيوس (أمبروسيوس) والقديس غريغوريوس النيصي، ويبدو أن كلاً من المؤرخين من يوسابيوس وچيروم اعتبراه مسيحياً (موسوعة الكنيسة الأولى).

كان فيلو معاصراً للسيد المسيح، وإن كان أكبر منه سناً، وقد دعا إلى حياة النسك والتأمل، ويبدو أنه سار على نهج الربيين، وهو من أسرة عاشت في الإسكندرية، وكانت من أغنى العائلات التي عملت بالتجارة.

لقد تلقى فيلوتعليماً وثقافة يونانية خالصة، إلا أنه ظل مخلصاً لإيمانه اليهودي، وبحسب معلوماتنا فإن أعماله تعتبر هى الأولى على مدى واسع التي تلتقي فيها الثقافتان اليهودية واليونانية، فقد كان يقوم بشرح العهد القديم باليونانية «قاصداً أن يبين لليونانيين أن فى هذه الأسفار فلسفة أهم وأسمى من فلسفتهم، وهو لايفصل بين الفلسفة والدين، ولكنه يتخذ الدين أصلاً، ويشرحه بالفلسفة وقد يؤدى به الأمر إلى أن يعد له بها» (د. وليم سليمان قلاده: تعاليم الرسل).

دافع فيلو عن المجتمع اليهودي الإسكندري من المذبحة التي قام بها الوالي فلاكيوس Flaccus فى سنة ٣٨م. حيث سأل أن ترسل بلاده للإمبراطور كاليجولا تطلب منه وقف المذبحة ولم يمنع عنهم كارثة حقيقية سوى قتل الإمبراطور المجنون.

معظم أعمال فيلو الأدبية أعمال تفسيرية، وبعض أبحاثه تتألف من جانب أدبى وآخر أخلاقى، وقد كتب عن حياة إبراهيم، ويوسف، وموسى، والوصايا العشر.

وقام فى بعض أعماله بشرح فقرات محددة من سفر التكوين بأسلوب مجازي، وكذلك له أعماله الفلسفية، عن حياة التأمل، يصف فيها الحياة: اليهودية ـ الهيلّينستية لبعض الجماعات مثل «الأسينيون».

لقد استخدم فيلو كل علوم عصره فى شرح الكتاب المقدس وأعتبر أن التفسير الحرفى، هو الأساس للتفسير الروحى.

وكانت مصادره الرئيسية هي الناموس فضلاً عن ثقافته الهيليّنستية الموسوعية (من معرفة باللغة والبلاغة والجدل والموسيقى، والجبر، والفلك، والفيزياء ... وغيرها). وقد جعلها فى خدمة الفلسفة، والفلسفة عنده هي ضرب من الحكمة والتي يمكن فهمها فهماً روحياً، وقد استخدم النظريات الفيثاغورية فى الشرح المجازي على نطاق واسع، وكان على معرفة بالتشريع اليهودي والتشريع اليوناني، وقد تطورت التفاسير الروحية على عدة مستويات وهي فى النهاية تفاسير كونية: فالهيكل يرمز إلى العالم، وإن أجزاءه المختلفة هي المناطق المختلفة فى الكون وهو ينتقل من العالم إلى الإنسان،

ولذلك فإنه كان من السهل أن ينتقل إلى الحديث المجازي عن الأخلاق، مثل الحديث عن الحيوانات لكي يشرح الآلام، ولا يمكن أن نتفق مع فكرة اللاهوتى عن الله، واللوجوس، والملائكة والإنسان والعالم.

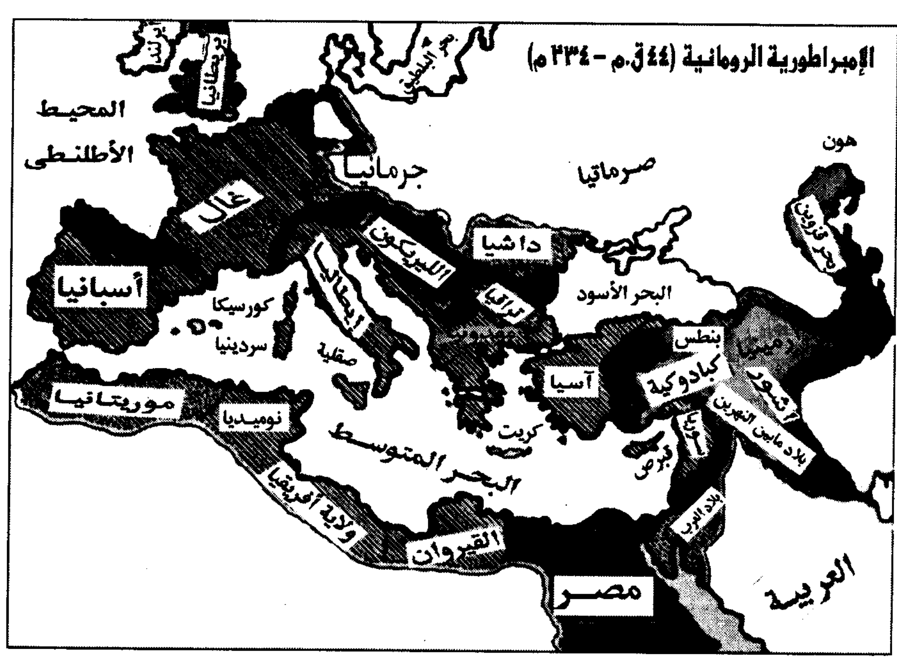
جعل فيلو الفلسفة فى خدمة اللاهوت مستخدماً أسلوباً انتقائياً، وهو ذلك يتبع الفلسفة الرواقية والفلسفة الأفلاطونية، وكذلك الأرسطية، ونجد صدى لتفاسيره الكتابية فى بعض التفاسير الربية.

ظل فيلو يهودياً في معتقداته الأساسية، وهو وإن كان يهودياً إلا أنه قريب في تفكيره اللاهوتي والروحي بوجه عام من أن يكون مسيحياً، وقد كتب عن أن الله وحده يعمل أعمالاً صالحة فى نفس الإنسان لذلك فيجب على الإنسان أن يشكر الله من أجلها.

ثانياً: اليهودية والإمبراطورية الرومانية

بالرغم من أن الإمبراطورية الرومانية لم يتعد تأثيرها المباشر الوحدة السياسية الخارجية إلا أنها أثّرت بطريقة غير مباشرة فى المدخل الأخلاقى والعقلى المتبادل بين ديانات الأمم واليهودية وذلك على النحو التالى:

١ ـ لقد تشتَّت اليهود منذ الأسر البابلى فى كل أنحاء العالم. فكانوا منتشرين فى كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية فى القرن الميلادى الأول، وبناء على ما كتبه يوسيفوس Josephus وسترابون Strabon فإن اليهود لم توجد دولة من الدول لم يشكِّلوا جزءاً من سكانها. وكان من بين الشهود فى يوم الخمسين «يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين فى أورشليم.. فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون. مابين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحى ليبيا التى نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء» (أعمال٢: ٥و٩- ١١).



الإمبراطورية الرومانية فى ٤٤ ق.م

مناطق ضُمت بين ٤٤ ق.م - ١٤ م

مناطق ضُمت بين ١٤ م - ١١٧ م

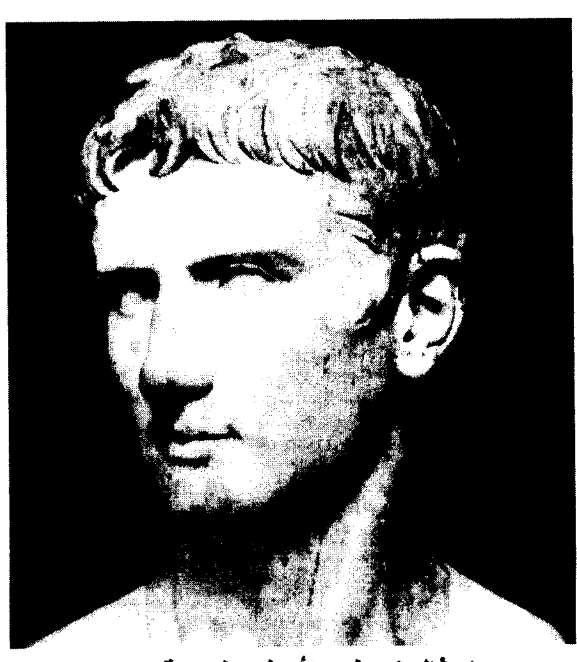
مناطق ضُمت مؤقتاً

وبالرغم من كراهية اليهود للأمم، إلا أنهم كوَّنوا ثروات، وكان لهم نفوذ ومكانة مرموقة، بالمثابرة والمهارة.

وقد بنوا مجمعاً لهم فى كل عاصمة تجارية فى الامبراطورية الرومانية.

وقد نقل بومبى Pompey عدداً كبيراً من اليهود الأسرى من أورشليم إلى روما (نحو سنة ٦٣ ق.م.) وجعلهم يقيمون على الضفة اليمنى من نهر التيبر، وهو بذلك - دون أن يعلم - أقام البنية الأساسية للكنيسة فى الدولة الرومانية.

وكان يوليوس قيصر أعظم من حمى اليهود، وقد عبَّروا عن عرفانهم بجميله، بأن تجمَّعوا لعدة ليالٍ ليقوموا برثائه فى الميدان الذى قُتل فيه، وحيث أحرقت جثته. لأنه كان قد سمح لهم بحرية العبادة العامة، وقدَّم لهم تصريحاً قانونياً كمجتمع متدين. وقد أيَّد أوغسطس قيصر هذه الامتيازات،



تمثال نصفى لأوغسطس قيصر

فقد وصل عددهم فى زمان حكمه عدة آلاف فى روما. إلا أن رد الفعل اختلف مع طيباريوس وكلوديوس حيث أمرا بطردهم من روما، إلاَّ أن اليهود سرعان ما عادوا ليمارسوا عبادتهم وطقوسهم فى حرية.



تمثال لرأس طيباريوس

فقد كانت هناك عدة إشارات تثبت نفوذهم، كما تبين الكره والاحتقار الذي كان يكنّه لهم الرومانيون. وقد وصل إلى أذن نيرون التماس اليهود من خلال زوجته بوبايا Popaea، والتى يبدو أنها كانت تنزع إلى عقيدتهم، كما أن يوسيفوس أحد اليهود المتميزين يمتدح ثلاثة أباطرة وهم ڤيسبسبان، وتيطس، ودوميتيان (دوميطيان).



وقد أصبح شتات اليهود بمثابة البذار لمعرفة الإله الحقيقي، والرجاء في المسيح، التي بُذرت في تربة العالم الوثني، وكان العهد القديم قد تُرجم إلى اليونانية قبل ميلاد السيد المسيح بنحو قرنين من الزمان، وكانت من خلاله تُقرأ النصوص الكتابية في العبادة العامة، والتي كانت متاحة للجميع، فقد كان المجمع اليهودي نقطة الانطلاق للكرازة بالإله الواحد. وقد كان عوناً للرسل إذ كانت المجامع أماكن العبادة والتمهيد الطبيعي للكرازة بالرب يسوع المسيح المكمّل للناموس والأنبياء.

لقد ضعفت الديانات الوثنية إلى حد اليأس منها. وقد ساعد في ذلك الشك الفلسفي، وانتشار الإلحاد العام. وقد تحوّل العديدون من الأمميين الجّادين إلى اليهودية. وبخاصة أعداد كبيرة من النساء، وقدأطلق عليهم اسم الدخلاء المتعبدين، وقد كانوا أكثر تعصباً من اليهود أنفسهم. وقد آمنوا بالإله الواحد، وبالناموس الأخلاقي، وبرجاء اليهود في المسيّا، وقد كانوا أكثر المتجاوبين والمتأثرين بسماعهم للإنجيل، وقد شكّلوا النواة الأولى للكنيسة المسيحية الأولى، وكان من بينهم قائد المئة في كفر ناحوم ، وكرنيليوس في قيصرية، وليدية في فيلبي، وتيموثاوس وغيرهم من التلاميذ البارزين.

٢- ومن ناحية أخرى كان للوثنية اليونانية ـ الرومانية من خلال لغتها وفلسفتها وأدبياتها تأثير ضعيف من أجل تخفيف التعصب الأعمى للفئات العليا من اليهود وأكثرها ثقافة. كان اليهود المشتتون يتحدثون اليونانية ويدعون «الهيلّينستيين»، كما كانوا أكثر ليبرالية من سائر اليهود «العبرانيين» أو يهود «فلسطين» الذين كانوا يتحدثون بالعبرية (لغتهم الأصلية) وهذا ثابت من مبشّري الأمم مثل برنابا في قبرص، وبولس في طرسوس، وكل من كانوا في كنيسة أنطاكية.

وفي مصر نجد في مرحلة انتقالية مثالاً واضحاً من عناصر يهودية وامتزاجها بعناصر وثنية تلتقي على تعاليم الإسكندرية وعلى منهج «فيلو» الذي وُلد حوالي سنة ٢٠ ق.م. وعاش حتى سنة ٥٠ م، إلا أنه لم يحدث أن التقى بالسيد المسيح أو بأحد من الرسل، وكان يهدف إلى جعل ديانة موسى في تناغم وانسجام مع تعاليم أفلاطون، وذلك من خلال التفاسير الرمزية للعهد القديم، وقد استنبط من سفريّ الأمثال والحكمة تعاليم عن «اللوجوس» تقترب إلى حد ما من مفهوم «اللوجوس» في إنجيل يوحنا، حتى إن كثيرين من المفسرين يقولون إنه لابد أن القديس يوحنا قد أطّلع على تلك الكتابات أو على الأقل على معاني الكلمات الخاصة بفيلو، ولكن مفهوم فيلو كان يختلف عن مفهوم الرسل في أن «الكلمة صار جسداً»، فمفهومه كان بمثابة الظل من الجسم، أو الحلم من الحقيقة. (راجع فيلو: مادة: أولاً اليهودية والهيلّينية).

إن «العابدين» من النساك الذين كانوا يعيشون في مصر يقال عنهم أحياناً بأنهم من طائفة «الأسينيين اليهود»، وقد حملوا الأفكار الأفلاطونية اليهودية إلى الحياة العملية، إلا أنهم فشلوا في الواقع في التوحيد بينها في منظومة دائمة، ولم يكن لهذا التوحيد أن يؤتي أثره إلا من خلال ديانة جديدة تُعلن من السماء.

كان السامريون منفصلين تماماً عن الفلسفة اليهودية في مدرسة الإسكندرية. فكانوا جنساً خليطاً، وقد مزجوا العناصر اليهودية بالديانة الوثنية بطريقة مختلفة، ويرجع تاريخهم إلى وقت السبي، وقد تمسكوا بالأسفار الخمسة والختان والرجاء في المسيّا، ولكن كان لهم هيكل خاص بهم على جبل جرزيم، وقد كرههم اليهود الأصليون كراهية شديدة، وقد وجدت المسيحية طريقها إلى السامريين من خلال لقاء المسيح مع المرأة السامرية، ومن خلال كرازة فيلبس(أعمال الرسل ٨) إلا أن أتباع سيمون الساحر قد أبعدوا الكثيرين عن الإيمان.

وقد رأى بعض الكُتّاب المسيحيين أن سيمون الساحر

وآخرين من السامريين هم أصل الغنوسية .

٣- هكذا كان الطريق ممهداً للمسيحية فى جميع الاتجاهات، إيجاباً وسلباً، مباشراً وغير مباشر. نظرياً وعملياً، سواء من خلال الإلحاد أو الإيمان الزائف. وتلك الشعوب المتباينة لم تكن تقدر أن تعيش بمعزل عن بعضها البعض فى مزيج من الديانة اليهودية والثقافة اليونانية وسيادة الإمبراطورية الرومانية. كانت ثمة محاولة عابثة للتوحيد بين الفكر اليهودى والوثنى والديانة المادية العقيمة والفلسفة والفن والقوة السياسية.

كانت القلوب النبيلة الجادة تتشوق لديانة الخلاص. «وفى ملء الزمان» حين ذبلت أجمل زهور العلم والفن، وأصبح العالم على شفا اليأس، ولدت العذراء ابناً ليقيل الجنس البشرى من سقطته ونقائصه، لقد جاء المسيح إلى عالم مائت ليخلق عالماً جديداً، ويمنحه حياة أبدية .

الوثنية

الكلمة اللاتينية للوثنية مشتقة من كلمة تعنى قرية فى إشارة إلى الريف أو القرية ، وتأتى بمعنى ثانوى «مدنى أو برجوازى»، كما تأتى بمعنى «عسكرى» وثمة كثير من المناقشات دارت حول المراحل التى مرت بها الكلمة حتى اصطبغت بالمعنى الدينى ، حيث أصبحت هى الصفة التى تُخلع على كل من أو ما ينتمى إلى الأمم، أو الاعتقاد بتعدد الآلهة قديماً، وقد أشار البعض إلى أن المعنى الدينى يرجع إلى المعنى الثانوى (ومنهم زاهن Zahn) بينما رده آخرون إلى المعنى الأصلى، ويقول پ سينيسكالكو P. Siniscalco إذا أردنا أن نرجع للتاريخ لنعرف البداية، فإن الكلمة اليونانية باجانوس Paganus لم تنتشر إلا فى القرن الرابع قبل الميلاد وهى تحمل فكرة الوثنية كديانة دون أن تكون لها علاقة باليهودية أو المسيحية غير أنه ثمة آراء أخرى، فالآباء المدافعون من اليونانيين فى القرن الثالث الميلادى، قد صنّفوا الجنس البشرى إلى ثلاث فئات: اليونانيين واليهود والمسيحيين.

ونشأ ذلك من حقيقة أن المسيحيين لم يعتبروا أنفسهم لا هيلّينستيين ولايهوداً. فكانوا يدافعون عن المسيحية الجديدة التى ينتمون إليها باعتبارها ضد الوثنية واليهودية.

كان القديس ترتليانوس (أو ترتليان) أول - أو لعله من أوائل من كتبوا باللاتينية، ومن أعماله عمل ضد الوثنيين وجعل عنوانه «ضد الأمم»، وربما يرجع ذلك إلى أنه لاحظ أن الرومانيين لايعطون للمسيحيين حقوقهم السياسية، فكانوا لا يسمحون بحمل لقب «مواطنين رومانيين»، ولا يرغبون فى أقصائهم عن الدولة. وقد ترجمت كلمة «اليونانيين» بكلمة «الأمم» ويرى أ. شنيدرA.Schneider أنه ربما يرجع ذلك إلى تأثير الترجمة السبعينية للعهد القديم حيث أشارت إلى الوثنيين على أنهم «الأمم» وكذلك فى العهد الجديد.

لقد حاق بالأمم الوثنية نوع من التحقير بين المسيحيين ، وذلك لأن الوثنيين آمنوا بآلهة زائفة، فكانوا يستحقون اللوم على عبادات وممارسات وتقاليد اجتمعت حول تلك الأوثان.

جـ- الوثنيــة

تنمو الديانات الوثنية نمواً عشوائياً فى تربة الطبيعة البشرية الساقطة، وتعمل على إظلام الوعى الفطرى للإنسان بالله، وتؤله المخلوقات العاقلة وغير العاقلة. وتستخدم التعبيرات القبيحة عن الأمور الأخلاقية، وتقدم ما ينهى عنه الدين من رذائل.

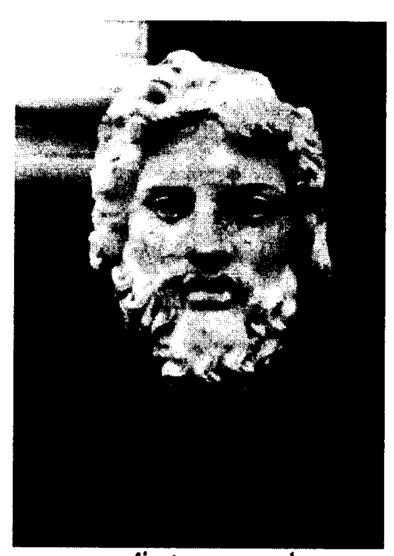
إن ديانة اليونان، التى تركت لنا ثروة من الإنتاج الفنى حتى اعتُبرت ديانة الجمال قد تشوهت بتشوه الأخلاق.

فهم يفتقرون إلى مفهوم «الخطية»، وبالتالى يفتقرون إلى المفهوم الحقيقى «للقداسة»، وهم لا يعتبرون أن الخطية هى «فساد الإرادة» أو فعل ضد الآلهة، وإنما يعتبرونها حماقة



وعملاً ضد الإنسان، حتى ولو صدر ذلك الفعل عن الآلهة أنفسهم، أو بسبب «العمى الأخلاقى» فقد زعموا أن الإلهة أيتى Ate «ابنة جوبيتر» كانت تحمل الآلهة والبشر على اقتراف الأفعال التى تتسم بالحماقة، وبالرغم من إقصائها عن الأولمب، فإنها كانت المصدر لكل الأعمال الحمقاء المزعجة على الأرض، لقد نسب هوميروس بعض العناصر الشريرة إلى آلهته. إن آلهة الرومان شبيهة بآلهة اليونان (فقد أخذ الرومان بعض الآلهة عن اليونان) وقد امتدحوا فيهم الضعف والرذائل ـ كشخصيات يونانية ـ كما امتدحوا الفضيلة.

إن الآلهة يولدون، ولكنهم لا يموتون أبداً. فلهم أجسام وأحاسيس مثل البشر ولكنهم أضخم منهم، فهم يأكلون ويشربون الشراب والطعام الإلهى ، وهى تنام وتستيقظ. كما أنها تنتقل فى رشاقة وسرعة مثل لمح البصر، وتتحارب فيما بينها ، كما تتعايش مع البشر، وتُخلف أبطالاً، وأنصاف آلهة،



رأس زيوس إله أفسس

وهم يحددون بالزمان والمكان، ولكنهم أحياناً كانوا يتميزون بالمعرفة والقدرة ويتصفون «بالقداسة» و«العدل». إلا أنهم جميعاً كانوا معرَّضين للقدر المحتوم(مويرا Moira) فيقعون تحت تأثير الهواجس والأوهام، وينسبون إلى بعضهم البعض الحماقة والجريمة، وتتأثر سعادتهم السماوية بفعل الاضطرابات التى تحدث على الأرض، حتى زيوس Zeus أو(جوبيتر Jupiter عند الرومان) كبير عائلة الأولمب، قد خدعته أخته هيرا Hera أو جونو Juno حيث تزوجها سراً لمدة (٣٠٠ عام) قبل أن يعلن زواجه بها وتتويجها ملكة على الآلهة، وقد تم تجاهل هذا الحدث قبل طروادة، فهو يهدد أتباعه بالموت إن أفشوه، ويجعل الأولمب ترتعش خوفاً عندما يهز رأسه فى غضب فأفروديت Aphrodite الرقيقة أو ڤينوس Venus تنزف دماً من إصبعها المجروح. وقد قتل ديوميدس Diomedes مارس Mars (إله الحرب) بحجر.

إن الإلياذة والأوديسة، العملان الأدبيان اللذان نالا شهرة واسعة، هما من العصر الهيلِّينى. قد قدما الآلهة فى صورة مخزية، حتى إن أفلاطون طردهم من جمهوريته المثالية، مما حدا بإيسخولوس وسوفوكليس أيضاً أن يقدما الآلهة فى صورة أكثر نبلاً. بينما قدم هوميروس العقائد الشعبية الشائعة.

بالرغم من أن الوثنية قد خلت من «الحق» و «القداسة» إلا أنها كانت ديانة تتلمَّس طريقها إلى «إله مجهول»، وقد أوضحت احتياجها للإيمان من خلال أساطيرها وخرافاتها التى انتشرت آنذاك، فتعدد آلهتها قد نشأ عن خلفية غامضة لفكرة الإله الواحد، فقد جعلت كل الآلهة يخضعون لجوبتير، وجوبيتر نفسه يخضع لقدر غامض، فقد كان لديهم - أساساً ذلك الإحساس بالاعتماد على قوة أعلى، وتوقير للأمور الإلهية. فكان لها صوت الضمير، والإحساس بالشعور بالذنب.

وقد شعرت بالاحتياج للمصالحة مع الآلهة ورأت أن المصالحة يمكن أن تتم من خلال الصلوات والتوبة، وتقديم

الذبيحة. وكان العديد من التقاليد الدينية هى صدى ضعيف للديانة البدائية والحلم بالمزج بين الآلهة والبشر، وأنصاف الآلهة والخلاص الذى ناله بروميثيوس من معاناته وآلامه على يد هيراقليطس، إنما كانت إرهاصات عن غير وعى للحقائق المسيحية.

وهذا ما يفسر الاستعداد الكبير لدى الوثنيين لقبول الإنجيل.

وقد كان ثمة يهود منتشرون فى كافة أرجاء العالم الوثنى، ولكنهم لم يختتنوا فى الجسد، ولكن الاختتان القلبى غير المنظور بين الروح الذى يهب متى يشاء، وغير المحدود بأى وسائل عادية أو غير المقيد بقوانين بشرية.

لعل وجود الصدق، والأخلاق أو التقوى فى العالم الوثنى القديم يعزى إلى ثلاثة مصادر:

المصدر الأول: الإنسان، حتى فى صورته الساقطة، فإنه يتلمّس صورة الله، ومعرفة الله، مهما كان الضمير أو الشعور الأخلاقى ضعيفاً، والشوق للاتحاد بالإله (لكى يطلبوا الله «لعلهم يتلمسونه فيمجدوه» مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً) (أع ١٧:٢٧).

والمصدر الثانى: ربما أخذت بعض التقاليد - وإن كانت ضعيفة - من الإعلانات الأولى لآدم ونوح، ولكن **المصدر الثالث:** والأكثر أهميةً مما سبق أن توقعته الوثنية من حقائق، هو عناية الله الفائقة، الله الذى لم يترك نفسه بلا شاهد، وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار مع مفكرى اليونان تأثير عقيدة اللوجوس الإلهى، الذى كان النور الحقيقى للعقل ينير فى الظلمة، وينير كل إنسان، والذى بذر بذار الحق والجمال والفضيلة فى تربة الوثنية.

وقد أينعت زهور تلك الوثنية فى أثينا وروما قديماً، وقد دخل الرسل فى علاقات مباشرة مع المجتمعين اليونانى والرومانى من خلال اللغة والأخلاق والأدب والدين، فهما واليهود كانوا المختارين فى العالم القديم. فقد اختير اليهود لأمور أبدية، لحفظ قداسة الديانة الحقيقية، وقد أعد اليونانيون عناصر الثقافة الطبيعية والعلوم والفنون من أجل نفع الكنيسة، كما طوَّر الرومانيون القانون، ونظَّموا العالم المتمدِّن فى امبراطوريتهم، استعداداً للكرازة بالإنجيل فى كل العالم، فقد كان الرومانيون واليونانيون خداماً - عن غير وعى - للرب يسوع المسيح «الإله المجهول».

هذه الأمم الثلاث والتى تكن الكراهية والضغينة لبعضها البعض، قد اتحدت فى أن تكتب العنوان الذى وُضع على الصليب، حيث رُفع الاسم المقدس «يسوع الناصرى» واللقب الملكى «ملك اليهود» كما أمر بيلاطس الوثنى، «فقد كان هذا العنوان مكتوباً بالعبرانية واليونانية واللاتينية» (يوحنا ١٩:٢٠).

د - اليهودية والمسيحية

لقد تأثر الفكر اللاهوتى المسيحى - فى بداية المسيحية - بالفكر اليهودى الدينى. بالرغم من القطيعة المبكرة بين المسيحيين واليهود. إلا أنه من المؤكد أن هذا الفكر اليهودى المسيحى واصل تأثيره القوى حتى بعد القرن الثانى.

لقد أشار القديس بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية إلى أن بعض المسيحيين قد جمعوا بين الأسلوب اليهودى فى الحياة (وذكر بخاصة موضوع الختان) والمسيحية. ونجد ذلك الأمر يذكره أيضاً كل من القديس أغناطيوس والقديس يوستينوس، وكان القديس إيريناوس أول من كتب عن ميلاد طوائف من اليهود - المسيحيين، وقد حاول إبيفانيوس (Epiphenius) أن يحلل السبب وراء تكوين هذه المجموعات، وعزا ذلك إلى أولئك الذين تركوا أورشليم فى أثناء الحصار ٦٦ - ٧٠ م.

إن التمييز بين المسيحيين من أصل يهودى والمسيحيين من أصل وثنى ليس بالأمر السهل إذ أن الوثنيين قد قبلوا كثيراً من الأفكار اليهودية والعهد القديم، ويقول دانيِّلو: (Danielou) فى الدراسة التى قام بها إنه لم يحدد أشخاصاً بعينهم أو مجموعات بعينها، ولكن حدد أفكاراً عديدة فى المجتمع المسيحى الأول. ويذكر على سبيل المثال أن الأفكار الخاصة بالملائكة قد أثَّرت على مفاهيم مثل الملك الألفى وشخص المسيح ، ونجد مصادر هذا الاتجاه، مع غيرها فى الكتابات المسيحية الأولى، مثل رسالة برنابا وراعى هرماس، ويبدو أننا يمكن أن نتوقع لعدة قرون (لاسيما فى سوريا) تأثيراً يهودياً كبيراً على المسيحية، ولكنه زال شيئاً فشيئاً.

لم تتدخل الكنيسة سوى فى بعض الحالات التى أثَّر فيها الفكر اليهودى على بعض العقائد الأساسية مثل رفض الميلاد العذراوى وإدخال موضوع الختان إلى المسيحية.

وبالإضافة إلى الأفكار المسيحية اليهودية، فإن الكثير من الاكتشافات الأثرية لاسيما فى فلسطين قد أوضحت مدى تأثير الفكر اليهودى على المسيحية الأولى.

لاشك فى أنه يجب أن نولى اهتماماً أكبر للسمة اليهودية الخاصة التى راجت فى الإسكندرية. فى ذلك الوقت كانت الأفكار اليونانية تجتذب - دائماً - يهود تلك المدينة العالمية العظيمة القائمة على الحدود بين الشرق والغرب، حيث جرت أعظم محاولة لتفسير الفكر اللاهوتى فى ضوء الفلسفة الهيلِّينية، ولعل أعظم مفسر معروف بهذه الميول هو «فيلو» Philo الذى إلى جانب كونه عالماً ذا نزعة صوفية لاجدال فيها - كان أيضاً شخصية لها وزنها فى المجتمع اليهودى فى الإسكندرية، وكان على رأس الوفد الذى أرسل للامبراطور غايس Gaius فى سنة ٤٠م.

وكان يهودياً متزمتاً إيماناً وممارسةً. وقد انجذب نحو الفلاسفة اليونانيين، ولا سيما أفلاطون، وتقبَّل بكل ارتياح التفرقة بين المثال وماهو مُدرك بالعقل، والعالم المادى، ولكنه قال إن كل الأفكار الأفلاطونية الطيبة سبق الإرهاص بها فى الأسفار المقدسة اليهودية.

وكانت الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم تشكل موضوع دراسته المفضلة، ومعظم أعماله الكبيرة كرسها لتفسير هذه الأسفار، وهو يعتبر الكتاب المقدس موحى به تماماً من الله بمعنى أن الله استخدم من كتبوه كأدوات لتوصيل إرادته. وثمة جانبان فى فكر «فيلو» لهما أهمية خاصة بالنسبة لمدارس العقيدة المسيحية نذكرها فيمايلى:

الجانب الأول: استخدم فيلو التفسير الرمزى الذى تمكن بواسطته من تبيان أن الحقائق التى جاءت بها الإعلانات الإلهية مطابقة لتلك التى يقول بها الفلاسفة، والتفسيرات الرمزية لم تكن شيئاً مستحدثاً فى ذلك الحين، فلقد استخدمها المفكرون منذ قرون للكشف عن المعانى الكامنة فى أشعار هوميروس Homer، وهسيودوس Hesiod، وبواسطتها استطاع الرواقيون (ومنهم على سبيل المثال كورنوتيوس Cornutus فى سنة ٥٠ م أن يستلهموا فكرهم الميتافيزيقى من الأساطير القديمة.

أما الجانب الآخر فهو مفهومه عن اللوجوس Logos أو «الكلمة»، وقد سار على نهج الأفلاطونية المتأخرة، فقد علَّم فيلو أن الله متعالٍ جداً، وهو يسمو حتى على الفضيلة والمعرفة والصلاح والجمال المطلق، وهى من المُثل الخالدة التى افترضها أستاذه الموقَّر أفلاطون، فالله كائن طاهر، مطلق البساطة والكفاية، ويمكن وصفه بأنه لايوصف - وربما يعنى بذلك أنه بالنظر إلى سموه فوق كل شىء، فلا يدرج تحت أى من النوعيات المنطقية التى تصنَّف بها الكائنات المحدودة. إن الفكر اللاهوتى اليهودى صوَّر الله وقد دعا العالم إلى الوجود بأمره، لأنه كان مهتماً به مباشرة، أما الأفلاطونية فتؤكد

على خلق الله لملكوته وسيطرته عليه، غير أن الأفلاطونية المحدثة - وكما سنرى - قد أدخلت هيئة متسلسلة من كائنات إلهية بين الله الصالح الأسمى والنظام المادى، وتلك الكائنات الإلهية تحكم وتخلق الأخيرة، وهذا لا يتفق ورأى فيلو، لأنه يجب أن لا يتدخل شىء مع وحدانية الله وتفرده، وبالشكل الذى أعلن فى الكتاب المقدس.

وعوضاً عن ذلك فهو يعتقد فى قوى وسيطة والتى على الرغم من أن وضعها مشوش إلى حد ما، إلا أنها لم تكن كائنات مميزة، ومن بين تلك القوى الوسيطة يجد أن أسماها وأكثرها أهمية هو اللوجوس (الكلمة): أقدمها وأقربها إلى الله ويدعوها: «من الأشياء التى جاءت إلى الوجود» وتعليم فيلو عن الكلمة (اللوجوس) جاء غامضاً، بل وغير مترابط منطقياً، إلا أن سماته الأساسية واضحة بما فيه الكفاية.

واللوجوس باعتباره وسيطاً بين الله والكون، ومن ثم فله دور مزدوج: فهو وكيل الله فى الخلق. كما أنه الوسيلة التى بواسطتها يعرف العقل الله، وكلا الفكرتين تعودان إلى ما تقول به الرواقية. ولسوف تكتشف أن الرواقيين ينظرون إلى اللوجوس (والذى يعنى أيضاً العقل) على أنه المبدأ المنطقى المتأصل فى الحقيقة، حيث يضفى عليها شكلاً ومعنىً، وفى ذات الوقت كان بمقدور الناس أن يفهموا الحقيقة لأن اللوجوس كان فيهم لقد أخذ فيلو المفهوم وربطه مع تعليمه الخاص بسمو الله، وما من شك أنه وجد عوناً من حقيقة أنه قرأ فى الكتاب المقدس أن الله خلق العالم بكلمته، وأنه بكلمته أعلن نفسه للأنبياء، كما أنه على معرفة بلاهوت الحكمة، والذى بمقتضاه خلق الله أولاً الحكمة، ثم استخدمها بعد ذلك لخلق العالم. وكانت ثمة مناقشات كثيرة حول ما إذا كان قد اعتبر اللوجوس كائناً له شخصيته، إلا أن توجيه هذا السؤال معناه سوء فهم موقفه. أما المهم من وجهة نظره بالنسبة للميتافيزيقا هو أن يشبه اللوجوس بالمُثُل أو الصور الأصلية فى عالم أفلاطون، والتى تعد الحقيقة المحسوسة جزء منه وهو على غرار الأفلاطونيين الوسطيين لايعتبر أن ذلك العالم موجود بذاته، بل هو ببساطة يعبر عن عقل الإله الواحد، وكما هو الحال فى الإنسان (نلاحظ أيضاً تأثير الرواقيين) يوجد الفكر المنطقى فى العقل، وكذلك الفكر نطق به ككلمة، وهكذا يأتى اللوجوس الإلهى فى مقدمة جميع الأفكار والخطط التى فى فكر الله، وقد عرض حينئذ كمادة لاشكل لها، ثم جعله ماهيةً أو كياناً حقيقياً عاقلاً، وحين يتكلم فيلو عن اللوجوس بعبارة «الابن البكر» فلا يجب أن يؤخذ هذا التعبير بكثير من الجدية.

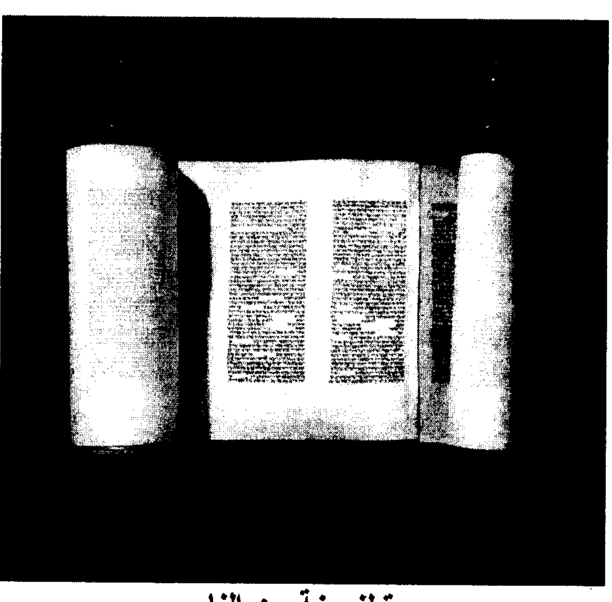
واللوجوس بالطبع هو وسيلة حكم الله وسيطرته على العالم، ولكونه متأصلاً فى هذا، وسامٍ فى العقل الإلهى، فهو على هذا «سيد الكون وموجهه»، وبالنظر إلى عالم المثل الأفلاطونى، فبمقدورنا أن نعرف كيف أن الإنسان بتأمله اللوجوس يستطيع أن يصل إلى معرفة الله. وفضلاً عن ذلك فإنه حين وصف العهد القديم ظهور ملاك الرب (يهوه) للآباء، قال فيلو فى تفسير ذلك: «إن الذى ظهر فى الواقع هو اللوجوس».

هـ - الناموس والنبوة

يشكِّل الناموس والنبوة أهمية بالغة للديانة اليهودية، وهما بذلك يعدان تمهيداً مباشراً للمسيحية «صوت صارخٍ فى البرية أعدوا طريق الرب. قوموا فى القفر سبيلاً» (إشعياء ٤٠ : ٣).

أ - كان ناموس موسى تعبيراً جلياً عن إرادة الله المقدسة قبل ميلاد السيد المسيح. فقد كانت الوصايا العشر ذروة التشريع القديم. فلوحا الشريعة قد تضمنا وربطا جوهر الأخلاق والتقوى الحقيقية والمحبة السامية لله والمحبة للقريب. وقد وضع الناموس النموذج المثالى «للبر» إلا أنه أيقظ شعور





صورة لنسخة من الناموس

الإنسان بضرورة البعد عن الخطية «لأن بالناموس معرفة الخطية» (رو ٣ : ٢٠) «ولكن قبلما جاء الإيمان **كنا محروسين تحت الناموس** مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن. **إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح** لكى نتبرر بالإيمان» (غلاطية ٣ : ٢٤).

وقد ظل الشعور بالإثم والخطية والاحتياج إلى المصالحة حياً فى ظل الذبائح اليومية:

أولاً: فى خيمة الاجتماع، ثم فى الهيكل، وقد أشار الناموس الطقسى إلى حقائق العهد الجديد، وبخاصة إلى ذبيحة المسيح على الصليب «وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو ٢ : ٢).

إن عدل الله يستوجب طاعة مطلقة ونقاءً قلبياً لقاء الوعد بالحياة، أو العقاب بالموت. إلا أن الله لا يلهو بالإنسان، فالله صادق وأمين ورحيم. ففى الناموس الأخلاقى والطقسى، أُخفيت النواة الحلوة للوعد، فهو سوف يستعرض يوماً نموذج البر فى إطار محسوس، ويصفح للخاطىء عن كل خطاياه، ويعطيه قوة لإتمام البر وبدون هذا التأكيد يصير الناموس قيداً عنيفاً.

ب ـ إلا أن الناموس كان فى ذات الوقت، كما سبق القول، أداة للتعبير عن الوعد الإلهى بالفداء. وكذلك أداة للتعبير عن دين الرجاء. فبينما رأى اليونانيون والرومانيون عصرهم الذهبى فى الماضى، رأى اليهود عصرهم الذهبى فى المستقبل.

فكل التاريخ، وكل المؤسسات الدينية والسياسية والاجتماعية والعادات والتقاليد كانت تشير إلى مجىء المسيا» وتأسيسه لملكوته على الأرض.

إن النبوة أقدم فى الواقع من الناموس، الذى جاء بعد ذلك بين الوعد وتحقيقه، بين الخطية والفداء، بين المرض والشفاء منه. لقد بدأت النبوة فى الجنة بالوعد بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية، بعد السقوط مباشرة، وقد تجلّت فى عصر الآباء، ولا سيما فى حياة إبراهيم والذى كانت تقواه تعبيراً عن الثقة والإيمان. وموسى الذى جاء بالناموس، والذى كان فى نفس الوقت نبياً، وقد أشار للشعب إلى نبى أعظم قائلاً: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلى، له تسمعون» (تثنية ١٨ : ١٥)، فبدون التعزية بالوعد بالمسيّا، لدفع الناموس بالنفس الجادة إلى اليأس. فمنذ وقت صموئيل (حوالى أحد عشر قرناً قبل السيد المسيح)، بعد أن كانت النبوة تظهر بصورة متقطعة، أخذت شكلاً منظماً ووظيفة دائمة.

وفى هذا الشكل اقترنت بالكهنوت اللاوى، وأسرة داود الملكية حتى الأسْر البابلى. واستمرت هذه الكارثة، ووجهت عودة الشعب وإعادة بناء الهيكل، وتفسير الناموس

وتطبيقاته، والتنبؤ بالعواقب الوخيمة، وبنعمة الفداء الإلهى، مع زيادة وضوح النبوات عن مجىء المسيا، الذى يفدى إسرائيل والعالم من الخطية والبؤس، ويقيم مملكة السلام، والبر على الأرض .

إن فترة ازدهار النبوات المسجلة فى الكتاب المقدس قد بدأت قبل القرن الثامن قبل الميلاد وبعد موسى بنحو سبعة قرون، حينما كانت إسرائيل واقعة تحت الحكم الأشورى. وفى ذلك الوقت قبل السبى، كان إشعياء (الذى يعنى خلاص الله) الشخصية القيادية، وقد ظهر فى نهاية حكم الملك عُزيا، وقبل عشر سنوات من تأسيس «روما». وقد ظهر أيضاً فى مملكة يهوذا كل من ميخا، ويوئيل وعوبديا.

وفى مملكة إسرائيل هوشع وعاموس ويونان. وقد وصل إشعياء إلى أعلى قمة فى التنبؤ. بالكشف عن ملامح شخصية «المسيا» الخارج من أسرة «داود»، والذى سيبشر المساكين، ويعصب منكسرى القلب، وينادى للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق. مقدِّماً نفسه كشاة للذبح، فقد ضُرب من أجل ذنب شعبى، فكلنا كغنم ضللنا، والرب وضع عليه إثم جميعنا. على أنه لم يعمل ظلماً ولا وُجد فى فمه غش. ولكنه ينتصر على الموت، ويصير ملك السلام لكل الأمم، وهى صورة لم تكتمل إلا فى شخص واحد فقط هو يسوع المسيح الناصرى. فكان إشعياء أكثر الأنبياء اقتراباً إلى الصليب، وسفره يعتبر إنجيل العهد القديم. فى عصر الأسر البابلى كان إرميا (النبى الحزين)، الذى وبخ الكهنة والأنبياء الكذبة، ومراثيه لأورشليم، وحزنه المقدس، واضطهاده المرير، أشبه ما يكون برسالة المسيح وحياته، وقد بقى فى أرض آبائه. حيث أنشد مراثيه على أطلال أورشليم. بينما حذَّر حزقيال المسبيين عند نهر خابور من الأنبياء الكذبة والآمال الجسدانية، وحثهم على التوبة. ورسم صورة لأورشليم الجديدة، وإحياء العظام اليابسة بنسمة الله، ودانيال الذى رأى فى الروح، تعاقب أربع امبراطوريات والانتصار النهائى للمملكة الأبدية لابن الإنسان. وأنبياء التجديد هم حجى وزكريا وملاخى، عاش ملاخى فى وقت نحميا، وهنا تتوقف نبوات العهد القديم، وقد تُرك اسرائيل(٤٠٠ سنة) بلا أنبياء حتى يدركوا خلال هذه الفترة مدى غنى هذا الإعلان، وللإعداد لمولد الفادى.

جـ - فى الوقت السابق مباشرة لمولد «المسيَّا» فإن كل العهد القديم، والناموس، والأنبياء من موسى وإشعياء وغيرهم قد ظهروا فى شخص يوحنا المعمدان الذى جاء ليبشر بجدية بالتوبة فى البرية واضعاً الفأس على أصل الشجر، وفى نفس الوقت معزِّياً بالنبوة، مشيراً إلى حمل الله الذى يرفع خطايا العالم وهكذا كان تدبير الله للعهد الجديد، وقد كان المعمدان من أصدقاء العريس السماوى، وأعظم من وُلد من النساء، ولكنه أصغر من أبناء ملكوت المسيح الذى هو أعظم وأمجد من كل الرموز والظلال السابقة.

هذه هى ديانة اليهودية، كما انبعثت من نبع الإعلان الإلهى، وقد عاشت فى إسرائيل الحقيقى، الأبناء الروحيين لإبراهيم، وفى يوحنا المعمدان، وفى والديه وتلاميذه، وفى السيدة العذراء، وفى لعازر وفى أختيه التقيتين، وفى الرسل الذين قبلوا يسوع الناصرى باعتباره المتمم للناموس والأنبياء والمخلص للعالم.

و- الحضارة اليونانية والامبراطورية الرومانية

أولاً: الحالة الثقافية والسياسية

ثانياً: الاتجاهات الدينية

أولاً : الحالة الثقافية والسياسية

كانت الحضارة اليونانية القديمة والامبراطورية الرومانية العالمية القديمة العامل الثانى الرئيسى، بعد الديانة اليهودية، فى تمهيد العالم للمسيحية، وقدمتا الصيغ البشرية التى فيها



صيغ الجوهر الإلهي للإنجيل حيث أعد بالكامل في قلب الحكم اليهودي، كما وضعا الأساس الطبيعي للصرح الفائق السمو للمملكة السماوية. لقد وهب الله لليونانيين والرومانيين عطايا طبيعية غنية جداً. حتى أمكنهم أن يصلوا إلى أعلى مستوىً ممكن من الحضارة وقد أمدّا الكنيسة بوسائل العلوم والفن الإنساني والقانون، فكانت نافعة لخدمة الكنيسة إلاّ أنها في نفس الوقت تبين العجز التام لهذه العناصر وحدها في بركة وخلاص العالم.

كان اليونانيون قليلي العدد مثل اليهود، إلا أن تاريخهم من الأهمية حتى أنه يعد أهم من تاريخ الامبراطوريات الأسيوية، وقد عبّرت الحضارة اليونانية تعبيراً جيداً عن الإنسانية في جمالها وفي قبحها، بل وفي عدم كمالها الطبيعي أيضاً. فقد طوروا مبادىء العلوم والفنون.

لقد حرروا الوعي الإنساني، وبحثوا بعمق في قوانين الطبيعة والروح، وقد طبقوا فكرة الجمال على كل أشكال الفن، من شعر، ونحت، وعمارة، ورسم وفلسفة، وأدب، وتاريخ. وقد تركوا لنا إنتاجاً ضخماً، وهو لا يزال حتى يومنا هذا، موضع التقدير والدراسة كنماذج للثقافة الراقية والذوق الرفيع.

وقد أصبحت هذه الأعمال حقاً موضع التقدير بين يديّ الكنيسة المسيحية، لقد قدم اليونانيون للرسل لغة ثرية وجميلة يمكن بها التعبير عن الحقائق الإلهية في الأناجيل. وقد شاء التدبير الإلهي أن ينظم الحركات السياسية قبل ذلك بوقت طويل، حتى تنتشر تلك اللغة عبر أنحاء العالم. ولتجعل منها لغةً للحضارة، والعلاقات الدولية كما كانت اللاتينية في العصور الوسطى، والفرنسية في القرن الثامن عشر، والإنجليزية فيما بعد. قال شيشيرون: «إن اللغة اليونانية، هي لغة كل الشعوب تقريباً، فاللاتينية مقيدة بمعانيها الضيقة».

لقد قام العلماء ورجال الفن بتتبع الجيوش المنتصرة إلى روما وبلاد الغال (فرنسا). وأسبانيا. فكان الإسكندر الأكبر (راجع أيضاً مادة الإسكندرية في موضعها من الجزء الثاني من موسوعة آباء الكنيسة) البطل الشاب المقدوني المولد، معجباً متحمساً بهوميروس، ومتمثلاً بأخيل، وتلميذاً للفيلسوف أرسطو، فيلسوف العالم المنتصر، وبالرغم من انقسام المملكة إلى عدة أقسام عقب وفاته إلا أنه حمل اللغة اليونانية إلى مشارف الهند، وجعلها ملكاً عاماً لكل الأمم المتحضرة، وما بدأه الإسكندر الأكبر أكمله يوليوس قيصر، وقد تذرَّع الرسل بالقانون الروماني في التنقل في الامبراطورية الرومانية، واستخدموا اللغة اليونانية في كرازتهم.

لقد وضعت الفلسفة اليونانية الأساس الطبيعي لعلم اللاهوت، فالبلاغة اليونانية استخدمت في الخطابة الكنسية، وكذلك الفن اليوناني في خدمة الكنيسة المسيحية.

الحقيقة إن الكثير من الأفكار والحِكَم الكلاسيكية كادت أن تقترب من حد الإعلان، حتى تبدو كأنها نبوات عن الحقائق المسيحية وقد ذكرت على الأخص في كتابات أفلاطون الروحية، والفكر الديني العميق لبلوتارك (شاف Schaff: تاريخ الكنيسة المسيحية الجزء الأول ص ٧٨).

إن بعض آباء الكنيسة العظام مثل يوستينوس (يوستين) الشهيد وكليمندس السكندري، وأوريجانوس، يعتبرون الفلسفة اليونانية جسراً إلى الإيمان المسيحي. ومرشداً علمياً لهم إلى المسيح. ليس هذا فحسب، بل إن الكنيسة اليونانية الأولى تأسست ونشأت على أساس اللغة اليونانية وبدون ذلك يتعذر تفسيرها.

لقد وضعت الكلاسيكيات الأدبية الأساس للتعليم العقلي في كل مكان في العالم المسيحي، وقد وصلت الثقافة اليونانية إلى أوجها ثم بدأت في التراجع، وقد حُفظت اللغة اليونانية

من الاندثار بسبب الأعمال الأدبية الخالدة التى كُتبت بها. بل ومازالت تمد كل فروع العلوم والفنون بالمصطلحات العلمية.

وبعيداً عن القيمة الهامة للأدبيات اليونانية، التى هى مجد مقدونيا - فى زمن ميلاد السيد المسيح - والتى فُقدت ولا يمكن استعادتها. فالحرية المدنية والاستقلالية قد دمرها الفساد والفوضى الداخلية وانحرفت الفلسفة تجاه الشك والأخلاق المادية، واتجهت الفنون إلى الحسية والعبث. وقد حلَّ الإلحاد والخرافات محل الحس الدينى الراسخ وانتشر الفساد، والنزاع، والخداع والغش، وتمكن من جميع طبقات الشعب.

لقد أثرت تلك الحالة الميئوس منها تأثيراً شديداً على كل شيء فقد ازداد شعور النفوس النبيلة والجادة بفراغ تلك الحضارة المادية والتى عجزت تماماً عن ملء فراغ القلب، وإشباع احتياجاته العميقة. مما تولد عنه الرغبة الشديدة فى التطلع إلى ديانة جديدة.

كانت الدولة الرومانية هى الدولة السياسية والعملية فى العالم القديم، فكان الرومانيون يهدفون إلى تحقيق فكرة الدولة وسيادة القانون المدنى، وأن يوحدوا دول العالم فى امبراطورية واحدة كبرى تمتد من الفرات إلى الأطلنطى، ومن صحراء ليبيا حتى ضفاف نهر الراين، وقد ضمت الامبراطورية معظم الأمم المتمدينة والخصبة فى آسيا وأفريقيا وأوربا، وكان تعدادها فى ذلك الوقت يصل إلى نحو مئة مليون شخص، وهو ما يعادل ثلث الجنس البشرى فى وقت المسيحية المبكرة، وإلى ذلك الامتداد الخارجى يعزى مدى أهمية تاريخها، وكما يقول نيبوهر Niebuhr «ينتهى تاريخ الأمم القديمة، وكذلك يبدأ تاريخ كل الأمم الجديدة، فى روما، فقد كان تاريخها يحتوى على اهتمامات عالمية. فهى مستودع زاخر بالتراث القديم» (شاف: تاريخ الكنيسة المسيحية الجزء الأول ص ٨٠) فإذا كان اليونانيون يتمتعون بالفكر العميق، بالأدبيات قدموا القوانين حتى للشعوب التى غزوها، فإن الرومانيين تمتعوا بقوة الشخصية التى استطاعوا بها أن يحكموا العالم، وهذا الاختلاف بينهما امتد بالطبع ليؤثر على الأخلاق والحياة الدينية لكليهما، فبينما كانت الأساطير اليونانية والأعمال الفنية والشعر هى موضوع الاهتمام فى اليونان. كانت الحرب والغزو وتوسيع رقعة الامبراطورية هى جُل ما يشغل الرومان. فلم يُقدِّر الرومانيون الجمال، مثلما كان يقدِّرها اليونانيون، ولم يكن للرومانيين علاقة بالطبيعة، فلم يكن لديهم اهتمام سوى بالتفكير فى فكرة واحدة هى روما، روما الفاتحة والمنتصرة.

كان الرومانيون ـ منذ القدم ـ يؤمنون بأنهم خلقوا لحكم العالم فكانوا ينظرون إلى الدول الأخرى على أنهم أعداء يجب الانتصار عليهم، وفتح بلادهم، واستعبادهم، فكان مفهومهم عن المجد البشرى والسعادة منحصراً فى الحرب والانتصار.

وقد سعوا لتحقيق مشاريعهم الطموحة بطاقة جبارة وعزيمة لا تلين، وسياسة عميقة. وكما قال عنهم تاسيتوس Tacitus «لصوص ينهبون العالم» ـ (شاف ـ مرجع سابق).

لقد فتحوا العالم بالسيف، ونظموه بالقانون وبالرغم من عدم قدرتهم على الإبداع مثلما فعل اليونانيون فى الفنون والآداب، كان الكُتَّاب الرومانيون بارعين فى محاكاة الفلاسفة والشعراء والمؤرخين اليونانيين. فقد حوَّل أوغسطس قيصر روما من مدينة مليئة بالأكواخ البسيطة إلى مدينة مليئة بالقصور الرخامية، وقد استقدم أفضل الرسامين والمثَّالين من اليونان، وأقاموا أقواس النصر فى الأماكن العامة، وكذلك جمعوا من كل مكان فى العالم الأشياء الثمينة التى من شأنها تجميل العاصمة وجعلها فى أفضل حال. وقد حدثت صحوة فى بناء المدن الكبيرة، فقام هيرودس الكبير الطموح والمسرف بإعادة بناء هيكل أورشليم.

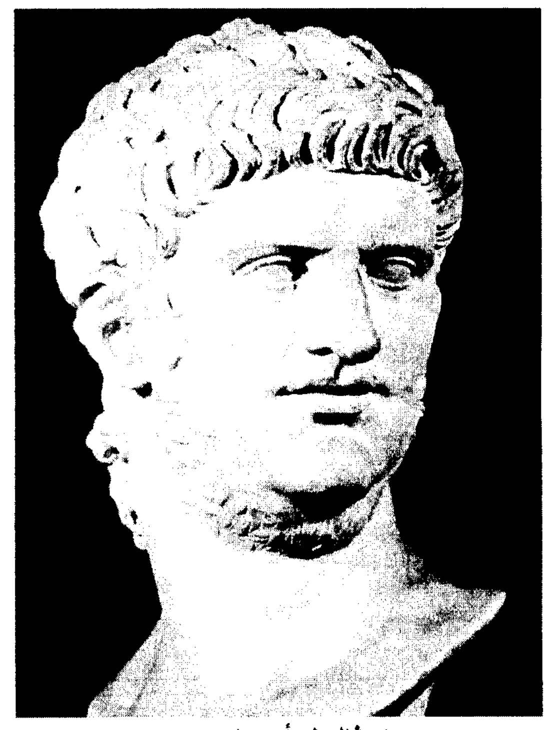
كانت الحقوق الشخصية والأملاك موضوع الحماية، بالرغم من الشكايات الدائمة والمستمرة من الدول التى غزوها عن نهب ثروات بلادهم، إلا أنهم فى المقابل استمتعوا بالحماية من الغزو الخارجى، ومن المشاكل الداخلية. كما استمتعوا بنصيب كبير من الرفاهية الاجتماعية، وارتفاعهم إلى أعلى درجات الحضارة البشرية، وقد امتدت الحماية لتشمل الجيش والتجارة. وفعلياً تم بناء عدة طرق برية، يبقى بعض آثار منها فى سورية، والألب، وعلى ضفاف نهر الراين، وقد أصبحت التسهيلات والحماية فى السفر مكفولة. وكانت فى أعظم حالاتها فى فترة حكم القياصرة عنها فى أى فترة تالية لها. فقد كانت هناك خمس طرق رئيسية تربط روما بأطراف الامبراطورية، كما أنها رُبطت بالموانىء بطرق بحرية. وكما قال كاتب رومانى «علينا أن نسافر فى كل الأوقات، وأن نبحر من الشرق إلى الغرب». لقد جلب التجار الحجارة الكريمة من الشرق، والحديد من أسبانيا، والحيوانات البرية من أفريقيا، والأعمال الفنية من اليونان، وكل السلع الثمينة إلى السوق على ضفاف نهر التيبر، كما كانوا يفعلون على ضفاف نهر التايمز. ويرى البعض أن الصورة التى رسمها يوحنا الرائى فى سفر الرؤيا تتنبأ عن سقوط الاستعمار المهيمن على العالم هى صورة روما: «ويبكى تجار الأرض وينوحون عليها لأن بضائعهم لايشتريها أحد فيما بعد بضائع من الذهب والفضة والحجر الكريم واللؤلؤ والبزر والأرجوان والحرير والقرمز وكل عود ثينى وكل إناء من العاج وكل إناء من أثمن الخشب والنحاس والحديد والمرمر، وقرفة وبخوراً وطيباً ولباناً وخمراً وزيتاً وسميذاً وحنطة وبهائم وغنماً وخيلاً ومركبات وأجساداً ونفوس الناس وذهب عنك جنى شهوة نفسك وذهب عنك كل ماهو مشحم وبهى ولن تجديه فى ما بعد» (رؤ ١٨: ١١-١٤).

وقد استمرت روما بعد هذه النبوة لفترة قصيرة، إلا أن أسباب انهيارها كانت قائمة قبل ذلك فى القرن الأول. فالتوسع الخارجى والنجاح الظاهرى قد جلبا معهما ضعف الفضائل الاجتماعية والعائلية والتى كان يمتاز بها الرومانيون على اليونانين من قبل.



تمثال لرأس أفلاطون

لقد فقدت الطبقات الدنيا كل شعور بالنبل، إذ أخذت تسلية طبقة النبلاء شكلاً بربرياً، حيث يصارع المجالدون (أشخاص يقاتلون حتى الموت) الحيوانات، حيث يموت ما لايقل عن عشرين ألف شخص شهرياً. لقد أصبحت امبراطورية طيباريوس ونيرون المترامية الأطراف جسماً ضخماً بلا روح، تخطو رويداً إلى مصيرها المحتوم. وأضحت مدينة الامبراطورية المتشامخة المقامة على نهر التيبر مدينة للحثالة والرعاع.



تمثال لرأس نيرون

كان بعض الأباطرة طغاة أشراراً وبلغوا من الظلم درجة وحشية، إلا أنهم تُوجوا بين الآلهة، بتأييد من مجلس شيوخ روما، وبنوا الهياكل والمذابح لعبادتهم. وقد بدأ هذا التقليد فى عهد «يوليوس قيصر» والذى شرف فى حياته بلقب «يوليوس السماوى» لانتصاراته العظيمة، بالرغم من التكلفة الفادحة التى بلغت حد المليون قتيل، بالإضافة إلى مليون آخر أسروا واستعبدوا.

إن الصورة الحالكة السواد التى رسمها القديس بولس فى رسالته إلى «روما» عن الوثنية فى أيامه قد أكدها سينيكا وتاسيتوس، وجوڤينال، وبرسيوس، وغيرهم من المؤرخين الوثنيين وقد سجلوا فى كتاباتهم الاحتياج المطلق للفداء.

وكما قال سينيكا فى عبارته الشهيرة: «إن العالم يزخر بالجرائم والرذائل، وكثير مما يقترف من الجرائم أكثر مما تستطيع القوة أن تعالجه.. فلم تعد الجرائم مستورة، بل تقع تحت الأبصار. فلم تعد البراءة نادرة، بل غير موجودة على الإطلاق».

لقد محت الجيوش الرومانية كل الحواجز التى كانت تفصل بين الأمم القديمة، وقد جمعت كل أطراف العالم فى علاقة وطيدة حرة فوحدت الشمال بالجنوب، والشرق بالغرب من خلال اللغة والثقافة والعادات والتقاليد والقانون المشترك.

وهكذا ـ وبدون وعى ـ فتحوا الطريق أمام سرعة انتشار تلك الديانة التى توحد كل الأمم فى عائلة الله الواحدة بالروابط الروحية من خلال الإيمان والمحبة.

لقد بدأت تشرق فى الذهن الوثنى فكرة «الإنسانية للجميع».. وقد وجدت هذه الروح الإنسانية متنفساً لها فى شيشيرون cicero وفيرچيل Virgil. لهذا بجَّل الآباء شاعر الإلياذة.. فقال عنه أغسطينوس إنه: «أنبل الشعراء». كما قال أحد العلماء عن فيرچيل: «إن شعره يحتوى على مزيج من الأفكار والمشاعر أكثر قرباً وتوقيراً وإنسانية للمسيحى من سائر الشعراء القدامى اليونانيين أو الرومانيين».

لقد قدمت النظم والقوانين المدنية، وقدرة الرومانيين الفائقة فى الإدارة، والتنظيم الخارجى الكثير للكنيسة المسيحية.

ثانياً: الاتجاهات الدينية

لقد أخذت عبادة الآلهة الإغراق فى الشكلية فقط، والإيمان بالخرافات المنافية للعقل، حتى إن كهنة الأوثان أنفسهم كان يسخر أحدهما من الآخر عندما يلتقيان فى الشارع، وإنه من النادر أن نجد عدم الإيمان والإيمان يجتمعان معاً فى نفس الشخص. وطبقاً للحكمة المعروفة «كل الأطراف تتلاقى معاً» فالإنسان يجب أن يؤمن بشىء ما، ويعبد إما الله أو الشيطان.

لقد ازداد جداً عدد السحرة ومستحضرى الأرواح، وقد استمتعوا بكامل الحرية.

كانت الأخلاق والطهارة والجمال رموزاً شائعة فى معبد الإلهة ڤستا، ثم تحولت إلى الرذيلة والغواية والتشجيع على الإثم.

وبالرغم من تلك الصورة المظلمة للامبراطورية الرومانية، إلا أنه من ناحية أخرى، كانت الامبراطورية الرومانية العالمية قاعدة إيجابية لملكوت الإنجيل الشامل، كانت البوتقة التى انصهرت فيها كل المتناقضات والخصائص التى تميزت بها الأمم والأديان القديمة، والتى تشكلت فيها الخليقة الجديدة.

من الجلى إذن أن العالم قبل المسيحية كان متعطشاً إلى الديانة التى تملأ ذلك الفراغ الروحى السائد.

والآثار المتبقية تشهد على التطلع اليائس الذى كانت تستشعره كل الطبقات تجاه الموت والمصير النهائى، والخلاص والطهارة الروحية والاتحاد مع الله، ولم يكن بمقدور الديانات القديمة التقليدية أن تستجيب لهذه الحاجة وبرغم المحاولات المتكررة (التى قام بها أوغسطس قيصر على سبيل المثال) لإحياء التقوى القديمة، إلا أن آلهة اليونان وروما قد فقدوا كل ما كان لهم من قدرة على الإلهام، ثم إن عبادة الامبراطور والتى كان يدعمها أوغسطس وخلفاؤه، سادت بدرجة متزايدة واكتسبت المساندة الرسمية.

أما العبادات الشرقية فكانت تمنح رضاءً أكثر، والتى منذ القرن الأول قبل الميلاد قد انتشرت بسرعة فى أنحاء العالم اليونانى ـ الرومانى فكانت ايزيس ISIS وسيرابيس Serapis وكيبلى (أو كوبلى) Cybele أحدث الآلهة، حيث اكتسبت جماهير غفيرة من المؤمنين بها. وبنيت لها المعابد على نفقة الحكومة. أما بين الجنود فكان الاجماع الشعبى من نصيب مترا Mithras البابلى، المتحالف مع الشمس، وبذلك كان بطل النور ضد الظلمة، أما الحركة التوفيقية بين الأديان المتعارضة فقد كانت وليدة التصادم بين الديانات. فكانت آلهة بلدة ما توصف بأنها آلهة بلدة أخرى، وكانت الديانات المختلفة تندمج بعضها مع بعض، وتنقل كل منها عن الأخرى دون تمييز. ثم إن الاعتقاد فى خلود النفس كان يربط أحياناً بينه وبين تناسخ الأرواح الأمر الذى كان يعلّم به فيثاغورس Pythagoras (فى القرن السادس قبل الميلاد) وكان ثمة اعتقاد عام بأنه ستجرى فى المستقبل محاكمة سيكون من نتيجتها إما عقوبة أو حياة مباركة مع الآلهة، وثمة ظاهرتان فى هذه الفوضى القائمة بين الخرافات والتقوى الحقيقية تستحقان الإشارة إليهما:

أولاً: الانتشار غير العادى لما يسمى بالديانات السرية، وهذا هو الاسم الذى أطلق على المجموعة الدينية المرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، أو بشركة لايقبل المستجدون بها إلا بعد إجراء طقوس سرية، لايجب معرفة الغرباء عنهم بها، ففى فترة سابقة كانت أشهر الطقوس السرية هى التى تعقد فى الاليوزس Eleusis تكريماً لديميتر Demeter إلهة الخصب والزراعة وابنتها برسيفونى Persephone إلهة الموت والخصب. أما تلك التى كانت شائعة فى فترة لاحقة فكانت غالبيتها ترجع إلى أصل شرقى، فكانت هناك طقوس إيزيس السرية، وطقوس الإلهة الأم العظيمة كيبلى الأناضولية، وعشيقها المخلص الإله Attis إله النبات، وآخرين، ولعل الأكثر انتشاراً وتمثيلاً هى تلك الخاصة بالإله مترا. وفى طقوس الإلهة كيبلى Cybele والإله أتيس Attis على سبيل المثال نرى أتيس يجتاز نوعاً من المعمودية فى دم تيس أو كبش يُذبح فوقه، ونتيجة لهذا يشعر فى نفسه بأنه «وُلد من جسدين ليعيش إلى الأبد». وطقوس ايزيس تقنعه بأنه اجتاز أبواب الموت نفسه ثم عاد وقد أحُيا، وتمت حمايته عن طريق الإلهة التى تفرس فى وجهها. وإغراء هذه الديانة السرية ولا شك يكمن فى الرضاء الذى تستطيع أن تقدمه لمن يتوق إلى خبرة شخصية قوية مع الإله، وما يصاحب ذلك من شعور بالتحرر

من الإثم والخوف، ولا يجب التقليل من شأن تأثيرها الأخلاقي.

ثانياً: زيادة الاتجاه بالنسبة للمتعلمين وغير المتعلمين على السواء، لتفسير موحد للإيمان التقليدي بعدة آلهة وكان ينظر إلى الآلهة الكثيرة في المعبد الوثني إما على أنها سمات متجسدة لإله واحد سام، وإما أنها استعلان للقوة الفريدة التي تحكم الكون. والحركة القائمة ـ آنذاك ـ الخاصة بالتوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة جعلت هذا الأمر سهلاً وطبيعياً وعلى مستوى أعلى تزامنت مع اتجاه الفكر الفلسفي المستنير. ثم إن الفيلسوف ارستيدس Aristides الذي حاضر في أسيا الصغرى وروما في منتصف القرن الثاني قدَّم مثالاً مفيداً. وثمة سلسلة باقية من محاضراته تحتفي بآلهة فردية، ولاسيما أسكليبيوس Asclepius الذي كان على صلة حارَّة وصادقة به، غير أنه من الجلي أنه كان ينظر إليهم جميعاً على أنهم يمثلون قوات كونية انبعثت من أب عالمي واحد.

كذلك بلوتارك Plutarch وهو كاتب سير ومقالات (اشتهر في سنة ١٠٠م) فبينما كان يتمسك بالممارسات الدينية لأسلافه ويعترف بوجود آلهة وشياطين خاضعة ووسيطة إلا أنه كان يؤمن إلى جانب ذلك بإله واحد كامل وسام، وهو كائن حقيقي.

لقد تزايد استخدام معابد الآلهة الكثيرة، إما كمزيج يجمع بين سمات آلهة عديدة، وكصفة تلحق بإله واحد منها، وكان هذا أمراً له دلالته. وحين أقام الامبراطور أورليان Aurelian في سنة ٢٧٤ م عبادة الشمس كدين للدولة لم يكن بذلك يمجد الشمس كحامية للإمبراطورية، بل كان يقر بالإله العالمي الواحد، والذي وإن كان يُعرف بألف اسم، إلا أنه أعلن نفسه بشكل بالغ الكمال والروعة في السماء. ويلخص أبوليوس Apuleius في وقت سابق (١٦٠م) هذا الأمر حين يصف ايزيس بقوله «... كبيرة السمائيين، والإعلان الشامل للآلهة والإلاهات... الذي يعبد العالم كله ألوهيتها المتفردة تحت أشكال عديدة، وبطقوس متباينة، وتحت أسماء متعددة: (كيلي التعليم في الكنيسة الأولى).

الآباء والفلسفة

مضى نحو ١٥٠ عاماً على وجود المسيحية قبل أن يحدث أول صراع حاسم لها مع الفلسفة اليونانية. كان الآباء مستغرقين تماماً في أمور الرعاية، وبدت من كتاباتهم اهتمام بعضهم بالمدارس الفلسفية التي كانت موجودة آنذاك.

ولكن لم يكن ثمة مفر من المواجهة بين كل من الفكر المسيحي والفكر اليوناني، حيث أن كليهما كان ينسب لنفسه امتلاك الحكمة القادرة في ذاتها على أن تمد الإنسان بحقيقة ماهيته وقدره.

وباعتناق بعض الفلاسفة والمفكرين للمسيحية، وإذا اعتبروا أنفسهم فلاسفة، حدث ذلكم الحوار وتلكم المناقشات حول أهمية الفلسفة ودورها. فظهرت بعض الخلافات بين القديس يوستينوس(يوستين) الشهيد وتلميذه تاتيان (طاطيان) حول ذلك. إذ يرى القديس يوستينوس الشهيد أن الفلسفة عطية سماوية تجعل الإنسان أكثر قرباً من الله. كما يرى أن الفلسفة والمسيحية تمثل كل منهما إعلاناً جزئياً عن الحق وذلك من خلال قوة اللوجوس (الكلمة) الذي بذاره في كل النفوس، وإن الإعلان الكامل والنهائي للوجوس ظهر في التجسد. أما طاطيان فإن كراهيته الشديدة للفلسفة كانت بنداً واحداً لمقته الشديد للثقافة اليونانية بعامة. وقد تحول النقد اللاذع الذي وجهه للفلسفة إلى ولع شديد بالفلسفة على يد ترتليانوس بعد ذلك بنحو خمسين عاماً.

وقد وجد يوستينوس قبولاً عاماً بين كتَّاب الكنيسة وفي وقت لاحق في كل من كنائس الشرق والغرب. كما أوضح كليمندس السكندري-نظرياً وعملياً -كيف أن الفلسفة يمكن أن تساهم مساهمة فعَّالة في فهم عميق، وتفسير علمي للحقائق الموصى بها، فقد ظهر شعار- منذ ذلك الوقت وحتى القديس

أنسلم والعصور الوسطى- هو «الإيمان يتطلب الفهم». مما ضمن للفلسفة دوراً مستمراً لتطوير الفكر اللاهوتى فى الكنيسة اللاتينية.

وأخيراً، فإن التعاليم الرائعة التى قدمها القديس أغسطينوس والتى تتألف من الحقائق الموصى بها والأفلاطونية الحديثة، كانت تستعرض عرضاً ممتازاً للحقيقة التالية: «يمكن للإيمان والعقل أن يعملا طبيعياً وفى انسجام».

ز - الفلسفة اليونانية - الرومانية

كانت الفلسفة هى الديانة الأعمق بالنسبة للعقلانيين، كما يرى كيلى Kelly، وقد أمدت الفلسفة المفكرين من المسيحيين وغيرهم بإطار ذهنى للتعبير عن أفكارهم. كانت الأفلاطونية والرواقية هما أكثر أنماط الفكر فى تلك الفترة تأثيراً.

كذلك كان للأرسطية تأثيرها من خلال منطقها، وكان من بين أفكارها أن عقلاً سامياً هو العلة الأولى للكون، وقد تبنَّاها الأفلاطونيون فى وقت لاحق. أما الشك فيرجع أصله إلى الفيلسوف اليونانى بيرو Pyrrho (سنة ٣٠٠ ق.م.) وكان يقول إن المعرفة مستحيلة، وإن تعليق الرأى هو الموقف الوحيد.

وقد تمتع المذهب بإحيائه على يد اينسيديموس Aenesidemus (٦٠ ق.م.) وسكستوس امبيريكوس Sextus Ampireicus (سنة ١٧٥م).

وعلى صعيد آخر نجد المذهب الأبيقورى، الذى أسسه أبيقور Epicurus (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م.) ينكر اهتمام الآلهة بشئون البشر، وتعليمه بأن الحقيقة تتكون من عدد غير محدود من الذرات فى الفراغ، وأن الإحساس هو معيار الخير والشر.

أما مفتاح فلسفة أفلاطون Plato (٤٢٩ - ٣٤٧ ق.م.) فيتمثل فى نظريته عن المعرفة. ويرى أن المعرفة بمعناها الدقيق أمر مستحيل، وأنه لايمكن الحصول عليها من أى شىء كثير التغير والزوال مثل الإدراك الحسى، مماجعله يضع عالماً عالٍ غير محسوس من المُثُل (أو الصور أو الأشكال) التى لايفهمهما إلا متَّقدو الذكاء وحدهم. وما يريد قوله هو إنه فى حين أن الإحساس يقدم لنا أعداداً هائلة من أشياء معينة تتغير باستمرار، فإن العقل يتمسك بصفات معينة فى مجموعات لها صفة مشتركة، وهى ثابتة. فهو على سبيل المثال يتمسك بسمة الجمال وهى مشتركة بين أشياء معينة. وتتشابه مع أشياء أخرى، وبذلك وصل إلى أشكال الجمال فى حد ذاتها، والشبه فى حد ذاته. وهكذا تمثل المعانى الكلية التى يتكلم عنها فلاسفة العصر الحديث. إلا أنه يجب ملاحظة أن أفلاطون يرى أن لها وجوداً محسوساً. وثمة سؤال لم يُفصل فيه بعد، ويدور حول ما إذا كان يؤمن بأنه كانت هناك مُثُل تتطابق مع كل نوعية من الأشياء المحسوسة، غير إننا نعرف أنه كان يعتبرها مرتَّبة فى تسلسل هرمى تتوِّجه أكثر المثل عمومية على الأطلاق وعلة معرفتنا بها، وإذا كانت هذه المُثُل غير متغيرة وأبدية فهى وحدها الحقيقية فعلا. فهى تسمو، بل هى مستقلة تماماً عن عالم أشياء معينة محسوسة. والواقع أن عالم المستقبل، قد صيغ على أساس عالم المثل، وتلك الخصائص فقط هى ما يسعون إليها فى حالة إسهام المثل أو الصور فيها.

والانتقال إلى فهم أفلاطون للنفس، وفكره اللاهوتى أمر سهل. فالنفس من وجهة نظره كيان غير مادى، وخالدة بطبيعتها، وتوجد قبل الجسد الذى تحصر فيه. وهى مقدَّر لها أن تستمر فى البقاء بعد الموت. وإذا كانت أبعد من أن يكون لها علاقة بالعالم الآتى أو عالم المستقبل، فهى تنتسب على وجه صحيح إلى عالم المثل، وبفضل معرفتها لها قبل وجودها الدنيوى تستطيع أن تتعرف عليها أو تتذكرها هنا. وهى تنقسم إلى قوى ثلاث هى: عنصر أعلى أو «عاقل» يفهم الحقيقة، وهو عن طريق الحقوق يوجه حياة الإنسان كلها،

الحقيقة، وهو عن طريق الحقوق يوجه حياة الإنسان كلها، وعنصر روحاني هو قاعدة العواطف النبيلة، وعنصر «مشته» يغطى الرغبات الجسدية. أما فيما يتعلق بالفكر اللاهوتى، فيبدو أنه - من المؤكد - بالرغم من اللغة التوقيرية التى كثيراً ما يستخدمها، فإن أفلاطون لم يولِ أى اعتبار لشكل «الخير» أو «الواحد» على اعتبار أنه الله بالمعنى المألوف للكلمة، فالنفس عنده هى الموجِّه الأسمى، والمبدأ المنظم، وهو يؤمن بنفس للعالم تحيى الكون المادى، وهو فى تيماوسTimaeus يصور خالق الكون المادى، أو خالق نفس العالم (يبدو أنهما تحددا فى فيليبُس Philebus وقد شُكِّل العالم من مادة سابقة الوجود، غير أنه يتعين علينا أن نعرف أن خالق الكون المادى أنشأ العالم طبقاً للنموذج الذى فكر فيه فى عالم المثل. ويبدو أن ذلك العالم كل فى معزل عن الآخر. ومع ذلك فقد تركنا أمام مبدأين أساسيين بالإضافة إلى المادة سابقة الوجود.

أما أرسطو Aristotle (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.) تلميذ أفلاطون فقد عدّل من تعليم معلمه من نواحٍ عديدة هامة، ونرى ملمحاً من منطقه فى تحليله للطرق التى يفكر من خلالها العقل فى الأشياء، وقد سمّى هذه الطرق مقولات وعددها عشر وهى: الجوهر (بمعنى شىء منفصل) والكمية، والنوعية، والعلاقة، والمكان، والزمان، والوضع، والحال، والتأثير، والفعالية.



تمثال لرأس أرسطو

ومع ذلك فلم يكن أرسطو يعتقد أن هذه تمثِّل الطرق التى من خلالها يفكر العقل فيما يتعلق بالعالم الخارجى فقط، بل الأساليب التى تعيش فيها الأشياء فى ذلك العالم بشكل موضوعى أيضاً، ومن هذا يتضح أنه - على النقيض من أفلاطون - كان واقعياً، وأنه كان يقبل حقيقة العالم المادى بالشكل الذى نعرفه نحن به، وفضلاً عن ذلك فقد انتقد بشدة نظرية أفلاطون عن «المُثُل» وقد وافق تماماً على أنه لابد وأن تكون هناك مُثُل بمعنى كليات عامة بالنسبة لمفردات نوع ما، كما أنها يجب أن تكون حقيقية بشكل موضوعى وليس مجرد مفاهيم عقلية، بل كان مستعداً أن يصفها بأنها «جواهر ثانية» ولكن اعترض على ماذهب إليه أفلاطون من أنها مثل مستقلة، وكان اعتراضه هو أنها موجودة بالفعل فى مفردات. والواقع أن الجوهر الأولى هو مركب من الشىء أو القوام والمثال، وتمشياً مع هذا نجد أن فهمه للنفس يختلف عن فهم أفلاطون وقد علم بأن الجسد والنفس يشكلان وحدة مركبة، وهما أبعد من أن يكونا كيانين متباينين.

أما فيما يتعلق بالله، فقد تبنى أرسطو فكر أفلاطون من ناحية أن النفس خالدة، وتتحرك ذاتياً، وهى مصدر الحركة والتغيير بالنسبة لكل ماهو ليس نفساً، وقد وسّع هذا ليشمل مفهوم العقل الأبدى، والذى إذ لم يكن يحركه أحد، إلا أنه المحرك الأول لكل ماهو موجود.

أما الرواقية فتقدم صورة مختلفة تماماً، وقد قال بها زينون Zeno الرواقى من سيتيوم Citium بقبرص (سنة ٣٠٠ ق.م. تقريباً) وكانت نظاماً مترابطاً بأحكام من المنطق، والميتافيزيقا والأخلاقيات. وقد جذبت أخلاقياتها المثالية الرفيعة أتباعاً لاحصر لهم، فهى تعلم اخضاع الذات والحياة فى تناغم مع الطبيعة (أى طبقاً للمبدأ العقلانى الموجود فى داخلنا) ومع الإخوة من البشر، ومع ذلك فإنه طبقاً لوجهة النظر اللاهوتية، فإن أبرز مافيها هو ماديتها القائمة على

وحدة الوجود، وقد قاوم الرواقيون بشدة المفاضلة الأفلاطونية بين عالم سام مدرك بالعقل، وليس من الممكن إدراكه بالحواس، وبين عالم عادى مدرك بالحواس.

وهم أى الرواقيون يقولون إن كل مايوجد يجب أن يكون جسماً مادياً، وإن الكون يجب أن يكون بكليته من المادة، ومع ذلك فإنهم وضعوا فرقاً بين مبدأ سلبى وآخر فعّال، وهناك مادة خام غير مشكّلة، ليس لها سمة أو نوعية. وهناك العقل الفعّال الذى يشكلها وينظمها، كما تخيلوا الروح بخاراً نارياً، حيث خرجت المادة السالبة الخام، والروح مادة، ولم يخش الرواقيون قبول التناقض الظاهرى من ناحية أن يشغل جسمان نفس الحيّز الأمر الذى نجم عن نظريتهم، وهذا المبدأ الفعّال أو اللوجوس يخترق الحقيقة، كما يخترق العقل أو الإدراك الجسم، وقد وصفوا هذا بأنه الله، العناية الإلهية، الطبيعة، روح الكون. ومفهومهم القائل بأن كل شىء يحدث إنما يجىء بترتيب من العناية الإلهية لمنفعة الإنسان كان أساس تعليمهم الأخلاقى عن الخضوع للقدر.

وهكذا كانت الرواقية وحدانية فى تعليمها، تعلّم أن الله أو اللوجوس إنما هو مادة أرقى متأصلة فى الكون المادى. إلا أنها كانت تعلم كذلك أن الأشياء المعينة إن هى إلا عوالم صغيرة من الكل، كل منها يتضمن فى إطار وحدته التى لاتنفصم مبدأً موجباً أو سالباً. والمبدأ الموجب الذى ينظمه ويشكله هو اللوغوس الخاص به، ويتكلم الرواقيون عن لوجوسات بذرية، وهى بذور من خلال نشاطها تصدر الأشياء الفردية فى الوجود كلما تطور العالم. وكل بذار اللوجوس متضمنة فى اللوجوس الأسمى الشامل، وهى جزيئات عديدة جداً من النار الإلهية التى تخترق الواقع، وهذا ما يأتى بنا إلى تعليم الرواقيين عن طبيعة البشر. فالنفس فى الإنسان هى جانب من النار الإلهية التى هى اللوجوس، أو هى منبعثة منها. وهى روح أو نفحة دافئة تتخلل الجسم، ولكنها فى حد ذاتها هالكة، تصمد أطول ما يمكن حتى يحترق العالم. وأجزاؤها هى: الحواس الخمس، ثم القدرة على الكلام أو التعبير عن الذات، ثم القدرة على التناسل، وأخيراً العنصر الحاكم، الذى هو العقل.

والنفس هى اللوجوس فى الإنسان، والرواقيون يصنعون فرقاً مهماً بين «اللوجوس المتأصل»، والذى هو عقله الذى يعتبر أنه مجرد موجود فيه، واللوجوس المعبَّر عنه، وبه يقصدون عقله، كما يُستنتج أو يعرف بواسطة ملكة الكلام أو التعبير عن الذات.

ثم إن كلاً من الرواقية، وكذلك - وإلى مدى أوسع - الأفلاطونية التى ازدهرت فى القرنين المسيحيين الأولين، أظهرتا انحرافات مهمة عن نماذجهما التقليدية، فكل منهما استعارت من الأخرى، والواقع أن الموقف الفكرى لعدد كبير من المثقفين يمكن وصفه على أنه إما أن يكون رواقياً مصطبغاً بالأفلاطونية، وإما يكون أفلاطونياً مصطبغاً بالرواقية، ولن يكون الأمر صحيحاً إذا ما تحدثنا عن الانتقائية على اعتبار أنها السائدة فى الميدان، وعلى أى حال فإن المدرستين - على المستوى الأكاديمى- احتفظتا باستقلالهما وأنهمكتا فى الجدل إحداهما مع الأخرى، وهكذا فإن الرواقية التى كان يروج لها رجال مثل سينيكا Seneca (٤ ق.م. - ٦٥م. تقريباً). وأبيقطيتس Epictetus (حوالى سنة ٥٥ - ١٣٨م) وماركوس أورليوس Marcus Aurelius (١٢١ - ١٨٠م) كانت نظاماً متميزاً من الفكر مع التشديد على السلوك، ومع ذلك نلمح فيها إلى جانب ولاء نظرى للمادية التقليدية - حركة محددة بعيداً عن الموقف الرواقى التقليدى - ذلك أن سينيكا على سبيل المثال يشدد ويركز على الكمال الإلهى والصلاح حتى أنه يقترب من مفهوم الله باعتباره سامياً على الوجود المادى، كذلك ماركوس أورليوس، يقسم الطبيعة البشرية إلى ثلاثة أجزاء: جسد، نفس حيوانية، وذكاء.

ويذكر بكل وضوح أن آخر هذه الأجزاء، وهو الجزء المسيطر فى الإنسان ليس مأخوذاً - مثل الجزءين الآخرين - من العناصر الأربعة التى تشكل المادة (نار - هواء - ماء - تراب) فمصدرها هو الله، مادة روحية من أصل أسمى من المادة.

وأفلاطونية تلك الفترة (الأفلاطونية الوسطى كما يسمونها) تقدم لنا رؤية أقل ترابطاً، والتعميم عنها ليس بالأمر السهل، لأنه بها اتجاهات عديدة من الفكر فعلى سبيل المثال، كان من بين كبار ممثليها فى القرن الثانى أتيكوس Atticus وألبينوس Albinus، أحدهما معادٍ للفلسلفة الأرسطية والآخر متأثر بها إلى درجة كبيرة، ومع ذلك فإن هذه الأفلاطونية التى عادت إلى الازدهار كانت لها صبغة قوية، وكان الغرض الأساسى لمشايعيها هو فهم الحقيقة المتعلقة بالعالم السماوى، وعلى قدر ما يتصل الأمر بحياتهم الشخصية لترشدهم إلى الطريق الذى يمكن من خلاله الوصول إلى أعظم درجة ممكنة من مشابهة الله. ومن وجهة نظر الفكر اللاهوتى، فإن أبرز اسهاماتهم أن يجمعوا معاً العقل الأسمى الذى افترض أرسطو، والصلاح عند أفلاطون، والموازنة بينهما. وهكذا كانت الأفلاطونية الوسطى أكثر تحديداً من روادها التقليدين من ناحية الاعتقاد فى وجود إله واحد. فقد وضعت العقل الإلهى الفريد على رأس التسلسل الهرمى للوجود. واحتفظت بالمفهوم الذى ورثته عن أفلاطون بخصوص عالم سام من المثل، ولكنها وصفتها بأنها أفكار الله.

أما النظام الذى وضعه ألبينو (Albinus) فكان أكثر تعقيداً. إذ ميَّز بين العقل الأول، أى الله، الثابت، والعقل الثانى، أو عقل العالم الذى يعمل الله من خلاله والذى يتحرك بالرغبة من أجله، وروح العالم. أما سيلسوس أو كلسوس(Celsus) ناقد المسيحية الذى رد عليه أوريجانوس، فكان ينتمى إلى نفس المدرسة، وكان يقول: إنه لا يمكن أن يكون الله هو الذى خلق الجسد، أو أى شيء فانٍ، والنفس فقط هى التى جاءت من الله مباشرة، وفكرة نزول الله إلى الناس يجب رفضها لأنها تتضمن تغييراً فيه. وهو تغيير لابد وأن يكون إلى الأسوأ.

والأفلاطونية الوسطى كانت تقبل بوجه عام وبشكلٍ كاف وجود آلهة وسيطة. وهذا لايتوقع إلا على أساس الوضع الذى نسبوه إلى الإله الأسمى. فمع أنهم ضمنوه التسلسل الهرمى للوجود، إلا أنهم مع ذلك اعتبروه سامياً تماماً، ولا يمكن أن يُلمح إلا فى ومضات خاطفة من النور.

ج - مركزية مكانة السيد المسيح فى التاريخ

لكى نرى بوضوح العلاقة بين المسيحية وتاريخ الجنس البشرى قبلها، ولكى نعرف مدى الأثر القوى الذى طبعته المسيحية على العصور التالية، علينا أولاً أن ننظر إلى الإعدادت السياسية والأخلاقية والظروف الدينية التى سبقت مولد المخلص.

إن الدين يشغل الجانب الأعمق والأقدس من اهتمامات الإنسان، ودخول المسيحية إلى التاريخ، يعد حدثاً هاماً جداً، فهو نهاية العالم القديم، وبداية العالم الجديد. فقد كان «ديونيسيوس الصغير» محقاً عندما جعل ميلاد السيد المسيح، بداية العصر الجديد، فالسيد المسيح الإله - الإنسان، النبى، الكاهن، والملك على الجنس البشرى، وهو فى الحقيقة النقطة المرجعية، لكل التاريخ، والمفتاح لكل أسراره.

فقد كان تاريخ الجنس البشرى قبل ميلاد السيد المسيح، إعداداً لمجيئه، كذلك التاريخ بعد ميلاده هو تاريخ الانتشار المتواصل لتعاليمه وأفكاره ونمو مملكته. «فكل الأشياء خلقت به وله، وهو «مشتهى كل الشعوب». وقد ظهر فى «ملء الزمان» عندما أكملت الإعدادات وحيث اتضح تماماً احتياج العالم للفداء.

إن الإعدادات للمسيحية بدأت صحيحة مع بدء الخليقة،

ومع خلق الإنسان، الذى خُلق على صورة الله، ومع الوعد بالخلاص الذى أعطاه الله لآدم وحواء كعلامة رجاء ترشدهم فى ظلمة الخطية. إن الذكريات الغامضة عن الجنة، والسقوط، والرجاء فى الفداء فى المستقبل. استمرت حتى فى الديانات الوثنية.

قبل ميلاد السيد المسيح بنحو ١٩٠٠سنة أى فى عصر إبراهيم، كانت ثمة ديانتان مستقلتان، هما اليهودية والوثنية بأشكالهما المختلفة (وقد نشأت فى دائرة كل منهما فروع أخرى متعددة) وقد التقيتا فى النهاية فى المسيح مخلص العالم، الذى فيه تمت النبوات، وتحقق رجاء العالم القديم.

وكما أن المسيحية هى المصالحة بين الله والإنسان فى المسيح، فإنه كان يجب الإعداد لذلك من خلال عمليتين، **من جانب الله للإنسان، ومن جانب الإنسان لله.** ففى اليهودية كان الإعداد إيجابياً ومباشراً يبدأ من الله من أعلى فى الاتجاه إلى أسفل، وينتهى بميلاد السيد المسيح. أما فى الوثنية فكان الإعداد غير مباشر وبالتحديد سلبى وقاصر، يبدأ من أسفل إلى أعلى وينتهى بيأس الإنسان من الخلاص.

أما نحن فلنا إعلان خاص أو علاقة خاصة مع الإله الواحد الحقيقى، وهذا الأمر أخذ يتضح بصورة أقوى بمرور الزمن، إلى أن ظهر الكلمة الإلهى فى هيئة إنسان. لكى يرفع الإنسان فى علاقة معه، وهنا استرشد الإنسان بعناية الله وبنوره، الكلمة الذى أضاء فى الظلمة (يوحنا ١ : ٥). الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم (أعمال ١٤ : ١٦) لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه (أعمال ١٧: ٢٦ ، ٢٧) فالوثنية هى الليل حالك الظلمة، لكنها كانت تتضمن التوقع الغامض والتواق لبزوغ النهار. أما اليهودية فكانت الفجر الزاخر بالرجاء المتجدد والوعد بسطوع الشمس، وكلاهما اختفى فى ضوء شمس المسيحية، الديانة الكاملة للجنس البشرى.

كان جانب من الوثنية الذى مهد للمسيحية حضارياً (متمثلاً فى اليونانيين) والجانب الآخر سياسياً اجتماعياً (وتمثل فى الرومانيين)، **فأورشليم** المدينة المقدسة، **وأثينا** مدينة الثقافة، **وروما** مدينة القوة يمثلون العناصر الثلاثة فى الإعداد التاريخى الذى تُوِّج بميلاد المسيحية.

الباب الأول

الفصل الثانى

ميلاد الكنيسة المسيحية وانتشارها

أ- الوعد بالروح القدس.

ب- عصر الروح القدس.

ج- الكنيسة فى أورشليم .

ء- الكنيسة فى أنطاكية.

هـ- الكنيسة بين الأمم.

و-رحلات بولس الرسول وانتشار الكنيسة فى أوربا.

ز- الترتيب الزمنى للعصر الرسولى.

كان يوم «الخمسين» هو نقطة الانطلاق بالنسبة للكنيسة المسيحية، فيوم الخمسين يعد أعظم حدث على الإطلاق بعد إتمام عمل الفداء بموت الرب يسوع المسيح وقيامته، وصعوده إلى السماء. فبعد صعود المسيح بعشرة أيام حَلّ الروح القدس على التلاميذ إعلاناً لميلاد الكنيسة المسيحية.

أ- الوعد بالروح القدس

لايتوفر لدينا سوى قصة واحدة موثوق بها فيما يتعلق بهذا الحدث فى الأصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل، إلا أنه فى الأقوال الوداعية للرب يسوع المسيح، والتى وجهها لتلاميذه، نجد الوعد بإرسال الروح القدس، «المعزى» (يوحنا ١٤: ١٦)، «روح الحق» (يوحنا ١٤: ١٧)، الذى «يُعَلّم» (يوحنا ١٤: ٢٦)، (انظر أيضاً يوحنا ١٦: ٧، ٢٠: ٢٢)

وكان يوم الخمسين ـ حسب العهد القديم ـ أى اليوم الخمسين بعد سبت الفصح (لاويين ٢٣: ١٥، ١٦) عيد فرح وسعادة، ويأتى فى أجمل فصول السنة. كان أحد الأعياد اليهودية السنوية الكبرى، وكان من واجب الذكور أن يظهروا فيه أمام الرب، فى المكان الذى يختاره (تثنية ١٦ : ١٦).

وقد اكتسب يوم الخمسين معنىً جديداً فى الكنيسة المسيحية بحلول الروح القدس، وتغيرت أفكار الرسل وقلوبهم وحياتهم تغييراً معجزياً.

كان حمل الفصح، والخروج من العبودية فى مصر، يرمزان إلى فداء العالم بواسطة حمل الله الذى يرفع خطية العالم. وإلى يوم الخمسين يرجع أصل الكنيسة الأم فى أورشليم، ومن ثم سائر المدن مثل دمشق، وأنطاكية، والاسكندرية، وروما. فقد تجدد فى ذلك اليوم الزائرون لأورشليم - من تلك المدن - وحملوا بدورهم الأخبار السارة إلى بلادهم البعيدة. وكان الحاضرون فى ذلك اليوم يمثلون تقريباً جميع البلدان التى وصلت إليها المسيحية فيما بعد (انظر أعمال ٢: ٨ - ١١).

ب - عصر الروح القدس

يعد يوم الخمسين- بداية عصر الروح القدس- حيث كان الروح القدس حتى ذلك التاريخ يعمل بشكل متقطع، ولكنه منذ ذلك اليوم أصبحت له إقامة دائمة فى المؤمنين، حسب وعد الرب يسوع المسيح (يو١٤:١٧)، وكما ذكر لوقا البشير «وفى تلك الأيام قام بطرس فى وسط التلاميذ وكان عدة أسماء معاً نحو مائة وعشرين» (أعمال١:١٥)، هؤلاء كانوا مجتمعين قبل العبادة الصباحية فى يوم الخمسين، وبينما هم يعبدون، ويصلون أرسل لهم المخلص الممجد الروح القدس، فانسكب عليهم وأسس كنيسته. «وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا»(أع ٢ : ٤).

ورأى بطرس فى هذا الحدث إتمام ماسبق أن قيل بيوئيل النبى: «يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة أنى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاماً. وعلى عبيدى أيضاً وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون » (أع٢:١٧ ، ١٨، يوئيل ٢: ٢٨ ، ٢٩).

ويرى البعض أن تقدمة «الرغيفين المخبوزين خميراً فى عيد الخمسين فى العهد القديم (انظر لاويين٢٣:١٧) إشارة إلى تكوين الكنيسة من اليهود والأمم، والخمير فيهما يشير إلى وجود الطبيعة الفاسدة فى المؤمنين، ولكن بخبز الرغيفين فى التنور(الفرن) يبطل مفعول الخميرة، وهو ما يجب أن تكون عليه حياة المؤمنين.

ومما يستلفت النظر أنه فى نشأة الكنيسة كانت النساء يجلسن مع الرجال، لا فى قاعات منفصلة كما كان الأمر فى الهيكل، بل كانوا يجتمعون معاً فى نفس العُلية كشركاء، ولا فرق بينهم فى البركات الروحية، وكانوا يتوقعون المجىء الثانى للرب يسوع المسيح. كان الجميع واحداً دون تفريق بين يهودى ويونانى، بين عبد وحر، وبين ذكر وأنثى(غلاطية ٣ : ٢٨).

هذه الحياة الروحية الجديدة، ينيرها ويضبطها ويوجهها الروح القدس، الذى أعلن نفسه فى التكلم بألسنة، وقوة الشهادة للناس.

التكلم بألسنة

إن الكلمة اليونانية Glossa وتعنى «لساناً» ظهرت خمسين مرة فى العهد الجديد باستخدامات متعددة. فقد استخدمت سبع عشرة مرة بمعنى «اللسان» عضو الجسد كما فى(مرقس٧ : ٣٣، لوقا ١:٦٤) ومرة واحدة مجازياً فى عبارة « ألسنة منقسمة»(أعمال ٢:٢٣) وسبع مرات فى رؤيا يوحنا (راجع ٩:٥ ،٩:٧) بمعنى أجناس من الناس.

أما فى المرات الخمس والعشرين الباقية، فتصف ظاهرة التكلم بألسنة (أعمال ٢ : ٤ ،١كو ١٢:١٠).

ويمكننا القول إن ظاهرة التكلم بألسنة يوم الخمسين هى نفسها التى حدثت فى بيت كرنيليوس بعد تجدده، الأمر الذى يمكن أن يطلق عليه يوم خمسين أممى (أعمال ١٠ : ٤٥ و٤٦).

إلا أن موضوع التكلم بألسنة حين وقع لأول مرة كان

مختلفاً فى تأثيره على السامعين من ناحية أن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته، فى حين أن الأمر فى كورنثوس تطلب ترجمة (راجع أعمال ٢ : ٨ ، ١كو ١٤ : ٥ و ١٣و ٢٦ـ ٢٨).

تظهر الموهبة الخاصة بالتكلم بألسنة هنا لأول مرة، ولكنها ـ مع مواهب الروح القدس الأخرى غير العادية مثل الشفاء ـ أصبحت ظاهرة متكررة فى الكنائس التى أسسها الرسل، ولاسيما فى كورنثوس، وقد وصفها بولس الرسول وأعلن ضوابطها على نحو من التفصيل (راجع كورنثوس الأولى، الأصحاحان الثانى عشر والرابع عشر).

كان الروح القدس ـ بالتأكيد ـ عاملاً فى المتكلمين وكذلك فى السامعين، فكان من نتيجة ذلك أن آمن ثلاثة آلاف شخص فى ذلك اليوم المشهود، وانضموا إلى الكنيسة (أعمال ٢ : ٤١).

إننا نلمس الأهمية العظمى لهذا الموضوع، لذلك أوحى الروح القدس لبولس الرسول أن يعالجه، فمع أنه هو نفسه كان قديراً فى التكلم بألسنة (انظر ١كورنثوس ١٤ : ١٨)، لكنه جعل لها مكاناً ثانوياً، ووضع قيوداً على ممارستها، وطلب ترجمة لها، وأعطى الأولوية للمواهب التى تبنى الكنيسة كلها، والتى يعلن الله من خلالها نعمته ومحبته.

والتكلم بألسنة أمر طيب، غير أن التنبوء (الوعظ بالروح) والتعليم بكلام مفهوم من أجل بنيان الكنيسة أفضل، ومحبة الله والناس بالقول والفعل هى أفضل جميع الفضائل (١كو١٣).

ولا نعرف على وجه اليقين المدة الزمنية التى استخدمت فيها موهبة التكلم بألسنة بالشكل الذى وصفه الرسول بولس، فلقد تلاشت بشكل تدريجى مع المواهب الأخرى غير العادية، والتى كانت موجودة فى العصر الرسولى، فلم يأتِ لها ذكر فى الرسائل الرعوية (رسالتىّ بولس الأولى والثانية إلى تيموثاوس، ورسالته إلى تيطس)، بل ولا فى الرسائل العامة (رسالة يعقوب، ورسالتىّ بطرس، ورسائل يوحنا الثلاث، ورسالة يهوذا). ولاتتوفر لدينا سوى إشارات قليلة لها فى نهاية القرن الثانى الميلادى.

كنيسة

فى العهد الجديد تترجم، كلمة كنيسة من الكلمة اليونانية Ekklesia والتى لا تشير أصلاً إلى مكان العبادة، وإنما تشير إلى «جماعة من الناس». وفى معظم الحالات تشير إلى «جماعة من المؤمنين فى مكان معين»، وتعنى حرفياً «دعوة للخروج» والكلمة التى جاءت فى العهد الجديد وتفوّه بها الرب يسوع المسيح جاءت فى (متى ١٦:١٨ ، ١٨:١٧)، وما لم يكن السيد المسيح قد تكلم اليونانية فى هذين الموقفين وهذا أمر يشوبه كثير من الشك ـ فكلمة Ekklesia فى هذا النص يحتمل أن تكون من وضع القديس «متى» والكنيسة الأولى. فضلاً عن ذلك، فإنه لا توجد طريقة تقرر ماهى الكلمة العبرية أو الأرامية التى استخدمها الرب يسوع المسيح، حيث إن كلمة Ekklesia يمكن أن تشير على الأقل إلى ترجمة ثلاث كلمات مختلفة بلغات سامية (العبرية ـ الأرامية). لايحتمل أن يرجع أصل كلمة كنيسة إلى المؤمنين الأوائل فى أورشليم... وإنما توجد تعبيرات أخرى استخدمها أعضاء المجتمع الرسولى الأول مثل، «الإخوة»، «التلاميذ»، «أتباع الطريق» أو «القديسون». ولكن لايوجد دليل على أنهم أطلقوا على أنفسهم «الكنيسة». كذلك من المحتمل جداً أنه كان من بين المتحدثين باليونانية يهود مسيحيون، والمشايعون لهم من الأمم، حيث أطلق الاسم أولاً، حسب مضمون ثقافتهم التقليدية، فتشير كلمة Ekklesia إلى «اجتماع». والمعنى الفنى إلى اجتماعات دورية للمواطنين فى المدينة اليونانية.

وقد ورد فى سفر أعمال الرسل مثال على ذلك، عندما قال الكاتب للجمع «إن كنتم تطلبون شيئاً من جهة أمور أخرى فإنه يُقضى فى محفل شرعى (أع ١٩ : ٣٥) أي Ekklesia. ومن المحتمل أيضاً أن المسيحيين من اليهود فى العالم الهيلّينى قدموا مصطلح Ekklesia حيث أنه أحد المصطلحين اللذين استخدما فى الترجمة السبعينية لتحديد شعب الله. وقد تُرجمت Ekklesia للكلمة العبرية qahal نحو مائة مرة، وتعنى «اجتماع». أما الكلمة الأخرى الرئيسية التى استخدمت لترجمة qahal فهى Synagoge أى «المجمع» وهذه الكلمة استخدمها اليهود من المتكلمين باليونانية لتحديد أماكن اجتماعاتهم.

جـ - الكنيسة فى أورشليم

اتخذت الكنيسة فى باكر عهدها من أورشليم مركزاً لها، لا بصفتها ديانة جديدة، ولكن على أنها إحدى الشيع اليهودية الجديدة (أعمال ٢٤ : ٥) لقد تبع الرب يسوع منذ البداية - البعض ممن عاشوا فى مدن وقرى اليهودية والجليل. والمصدر الرئيسى للمعلومات عن كنيسة أورشليم هو سفر أعمال الرسل.

إن الأمر الواضح هو أن المجتمعات الأصلية التى أسسها الرسل كانت تتكون من اليهود سكان فلسطين، على أساس الإيمان بالقيامة، وكانوا يتوقّعون عودة الرب يسوع المسيح سريعاً.

وقد أسسوا منذ وقت مبكر Ekklesia أى «جماعة» أو كنيسة، إنها جماعة إسرائيل الحقيقية، حيث كانوا يهوداً، ويواظبون على الحضور إلى الهيكل، ويطيعون الناموس، ولذا فقد عاشوا - فى بادىء الأمر- فى سلام مع السلطات الدينية اليهودية فى أورشليم.

وقد مارسوا المعمودية فى ذلك المجتمع الجديد «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات، وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة» (أعمال ٢ : ٤٢ ، ٤٦).

يعتبر تلاميذ المسيح الاثنى عشر - بدون شك - مؤسسى هذا المجتمع الجديد، وهم الذين أطلق عليهم اسم «الرسل»، وعندما زار بولس أورشليم، يبدو أن القيادة كانت فى يد ثلاثة منهم وصفهم الرسول فى رسالته إلى أهل غلاطية بأنهم «أعمدة» إذ يقول: «فاذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أعمدة» (غلاطية ٢ : ٩).

وقد حدث تذمر فى أورشليم من اليهود الذين يتحدثون اليونانية على اليهود ممن يتحدثون الأرامية «لأن أراملهم كن يغفل عنهن فى الخدمة اليومية (أعمال ٦ : ١) وقد انتهى هذا الخلاف بتعيين سبعة رجال للقيام بهذه « الخدمة». (أعمال ٦ : ١-٦) وهؤلاء الرجال السبعة يعتبرون أول خدام «شمامسة» بحسب التقليد.

كان الاضطهاد على يد طائفة الصدوقيين المتشكّكين قد بدأ، لأنهم تضايقوا من التعليم عن قيامة الرب يسوع المسيح ثم اتحد الفريسيون مع الصدوقيين لمهاجمة كل عمل كرازى.

وهكذا بدأ تحرير المسيحية من العبادة فى الهيكل اليهودى.

تعرَّض استفانوس، أحد الرجال السبعة، لقوم يحاورونه فى المجمع، «ولكنهم لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى يتكلم به، وحينئذ دسوا لرجال يقولون إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله» (أعمال ٦ : ٩ - ١١). وكانت نتيجة ذلك أن خطفوه وأتوا به إلى المجمع، فهاجم بشجاعة روح اليهودية العنيدة وانحرافها، وأعلن انتهاء النظام الموسوى، فأخرجوه خارج المدينة ورجموه وكان ذلك نحو عام، ٣٧م. «وخلع اليهود ثيابهم عند رجلىْ شاب يقال له شاول ، وكان شاول راضياً بقتله» (أعمال ٨:٦ - ٨ :١).

كان استشهاد استفانوس بداية اضطهاد عام، وقد أدى هذا إلى انتشار المسيحية فى ربوع فلسطين بل وإلى فينيقية وقبرص وأنطاكية (أعمال ٨ : ١و٤ ، ١١:١٩).

وسرعان ماتبع ذلك تجديد كرنيليوس الذى من قيصرية قائد الكتيبة التى تدعى الإيطالية، الأمر الذى فتح الباب أمام الكرازة للأمم.

ثم بدأت الكنيسة تعانى مرة أخرى اضطهاداً شنه الملك هيرودس أغريباس(نحو سنة ٤٤ م)، فاستشهد يعقوب بن زبدى، أخو يوحنا إذ قُطعت رأسه بالسيف(أعمال ١٢: ٢)، وسُجن بطرس وأصدر ضده نفس الحكم، إلا أن الله أنقذه من السجن بأعجوبة (أصحاح ١٢)، ثم اختفى عن الأنظار قليلاً، إذ خرج وذهب إلى موضع آخر»(أع ١٢: ١٧). وقام بالرعاية بعد يعقوب «أخو الرب» مع المشايخ (أع١٢:١٨)، حتى استشهاده فى نحو سنة ٦٣م. ويقول يوسابيوس القيصرى وجيروم ومؤرخون آخرون إن بطرس ذهب إلى روما فى هذه الفترة المبكرة، على الأقل فى زيارة مؤقتة، إن لم يكن للإقامة بصفة دائمة، إلا أن ذلك ليس ثابتاً أو مؤيداً، إذ نراه بعد ذلك فى مجمع أورشليم فى نحو سنة ٥٠م (راجع أعمال١٥). كما أنه قام بزيارة أنطاكية فى نحو عام ٥١م «وكان لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً» (غلاطية ٢:١١).

ولايُذكر شيء عن بطرس فى العهد الجديد سوى أنه كان متزوجاً، وكان يجول للكرازة مصطحباً معه زوجته (١كورنثوس ٩:٥)، كما أنه لاتوجد أية إشارة إلى وجود مقر إقامته فى روما.

وبحسب التقليد فى الكنيستين الشرقية والغربية، فإن بطرس أُستشهد فى روما فى نحو عام ٦٧ أو ٦٨م (لايوجد اتفاق بين المؤرخين على السنة التى أُستشهد فيها بطرس بالضبط). وكان استشهاده أثناء الاضطهاد النيرونى، مصلوباً منكس الرأس بناء على طلبه، إذ حسب نفسه غير مستحق أن يشبه سيده فى موته.

ويقول شاف Schaff إن الرأى القائل بزيارة بطرس لروما بعد نجاته المعجزية من السجن (أعمال١٢:١٧) لايمكن الجزم به، إذ أن بولس لم يذكر أو يشير إلى خدمة بطرس السابقة فى المدينة عندما كتب رسالته إلى رومية فى نحو عام ٥٨م كما أن بولس كان محترصاً أن لايبنى على أساس لآخر (رومية ١٥ :٢٠، ٢كورنثوس ١٠ :١٦)

ولكن يذكر بعض آباء الكنيسة مثل إيريناوس وكليمندس السكندرى وأوريجانوس وغيرهم من الآباء فى القرون الأولى أن بطرس ذهب إلى روما قرب نهاية حياته، وخدم فيها فترة بسيطة مشتركاً مع الرسول بولس فى رعاية المؤمنين، وفى الشهادة للإيمان فى عاصمة الإمبراطورية الرومانية آنذاك، وأنه قد استشهد فى اضطهاد نيرون هو والرسول بولس فى سنة ٦٧م، وفى ذلك الاضطهاد الذى أثاره نيرون ضد الكنيسة، وألقى القبض على الرسوليين، فبقى بطرس فترة فى السجن تحت المحاكمة. ويبدو أنهما لم يكونا فى سجن واحد وذلك بحسب تقليد كنيسة روما. وقد كتب بطرس رسالتين قرب نهاية حياته (٢بطرس١: ١٢ - ١٥). وقد وجهت كلتا الرسالتين إلى نفس الأشخاص المسيحيين من المشتتين فى ولايات آسيا الصغرى (راجع ١بطرس ١ : ١ و٢ ، ٢بطرس ٣:١)، ولكن لايُعرف على وجه اليقين التاريخ المحدد لكتابتهما.

يبدو أن يعقوب (أخا الرب) قد أخذ مكان يعقوب بن زبدى بعد استشهاده فى عام ٤٤ م فى رعاية الكنيسة فى أورشليم، وقد أصبح مع بطرس ويوحنا أعمدة الكنيسة الثلاثة، وبعد مغادرة بطرس لأورشليم كان يعقوب أخو الرب فى الكنيسة فى أورشليم حتى وفاته، على الرغم من أنه لم يكن أحد الإثنى عشر، وقد أُطلق على يعقوب «أخى الرب»، وفى

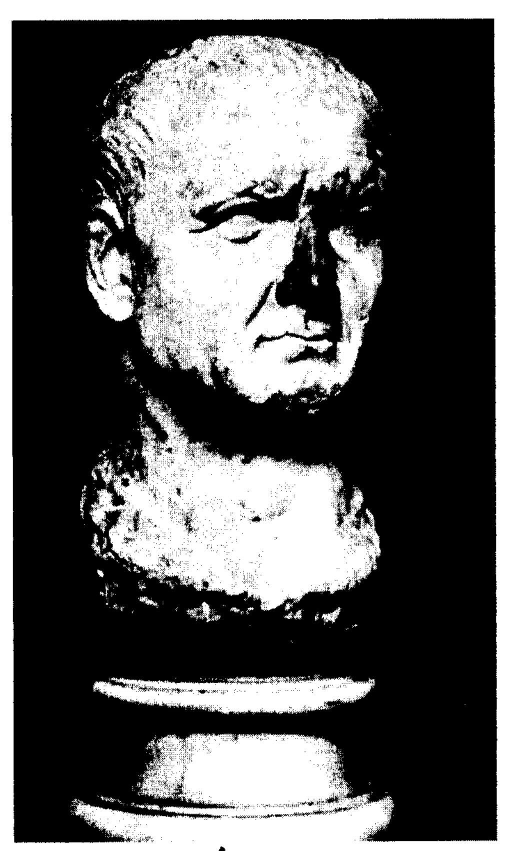
الكتابات التى جاءت بعد العصر الرسولى، لُقّب «يعقوب البار، وأسقف أورشليم». ولم يكن يعقوب قد آمن بالمسيح قبل قيامته من الأموات، وكان هو الأخ الأكبر ليوسى وسمعان ويهوذا (راجع يوحنا ٧:٥، مر٦:٣ ، مت ١٣: ٥٥) إلا أن ظهور الرب المقام حوّله إلى الإيمان به، وكذلك الحال بالنسبة لإخوته، فقد ظهروا بعد القيامة فى صحبة الرسل (انظر أعمال١:٣ ، ١كورنثوس ٩: ٥).

يبرز يعقوب فى سفر أعمال الرسل وفى الرسالة إلى غلاطية على أنه أكثر اليهود الذين آمنوا بالمسيح تحفظاً، وكان فى معالجته للقضايا التى عرضت على المجمع، إنقاذ للكنيسة من الانشقاق. وطبقاً لما يذكره يوسيفوس فإنه بناء على تحريض من حنانيا رئيس الكهنة، وكان من الصدوقيين، والذى قال عنه: «إنه أشد اليهود قسوة فى تنفيذ الأحكام»، أمر برجم يعقوب وآخرين حتى الموت، باعتبار أنهم كسروا الناموس، أى لأنهم «مسيحيون» وذلك فى الفترة بين ولاية فستوس وألبينوس فى سنة ٦٣ م. ويضيف يوسيفوس المؤرخ اليهودى: إن هذا العمل الظالم أثار غضباً عظيماً بين الناموسيين. وأنهم حرّضوا ألبينوس والملك أغريباس على خلع حنانيا (وهو ابن حنّان المذكور فى لوقا ٣ : ٢، يو ١٨ : ١٣) وبهذا قدّم يوسيفوس شهادة محايدة لمركز يعقوب السامى بين اليهود.

أما هيجيسيبوس «Hegesippus» وهو مؤرخ يهودى (نحو سنة ١٧٠ م)، فيضع تاريخ الاستشهاد بعد ذلك بسنوات قليلة، أى قبل دمار أورشليم بوقت قصير (فى سنة ٦٩ م). ويقول إن اليهود ألقوا يعقوب أولاً من قمة الهيكل ثم رجموه حتى الموت. إلاّ أن نياندر Neander و رينان Renan وإيوالد Ewald يرجحون التاريخ الذى ذكره يوسيفوس.

أما الرسالة التى كتبها يعقوب، فوجهها إلى الإثنى عشر سبطاً الذين فى الشتات (يعقوب ١:١) حيث كانت المجتمعات المسيحية الأولى فى أورشليم تتكون فى غالبيتها من الفقراء والمطحونين والمضطهدين من قبل الأغنياء واليهود الأقوياء. ولايتفق النقاد على تاريخ محدد لزمن كتابة الرسالة، إلا أنهم يرجعون بزمن كتابتها إلى الفترة مابين ٤٥م -٦٢م. وإن كان بلومبتر Plumptre ينسبها إلى زمن مبكر جداً قبل مجمع أورشليم (٥٠ م). وعلى كل حال، فإنها كُتبت قبل دمار أورشليم (٧٠ م).

وبعد استشهاد يعقوب مباشرة ، قام فسبسيان بغزو اليهودية وتدمير أورشليم وحرق الهيكل.



تمثال لرأس فسبسيان

جاء سمعان Symeon بعد استشهاد يعقوب أخيه، وقام برعاية الكنيسة فى أورشليم إلى أيام تراجان، حين مات شهيداً، كان قد بلغ من العمر مائة وعشرين عاماً.

وقد ظلت الكنيسة فى أورشليم فى شركة مع الكنيسة الجامعة التى أبعد عنها الإبيونيون Ebionites باعتبار أنهم هراطقة من اليهود.

د ـ الكنيسة فى انطاكية

كان لأنطاكية بسورية دور هام فى تاريخ الكنيسة الأولى، وكان نيقولاس الدخيل الأنطاكى أحد الرجال السبعة المنتخبين الذين أقامهم الرسل لخدمة الموائد (أعمال ٦ : ٣-٦).

أما المسيحيون الذين فى أورشليم، وقد تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس، فكانت أنطاكية إحدى المدن التى ذهبوا إليها (أعمال ١١ : ١٩)، وقد كرزوا لليهود ممن يتحدثون اليونانية (الهيلِّينستيين، كما كرزوا لليونانيين (أعمال ١١: ١٩ ، ٢٠).

أنطاكية

هى إحدى المدن التى أسسها الملك سلوقس نيكاتور (٣١٢ ـ ٢٨٠ ق.م.)، ويقال إنه شيَّد نحو ثمانى عشرة (١٨) مدينة تحمل هذا الاسم . كانت أنطاكية مركزاً للكرازة بالمسيحية بين الأمم.

قام برنابا بدور هام فى توطيد أواصر العلاقة بين الكنيسة فى أنطاكية والكنيسة الأم فى أورشليم (أعمال ١١: ٢٢ ـ ٣٠).

«فأقام برنابا وشاول (الذى هو بولس) فى أنطاكية لمدة سنة كاملة وعلّما جمعاً غفيراً، ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً» (أعمال ١١: ٢٥ ، ٢٦).

وكانت أنطاكية نقطة انطلاق بولس الرسول فى رحلاته التبشيرية الثلاث، إلى قبرص، وأسيا الصغرى. اليونان (أعمال ١٣: ١ ، ١٥: ٣٦ ، ١٨: ٢٣)، كما عاد إليها من رحلتيه الأولى والثانية (أعمال ١٤: ٢٦ ، ١٨: ٢٢).

انعقد المجمع الأول فى أورشليم بسبب مسألة الختان التى أثارها التهوديون فى كنيسة أنطاكية، الذين طالبوا بأن يختتن الأمميون الذين يدخلون إلى الإيمان المسيحى، ومن العدل أن نقول إن النظرة الواسعة للأنطاكيين قد غلبت النظرة الضيقة لدعاة التهود، وقد رأى المجمع بإرشاد الروح القدس إعفاء المسيحيين من الأمم من نير الناموس اليهودى (راجع أعمال ١٥، غلاطية ٢ : ٤ -١٤).

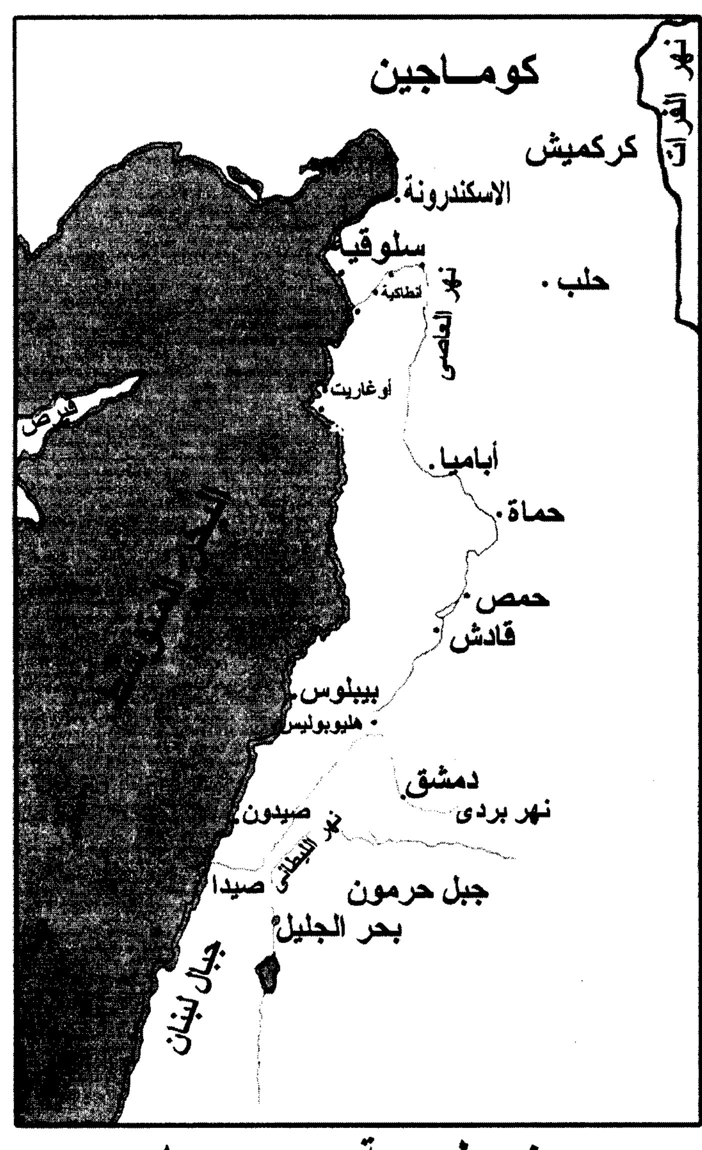
وقد اشتهرت كنيسة أنطاكية بالشهير الأسقف اغناطيوس، (أُستشهد فى سنة ١١٠م) الذى مازالت رسائله تُقرأ حتى الآن، كما اشتهرت بمدرستها ومعلميها العظام، ومنهم يوحنا ذهبى الفم (٣٩٠م) وتيودور الموبسيستى (٣٩٠م) والذى حث على التفسير الحرفى والتاريخى للكتاب المقدس مهاجماً التفسير الرمزى لكليمندس وأوريجانوس الإسكندريين.

وسوف نعود لكنيسة أنطاكية مرة أخرى لدراسة آبائها بشىء من التفصيل.

هـ ـ الكنيسة بين الأمم

الأمم: هى الكلمة التى أطلقها اليهود على الشعوب الأخرى، أى الشعوب الوثنية.

يرجع تأسيس الكنيسة بين الأمم إلى برنابا تلميذ الرب، وإلى الرسول بولس. وكانت بداية هذا فى أنطاكية (انظر أعمال ١١ : ١٩ -٢٦). إلا أن العناية الإلهية مهدت الطريق إلى ذلك من خلال عدة خطوات قبل أن يبدأ الرسول بولس فى رحلاته التبشيرية بين الأمم، وقد تم ذلك عن طريق:



خريطة سوريا

« فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة، وكان يكرز لهم بالمسيح »(أعمال٨ :٥) وفيلبس هو أحد الرجال السبعة الذين أقامهم الرسل (أعمال ٦ :٥). كما ثبَّت بطرس ويوحنا إيمانهم(أعمال ٨ :١٤).

ولذلك وجد الإنجيل الطريق ممهداً إلى السامرة. إلا أن أول فكر منحرف واجه المسيحية ظهر هناك على يد سيمون الساحر(راجع أعمال ٨ : ٩ - ٢٤).

ب - تجديد كرنيليوس قائد المئة فى قيصرية ، والذين معه (بين ٣٧ - ٤٠م) (أعمال ١٠:١).

جـ - تأسيس كنيسة أنطاكية، عاصمة سورية فى نفس الوقت تقريباً، فكان برنابا الهيلِّينى القبرسى أول من ذهب للكرازة فى أنطاكية، كما كان لبولس الرسول الأثر الكبير فى ذلك، وقد تكونت من الوثنيين واليهود معاً.

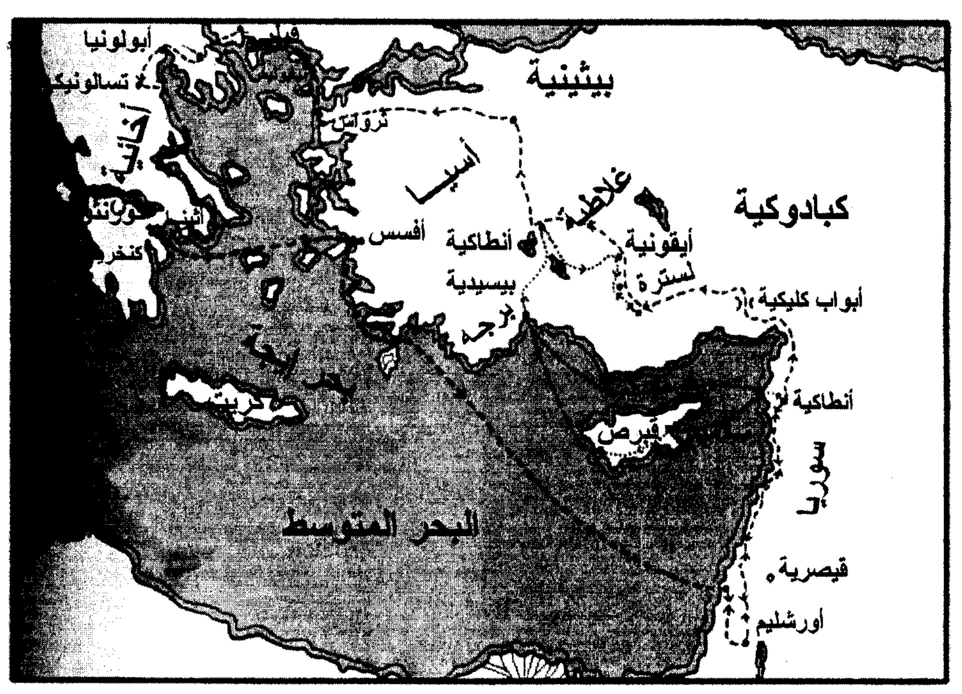
رحلات بولس الرسول وانتشار الكنيسة فى أوربا

أما كيف انتشرت الكنيسة فى أوربا وأسيا الصغرى، فهذا ما يمكن أن نتابعه من خلال رحلات بولس الرسول .

١ ـ الرحلة الأولى لبولس الرسول

أ ـ تجديد السامريين الذين يعدون شبه أمميين، وكانوا من ألد أعداء اليهود (راجع ٢ملوك ١٧ :٢٤).

بعدما أشار أغابوس- أحد الأنبياء القادمين من أورشليم إلى أنطاكية- إلى أن مجاعة عظيمة توشك أن تقع فى البلاد



رحلتــا بولس الرسول الأولى والثانية

كلها، وقد وقعت فعلاً فى عهد القيصر كلوديوس، قرر التلاميذ الموجودون بأنطاكية أن يرسلوا معونة إلى الإخوة المقيمين فى اليهودية، فأرسلوا المعونة بيد برنابا وشاول إلى المشايخ (راجع أعمال١١ : ٢٧ - ٣٠) وبعدما قاما بالخدمة هناك، عادا إلى أنطاكية مرة أخرى، وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس (أع ١٢ : ٢٥). ويوحنا مرقس هو ابن أخت برنابا (كولوسى ٤ : ١٠) ثم انحدروا إلى سلوكية ميناء أنطاكية ومنها سافروا بحراً إلى قبرص، مسقط رأس برنابا، وكرزوا بالإنجيل فى كل الجزيرة فى مجامع اليهود (أع ١٣: ٤ -٦) وسافروا من سلاميس شرقاً إلى بافوس غرباً (اشتهرت بافوس فى ذلك الحين بمعبد أفروديت إلهة الحب).

وفى بافوس دعا الوالى الرومانى سرجيوس بولس كلاً من برنابا وشاول ليسمع كلمة الله، وربما كان ذلك بدافع معرفة طبيعة كرازتهما وأثرها على الولاية وعلى الرعية، وكان مع الوالى رجلاً ساحراً نبياً كاذباً يهودياً اسمه باريشوع، الذى يُترجم عليم الساحر، وقد قاومهما حتى يحوّل الوالى عن الإيمان. إلا أن الوالى برغم ذلك آمن لما رأى ماحدث للساحر من جرّاء لعنة بولس له ومن تعليم الرب» (راجع أعمال ٣:٦-١٢).

ثم أقلع بولس ومن معه من بافوس إلى برجة بمفيلية



تمثال لرأس كلوديوس الأول



أطلال سلاميس

بآسيا الصغرى (أع ١٣ : ١٣) فى زيارة خاطفة. وقد صمت لوقا البشير ولم يذكر شيئاً عن كرازتهما فى تلك الزيارة، إلا أن لوقا يذكر شيئاً عن ذلك بعد عودتهما إليها (أع ١٤: ٢٥) حيث قد فارقهما يوحنا مرقس ورجع إلى أورشليم (أع١٣: ١٣)، ثم جازوا من برجة وأتوا إلى أنطاكية بيسيدية عبر الطريق الجبلى الوعر (أع ١٣: ١٤). وأنطاكية بيسيدية تقع فى منتصف الطريق الرومانى بين أفسس وطرسوس، حيث دخلوا المجمع يوم السبت، وقام بولس وخاطب اليهود والدخلاء، وبشرهم بأن الموعد الذى خاطب الله به الآباء قد أتمه فى شخص المسيح الذى صُلب، ودُفن فى قبر ولكن الله أقامه من الأموات (أع ١٣ : ١٤ و٤٣).

أما فى السبت التالى فقد ظهرت مقاومة اليهود «فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين (أع ١٣: ٤٥) وانتهى الأمر بأن ثار اضطهاد على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم، فأتيا إلى أيقونية (راجع أع ١٣: ٤٢ - ٥١).

دخل بولس وبرنابا المجمع فى إيقونية (هى قونية الحالية



صـورة لبرجـة

في وسط آسيا الصغرى) وآمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين بكلامهما، ولكن أثار اليهود ممن لم يؤمنوا الأمميين على الإخوة، وحدث أن انقسم أهل أيقونية إلى فريقين، فبعضهم كان مع الرسولين، وبعضهم كان مع اليهود.

وقد هرب الرسولان من شدة الاضطهاد الذى لقياه على أيدى اليهود والأممين رؤسائهم، إلى مدينتيْ ليكأونية لسترة ودربه وإلى الكورة المحيطة، وكانا هناك يبشران (راجع أع : ١٤ : ١ - ٧).

وفى لسترة ظن الجميع أنهما آلهة بعد أن شفى بولس



أطلال معبد جوبيتر

رجلاً عاجز الرجلين، وكانوا يريدون أن يذبحوا لهما، فكانوا يدعون برنابا زفس Zeus أو جوبيتر عند الرومان، وبولس هرمس Hermes أو(Mercury) أى عطارد عند الرومان) وبالجهد أقنعاهم أن لايذبحوا لهما، فتحوّل هذا التكريم والتبجيل إلى كراهية وصلت إلى حد رجم بولس بتحريض من اليهود ممن أتوا من أنطاكية وإيقونية (راجع أعمال١٤:٨ - ٢٠) وقد آمن فى لسترة تيموثاوس الذى أصبح رفيقاً لبولس (راجع أع ١٦ : ١ ، ٢٠ : ٤)

وفى دربة بشَّرا وتلمذا كثيرين (أع ١٤: ٢١).

ثم رجع بولس وبرنابا إلى **لسترة وأيقونية وأنطاكية بسيدية** يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان، وانتخبا لهما قسوساً فى كل كنيسة (أع ١٤ : ٢٢) « ثم أتيا إلى بمفيلية وتكلما بالكلمة فى برجة ثم نزلا إلى أتالية « ميناء

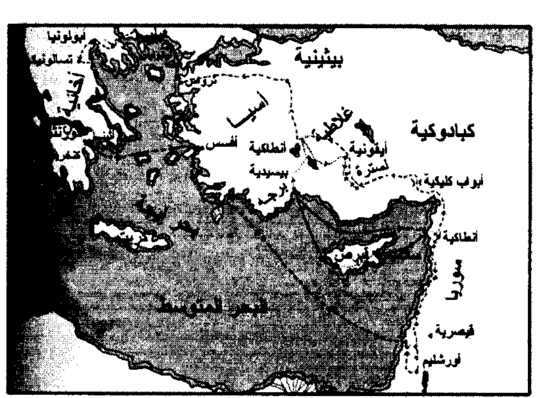


شهير أسسه فيلادلفوس» ثم عادا إلى أنطاكية بسورية وأقاما هناك زماناً ليس بقليل مع التلاميذ (راجع أع ١٤: ٢١-٢٨). ويرجّح العلاّمة السير وليم رامساى وهو أحد المؤرخين المبرزين فى دراسة تاريخ تلك الفترة أن تلك الرحلة الأولى تمت فيما بين ٤٥ م - ٤٧ م.

٢ـ الرحلة الثانية لبولس الرسول

أراد بولس أن يعود ليتفقد الإخوة فى كل المدن التى نادى فيها بكلمة الرب، فلما أشار برنابا أن يأخذا معهما يوحنا الذى يدعى مرقس لم يرد بولس أن يصطحباه لأنه فارقهما من برجة بمفيلية، فحدثت بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، فسافر برنابا ومرقس بحراً إلى قبرص، أما بولس فاختار سيلا واجتاز فى سورية وكيليكية يشدد الكنائس، **وقد عبرا أبواب كيليكية**، وهى معابرفى الجبال الوعرة بين سوريا وأسيا الصغرى، ليصلا إلى دربة ولسترة فى جنوبى أسيا الصغرى ليشدد الكنائس التى أسّسها بولس فى رحلته التبشيرية الأولى، وحيث آمن تيموثاوس.

قابل بولس فى **لسترة** تيموثاوس بن افنيكى وهى يهودية مؤمنة وجدته لوئيس. طلب بولس أن ينضم تيموثاوس إليهما



رحلتا بولس الرسول الأولى والثانية

ويرافقهما فى التجوال والخدمة، أخذ بولس تيموثاوس وختنه من أجل اليهود الذين فى تلك الأماكن حتى لا يعثروا لأن الجميع كانوا يعرفون أن أباه يونانى (أع ١٦ : ١-٣).

وكان بولس وسيلا فى كل مدينة يجمعان الإخوة ويشددانهم ويزفان إليهم بشرى قرار مجمع أورشليم والقضايا التى حكم بها الرسل والمشايخ الذين فى أورشليم، وذلك لإزالة التوتر الموجود بين المؤمنين من اليهود والأمم، فكانت الكنائس تتشدد فى الإيمان وتزداد فى العدد كل يوم (أع ١٦: ٤ و٥).

وبعد ذلك لم يدعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة فى أسيا فى فريجية والكورة المحيطة، ولما مرّوا على ميسيا وانحدروا إلى ترواس وهى طروادة الإغريقية القديمة، هناك ظهرت لبولس رؤيا فى الليل إذ برجل مكدونى يطلب إليه قائلاً: «اعبر إلى مكدونية وأعنا» (أع ١٦: ٩)، **ومكدونية** ولاية فى أوربا شمالىْ بلاد اليونان، وقد اتجهوا إليها بحراً عبر مينابوليس ميناء مكدونية مروراً بساموثراكى، واذ يتبدل الكلام من صيغة ضمير المتكلم إلى الجمع فإن هذا يشير إلى أن لوقا قد رافقهم ابتداءً من ترواس (أع ١٦: ١١) وهكذا تنتقل الكرازة بالمسيحية من أسيا لتعبر إلى أوربا. وإذ وصلوا إلى **فيلبى** أول مدينة أوربية وهى أهم مدن مقاطعة مكدونية، وهى **كولونية** أى «مستوطنة رومانية»، وقد أعطى لأهل المدينة مزايا الرعوية الرومانية مثل أهل رومية أنفسهم، كان غالبية سكانها من اليونان والرومان وأقلية ضئيلة من اليهود الذين لم يكن يسمح لهم بتشييد مجمع يهودى للعبادة، إذ كان القانون ينص على أنه متى وُجد عشرة رجال من أصحاب العائلات، فيجب بناء مجمع لدراسة الشريعة، فمتى لم يتحقق ذلك فكان لابد أن تُعقد الاجتماعات التعبدية فى الهواء الطلق، وبخاصة بجانب نهر، وفى يوم السبت ذهب كل من بولس وسيلا وتيموثاوس ولوقا إلى خارج المدينة عند نهر

حيث «جرت العادة أن تكون صلاة» (أع ١٦ : ١٣) حيث فتح الرب قلب ليدية بياعة الأرجوان للكلمة، واعتمدت هى وأهل بيتها»، ودعت التلاميذ ليمكثوا فى بيتها (راجع أع ١٦: ١٤ - ١٦).

أثار بولس استياء موالى الجارية التى كان بها روح عرافة، وذلك بعد أن شفاها. إذ كان موالى الجارية يتكسبون من وراءها، فجاءوا إلى الولاة يشتكوهم ضد بولس و سيلا وجرُّوهما متقولين عليهما أنهما ضد النظم الدينية والمدنية: «هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا وهما يهوديان ويناديان بعوائد لايجوز أن نقبلها ولانعمل بها إذ نحن رومانيون (أع ١٦: ٢٠ و٢١) وقد تعرضا للضرب الكثير، وألقوهما فى السجن الداخلى، وضبط أرجلهما فى مقطرة (راجع أع ١٦: ٢٣و٢٤) ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان، فحدثت زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن، وفُتحت أبوابه وفُكت قيود الجميع(أع ١٦: ٢٥ و٢٦).

ونادى بولس حارس السجن ـ الذى كان مزمعاً أن يقتل نفسه ظاناً أن المسجونين قد هربوا بصوت عظيم قائلاً: ألا يفعل بنفسه شيئاً الآن الجميع موجودون، فآمن حارس السجن، وأحسن إلى الرسولين، وغسل جراحهما.

وقد تمسك بولس وسيلا بحقوقهما، عندما أطلقهما الولاة فى الصباح سراً، إذ طلبا أن يكون ذلك علناً كما يليق بمواطنَين رومانيين، فجاءوا وتضرعوا إليهما وأخرجوهما وسألوهما أن يخرجا من المدينة (أع ١٦:٣٩) وبعد أن عزّيا الإخوة تركا المدينة ـ كما طلب منهما الولاة .

ويبدو أن لوقا ظل هناك ليرعى الكنيسة الناشئة، ويمكن استنتاج ذلك.

من العودة مرة أخرى لاستخدام «ضمير الغائب».

المواطنة الرومانية

فضلا عن الحرية، فإن المواطنة الرومانية كانت شرطاً لابد منه للتمتع بالحقوق السياسية الخاصة والعامة. والمواطن (Civis) هو فى الأساس من يعيش متمتعاً بكامل حقوقه فى داخل المدينة Intra Muros وبعد ذلك، تم التوسع فى هذا المفهوم. وكان يتم الحصول على المواطنة بصفة أساسية بالولادة الشرعية لوالدين مواطنين. والابن لأب خارج الحدود يرث وضع أبيه القانونى، والعبد يحصل مع حريته على وضع المواطن، وكانت المواطنة تمنح أحياناً لمجتمعات بأسرها، وفى كثير من الأحيان للأفراد الذين يقدمون خدمات خاصة للدولة (خدمات عسكرية أو لاستحقاق خاص) أو بحسب الميول السياسية التى تسيطر بين آونة وأخرى، وتكون تقريباً مستعدة لقبول عناصر أجنبية.

وبين سنتىْ ٩٠ ـ ٨٧ ق.م. (الحرب الاجتماعية) حصل سكان إيطاليا جميعاً على المواطنة، وتم التوسع فيها شيئاً فشيئاً حتى شملت جميع رعايا الامبراطورية فى عهد كاراكالاً (٢١٢ م)، وتفجرت على نحو عنيف مشكلة منح المواطنة للإيطاليين كافة، لاسيما فى ظل الإصلاح الزراعى الذى حفز إليه طيباريوس جراتسوس، فقد تعرض الإيطاليون لمصادرة نصيبهم من الأراضى الزائدة، ولكنهم اُستبعدوا من إعادة التوزيع باعتبارهم ليسوا مواطنين.

وتتضمن حقوق المواطنة الرومانية حق التقاضى الجنائية، وحق التصويت لانتخابات المجالس التشريعية، وحق الاستئناف فى القضايا الجنائية، والحق فى الزواج الشرعى، والأهلية القضائية الكاملة. والمواطن الرومانى كان ملزماً من جانبه بتأدية الخدمة العسكرية ودفع الضرائب. وطبقاً لتشريعات جستنيان (القرن السادس) يتضح أن المواطن الرومانى كان لايزال يتمتع بتلك الامتيازات .

انطلق بولس وسيلا من فيلبى إلى تسالونيكى، بعد أن اجتازا أمفيبوليس وأبولونية،وكانت تسالونيكى ـ وما تزال من أكثر المدن اليونانية سكاناً (وتدعى اليوم سالونيك). وقد كرزا بالإنجيل فى مجمع اليهود ثلاثة سبوت، حيث اقتنع لمحاجة بولس كثير من اليهود واليونانيين المتعبدين والنساء المتقدمات (أع ١٧: ٤).

مما أثار اليهود من غير المؤمنين، فأثاروا الجمع ضدهما «فاتخذوا رجالاً أشراراً من أهل السوق (من أبناء الشارع) وقادوهم إلى حيث يقيمان فى بيت «ياسون»، ولما لم يجدوهما جروا مضيفهما وبعض الإخوة إلى مجلس الحكم، واتهموا بولس وسيلا تهمة ماكرة خبيثة، وهى خيانة قيصر، وهى تهمة يعاقب عليها القانون الرومانى بأقسى عقاب، وقد تعامل الحكام بحكمة إذ أخذوا كفالة من ياسون ومن معه وأطلقوهم حتى تهدأ الأمور، وقد أرسل الإخوة حالاً بولس وسيلا ليلاً إلى بيرية (أع ١٧: ١٠)، وقد عبر بولس عن شوقه لزيارتهم، وذلك فى رسالته إلى كنيسة تسالونيكى بعد ذلك بعدة أشهر فى نحو سنة ٥١م (١تس٢: ١٧)

ولما وصل بولس وسيلا إلى بيرية ذهب إلى مجمع اليهود. وكان يهود بيرية أشرف من يهود تسالونيكى. إذ أخذوا يفحصون الكتب كل يوم لكى يتأكدوا صدق ما يقول بولس



صورة لأطلال أكروبوليس

عن المخلص المقام من الأموات، وقد آمن عدد كثير من اليهود، ومن اليونانيين نساء نبيلات وعدد كبير من الرجال (راجع أع ١٧: ١٠ - ١٢)

ولحق تيموثاوس بهما فى تلك المدينة، وظلت الأمور تجرى فى مجراها الهادىء إلى أن عرف يهود تسالونيكى أن بولس يبشر بكلمة الله فى بيرية، فجاؤا لإثارة بنى جلدتهم وتحريضهم ليثوروا عليه، ولكن بولس وبعض أتباعه غادروها إلى الميناء ومنه إلى أثينا بحراً. وأما سيلا وتيموثاوس فقد ظلا فى بيرية لمواصلة الكرازة (أع ١٧: ١٠ -١٥).

وأثينا هى مهد الأدب والفنون والحكمة والفلسفة والعلوم،

الابيقورية و الرواقية

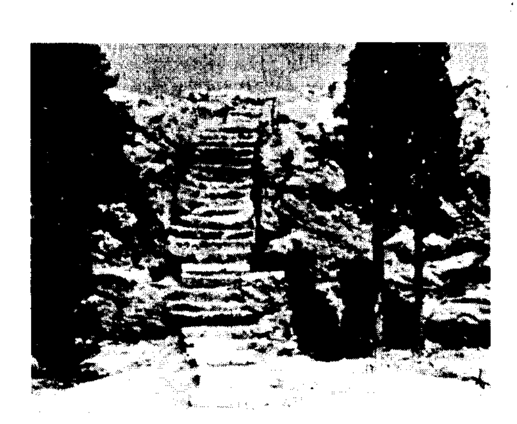
هما فلسفتان يونانيتان قديمتان، **والفلسفة الأبيقورية** أسسها أبيقور(٣٤١-٢٧٠ق.م.)، ويرى الأبيقوريون أن العالم خُلق صدفة، وأن الآلهة لايعرفون شيئاً عن العالم، ومتاعبه، لذا فهم لا يمكن أن يهتموا بالبشر، وأن السعادة هى الغاية التى نسعى إليها، وأن اللذة هى الخير الأول لنا، فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت.

أما **الرواقية** فتنسب إلى رواق بوليجنوس المزخرف بأثينا، والذي اتخذه زينون (٣٣٦ ـ ٢٠٤ ق.م) مقراً له ليجتمع فيه مع أتباعه، فدعوا بالرواقيين، وكانت فلسفة الرواقيين تدعو إلى السعى وراء الفضيلة، والإصغاء إلى صوت الضمير، وضبط العواطف والانفعالات،وكانوا يؤمنون أن كل الأشياء تؤدى إلى الخير، وقد اقتبس بولس الرسول عن شعرائهم فى قوله: كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً ذريته»(أع ١٧:٢٨) وهى من قول الشاعر الرواقى أراتوس، وتبرز الفلسفة الرواقية بتعاليمها عن الفرد والمجتمع، وتبلغ درجة رفيعة من الإنسانية والتفاؤل والسعادة.

فقد كانت مقصداً لطلاب العلم والفلسفة فى العالم فى ذلك الوقت. وقد أنجبت قادة الفكر البشرى أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وسوفوكليس وغيرهم. وكان للفلسفتين الأبيقورية والرواقية فى ذلك الوقت فلاسفتها وأتباعها.

وبينما بولس فى انتظار مجىء سيلا وتيموثاوس، احتدت روحه فيه وهو يطوف فى المدينة، إذ كانت المدينة مملوءة أصناماً. فكرز فى المجمع لليهود والمتعبدين، ومن كان يلقاهم كل يوم فى ساحة المدينة، فجرت مناقشة بينه وبين بعض الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين، ولما وجدوا أنه يبشر بيسوع والقيامة من الموت ظن بعضهم أنه مهذار. وقال آخرون إنه ينادى بآلهة غريبة، فأخذوه إلى أريوس باغوس لعلهم يعرفون ماهو هذا التعليم الجديد الذى نادى فى مسامعهم، وذلك لأن أهل أثينا والغرباء الساكنين فيها لايمضون أوقات فراغهم إلا فى مناقشة الأفكار الجديدة (راجع أع ١٧: ١٦ - ٢١).

وأريوس باغوس تشير إلى مجلس كانت له مكانة رفيعة، وكان يجتمع على التّلة التى تحمل ذات الاسم فى أثينا وهو للإله «أرس» إله الحرب عند اليونان. وكان المجلس ينعقد للنظر فى الأمور الفائقة الأهمية فيما يتعلق بالشئون السياسية



صورة أريوس باغوس

للدولة، وذلك خلال القرن الخامس قبل الميلاد. أما فى أيام الرومان فقد فقد المجلس قوته السياسية، وأصبحت اختصاصاته قاصرة على الإشراف على الأمور الاجتماعية والدينية والتعليمية، ولذلك فإن السير (وليم رامساى) يؤكد على أنه كانت للمجلس السلطة لدعوة محاضرين من أثينا، ولهذا السبب أحضروا بولس ليقف أمام المجلس ليفحصوا تعاليمه الجديدة. وقد تحدث بولس عن الآلهة العديدة المنتشرة، ومذبح «الإله المجهول» فدعاهم لعبادة «الإله الواحد» الذى خلق العالم وكل مافيه، إذ هو رب السماء والأرض، وهو لايسكن فى معابد بنتها أيدى البشر، كما كلمهم عن التوبة وعن إقامة الله ليسوع المسيح من الأموات (راجع أعمال ١٧: ٢٢ -٣١) وقد تباينت ردود الأفعال بين الاستهزاء والإهمال، وكانت هذه ردود أفعال الغالبية أما الأقلية الضئيلة التى آمنت فكان من بينهم ديونيسيوس الأريوباغى وامرأة أسمها دامَرِس (راجع أع ١٧ : ٣٢ - ٣٤).

ولعل النتائج المحدودة التى حصل عليها بولس من حديثه فى أريوس باغوس قد أصابته ببعض خيبة الأمل، فغادر بولس أثينا إلى **كورنثوس**، عاصمة ولاية أخائية، وقد ذكر بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أنه جاء إلى كورنثوس «فى ضعف وخوف ورعدة كثيرة» (٣:٢)، وهناك أقام مع أكيلا وبريسكلا، وهما زوجان يهوديان كانا يقيمان فى روما إلا أنهما طُردا منها بناء على المرسوم الذى أصدره القيصر كلوديوس بطرد جميع اليهود من رومية على إثر مشاغبات أحدثوها هناك عام ٥٠ م.

ولأن أكيلا وبريسكلا كانا خيامين، فإن بولس قد اشتغل معهما خلال أيام الأسبوع حيث كان يحاج فى المجمع كل سبت (راجع أع ١٨: ١-٤)، وبعد أن قاوم اليهود ورفضوا كرازته توجه ليكرز للأمم (١٨-٦).

بعد ذلك قدِم سيلا وتيموثاوس إلى كورنثوس ليكرزا مع بولس. ويبدو أن سيلا لم يذهب إلى أثينا، ولكن يذكر بولس فى رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى ما يؤكد أن تيموثاوس قد قابله فى أثينا «لذلك إذ لم نحتمل أيضاً استحسنا أن نترك فى أثينا وحدنا فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله ..


أطلال معبد أبولو فى كورنثوس

وأما الآن فإذ جاء إلينا تيموثاوس من عندكم وبشرنا بإيمانكم» (راجع ١تسالونيكى ٣ : ١-٦). يتضح من هذا أن تيموثاوس قابل بولس فى أثينا، فأرسله بولس إلى تسالونيكى، ثم عاد إلى كورنثوس، وقد أخبره تيموثاوس بأحوال الكنيسة فى تسالونيكى، وكانت الأخبار مشجعة ومعزية (١ تس ٣ : ٧-١٠) وبناءً على ذلك كتب إليهم رسالته الأولى ليشجعهم ويحثهم على النمو، ويثبتهم فى وجه الاضطهادات، ويكلمهم عن حقائق تتعلق بالمجئ الثانى للرب،

كما كتب لهم دفاعاً عن نفسه فى مواجهة الادعاءات الكاذبة التى اتهمه البعض بأنه يسعى إلى مكاسب مادية. وفى ختام رسالته يناشدهم أن تُقرأ الرسالة على جميع الإخوة، مما يدل على أن الرسائل كانت تقرأ للإخوة فى العبادة، وبعد عدة أسابيع أو أشهر لما علم بحيرتهم بخصوص المجيء الثانى للرب، إذ ظنوا أن مجيئه يوشك أن يقع، تبلبلت أفكارهم وحدث عدم استقرار لأعمالهم اليومية، فكتب رسالته الثانية



صورة لأطلال مدينة كورنثوس

إلى أهل تسالونيكى، وفيها يوضح أنه يجب أن يمارسوا حياتهم ويعملوا وأن لا يتزعزعوا أو يرتاعوا، وأن يثبتوا ويتمسكوا بالتعاليم التى تعلموها منه، وقد كُتبت الرسالتان إلى أهل تسالونيكى بين عامى(٥٠م، ٥١ م) تقريباً.

بعد أن قاومه اليهود ورفضوا كرازته ، **توجه ليكرز للأمم**، ثم أقام فى بيت رجل اسمه يوستس، كان متعبداً لله، وكان بيته ملاصقاً للمعبد، وكان كريسبس رئيس المجمع من أوائل من آمنوا فى كورنثوس هو وجميع بيته، ثم آمن كثيرون من أهل مدينة كورنثوس واعتمدوا (أع ١٨ : ٦- ٨).

وقد شدّد الرب بولس وقال له فى رؤيا الليل «لاتخف بل تكلم ولاتسكت لأنى أنا معك ولايقع بك أحد ليؤذيك لأن لى شعباً كثيراً فى هذه المدينة» (أع ١٨: ٩ و١٠).

أراد اليهود فى كورنثوس استغلال فرصة مجيء الوالى الجديد غاليون الذى تولى أخائية فى غضون سنة ٥١م أو ٥٢م، فقام اليهود بنفس واحدة على بولس، وأتوا به إلى كرسى الولاية بتهمة الاعتداء على دينهم قائلين: «إن هذا يستميل الناس أن يعبدوا الله بخلاف الناموس»، وكانوا يقصدون بذلك أن بولس يناقض القانون الرومانى الذى يسمح باعتناق ديانة واحدة من الديانات التى يعترف بها الشعب. وأن الديانة التى يدعو إليها بولس إنما تناقض ناموس موسى كما يفهمون، وحين همَّ بولس للدفاع عن نفسه «قال غاليون لليهود: لو كان ظلماً أو خبثاً ردياً أيها اليهود لكنت بالحق قد احتملتكم، ولكن إذا كان مسألة عن كلمة وأسماء وناموسكم فتبصرون أنتم لأنى لست أشاء أن أكون قاضياً لهذه الأمور، فطردهم من الكرسى»(أع ١٨ : ١٤ - ١٦).

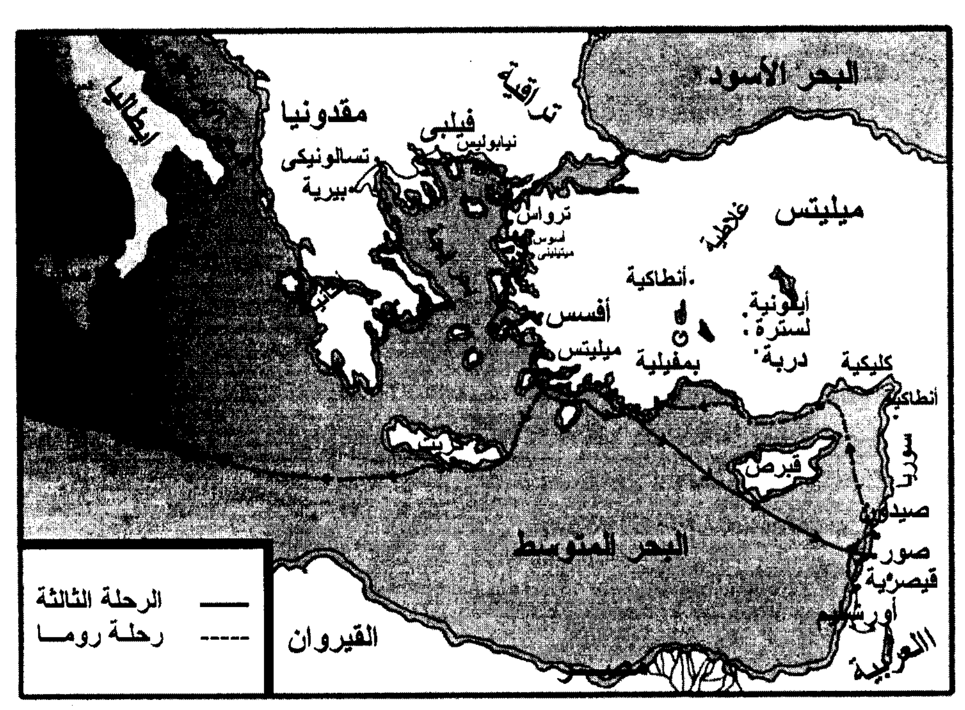
ونظراً لكراهية اليونانيين لليهود ، فإنهم اغتنموا الفرصة وضربوا سوستانيس رئيس المجمع أمام الوالى ، وهكذا فشلت محاولات اليهود فى مدينة كورنثوس فى إعاقة بولس عن الكرازة. فانطلق كارزاً لمدة سنة ونصف السنة فى المدينة (أع ١٨: ١١ و ١٨).

وفى طريق عودته إلى سورية مَرَّ بولس بأفسس، وكان معه أكيلا وبريسكلا حيث تركهما هناك، وقد تكلم بولس فى المجمع ولم يمكث هناك إذ يبدو أن كان ثمة مايدعوه للذهاب سريعاً إلى أورشليم (١٨ : ١٨ - ٢١) ثم أبحر إلى **قيصرية** ثم براً إلى **أورشليم** ليسلم على الكنيسة هناك، وأخيراً يرتحل إلى **أنطاكية سورية فى الشمال** (أع ١٨: ٢٢).

وهكذا تنتهى الرحلة الثانية لبولس الرسول، فى مدن أسيا واليونان و يرجح أن تكون رحلته الثالثة قد تمت فى الفترة بين سنتى(٥١-٥٤م).

٣- الرحلة الثالثة لبولس الرسول

لم يمكث بولس طويلاً فى أنطاكية بسورية، إذ بعدما صرف زماناً تركها، وكانت تلك هى المرة الأخيرة التى يزور فيها بولس أنطاكية بسوريا، وخرج منها إلى مسقط رأسه فى طرسوس، وسار فى الطريق إلى دربة ولسترة وأيقونية وأنطاكية



رحلة بولس الرسول الثالثة ورحلته إلى روما

بسيدية، هذه المدن التى كان زارها من قبل، وكان يشدد التلاميذ فى الإيمان فى جميع تلك المدن (أع ١٨: ٢٢ ، ٢٣)ثم جاء إلى أفسس (أع ١٩:١).

وأفسس مدينة تجارية هامة نظراً لموقعها المتميز كميناء على بحر إيجة، إلا أنه فى ذلك الوقت الذى زارها فيه بولس الرسول كانت تلك الأهمية قد بدأت تتراجع، كما كان فى أفسس المعبد الشهير للإلهة ديانا (أرطاميس)، أحد عجائب الدنيا السبع، وكانت زيارة السياح لذلك المعبد سبباً فى الازدهار الاقتصادى للمدينة بعد أن خبت شهرتها التجارية.

وقد جاء أبلوس إلى أفسس قبل أن يأتى إليها بولس.



صورة لعملة قديمة لمدينة أفسس


أطلال معبد أرطاميس

وأبلوس رجل يهودي، اسكندري المولد، كان فصيحاً يبدو أنه ممن درسوا الفلسفة اليونانية في الإسكندرية. إلا أن معرفته كانت ناقصة وقاصرة على كتب الآباء والأجداد، فلم يكن قد عرف شيئاً عن المسيحية إذ كانت معرفته قاصرة على ما علّمه يوحنا المعمدان. كان أبلوس «يعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً معمودية يوحنا فقط»(أع ١٨: ٢٥).

فعندما سمعه أكيلا وبريسكلا وهو يعلّم في المجمع أخذاه وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق، فقبل ماعلّماه به وأصبح أحد التلاميذ الغيورين. وإذ ذهب إلى كورنثوس عاصمة ولاية أخائية بشّر في الأوساط اليهودية التي نبذت بولس قبلاً (أي أن بولس وأبلوس لم يلتقيا في أفسس) إذ أن أبلوس كان قد غادرها قبل مجيء بولس، فكان باشتداد يفحم اليهود مستنداً إلى الكتب أن يسوع هو المسيح، وقد سقى ما غرسه بولس «أنا غرست وأبلوس سقى لكن الله كان ينمي»(١كو ٣ : ٦).

لم يكن أبلوس هو الوحيد الذى آمن بتعاليم يوحنا المعمدان، إذ أن بولس وجد عندما جاء إلى أفسس اثني عشر تلميذاً ممن اعتمدوا على أساس «معمودية يوحنا»، ولم يسمعوا بوجود الروح القدس، فعلمهم بولس أن يوحنا كان يدعو للتوبة ويهيء الطريق للمسيح الذى هو هدف الإيمان الحقيقي، فاعتمدوا مرة أخرى باسم الرب يسوع، وقد حل الروح القدس عليهم وأخذوا يتكلمون بلغات ويتنبأون. ويبدو من ذلك أنه كانت هناك طائفة تشايع يوحنا المعمدان بين اليهود في أسيا في القرن الأول لم تكن قد وصلتها بعد رسالة المسيح، لذلك كتب يوحنا الرسول ليوضح أنه لا أفضلية مطلقاً ليوحنا المعمدان عن يسوع (اقرأ يوحنا ١:٩-٣٤ ، ٢:٢٢- ٣:٣٦)، ولعله من الواضح أنه كان هناك من يجدون في يوحنا المعمدان ذروة الإعلانات الإلهية، وكان في نظرهم أعظم من يسوع، بينما كان هناك آخرون ينتظرون من هو أعظم من يوحنا، ويبدو أن أبلوس كان من بين هؤلاء قبل إيمانه بالمسيح.

كان بولس يجاهر مدة ثلاثة أشهر في المجمع (أع ١٩ : ٨)، وكانت هذه أطول مدة قضاها بولس يحاج في مجمع يهودي، ولكن لما عاندوه ولم يقتنعوا، انفصل عنهم، وأخذ من مدرسة «إنسان اسمه تيرانس مقراً له للكرازة»، «حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في أسيا من يهود ويونانيين (أع ١٩ : ١٠) وامتزجت في أفسس فنون السحر والشعوذه بعبادة الإلهة ديانا، كما انتشرت كتب السحر. وكان الله يصنع على يديْ بولس قوات غير المعتادة» (أع ١٩: ١١).

رأى السحرة والمشعوذون أن بولس يشفي المرضى ويخرج الأرواح الشريرة، وكان من بينهم قوم من اليهود، ورغم أن السحر والشعوذة كان محرماً عند اليهود إلا أن طائفة منهم لم تعبأ بهذا التحريم، فحاولوا محاكاة بولس، وكان من بينهم «سبعة بنين لسكاوا رجل يهودي رئيس الكهنة»، ولكنهم لم

يجنوا إلا الفشل الذريع، «وصار هذا معلوماً عند جميع اليهود واليونانيين الساكنين فى أفسس، فوقع خوف على جميعهم وكان اسم الرب يسوع يتعظم». فأقبل كثيرون من أولئك السحرة والمشعوذين إلى الإيمان، ولم يترددوا فى إحراق كتب السحر أمام الجميع.«وهكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة»(أعمال ١٩: ١٣ - ٢٠).

أرسل بولس اثنين من معاونيه هما تيموثاوس وأرسطوس إلى مكدونية، بينما لبث هو زماناً فى أسيا(أع ١٩: ٢٢).



صورة للمكان الذى اجتمع فيه بولس للصلاة



تمثال نصفى لأرطاميس من أفسس، يرجع تاريخه إلى القرن الثانى الميلادى.
(لاحظ رموز الأبراج الفلكية)

فى ختام مقام بولس فى أفسس وقعت اضطرابات خطيرة قادها ديمتريوس الصائغ وأهل مهنته إذ كانوا يربحون أرباحاً طائلة من صناعة نماذج لتمثال أرطاميس التى كانت تباع للحجيج والعابدين ممن يفدون إلى المعبد من جميع أسيا والعالم، وكان لكرازة بولس هناك أثره على تحول عدد كبير عن عبادة أرطاميس الوثنية، وربما نادى هناك بما سبق أن نادى به فى أثينا أن «الله الذى خلق الكون لايسكن فى هياكل مصنوعة بالأيادى. ولا يُخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شيء»(أع ١٧: ٢٤ - ٢٥).

كانت الجموع الغاضبة وهى فى طريقها إلى مسرح المدينة، وقد اختطفوا غايوس وأرسترخس المقدونيين رفيقى بولس فى السفر، تصرخ قائلةً: «عظيمة هى أرطاميس الأفسسيين»، وإذ أراد اليهود أن يبرروا أنفسهم، دفعوا بواحد منهم اسمه «اسكندر» ليخطب فى الناس ويقول لهم إن اليهود لا علاقة لهم ببولس وهم بريئون منه. «فلما عرفوا أنه يهودى صار صوت واحد من الجميع صارخين نحو مدة ساعتين» عظيمة هى أرطاميس الأفسسيين»(أع ١٩: ٢٢-٣٤) ويرجع السير «وليم رامساى» أن «اسكندر» هذا هو «اسكندر النحاس»

الذى أظهر شروراً كثيرة لبولس (٢ تيموثاوس ٤ : ١٤)، وقد عانى بولس عناءً شديداً فى أفسس، ويتضح ذلك من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١كو ١: ٨ و ١٥: ٣٢).

كان بولس على اتصال مستمر بالكنائس التى أسسها خلال أسفاره المتعددة، فبينما كان فى أفسس كتب رسالة لأهل كورنثوس (١ كو ٥: ٩ ، ١٠) بناءً على ما تنامى إليه من أنباء حملها أقرباء سيدة يونانية تدعى « خلُوى» (١كو ١ : ١١) بأن هناك خصومات وتحزباً، لكن تلك الرسالة التى كتبها لهم بولس لم تصل إلينا. وربما يوجد جزء منها فى الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس(٢ كو ٦: ١٤- ٧:١) وقد وصلت الرسول رسالة من بعض أعضاء الكنيسة هناك «وأما الأمور التى كتبتم لي عنها» (١كو ٧: ١) فيما يتعلق بالزواج والأطعمة التى قدمت أصلاً للأوثان، وسلوك المرأة، وممارسة عشاء الرب، والمواهب الروحية. لذلك كتب لهم بولس رسالة أخرى وهى المعروفة باسم الرسالة الأولى فى كتاب العهد الجديد يجيبهم عن أسئلتهم، كما يكتب لهم عن الانقسامات الحادثة فى داخل الكنيسة، كما كتب لهم «أنشودة المحبة الرائعة» (١كو ١٣)، وتقع هذه الرسالة فى ستة عشر فصلاً ، وقد كتبها بولس فيما بين عامى ٥٤ م - ٥٦م.

رحلة بولس الرسول الثالثة ورحلته إلى روما

وبعد أن انتهى الشغب (فى أفسس) دعا بولس التلاميذ وودعهم وخرج ليذهب إلى مكدونية (أع ٢٠ : ١) أبحر بولس من أفسس إلى ترواس، وكان يتوقع أن يلتقى مع تيطس ليعرف منه أحوال الكنيسة فى كورنثوس، ولكن تيطس أبطأ فلم يلتقيا إلا فى إحدى مدن مكدونية، إما فى تسالونيكى أو فى بيرية، ويرجح أنها فيلبى.

فبعد أيام قليلة قضاها بولس فى ترواس تركها دون كرازة (٢كو ٢ : ١٢ ، ١٣)، وعبر إلى مكدونية، وبعد أن قابل تيطس التقى بتيموثاوس، وقد كتب بولس رسالته الموجودة فى كتاب العهد الجديد باسم الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، وفى استهلال الرسالة يأتى ذكر تيموثاوس الذى كان معه وقت كتابتها ، وكان ذلك نحو عام ٥٦ م، وقد حمل تيطس الرسالة إلى كورنثوس ثم مضى بولس إلى كورنثوس حيث قضى ثلاثة أشهر (أع ٢٠ : ٢ ،٣).

قبل أن يذهب بولس إلى **أورشليم** لحضور عيد الفصح كتب رسالته إلى أهل رومية، وقد سلمها إلى فيبى وذلك نحو عام ٥٧ م. كتب لهم رسالته قبل أن يلقاهم شخصياً ليعبِّر لهم عن مدى محبته لهم، شارحاً كثيراً من الأمور التى تختص بناموس موسى، والخلاص بالرب يسوع المسيح وبر الله. وقد كتب بولس فى تلك الرسالة أنه من أورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكمل التبشير بإنجيل المسيح (رومية ١٥: ١٩)، وهذا يعنى أن بولس قد أتم الكرازة بالانجيل فى العالم اليونانى فى القسم الشرقى من الامبراطورية الرومانية.

وخلال الرحلة الثالثة لبولس الرسول اهتم بأن يجمع من أجل القديسين المحتاجين فى أورشليم (رو ١٥: ٢٥ -٣٢) وقد أراد أن يذهب بها هو نفسه (رو ١٥: ٢٥- ٣٢).

نما إلى علم بولس وبعض رفاقه أخبار المكيدة التى دبرها له اليهود. لذلك عدلوا عن السفر بحراً وسافروا براً شمالاً إلى فيلبى، حيث بقى بولس عدة أيام، وانضم إليه لوقا ليرافقه

فى رحلته مرة أخرى، وعبروا من ميناء فيلبى (منيا بوليس) إلى ترواس، حيث سبقه بعض رفقائه (أع ٢٠ :٥ و٦) وإذ كان بولس يود أن يكون فى أورشليم فى يوم الخمسين (أع ٢٠ : ١٦) لذا أرسل من ميليتس (ميناء يقع جنوبى أفسس) يستدعى من أفسس قسوس الكنيسة حتى لايصرف وقتاً فى أسيا (أع ٢٠: ١٦و١٧) وبعد أن قابلهم وخاطبهم «جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى»، وبكوا «ووقعوا على عنق بولس يقبلونه» لأنه قال لهم إنهم لن يروا وجهه بعد اليوم (أع٢٠:٣٦ -٣٨).

ثم أبحر بولس من ميليتس باتجاه كوس ووصلوا إلى (جزيرة) رودس، ومن هناك إلى (ميناء) باترا ثم إلى (ميناء) صور ومنه إلى (ميناء) بتولمايس ثم سافروا براً إلى قيصرية، (أع ١٢: ١-٨).

واذ وصل قيصرية مكث هناك «أياماً كثيراً» (أع ١٢: ١٠) منتظراً الوقت المناسب لدخوله إلى أورشليم، وقد حذره بعض الإخوة من الصعود إلى أورشليم إذ أنبأهم الروح القدس أنه سيلقى هناك السجن والقيود، وكذلك تنبأ نبى اسمه أغابوس (أع ٢١: ٤ و١٠و١١)، وقد ألح الحاضرون على بولس ألا يصعد إلى أورشليم، فأجاب بولس «إنى مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضاً فى أورشليم لأجل اسم الرب يسوع». وقد أجابوا على ذلك قائلين: «لتكن مشيئة الرب». ثم يصعد بولس إلى أورشليم فى رفقة بعض المؤمنين من قيصرية من حيث ذهبوا إلى رجل قبرسى يدعى مناسون (أع ٢١:١٢ - ١٦)، وبعد أن يلتقى بولس بيعقوب وجميع المشايخ - وبعد أن سلموهم ما سبق أن جمعوه من أجلهم- يحدثهم بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته، يواجه بتهمة خيانة شريعة موسى.

وقد اقترح يعقوب والمشايخ على بولس أن يُظهر علناً احترامه للطقوس اليهودية وسلوكه بالشريعة، وإذ كان أربعة رجال عليهم نذر، اقترحوا أن يأخذ بولس هؤلاء ويتطهر معهم وينفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم، فيعرف الجميع أن ما سمعوه عنه غير صحيح، وأنه يسلك مثلهم طريق العمل بالشريعة (أع ٢١:١٩-٢٤).

فشلت تلك الخطة التى وضعوها، إذ هاج الجمع لما رأوا بولس وتروفيموس الأفسسى فى المدينة، فكانوا يظنون أن بولس أدخله إلى الهيكل (أع٢١:٢٩) وقد تعرَّض بولس للضرب، وتدخل كلوديوس لسياس القائد الرومانى لتهدئة الجموع، فلما رأى اليهود القائد وجنوده كفّوا عن ضرب بولس (أع ٢١: ٣٢)، وإذ لم يقدر القائد أن يتبين حقيقة الأمر أمر أن يؤخذ بولس إلى المعسكر، فتبعته جموع المحتشدين «صارخين خذه». وقبل أن يدخل بولس إلى المعسكر الرومانى طلب من القائد الرومانى أن يسمح له بمخاطبة الجمع، فأذن له، فوقف بولس على درج المعسكر وأشار بيده إلى الشعب، فساد سكوت عظيم، فبدأ يكلمهم بالعبرية عن حياته فى الديانة اليهود وكيف سلك بالتدقيق، ثم كيف أصبح مسيحياً، ولكن هاج الشعب مرة أخرى عندما ذكر لهم إرساليته للأمم، فصرخوا بقائد الكتيبة قائلين «خذ مثل هذا من الأرض لأنه كان لايجوز أن يعيش» (أع ٢٢: ١ -٢٢) فأمر القائد أن يؤخذ بولس إلى المعسكر وأن يستجوبوه تحت الضرب لمعرفة سبب صراخهم عليه هكذا، ولكن أفلت بولس من الضرب أذ أخطرهم بأنه مواطن رومانى، وفُكّت عنه القيود (أع ٢١:٢٤-٢٩).

وفى اليوم التالى أراد القائد أن يعرف حقيقة التهمة الموجهة إلى بولس، فأمر باحضار بولس أمام مجمع رؤساء الكهنة (السنهدريم) (أع ٢١:٣٠). واذ وقف بولس يتكلم أحدث انقساماً فى المجلس إذ كان يعلم أن بعض أعضائه من مذهب الصدوقيين، وبعضهم من مذهب الفريسيين، وإذ حدثت منازعة كثيرة خاف القائد أن يشقوا بولس شقين، فأمرإعادته

إلى المعسكر مرة أخرى (أع ٢٣: ١ - ١٠).

فى صباح اليوم التالى تسرب خبر المؤامرة التى دبرها أربعون من اليهود. وسمع بها ابن أخت بولس، إذ نذر الأربعون نذراً أن يقتلوا بولس. وقد نجا بولس من تلك المؤامرة عندما أخطره بها ابن أخته، وكذلك أخطر القائد الذى أمر أن يُرسل ليلاً إلى قيصرية فى حراسة قوية حتى يصل بسلام إلى الحاكم فيلكس والذى قال له «سأسمعك متى حضر المشتكون عليك» (أع ٢٣: ١٢ - ٣٥).

وقف بولس ليحَاكم أمام فيلكس الوالى، الذى استدعاه لمقابلته عدة مرات. ولكن لم يتصرف فيلكس تصرفاً حاسماً فى قضية بولس، فمن جهة لم يشأ أن يطلقه فيثير عداوة اليهود، و من جهة أخرى لم يرد أن يحكم عليه ظلما. وظل بولس فى سجن هيرودس فى قيصرية لمدة سنتين كاملتين تحت الحراسة، ولكن كان يُسمح لأصدقائه بزيارته والقيام بخدمته (أع ٢٤:١- ٢٥).

تعين بوركيوس فستوس حاكماً خلفاً لفيلكس. وإذ أراد فيلكس أن يسترضى اليهود ترك بولس فى السجن (أع ٢٤: ٢٧).

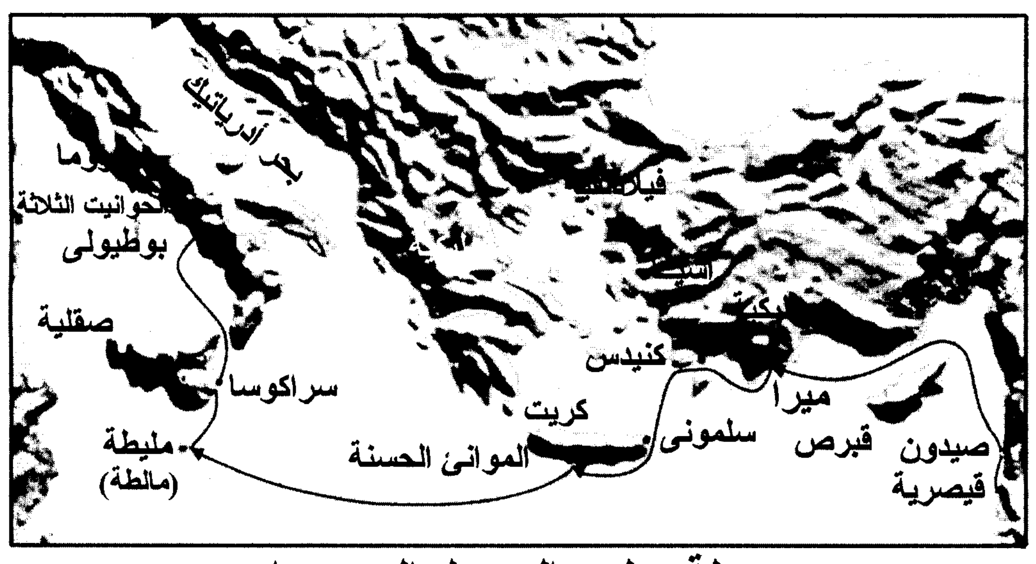
التمس اليهود من الوالى الجديد فستوس الذى زار أورشليم زيارة قصيرة، أن يرسل إليهم بولس ليحاكموه فى أورشليم. ولكن فستوس طلب منهم أن يذهب معه أصحاب النفوذ منهم لإثبات دعواهم(أع ٢٥: ١-٥).

وفى قيصرية لم يحسم أيضاً فستوس الوالى قضية بولس. وإذ كان يريد أن يسترضى اليهود سأل بولس إن كان يريد أن يذهب إلى أورشليم لتجرى محاكمته بحضور الوالى على هذه التهم؟ فأجاب بولس: «إلى قيصر أنا رافع دعواى». وهكذا حدث ما أعلنه فستوس «إلى قيصر رفعت دعواك، إلى قيصر تذهب»(أع ٢٥ : ٦ - ١٢).

وإذ جاء الملك أغريباس (هيرودس أغريباس الثانى) اليهودى وأخته برنيكى، ليقدما التهانى للوالى الجديد فستوس، كان ذلك قبل أن يرحل بولس من قيصرية. فعرض فستوس على أغريباس قضية بولس ليعرف ماذا يمكن أن يكتب بشأنها لقيصر(راجع أعمال ٢٥: ١٣ - ٢١) فطلب أغريباس من فستوس أن يسمع الرجل ، فأجاب: «غداً تسمعه» (أع ٢٥: ٢٢) وهكذا وقف بولس أمام أغريباس الملك فألقى واحداً من أهم خطاباته (أع ٢٦ :١ -٢٣).

لم يستطع فستوس الوالى أن يدرك شهادة بولس عن الرؤى وما قاله عن قيامة السيد المسيح من الأموات، فاتهم بولس بالهذيان من كثرة الكتب التى قرأها! أما أغريباس الملك فقال لبولس «بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً» (أع ٢٦: ٢٤- ٢٩) وقد اتفق المجلس على أنه كان يمكن إطلاق سراح بولس إذ إنه لم يفعل شيئاً يستحق الموت، لكن لابد أن يذهب إلى قيصر مادام رفع دعواه إلى قيصر(أع ٢٦ : ٣٠- ٣٢).

وأخيراً تقرر سفر بولس إلى روما ، ويروى لوقا البشير قصة الرحلة إلى هناك بضمير المتكلم، مما يفيد بأنه كان مع بولس فى تلك الرحلة ويصف لوقا مشقة الرحلة. البحرية وما تعرضوا له خلال تلك الرحلة من مخاطر ، وكان ذلك فى خريف عام ٥٩ م أو ٦٠ م، وقد تعرضت السفينة لعاصفة عنيفة وتحطمت بالقرب من جزيرة مليطة(مالطة حالياً) (أع ٢٧ : ٩ ، ٢٨: ١٠)، ولم تكن تلك المرة هى الأولى إذ سبق وأن تحطمت به السفن، «ثلاث مرات انكسرت بى السفينة ليلاً ونهاراً قضى فى العمق (٢كو ١١: ٢٥). وبعد ثلاثة أشهر أقلعوا فى سفينة من الاسكندرية ووصلوا إلى ميناء بوطيولى فى خليج نابولى (بالقرب من موقع نابولى الحالى) ، ثم ساروا براً إلى رومية، فخرج بعض المسيحيين لاستقباله ومن معه فى «فورن أبيوس» ثم الحوانيت الثلاثة، ثم وصل بولس



رحلة بولس الرسول إلى روما

أخيراً إلى روما عاصمة الأمبراطورية نحو سنة ٦٠م أو ٦١م. وقد سمح له قائد المئة أن يقيم فى منزل خاص مع العسكرى الذى كان يحرسه، وكان مسموحاً له أن يقابل زائريه. وقد قام بولس خلال السنتين اللتين قضاهما فى سجنه بروما بالكرازة بملكوت الله ومعلّماً الأمور المختصة بالرب يسوع المسيح بكل مجاهرة وبلا عائق (أع ٢٨: ١٦ - ٣١).

وعند هذا الحد يتوقف سرد لوقا لوقائع نشأة المسيحية فى أورشليم على أثر قيامة السيد المسيح من الأموات وحلول الروح القدس، ثم انتقالها إلى الأمم على يدى بولس، ونستطيع استنتاج بعض الأحداث المتعلقة بكرازة بولس وحياته من خلال رسائله إلى الكنائس والأشخاص، والرسالة التى كتبها كليمندس الرومانى إلى أهل كورنثوس، والتقليد وبعض كتب التاريخ.

التقى بولس بالكثيرين من المسيحيين أثناء سجنه بروما، ومن بين هؤلاء يذكر أربعة أشخاص هم أبفراس، تيخيكس، وأنسيمس، وأبفرودتس حيث حملوا إلينا أغلب الرسائل التى كتبها بولس.

يبدو أن بولس تعرف على أبفراس من خلال زيارته له فى السجن، أو ربما لأنه كان سجيناً معه (فليمون٢٣) وكان لأبفراس خدمة واضحة، وربما هو الذى أسس كنيسة كولوسى (كو:٧ ، ٤: ٢ و١٣).

وقد علم بولس من أبفراس بأن ثمة أفكاراً منحرفة مزجت الفكر المسيحى بالفلسفة اليونانية، والفقه اليهودى مع عبادة الملائكة وتُعرف بالغنوسية، وهى من الفلسفات الدينية الثنائية التى ترى أن الخلاص يتم عن طريق المعرفة فحسب، فالإنسان يخلص عن طريق المعرفة لا عن طريق الإيمان الذى يمنحه الله

للإنسان فى المسيح، وأن المادة شر لذلك فالله لايمكن أن يتجسد (راجع الفصل السادس الخاص بالهرطقات فى هذا المجلد)، وعلى ذلك كتب بولس رسالته إلى أهل كولوسى ليوضح لهم التعليم المسيحى الحقيقى والإيمان النقى.

وتدور الرسالة حول الرب يسوع المسيح الذى هو صورة الله غير المنظور (١ : ١٥) «الذى فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (٢: ٩)، ويحذرهم أن «لايكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس» (٢:٨).

وقد أرسلها بيد تيخيكس وأنسيمس نحو عام ٦١م أو ٦٢م.

كان أنسيمس عبداً هارباً من مدينة كولوسى (يرى البعض أنه سرق سيده فليمون) وبلغ روما، وهناك يعرف الإيمان بواسطة بولس ويقبل المسيح مخلصاً، ويقنع بولس أنسيمس أن يعود إلى فليمون سيده. فيكتب بولس رسالة إلى فليمون لكى يعفى عن أنسيمس، ويقول عنه إنه «نافع» لك ولى، ومعنى أنسيمس (نافع) ويستخدم بولس التورية هنا للتخفيف من لهجة الرسالة.

ويرى بعض الشراح أن تيخيكس حمل معه رسالتىْ فليمون وكولوسى، بينما يرى آخرون أنه حمل معه أربع رسائل- يرون أنها كتبت وأرسلت فى وقت واحد- هى: فليمون وكولوسى وأفسس وفيلبى فيما يُعرف برسائل الأسر، بينما يرى آخرون أنها فليمون وكولوسى وأفسس ولاودكية (راجع كولوسى ٤ : ١٦) وأن الرسالة إلى أهل لاودكية قد فُقدت.

إلا أن البعض يرى أن الرسالة إلى «لادوكية» هى نفسها الرسالة إلى «أفسس» حيث إن بعض المخطوطات القديمة خلت من كلمة «أفسس». ويرجح البعض أن الرسالة «دورية» بمعنى أنها تُرسل إلى كل الكنائس التى فى مقاطعة أسيا، ولذلك وُجدت كلمة أفسس فى بعض المخطوطات لأن مدينة أفسس تقع على رأس مدن مقاطعه أسيا. وفى الرسالة إلى أفسس يبتعد بولس عن كل جدل حول اليهود والأمم والطقوس والناموس، وإنما يتكلم عن قصد الله الأزلى المعلن فى المسيح، والتأكيد على قيامة الرب من الأموات، الذى فيه لنا الفداء، وشرح لهم أن قصد الله هو فداء الإنسان وخلاصه من الخطية.

عندما سمعت كنيسة فيلبى أن بولس فى سجن روما، أرسلت إليه أبفرودتس ومعه عطية من الكنيسة، ولم تكن تلك هى المرة الأولى التى تُرسل له معونة مالية، إذ سبق أن أرسلت إليه الكنيسة مرتين على الأقل (راجع فى٤: ١٥و١٦)، ولكن فى أثناء خدمة أبفردوتس لبولس وهو فى سجن رومية، مرض أبفرودتس مرضاً خطيراً، وكان أن اتفقا على أن يعود أبفردوتس إلى مدينة فيلبى بعد أن يتعافى، فكتب بولس رسالته إلى أهل فيلبى وأرسلها مع أبفرودتس.

فيكتب لهم عن مرض أبفرودتس حتى لايظنوا أنه قد قصَّر فى خدمته لبولس وقد وصفه فى الرسالة بكلمات طيبة رقيقة (فى ٢: ٢٥ - ٣٠) كذلك يكتب لهم عن أحواله ويحثهم على الثبات والوحدة، ويطمئنهم عن كرازته وهو فى السجن قائلاً: «إن أمورى قد آلت أكثر جداً إلى تقدم الإنجيل» (فى ١٢:٢) كما كتب يعبر عن أمنيته فى أن يزور فيلبى عن قريب (٢٤:٢) مما قد يعنى أنه كتب الرسالة إلى أهل فيلبى فى أواخر فترة سجنه الأولى فى رومية -أى نحو ٦٣م.

يقول يوسابيوس المؤرخ عن الفترة التى صمت عنها سفر أعمال الرسل فيما يختص بفترة سجن بولس وما أعقبها «بعد أن دافع الرسول عن نفسه دفاعاً موفقاً، خرج من رومية لنشر دعوة الإنجيل، ثم عاد إليها مرة أخرى، واستشهد فى عصر نيرون».

يتضح من ذلك أن بولس قد أُطلق سراحه إذ مرت سنتان على سجنه فى رومية، وهى أقصى مدة يقضيها السجين فى

السجن بعد أن يرفع دعواه لقيصر مادام لم يحكم فى قضيته بعد.

ويبدو أن بولس عاد مرة أخرى إلى السجن، يتضح ذلك من الرسالة الثانية التى أرسلها إلى تيموثاوس، وهى بمثابة رسالة الوداع، وذلك نحو نهاية ٦٥م أو ٦٦ م. كما يرى الاستاذ وليم رامساى، إذ كان بولس متوقعاً قرب نهايته «وقت انحلالى قد حضر» (٢تى ٤: ٦) حيث يقول التقليد الكنسى إن رأسه قد قُطعت نحو سنة ٦٧م بأمر من نيرون الطاغية. وكذلك يذكر كليمندس أسقف روما فى رسالته التى كتبها إلى أهل كورنثوس بعد نحو ثلاثين سنة من موت بولس، أن بولس الرسول حُكم عليه أن يموت بالسيف بعد محاكمة قانونية كمواطن رومانى.

ويبدو أن رسالته الأولى إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس قد كتبهما فى الفترة بين سجنه الأول والثانى فى روما، أى فى الفترة من ٦٣م - ٦٦م.

ففى الرسالة الأولى إلى تيموثاوس يكتب له مشجعاً ليقوم بمسئوليات الرعاية فى كنيسة أفسس، ويحثّه على التعامل بحزم مع المعلمين الكذبة، ونظام العبادة العامة والصفات الواجب توافرها فى الأساقفة أو الشيوخ والشمامسة.

أما رسالته إلى تيطس فيعهد فيها إليه برعاية المؤمنين، وفيها أيضاً يوصيه بالحرص فى إقامة الأساقفة أو الشيوخ، وأن يكون تيطس نفسه قدوة للمؤمنين.

وفى رسالته الثانية إلى تيموثاوس، «الرسالة الوداعية»، كان يشتاق أن يأتيه تيموثاوس سريعاً قبل الشتاء (٢تى ٤: ٩و٢١)، وكان يتطلع أن يكون تلميذه قدوة فى حياته، وأميناً فى خدمته. ويوصيه أن يكرز بالكلمة، ويعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب» (٢تيموثاوس ٤: ٢).

أما الرسالة إلى العبرانيين فاسم كاتبها مجهول وكذلك المرسل إليهم، وقد جاء ترتيبها بعد رسائل بولس الرسول الثلاث عشرة، ويظن البعض أنها ليست رسالة مقروءة كما فى سائر رسائل بولس، وإنما هى عظة مكتوبة. وقد وُضعت باللغة اليونانية فى أسلوب كلاسيكى رفيع المستوى، والرسالة زاخرة بالتعاليم اللاهوتية العميقة، وهى تحثّ المؤمنين على التمسك بالإيمان، واختبار الخلاص، والحذر من الارتداد. ويرجح أنها كُتبت قبل تدمير الهيكل (قبل ٧٠ م) وإلا لكان الكاتب أشار إليها.

(راجع أيضاً الفصل الثانى من الباب الثانى الخاص بكتابات العهد الجديد فى هذا المجلد).

و - الترتيب الزمنى للعصر الرسولى

الترتيب الزمنى للعصر الرسولى مؤكد فى جانب منه، وعلى الأقل فيما يتعلق بالأحداث الرئيسية من سنة ٣٠ م إلى ٧٠ م، إلا أنه استنتاجى واستدلالى فى جانب آخر منه، فضلاً عن السنوات الثلاثين الأخيرة من القرن الأول. أما المصادر فتشمل العهد الجديد (وبصفة خاصة سفر أعمال الرسل ورسائل بولس)، والمؤرخ الرومانى اليهودى يوسيفوس. وليوسيفوس الذى وُلد سنة ٣٧م وتوفى سنة ١٠٣م أهمية خاصة هنا، ذلك أنه كتب التاريخ اليهودى حتى خراب أورشليم) والتواريخ التالية صحيحة تقريباً، وهى فى معظمها مقبولة من غالبية المؤرخين:

١- تأسيس الكنيسة المسيحية فى عيد الخمسين، وذلك فى مايو ٣٠ م، بافتراض أن السيد المسيح وُلد فى سنة ٤ ق.م. وأنه صلب فى أبريل سنة ٣٠م، حيث كان فى الثالثة والثلاثين من عمره.

٢- كان موت الملك هيرودس أغريباس الأول فى سنة ٤٤م (طبقاً لما ذكره يوسيفوس)، وهذا يحدد تاريخ استشهاد يعقوب الكبير، الذى وقع قبل ذلك بقليل، وسجن بطرس،

وإطلاق سراحه بطريقة معجزية(أعمال١٢: ٢-١٩).

٣- المجمع الرسولى فى أورشليم فى سنة ٥٠م (أعمال ١٥: ١)، و(غلاطية ٢: ١- ١٠)، وقد تأكد هذا التاريخ بالرجوع إلى تاريخ تجديد بولس الرسول. وكذلك إلى فترة سجن بولس فى قيصرية. ومن المحتمل أن يكون بولس قد آمن بالمسيح فى سنة ٣٧م، وأنه قد انقضت مدة «أربع عشرة سنة» ما بين هذا الحادث وانعقاد المجمع فى أورشليم.

غير أن المؤرخين يختلفون بالنسبة لسنة تجديد بولس، ويعتبرونها ما بين سنة ٣١م وسنة ٤٠م.

٤- يقع تاريخ الرسالة إلى كل من أهل غلاطية، وكورنثوس، ورومية. بين سنة ٥٦ م، ٥٨م، علماً بأن تاريخ الرسالة إلى أهل رومية يمكن تحديدها فى الغالب حتى بالنسبة للشهر، وذلك من الدلالات التى تضمنتها الرسالة نفسها، فضلاً عما ورد من سفر الأعمال. وقد كُتبت قبل زيارة الرسول لروما، حيث شرع فى الذهاب إلى أورشليم ورومية فى طريقه إلى أسبانيا (رومية ١: ١٣و١٥، ١٥: ٢٣-٢٨، أعمال ١٩: ٢١، ٢٠: ١٦، ٢٣: ١١، ١كورنثوس١٦: ٣) بعد أن أتم جمع العطايا فى مكدونية وأخائية من أجل الإخوة الفقراء فى اليهودية (رومية ١٥: ٢٥ - ٢٧، ١كورنثوس ١٦: ١ و٢، ٢كورنثوس ٨ و٩، أعمال ٢٤ : ١٧) وبعث بالرسالة بيد فيبى، وهى خادمة (شماسة) فى الكنيسة فى كنخريا (ميناء كورنثوس)، حيث كان هناك فى ذلك الوقت (رومية ١٦: ١، ٢٣، قارن أعمال ١٩: ٢١و٢٢)، (تيموثاوس ٤: ٢٠، ١كورنثوس ١: ١٤) وهذه الدلالات تشير بوضوح إلى ربيع سنة ٥٨ م، لأنه فى تلك السنة أخذ سجيناً إلى أورشليم ثم إلى قيصرية.

٥- سُجن بولس فى قيصرية من سنة ٥٨م إلى ٦٠م، فى أثناء ولاية كلٍ من فيلكس وفستوس، اللذين تبادلا مكانتيهما فى سنة ٦٠م أو ٦١ م، والأرجح أنه كان فى سنة ٦٠م، وهذا التاريخ الهام يمكننا تأكيده بناءً على الجمع بين عدة دلالات مأخوذة من بضع فقرات ليوسيفوس وتاسيتوس. وهذا يمكننا فى ذات الوقت، إذا ما رجعنا فى حسابنا إلى الوراء، من أن نحدد بعض الأحداث السابقة فى حياة بولس الرسول.

٦- فترة سجن بولس الأولى فى روما من سنة ٦١م إلى ٦٣م، وهذا على أساس التاريخ السابق المرتبط ببعض الأقوال التى وردت فى أعمال (٢٨: ٣٠).

٧- رسائل سجنه فى روما، هى الرسائل إلى كل من فيلبى، أفسس، كولوسى، وفليمون سنة ٦١ م -٦٣ م.



تمثال نصفى لتيطس

٨- الاضطهاد النيرونى فى سنة ٦٤م السنة العاشرة من حكم نيرون طبقاً لما يقوله (تاسيتوس) واستشهاد كل من بولس وبطرس إما أنه وقع فى تلك الفترة، وإما طبقاً للتقليد بعد ذلك بسنوات قليلة، ويتوقف الموضوع على فترة سجن بولس الثانية فى رومية.

٩- دمار أورشليم على يد تيطس فى سنة ٧٠م (وذلك طبقاً لما ذكره كل من يوسيفوس وتاسيتوس).

١٠- موت يوحنا بعد اعتلاء تراجان العرش فى سنة ٩٨م (طبقاً لتقليد كنسى عام).

وتاريخ الأناجيل المتشابهة (وهى الأناجيل الثلاثة الأولى) وسفر أعمال الرسل، والرسائل الرعوية(رسالتىْ بولس إلى تيموثاوس، ورسالته إلى تيطس)، والرسالة إلى العبرانيين، ورسالتىْ بطرس، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا لايمكن الجزم به على نحو من الدقة، سوى أن كتابتها تمت قبل خراب أورشليم بين سنة ٦٠ م، ٧٠م فى الغالب، أما كتابات يوحنا فكتبت بعد هذا التاريخ، وبالقرب من نهاية القرن الأول باستثناء سفر الرؤيا، إذ يرى بعض أفضل العلماء استناداً إلى دلالات داخلية، إنه كُتب فى سنة ٦٨م أو ٦٩م، أى بين موت نيرون، ودمار أورشليم فى سنة ٧٠م.

فيمايلى نوجز بعض الأحداث الكتابية و، والأحداث التى وقعت فى الامبراطورية الرومانية خلال العصر الرسولى.

جدول زمني خاص بالعصر الرسولي

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت في فلسطين	أحداث وقعت في الإمبراطورية الرومانية	السنة
٥ ق.م أو ٤ ق.م.	ميلاد يسوع	• موت هيرودُس الأول أو هيرودُس الكبير(٧٥٠ من تأسيس روما أو ٤ ق.م.) • أرخيلاوس في اليهودية والسامرة وأدوم • هيرودس انتيباس في الجليل وبيرية وفيلبس في أورانتيس، تراخونيتس، بانياس وتبانيا.	أوغسطس إمبراطوراً لروما من سنة ٢٧ ق.م. إلى سنة ١٤ م.	
		• تم خلع أرخيلاوس وتحولت اليهودية إلى ولاية رومانية.		٦م
	زيارة يسوع للهيكل وهو في سن الثانية عشر	• كيرينيوس والياً على سورية (للمرة الثانية) . (الاكتتاب للضرائب) (أعمال ٥ : ٣٧).		٩م
		• ثورة يهوذا الجليلي	طيباريوس معاصراً لأوغسطس	١٣م
		• كوبنيوس والياً على اليهودية • مرقس أمبيڤيوس والياً.	موت أوغسطس،	١٤م
		• أنيوس دوفر حاكماً. • ڤاليريو جراتوس حاكماً .	وأصبح طيباريوس وحده إمبراطوراً	١٤م
		• بيلاطس البنطي حاكماً من سنة ٢٦م.		٢٦م
٢٧م	معمودية السيد المسيح	• قيافا رئيساً للكهنة من سنة ٢٥م.		

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت فى الإمبراطورية الرومانية	السنة
٢٧-٣٠م	خدمة السيد المسيح لمدة ثلاث سنوات			
٣٠م	صلب السيد المسيح وقيامته وصعوده حلول الروح القدس يوم الخمسين، ميلاد الكنيسة			
		مرسليوس حاكماً		٣٦م
		بيلاطس يرسله حاكم سوريا إلى روما		
٣٧م	استشهاد استفانوس (أع : ٧) بطرس ويوحنا فى السامرة (أع ٨) تجدد شاول (أع٩، قارن أع ٢٢ و٢٦، غل ١٦:١، ١كو٨:١٥)	تعيين مريليوس حاكماً أعلى	تتويج كاليجولا إمبراطوراً	٣٦م
		تنصيب هيرودس أغريباس الأول ملكاً على اليهودية والسامرة		٣٧م
				٣٧م
٤٠م	هروب شاول من دمشق وزيارته الأولى لأورشليم بعد تجدده (غل١:١٨)		فيلو في روما	٤٠م
			تتويج كلوديوس إمبراطوراً (٤١-٥٤م).	٤١م

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت في الإمبراطورية الرومانية	السنة
	قبول كرنيليوس فى الكنيسة (أع : ١٠، ١١)	موت هيرودس أغريباس الأول فى قيصريه		٤٤ م
٤٤	اضطهاد الكنيسة فى أورشليم، يعقوب الكبير ابن زبدي تقطع رأسه بالسيف. سجن بطرس وانقاذه ، مغادرته فلسطين (أع١٢: ٢-٢٣)		غزو بريطانيا ٤٣-٥١م	
	زيارة بولس الثانية لأورشليم، مع المساعدات التي جمعت من كنيسة أنطاكية (أع١١ : ٣٠).			
٤٥	إفراز بولس رسولاً (أع ١٣: ٢)	• تنصيب كاسبيوس فادوس حاكماً لليهودية		
		• تنصيب طيباريوس الكسندر حاكماً.		٤٦ م
		• تنصيب فنتيديوس كيومانوس حاكماً.		٤٧ م
٥٠	رحلة بولس التبشيرية الأولى - مع برنابا ومرقس إلى قبرص ، بيسديه، لسترة، دربة. عودته إلى أنطاكية (أع : ١٣، ١٤)			

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت فى الإمبراطورية الرومانية	السنة
	رسالة يعقوب (تاريخها مختلف عليه وهو بين ٤٤م ـ٦٢م). المجمع الرسولي بأورشليم، خلاف بين المسيحيين اليهود والمسيحيين الأمميين، زيارة بولس الثالثة لأورشليم مع برنابا وتيطس، ومناقشة لموضوع الختان(أع: ١٥، غل٢ : ١-١٠).	• تنصيب فيلكس والياً		٥١ م
٥١م	بولس يبدأ رحلته التبشيرية الثانية من أنطاكية إلى آسيا الصغرى (كيليكية، ليكاؤنية، غلاطية - ترواس) واليونان (فيلبي، تسالونيكي، بيريه، أثينا)، كورنثوس، اعتناق أوربا للمسيحية (أع ١٥: ٣٦، ١٨: ٢٢)			
٥٢-٥٣م	بولس فى كورنثوس مدة سنة ونصف السنة، ويكتب الرسالتين الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي من كورنثوس.	• تنصيب هيرودس أغريباس الثاني رئيس ربع على تراخونيس (آخر الأسرة الهيرودسية).	مرسوم من كلوديوس بطرد اليهود من روما.	٥٢م

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت فى الإمبراطورية الرومانية	السنة
٥٤ م	زيارة بولس الرابعة لأورشليم (الربيع)، إقامته مدة بسيطة فى أنطاكية- رحلته التبشيرية الثالثة (خريف ٥٤م) التي استغرقت أربع سنوات تقريباً.			
٥٦م	بولس يكتب إلى أهل غلاطية (؟) من أفسس أو من جهة ما في اليونان وهو في طريقه إلى كورنثوس (٥٧م) (أع ٢٠)			
٥٧ م	بولس يكتب رسالته الأولى إلى كورنثوس من أفسس، ثم يذهب إلى مكدونية ويكتب الرسالة الثانية إلى كورنثوس من مكدونية.			
٥٨ م	الرسالة إلى رومية من كورنثوس حيث أمضى ثلاثة أشهر، ويزور (للمرة الخامسة) أورشليم، القبض عليه، مثوله أمام فيلكس، وسجنه فى قيصرية مدة سنتين (أع ١٧:٢١ إلى ٣٢:٢٦)			

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت فى الإمبراطورية الرومانية	السنة
٦٠ م	بولس يَمثُل أمام فستوس، يرفع التماسه إلى قيصر، ارساله إلى إيطاليا (فى الخريف)، تحطم السفينة في مالطة (أع : ٢٧ ، ٢٨).	تنصيب أبركيوس فستوس والياً.		٦٠ م
٦١ م	وصول بولس إلى روما سجيناً (فى الربيع).	بعثة من أورشليم إلى روما	• الحرب مع بواديكية فى بريطانيا. • أبولونيوس من تيانا- فى الألعاب الأولمبية . • يوسيفوس فى روما.	٦١ م
٦٢ م	استشهاد يعقوب «أخي الرب» في أورشليم (طبقاً لما ذكره يوسيفوس أو بحسب هيجيسيبوس).			٦٢ م
٦١-٦٣م	بولس يكتب إلى أهل فيلبي ، وأفسس ، وكولوسي من سجنه فى روما.			
٦٣م	يُفترض أنه قد أطلق سراح بولس (أع ٢٨ : ٣٠)	تنصيب ألبينيوس والياً.		٦٣م
٦٤ م	الرسالة إلى العبرانيين، كتبت من إيطاليا بعد إطلاق سراح تيموثاوس (عب ١٣: ٢٣).			

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت في فلسطين	أحداث وقعت في الإمبراطورية الرومانية	السنة
٦٤-٦٧م	رسالة بطرس الأولى رسالة بطرس(؟) رسالة بطرس الثانية (؟)	• تنصيب أجيسيوس فلورس والياً	• اشتعال النار في روما (في شهر يوليو). • أول اضطهاد ضخم للمسيحيين (استشهاد بطرس وبولس).	٦٤-٦٧م
٦٤-٦٧م	بولس يزور كريت ومكدونية، ويكتب الرسالة الأولى إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس* (؟).	• ڤاسبيان حاكماً عاماً في فلسطين.		٦٧ م
٦٥-٧٠م	الأناجيل المتشابهة (الأناجيل الثلاثة الأولى)، وسفر أعمال الرسل.	بداية الحرب العظمى بين الرومان واليهود.	• نيرون يعدم سينيكا ولوكان	٦٥ م
٦٥-٦٧م	استشهاد بولس وبطرس في روما (؟).			
٦٨-٦٩م	رؤيا يوحنا (؟)		• تتويج جالباً إمبراطوراً • تتويج أوتو وفيتاليوس امبراطوران. • تتويج ڤاسبيان إمبراطوراً.	٦٨م ٦٩ م ٦٩م
		• خراب أورشليم على يد تيطس (إطلاق سراح يوسيفوس).		٧٠م

* الذين ينكرون فترة سجن ثانية لبولس ينسبون هذه الرسائل إلى فترة إقامة بولس في أفسس (٥٤-٥٧م) والرسالة الثانية لتيموثاوس إلى ٦٣م، ٦٤م.

السنة	تاريخ كتابي	أحداث وقعت فى فلسطين	أحداث وقعت فى الإمبراطورية الرومانية	السنة
			•بداية الكوليزيوم (مدرج روما القديمة).	
			دمار بومباي وهيكولانيوم.	٧٩م
			تتويج تيطس إمبراطوراً	٧٩م
٨٠-٩٠م	يوحنا يكتب إنجيله ورسائله (؟) .		• تتويج دوميتيان إمبراطوراً.	٩١م
٩٢ م	يوحنا يكتب سفر الرؤيا (؟).			
٩٨-١٠٠م	موت يوحنا.		• اضطهاد المسيحيين.	٩٥م
			• تتويج ليزڤا إمبراطوراً.	٩٦م
			• موت أبولونيوس	٩٧م
			• تتويج تراجان إمبراطوراً.	٩٨م

الباب الثانى

الفصل الأول

رسل المسيح

الكنيسة الأولى بعد سفر أعمال الرسل

سبق القول إن سفر أعمال الرسل يذكر كيف نشأت المسيحية فى أورشليم، وكيف انتقلت من خلال كرازة الرسل إلى الأمم.

إلا أن السفر يتوقف عن هذا الحد فلم يُذكر شيء عن انتشار المسيحية فى بلاد الشرق مثل بلاد فارس أو أرمينيا أو أفريقيا أو الهند. كذلك لم يُذكر شيء عن انتشار المسيحية فى بعض بلاد أوربا مثل إنجلترا، ولذلك فإن فى تاريخ الكنيسة ثمة ما يلقى الضوء على كرازة الرسل فى مختلف أقطار الأرض.

لم تكن فكرة الرسولية - فى الكنيسة الأولى - قاصرة على رسل المسيح الإثنى عشر أو الثلاثة عشر (راجع أسماء الرسل فى الأصحاح العاشر من إنجيل متى والأصحاح السادس من إنجيل لوقا). فقد أطلق لقب رسول على يعقوب أخى الرب (غلاطية ١: ١٩ ، ٢ : ٩ ، ١كو ١٥: ٧) كذلك أطلق على «برنابا» أنه «رسول»(انظر أعمال الرسل ١٤: ٤و ١٤) كما يمكن اعتبار سلوانس وتيموثاوس رسولين (١تسالونيكى ١: ١ ، ٢: ٦)، وكذلك «أندرونكوس ويونياس .. المأسورين معى اللذين هما مشهوران بين الرسل (رومية ١٦: ٧) ويتكلم الرسول بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس عن أخوين (لم يذكر اسميهما يقول : «وأما أخوانا فهما رسولا الكنائس ومجد المسيح» (٢ كورنثوس ٨:٢٣).

لقد اختار السيد المسيح رسله من بين عدد كبير، فكان له تلاميذ كثيرون، ولكن «أقام اثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا (مرقس ٣:١٤-١٩).

وقد وردت شروط «الرسول» فى عدة مواضع فى سفر أعمال الرسل (١: ٢١و ٢٢) وفى كورنثوس الأولى (٩:١ ، ١٥: ٨٣) ومنها نستطيع أن نخلص إلى أن الرسول هومن كان مع الرب يسوع منذ معمودية يوحنا وحتى صعود المسيح، أى يكون قد اختبر ظهور المسيح بعد القيامة، وهذه الشروط لاتنطبق بالكامل على «بولس»، إلا أنه كان شاهداً للقيامة (أعمال ٢٦ : ١٦ - ١٨)، (١كورنثوس ٩:١ ،١٥: ٨) والطريقة التى يصف بها ظهور المسيح له شخصياً، تدل على أن اختباره شبيه باختبار التلاميذ، وكان لابد لمن لم يكونوا من التلاميذ فى أثناء خدمة الرب يسوع على الأرض أن يرجعوا إلى الرسل الذين كانوا مع السيد المسيح،



وعاشوا أحداث تلك الفترة. ونجد تأكيد بولس على أنه رسول فى رسالته إلى أهل غلاطية «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب الذى أقامه من الأموات» (غلاطية ١:١ راجع أيضاً كورنثوس الأولى ١: ١، ورومية ١: ١ – ٧ ، كولوسى ١:١، أفسس ١:١، تيموثاوس الأولى ١:١ ، ٢: ٧ ، تيموثاوس الثانية ١:١ ، ١: ١١، تيطس ١:١).

رســـــول

عُرفت كلمة رسول أساساً من الديانة المسيحية وهى لقب لقائد دينى، ولا سيما فى أوائل عهد المسيحية. وأصل هذه الكلمة ومدلولها وتعبيراتها فى تقاليد دينية مختلفة هى أكثر تعقيداً مما كان يظن عادةً. هذا هو التعريف الذى ذكرته دائرة معارف الأديان.

والكلمة مأخوذة عن الكلمة اليونانية «أبوستولوس Apostolos» وباللاتينية «Apostolus» ومعناها رسول أو مبعوث، وهى تحمل هذا المعنى دنيوياً أو دينياً (أى رسول من قبَل الله)– وقد عرَّف العلامة أوريجانوس «الرسول» فقال: «أى شخص يرسل من قِبَل شخص آخر هو رسول لذاك الذى أرسله» وقد وردت كلمة رسول فى الترجمة السبعينية للعهد القديم بمعنى «أرسل» (راجع تكوين ٤٥: ٥ و٧و٨، ملوك الأول ١٤: ٦) واستُخدمت فى العهد الجديد مرة واحدة فى الرسالة إلى العبرانيين عن الرب يسوع «رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع» (عب ٣: ١) وجاءت مرات عديدة فى إنجيل يوحنا «الذى أرسلنى هو حق...أنا أعرفه لأنى منه وهو أرسلنى» (يوحنا ٧:٢٨و٢٩).

ترد كلمة «رسول» أو «رسل» عشر مرات فى الأناجيل، وفى سفر أعمال الرسل ثمانى وعشرين مرة، وثمانى وثلاثين مرة فى الرسائل، وفى سفر الرؤيا ثلاث مرات، وفى معظمها تشير إلى أناس دعاهم السيد المسيح للقيام بخدمة معينة فى الكنيسة.

وأما أسماء الإثنى عشر رسولاً فهى هذه، الأول سمعان الذى يقال له بطرس واندراوس أخوه، يعقوب بن زبدى، ويوحنا أخوه فيلبس وبرثولماوس، وتوما ومتى العشار، يعقوب بن حلفى ولبّاوُس الملقب تُداوُس، سمعان القانونى ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه.

(إنجيل متى١٠:٢-٤، أنظر أيضا إنجيل مرقس ١٤:٢-١٩، إنجيل لوقا ٦: ١٣ -١٦).

المحتوى

١- بطرس الرسول.

٢- أندراوس الرسول.

٣- يعقوب بن زبدى (انظر بند رقم ١٨ (أ) من هذه الدراسة).

٤- يوحنا البشير.

٥- فيلبس الرسول.

٦- برثولماوس الرسول.

٧- توما الرسول.

٨- متى الرسول.

٩- يعقوب بن حلفى(انظر بند رقم ١٨ ب من هذه الدراسة).

١٠- تداوس الرسول.

١١- القديس سمعان القانوى الغيور.

١٢- يهوذا أخو الرب.

١٣- بولس الرسول.

١٤- متياس الرسول.

١٥- لوقا البشير.

١٦- برنابا الرسول.

١٧- مرقس البشير.

١٨- دراسة عن كل من:

أ- يعقوب بن زبدى.

ب- يعقوب بن حلفى.

جـ- يعقوب الصغير.

د - يعقوب أخو الرب.

هـ- يعقوب أبو يهوذا.

١- بطرس الرسول

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح.

(ب) بطرس فى أورشليم.

(جـ) خدمة بطرس خارج أورشليم.

(د) إرسالية بطرس الأخيرة.

من أوائل من انضموا لاتباع السيد المسيح

وقد أُطلقت عليه عدة أسماء، الاسم العبرانى شمعون (أعمال ١٥: ١٤)، وباليونانية سمعان على اسم أحد أبناء يعقوب ممن كون نسله أحد أسباط إسرائيل، صفا (يوحنا ١: ٤٢) وبطرس، وكل من هذين الأسمين الأخيرين يعنى «صخرة».

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح

بيت صيدا هى مسقط رأس بطرس الرسول، وهى قرية يعمل أهلها بصيد السمك، وتقع على الشاطىء الشمالى لبحر الجليل، وليست بعيدة عن كفر ناحوم (يوحنا ١: ٤٤)، أما أبوه يونا، فلعله كان صياد سمك (يوحنا ١: ٤٢) وهى المهنة التى احترفها بطرس وأخوه أندراوس، وكان تعليمه محدوداً، غير أنه يرجح أنه كان بإمكانه أن يقرأ ويكتب الأرامية، ويتحدث قليلاً باليونانية التى كانت تستخدم على نطاق واسع فى المدن العشر (ديكا بوليس) ولو أنه كان يتحدث بلهجة جليلية (متى ٢٦: ٧٣) وكان بطرس وأندراوس شريكين فى أعمال صيد السمك مع زبدى وابنيه يعقوب ويوحنا (لوقا ٥: ٧ و ١٠). وعند اتباعه ليسوع أقام بطرس فى كفر ناحوم (مرقس١: ٢١-٢٩) وكان متزوجاً (مرقس ١: ٣٠)، وصحبته زوجته فى إحدى الإرساليات التى قام بها (كورنثوس الأولى ٩ : ٥).

وكان بطرس وشركاؤه من أتباع يوحنا المعمدان، الذى كان أول من لفت نظرهما إلى يسوع، وحين قُدم بطرس إلى يسوع عن طريق أخيه أندراوس، أطلق عليه يسوع اسم صفا (اسم أرامى) أو بطرس (اسم يونانى) وكلاهما يعنى «صخرة» للإشارة إلى أنه عوض أن يكون له طبع شمعون العنيف المتقلب (تكوين ٤٩ : ٥-٧) سوف يكون ثابتاً كالصخرة (يوحنا ١: ٤٢).

وتشير الأناجيل المتشابهة إلى أن السيد المسيح دعا بطرس وأندراوس أخاه بينما كانا يلقيان شبكة فى البحر، ليصيرا صيادَين للناس (مرقس١: ١٦ - ٢٠). ويصور لوقا البشير تلك الدعوة على نحو خاص بأنها كانت تشكل أهمية خاصة عند بطرس الرسول الذى كان يشعر تماماً بخطيته، بالإضافة إلى أنه لم يكن واثقاً من قدرته على اتباع الرب غير أن يسوع شجعه، ومنذ ذلك الوقت كرَّس بطرس نفسه كليةً لخدمة الرب يسوع.

ونجد اسم بطرس الرسول يتصدر قوائم أسماء الرسل كما وردت فى الأناجيل المتشابهة، وسفر أعمال الرسل (راجع متى ١٠: ٢ - ٤، مرقس ٣: ١٦-١٩، لوقا ٦ : ١٤ - ١٦ وأعمال ١: ١٣-١٤)، وكان بطرس هو المتحدث والمعبِّر عن مشاكل وآمال جماعة الرسل، واعترافه العظيم: «أنت هو المسيح ابن الله الحى» (متى ١٦: ١٣-٢٠)، ونظيره فى(يوحنا ٦: ٦٧-٦٩) يبلور موقف تلاميذ يسوع فيما كانوا يدخلون الطريق إلى الصليب.

كان بطرس أول من كرز بالرسالة الجديدة لليهود فى يوم الخمسين (أعمال ٢: ١٤)، وللأمم فى بيت كرنيليوس (أعمال ١٠: ٣٤)، ووعد السيد المسيح لبطرس تضمن تورية بالألفاظ: «وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس» (قطعة من الصخر) «وعلى هذه الصخرة (على هذه النوعية من الصخر) أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» ولم يبنِ السيد المسيح الكنيسة على بطرس، بل على الطبيعة الجديدة التى تشبه الصخر

والتى يعتزم أن يخلقها فى تلاميذه.

طلب السيد المسيح من بطرس ويوحنا أن يعدا الفصح (لوقا ٢٢: ٨) وكان بطرس أحد التلاميذ الثلاثة الذين اختيروا للسهر مع يسوع فى جثسيمانى (متى٢٦:٣٧-٤٦).

وأنكر بطرس السيد المسيح ثلاث مرات عندما قُبض عليه (راجع يوحنا ١٨: ١٥، متى ٢٦: ٥٨ و٦٩- ٧٥، مرقس ١٤: ٦٦ - ٧٢، لوقا ٢٢: ٥٤-٦٢، يوحنا ١٨: ١٥- ١٨ و ٢٥ - ٢٧). وإذ أدين فى الحال بنظرة من يسوع، ترك بيت رئيس الكهنة وندم بدموع غزيرة، وربما شهد أحداث صلب المسيح (بطرس الأولى٢: ٢١- ٢٤، ٥: ١) وإن كانت الأناجيل لم تذكر ذلك.

وحين أخبرت مريم المجدلية باكراً فى صباح القيامة أن القبر خالٍ، أسرع بطرس ويوحنا بالذهاب إلى القبر للتحقق من الأمر، فنظرا الأكفان موضوعة، بينما لم يجدا الجسد (يوحنا ٢٠: ١ - ١٠)، وقد ظهر السيد المسيح لبطرس(كورنثوس الأولى ١٥:٥، لوقا٢٤: ٣٣- ٣٤).

(ب) بطرس فى أورشليم

بعد صعود الرب يسوع المسيح تجمَّع التلاميذ فى عُلية للصلاة، منتظرين عطية الروح القدس التى وُعدوا بها، اقترح بطرس اختيار واحد ليحل بدلاً من يهوذا حتى يصبح عدد الرسل كاملاً، وفى يوم الخمسين كرز بالرسالة الأولى للجماهير التى كانت مجتمعة، معلناً أنه يتعين عليهم أن يتوبوا ويعتمدوا باسم الرب يسوع المسيح.

وقد تجدد فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس (أعمال ٢: ١٤ - ٢٢) وكانت تلك بداية ميلاد الكنيسة المسيحية.

عمل بطرس معجزات عظيمة (أعمال ٣: ١-١٠ ، ٥: ١٢- ١٦) ودافع عن رسالة المسيح أمام السنهدريم (أعمال ٤: ١٥- ١٢)، واشترك فى المجمع الذى كان يناقش حرية الأمميين(١٥: ٦ -١١).

(جـ) خدمة بطرس خارج أورشليم

حين نشب الاضطهاد ضد الكنيسة فى أورشليم على أثر رجم استفانوس، أرسل الرسل الذين فى أورشليم فى طلب بطرس ويوحنا لكى يتوجها إلى السامرة. وكان فيلبس قد سبقهما إلى هناك، وكان يكرز لهم بالمسيح، فقبلوا كلمة الله. قام بطرس بالكرازة فى المدينتين الساحلتين لدة ويافا، وشفى إينياس، وأقام طابيثا من الموت (راجع أعمال ٩: ٣٢ - ٤٣)، وكرز فى سهل سارون الساحلى، واستجابة لرؤيا بدأ فى الكرازة وتعميد الأمميين، حيث استدعاه كرنيليوس قائد مئة من الكتيبة التى تدعى الايطالية(أعمال ١٠: ١- ٤٥).

شخصية بطرس الرسول

كان بطرس الرسول من النمط الريفى، وكان نشيطاً، قوياً، صريحاً، جريئاً، مندفعاً، انبساطياً، وكان كثير الكلام، محباً للاستطلاع، عاطفياً إلى حد ما، حاد الطبع، مخلصاً لأصدقائه، متشدداً مع أعدائه، واثقاً تماماً فى نفسه، وكان يتميز بقدرة طبيعية عظيمة على القيادة بسبب طبيعته الحماسية.

(د) إرسالية بطرس الأخيرة

انعقد مجمع أورشليم فى منتصف القرن الأول (نحو عام ٥٠م) وقد سافر بطرس إلى أنطاكية بعد انعقاد المجمع مباشرة، ولم يُذكر سوى القليل عن بطرس فيما بين سنة ٥٠ م، وختام فترة العهد الجديد، ويشير بولس الرسول إلى أسفاره فى (كورنثوس الأولى ٩: ٥) وما ذكره بولس عن أن البعض

يقولون: «أنا لصفا» (كورنثوس الأولى١:١٢) يبدو إنها تشير إلى أن بطرس كان معروفا هناك (فى كورنثوس) والجهة التى أُرسلت إليها رسالة بطرس الأولى(١: ١) تشير إلى أنه ربما كان قد كرز فى مجامع الشتات فى شمالى أسيا الصغرى، ويُستشف من الرسالة الثانية أنه كان يتوقع وفاة فجائية وقد تكون عنيفة (بطرس الثانية ١: ١٢ - ١٥) وهذا ما يتفق مع نبوة يسوع (يوحنا ٢١: ١٨- ١٩).

وتبين الرسالة الأولى التى كتبها أنه كان كارزاً نشيطاً حتى وفاته، وأنه قام بإرسالية واسعة النطاق فى العالم الرومانى.

أما عن وصول بطرس الرسول إلى روما، فهذا الأمر محل جدل، فلا يوجد دليل على أنه أسس الكنيسة هناك، وأنه قام بخدمتها لربع قرن من الزمان حتى استشهاده، ولو أنه كان مقيماً فى روما فى الفترة ما بين سنتىْ ٢٥، ٦٥م فيكون أمراً غير مفهوم أن يكتب بولس إلى الرومانيين دون أن يشير إليه، وألاَّ تكون ثمة إشارة إلى وجوده هناك فى سفر أعمال الرسل لو كان موجوداً بالمدينة حين كان بولس بها. (موسوعة وكلف الكتابية: تينى ميريل Tinny Merril).

واستشهاد بطرس بروما يعتمد على شهادة متأخرة، فقد ذكر ايريناوس (نحو سنة ١٨٠ م) أن بطرس وبولس كرزا فى روما ووضعا أساس الكنيسة، ويشير ترتليانوس (ترتليان) (نحو سنة ٢٠٠ م) إلى استشهاد بولس وبطرس فى روما، لكنه لايذكر دليلاً وثائقياً، وأكَّد أوريجانوس أن بطرس زار روما أخيراً، وأنه صُلب ورأسه منكس إلى أسفل (نقلاً عن يوسابيوس: تاريخ الكنيسة).

٢- أندراوس الرسول

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح.

(ب) كرازة أندراوس الرسول.

(جـ) استشهاد القديس أندراوس.

(أ) نشاته واتباعه للسيد المسيح

أندراوس هو ابن يونا و أخو سمعان بطرس، وهو أصلاً من مدينة بيت صيدا التى تقع على الشاطىء الشمالى لبحر طبرية (أو عبر الجليل) فى منطقة الجليل شمالى فلسطين، وفى شبابه سكن فى مدينة كفر ناحوم على الشاطىء الغربى لبحر الجليل، وكان يشتغل صياداً للسمك مع أخيه سمعان، وكان أحد تلاميذ يوحنا المعمدان.

بعد أن اعتمد الرب يسوع من يوحنا المعمدان، وبعد عودته من البرية التى جُرِّب فيها بأيام قليلة كان أندراوس هو ويوحنا بن زبدى واقفين مع يوحنا المعمدان معلمهما على ضفاف نهر الأردن عندئذ «نظر يوحنا المعمدان يسوع ماشياً فقال هوذا حمل الله الذى يرفع خطايا العالم».

فلما سمع أندراوس ويوحنا كلام معلمهما عن يسوع بدآ يسيران وراء يسوع «فالتفت يسوع ونظرهما يتبعانه، فقال لهما ماذا تطلبان؟ فقالا ربى - الذى تفسيره يا معلم - أين تمكث؟ فقال لهما تعاليا وانظرا فأتيا ونظرا أين كان يمكث، ومكثا عنده ذلك اليوم» (انظر يوحنا ١:٢٩-٣٥-٣٩).

وقد عبَّر أندراوس عن اكتشافه لشخصية المسيح بأن ذهب إلى أخيه سمعان قائلاً «قد وجدنا مسيا» (يوحنا١: ٤١).

وبهذه العبارة القصيرة شهد أندراوس للمسيح الذى تذوق واختبر معرفته، وبهذه العبارة أيضاً جاء بأخيه سمعان إلى المسيح ، بل ربما يكون أندراوس هو الذى عرَّف فيلبس بالمسيح، لأن فيلبس كان من مدينة صيدا التى هى مدينة أندراوس وبطرس أيضاً، وهذا ما يشير إليه إنجيل يوحنا بطريقة غير مباشرة عندما يتحدث عن لقاء فيلبس مع المسيح لأول مرة (راجع يو١: ٤٣ و ٤٤).

ولما بدأ المسيح خدمته الجهارية فى الجليل بعد سجن يوحنا المعمدان.« وإذ كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل أبصر سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخاه يلقيان شبكة فى البحر فإنهما كانا صيَّادَين، فقال لهما هلم ورائى فأجعلكما صيادى الناس، فللوقت تركا الشباك وتبعاه » (متى٤:١٨- ٢٠ ، لو٥:١-١١).

(ب) كرازة أندراوس الرسول

بحلول الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين، امتلأ أندراوس من الروح القدس مع بقية التلاميذ، وكان معهم فى أورشليم يشهد للمسيح ويحتمل الإهانات والجلد والسجن لأجل اسم يسوع بفرح وشكر (أع ٥: ٤١، ٤٢).

وبعد أن قضى عدة سنوات فى أورشليم مع الرسل ، قاده الروح القدس ليذهب للكرازة فى منطقة **« سكيثيا » التى تقع فى تلال القوقاز شمالى البحر الأسود**، وقد ورد اسم سكيثيا فى العهد الجديد عندما أشار الرسول بولس إلى بعض أنواع الأجناس عندما قال « حيث ليس يونانى ويهودى بربرى سكيثى.. بل المسيح الكل وفى الكل (كو ٣:١١) وفى سكيثيا بشَّر أندراوس بالمسيح وآمن كثيرون من أهل سكيثيا على يديه، ولأن **سكيثيا تقع جنوبى روسيا ، لذا فقد اتخذته روسيا ـ فيما بعد ـ القديس الخاص بها الذى أوصل الإيمان بالمسيح إلى أراضيها**.

صليب القديس اندراوس

ويقال إن الصليب الذى صُلب عليه أندراوس لم يكن على شكل صليب المسيح، ولكن على شكل حرف X ولذلك فهناك نوع من الصلبان ترسم إلى الآن بهذا الشكل وتُعرف بصليب القديس اندراوس.

وبعد سكيثيا عاد أندراوس إلى أسيا الصغرى وذهب إلى منطقة بالقرب من البحر الأسود يسكنها قوم من آكلى لحوم البشر، حيث بشرهم بالمسيح، هو و القديس متياس الرسول، وهناك فى مدينة سينوب قبضوا عليه وألقوه فى السجن، ولكن الله أنقذه من أيديهم قبل أن يأكلوه حياً.

وتذكر بعض المصادر أنه بَشَّر أيضاً بين البارثيين قرب البحر الأسود مع برثولماوس (انظر فرتيون أعمال٢:٩).

ومن أسيا الصغرى « ذهب أندراوس إلى بيزنطية (التى صارت فيما بعد القسطنطينية ـ استانبول حالياً).

وهناك بشَّر بالمسيح، ويقول تقليد كنيسة بيزنطية أنه رَسم أسقفاً للمدينة اسمه « ستافس »، واستمر أندراوس فى تلك المنطقة من أسيا الصغرى يرسم أساقفة وقسوساً ويكرز بإنجيل المسيح المخلص، **ولذلك تعتبر كنيسة القسطنطينية أن أندراوس هو مؤسسها**.

(جـ) استشهاد القديس أندراوس

ومن بيزنطية أكمل أندراوس رحلته التبشيرية إلى بلاد اليونان حيث سافر إلى « تراس، ومكدونية » وعبر خليج كورنثوس إلى منطقة « باتراس » جنوبى اليونان حيث بشَّر بالمسيح طوال الفترة الأخيرة من حياته ، وآمن كثيرون بالمسيح على يديه، ومن بين الذين آمنوا هناك زوجة والى باتراس

«إيجاتيس» الوثنى وكانت تدعى «فاكسيميللا» فاغتاظ الوالى من أندراوس وحكم عليه بالسجن وأمر بصلبه، وبعد أن جُلد أندراوس عارياً رُبط فى الصليب بحبال غليظة، وظل معلقاً على الصليب بالحبال لعدة أيام، وكان يبشر ويعظ الجموع وهو على الصليب وبعد أن فاضت روحه بين يدىْ الرب أخذ المؤمنون فى باتراس جسد القديس أندراوس ودفنوه هناك.

وتقول بعض المصادر إن عظام ذراع أندراوس نقلت إلى اسكتلندا فى القرن الخامس، ودُفنت فى مكان سُمى فيما بعد باسم «القديس أندراوس» **ولذلك اعتبرت اسكتلندا أندراوس قديساً خاصاً بها. وصار «صليب اندراوس X هو الرمز الرسمى لاسكتلندا المسيحية».**

٣- يعقوب بن زبدى

انظر بند رقم ١٨ من هذا الفصل.

٤- يوحنا البشير

(أ) كرازة يوحنا الرسول.

(ب) يوحنا فى أفسس.

(جـ) يوحنا فى جزيرة بطمس.

(د) عودة يوحنا من بطمس إلى أفسس.

(هـ) أيام يوحنا الأخيرة وانتقاله.

كان يوحنا أول من جاء من الرسل إلى القبر فى أحد القيامة، وهو الوحيد من الرسل الذى آمن أن يسوع قام بمجرد أنه رأى الأكفان موضوعة والمنديل ملفوفاً فى موضع وحده .. أى قبل أن يظهر يسوع للتلاميذ بعد القيامة (يو ٢٠:٨).

كان يوحنا مع الرسل حاضراً لكل ظهورات السيد المسيح التى فيها أظهر نفسه لتلاميذه، وفى الظهور الثالث لجماعة الرسل على بحر طبرية بعد أن تحدث الرب يسوع مع بطرس وأخبره عن أنه سيربط ويحمل إلى حيث لايشاء متنبئاً بالميتة التى كان سيموت بها بطرس بعد ذلك، قال يسوع لبطرس عن يوحنا «إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجىء فماذا لك»، اتبعنى أنت فذاع هذا القول بين الإخوة إن ذلك التلميذ أى-يوحنا لا يموت-(يوحنا ٢١: ١٨ - ٢٣).

أ - كرازة يوحنا الرسول

وبعد يوم الخمسين وبعد أن امتلأ يوحنا مع الرسل بالروح القدس، كان يوحنا مع بطرس يتقدمان الرسل فى الشهادة لقيامة المسيح أمام رؤساء اليهود.

واشتركا معاً فى إقامة الرجل الأعرج عند باب الهيكل الذى يقال له الجميل، وحُبسا معاً فى السجن (أع ٣ ، ٤)، ولما قبل أهل السامرة بشارة الإنجيل بواسطة فيلبس الخادم (الشماس)، أرسل الرسل بطرس ويوحنا إلى السامرة فصلّيا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس ووضعا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس.

ويخبرنا كاتب الرسالة إلى أهل غلاطية أن يوحنا وبطرس ويعقوب كانوا هم أعمدة الكنيسة فى أورشليم (غلاطية ٢: ٩).

ب - يوحنا فى افسس

ظل يوحنا الرسول مقيماً فى أورشليم مع مريم العذراء لرعايتها حسب وصية السيد المسيح له، وكان يوحنا غير متزوج، وظل يخدم العذراء ويرعاها حتى انتقالها، ثم بعد عدة سنوات أخرى انتقل يوحنا الرسول من أورشليم إلى مدينة أفسس فى أسيا الصغرى، وكان ذلك قبل خراب أورشليم

الذى حدث فى سنة ٧٠ م.

وصار راعياً لكل الكنائس فى أسيا، وتظهر علاقته بكنائس أسيا من الرسائل التى أرسلت بواسطته إلى السبع الكنائس التى فى أسيا وأولها كنيسة أفسس(سفر الرؤيا ١ : ٤).

بقى يوحنا الرسول معظم السنوات التى تلت خروجه من أورشليم فى مدينة أفسس، وقد عاش يوحنا إلى شيخوخة متقدمة إذ عاش بضعاً وتسعين عاماً، وهو الوحيد من بين الرسل الذى لم يمت ميتة عنيفة.

ويشهد القديس إيريناوس أسقف ليون فى القرن الثانى الذى موطنه الأصلى من أسيا والذى كا ن تلميذاً ليوحنا الرسول، يشهد عن استماعه لتعليم يوحنا فى أفسس، ويقول إن يوحنا عاش هناك إلى زمن الإمبراطور تراجان أى إلى حوالى سنة ١٠٠ م أو أكثر. كما يشهد لخدمة يوحنا الرسول فى أفسس كل آباء الكنيسة والتقليد الكنسى من القرن الأول حتى القرن الخامس، فشهد بذلك كليمندس الاسكندرى وأبولونيوس وبوليكريتوس من القرن الثانى، كما شهد بذلك أيضاً أوريجانوس وترتليانوس ويوسابيوس وايرونيموس فى القرون الثالث والرابع والخامس. إن ما دعا يوحنا الرسول للذهاب إلى أفسس غالباً هو استشهاد الرسوليين بطرس وبولس نحو ٦٧م. وذلك لرعاية الكنيسة التى صارت معرضة لأخطار شديدة من الداخل ومن الخارج، فمن أفسس يستطيع الرسول أن يرعى ويشرف على جميع الكنائس ، وفى نفس الوقت يستطيع أن يتتبع الأفكار المنحرفة والبدع الناشئة، عن قرب، لحفظ المؤمنين منها، ولتثبيتهم فى حق المسيح.

وهكذا صارت أفسس بمجهودات بولس ثم يوحنا من بعده هى المسرح الرئيسى لمسار تاريخ الكنيسة فى النصف الثانى من القرن الأول وطوال القرن الثانى.

كان يوحنا الرسول هو الوحيد من الرسل على قيد الحياة الذى يستطيع أن يكمل عمل الرسولين بطرس وبولس، ويعطى الكنيسة تلك الوحدة الصلبة التى تحتاجها الكنيسة لحفظ نفسها وبقائها مع مواجهة الاضطهاد المستمر من الخارج، وفى مواجهة الأفكار المنحرفة والفساد من الداخل.

جـ - يوحنا فى جزيرة بطمس

أمر الإمبراطور دوميتيان نحو سنة ٩٥م بنفى يوحنا الرسول إلى جزيرة بطمس. **وهى جزيرة قاحلة وحجرية ولم يكن بها سكان تقريباً، تقع فى بحر إيجة، جنوبى غرب أفسس، وهى الجزيرة التى سجلها فى سفر الرؤيا الذى يختم أسفار العهد الجديد.** وهذا السفر يحوى إعلانات الروح له بخصوص صراعات المسيحية فى العالم، وانتصارات المسيح الحمل الغالب، و تشهد لنفى يوحنا فى بطمس وكتابته لسفر الرؤيا فيها، جميع مصادر التقليد الكنسى القديم.

د - عودة يوحنا من بطمس إلى أفسس

رجع يوحنا الرسول إلى أفسس من منفاه فى بطمس بعد وفاة الإمبراطور دوميتيان فى سنة ٩٦م وذلك فى أيام الامبراطور نرفا، وأقام فى أفسس، وهناك كتب رسائله الثلاث والإنجيل المعروف باسمه، ولذلك سُمى بالإنجيلى. وقد سجل فى هذا الإنجيل حياة السيد المسيح بكل ملء شخصيته الإلهية الإنسانية كتجسيد ومنبع للحياة الأبدية لكل من يؤمن به. ويتميز إنجيل يوحنا بالإعلان الواضح عن محبة الله للعالم وبذل ابنه الوحيد يسوع المسيح لأجل خلاص الإنسانية، كما يتميز بالتأثير الواضح على ألوهية المسيح ووحدته مع الآب بدون انفصال، بالإضافة إلى تميزه بالحديث عن الروح القدس المعزى كما نقله من فم الرب يسوع المسيح فى حديثه وقت العشاء الأخير.

أما رسائله - بخاصة الرسالة الأولى - فهى التطبيق العملى

للإنجيل وذلك بالإلحاح على الإيمان بأن يسوع هو ابن الله، ثم التأكيد المتكرر على وصية المحبة «وهذه هى وصيته: أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصية» (١يو ٣: ٢٣).

هـ - أيام يوحنا الأخيرة وانتقاله

يخبرنا القديس ايرونيموس نقلاً عن تقليد كنيسة أفسس أن يوحنا التلميذ المحبوب تقدمت به الشيخوخة جداً حتى إن التلاميذ كانوا يحملونه إلى الكنيسة، وحينما يجلس هناك كان يقول فى كل مرة «يا أولادى الصغار، أحبوا بعضكم بعضاً، وعندئذ سأله الإخوة لماذا يكرر نفس الكلمات، فقال لهم «لأن هذه هى وصية الرب، وإن تممتم هذه الوصية فهى تكفى» وقبل انتقاله من الجسد أقام يوحنا عدداً من الأساقفة فى أفسس وكنائس أسيا، وانتقل يوحنا إلى الراحة الأبدية فى سنة ١٠٠م وله من العمر نيف وتسعين عاماً.

٥- فيلبس الرسول

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح.

(ب) كرازته.

فيلبس الرسول هو أحد الإثنى عشر تلميذاً الذين اختارهم الرب يسوع المسيح ليكونوا معه وليرسلهم للكرازة ببشارة الخلاص والحياة الأبدية.

(أ) نشاته واتباعه للسيد المسيح

كان فيلبس من مقاطعة الجليل من مدينة بيت صيدا، كما يذكر الإنجيل حسب يوحنا عن نشأته واتباعه للمسيح هكذا «فى الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلبس فقال له اتبعنى، وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة أندراوس وبطرس، فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء يسوع بن يوسف الذى من الناصرة فقال له نثنائيل أمن الناصرة يمكن أن يكون شىء صالح، قال له فيلبس تعال وانظر» (يوحنا ١: ٤٣- ٤٦)

وهكذا نرى أن السيد المسيح وَجّه الدعوة مباشرة إلى فيلبس «اتبعنى» واستجاب فيلبس لدعوة المسيح، واكتشف فيلبس بملاقاته بشخص السيد المسيح أنه قد وجد المسيا الذى كان يبحث عنه بحسب نبوات موسى والأنبياء، وكان لملاقاة المسيح تأثير قوى فعّال على نفس فيلبس، ولذلك فإنه بعد أن تبع السيد المسيح دعا صديقه نثنائيل ليأتى ويؤمن بالمسيح الذى سبق أن عرفه فيلبس، ولما اعترض نثنائيل متسائلاً «أمن الناصرة يمكن أن يكون شىء صالح» فإن فيلبس لم يرد على الاعتراض بالمجادلة بل بالدعوة للتعرف الشخصى إذ قال له «تعال وانظر» أى تعال لتنظر بنفسك وتعرف المسيح كما عرفته أنا.

(ب) كرازته

كان فيلبس مع التلاميذ فى العلية بعد صعود السيد المسيح إلى السماء، ووقت حلول الروح القدس عليهم، وبقى مع الرسل فترة يبشر فى أورشليم ويحتمل الآلام من أجل البشارة بالمسيح.

وبعد ذلك قاد الروح القدس فيلبس إلى مقاطعة فريجية بأسيا الصغرى، وهناك بشّر بالمسيح فى مدينة هيرابوليس القريبة من مدينتى كولوسى ولاودكية، وظل فيلبس يبشر لفترة طويلة من الوقت فى تلك المنطقة، وآمن كثيرون بالمسيح بواسطة كرازته، وتذكر بعض المراجع التاريخية القديمة أنه بشّر أيضاً فى مقاطعة سيكيثيا (جنوبى روسيا الحالية على ساحل البحر الأسود)، ثم رجع مرة أخرى إلى مدينة هيرابوليس، وكان أهل مدينة هيرابوليس مأسورين بعبادة أفعى عظيمة كانوا يسمونها المشترى فلما رأى فيلبس حالتهم هذه أشفق عليهم من الضلال الذين هم عليه، ولذلك أمر الأفعى باسم

المسيح أن تختفى، وفى الحال زحفت الأفعى من تحت مذبح الأوثان وهى تنفث سماً قاتلاً من فمها مما تسبب فى موت بعض الناس الذين كانوا موجودين حينذاك ومن بينهم ابن الملك، ولما رأى الرسول فيلبس ماحدث أمسك بابن الملك بين يديه وصلّى، وباسم المسيح أقامه من الموت، فلما رأى كهنة الأوثان ما حدث اغتاظوا جداً، وقاموا بالقبض على فيلبس وقيدوه وعلقوه على صليب، وصاروا يرجمونه بالحجارة، وهكذا أسلم روحه وهو يصلى من أجل صالبيه وراجميه.

اسفار فيلبس - استشهاده

ذكرت بعض المراجع التاريخية المتأخرة التى ترجع إلى القرن السابع الميلادى وما بعده أن فيلبس الرسول بشّر أيضاً فى بلاد الغال (فرنسا حالياً)، ولكن هذا الأمر يفتقر إلى البراهين الأكيدة، وإن كان من المعروف أن أهل الغال هم أصلاً مهاجرون من غلاطية فى أسيا الصغرى بالقرب من هيرابوليس، فمن المحتمل أن يكون قد ذهب إلى فرنسا بعد ذهابه إلى منطقة فريجية وغلاطية. وذلك عن طريق الصلات القائمة بين أهل الغال ومنبعهم الأصلى فى غلاطية، ولكن يظل هذا احتمالاً معقولاً ولكنه غير مؤكد تاريخياً، وإذا كان صحيحاً أن فيلبس ذهب إلى بلاد الغال وبشر هناك، ففى هذه الحالة لابد أن يكون قد رجع ثانية إلى هيرابوليس وأكمل خدمته فيها حتى أستشهد هناك فإن كل المراجع التاريخية منذ القرن الثانى الميلادى تؤكد أن فيلبس أستشهد فى هيرا بوليس وأنه دفن هناك.

فيذكر القديس بوليكريتوس أسقف أزمير فى القرن الثانى قائلاً «إن فيلبس أحد الإثنى عشر يرقد فى هيرابوليس».

✣ ✣ ✣ ✣

٦- برثولماوس الرسول (نثنائيل)

(أ) اتباعه للسيد المسيح.

(ب) كرازته.

(جـ) تبشيره فى أرمينيا والهند.

(د) استشهاده.

(أ) اتباعه للسيد المسيح

برثولماوس هو أحد الإثنى عشر تلميذاً الذين اختارهم الرب يسوع له المجد ليكونوا رسلاً كارزين بإنجيل الخلاص، ويرد اسمه فى قائمة الإثنى عشر رسولاً فى إنجيل متى (١٠: ٣)، وفى إنجيل لوقا (٦: ١٤). وفى سفر أعمال الرسل (١: ١٣). وكلمة برثولماوس ترجمة لاسم أرامى ويعنى «**ابن تلماوس**» ولكن يذكره الرسول يوحنا فى الإنجيل الذى كتبه باسم «نثنائيل» ولا يذكره أبداً باسم «برثولماوس»، وهو الشخص الذى وجده فيلبس وقال له «وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء يسوع... الذى من الناصرة، فقال له نثنائيل أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟ فقال له فيلبس تعال وانظر». (انظر المادة السابقة).

«ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه فقال عنه هوذا اسرائيلى حقاً لاغش فيه، قال له نثنائيل من أين تعرفنى؟ أجاب يسوع وقال له: قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك، أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك اسرائيل، أجاب يسوع وقال له هل آمنت لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت التينة، سوف ترى أعظم من هذا» (يوحنا ١: ٤٥ - ٥٠).

ويلاحظ أن برثولماوس يأتى اسمه فى الأناجيل الثلاثة الأولى مرتبطاً بفيلبس، كما أن إنجيل يوحنا يكشف بوضوح

العلاقة الخاصة التى ربطت فيلبس بنثنائيل، وهذا هو ما أدى إلى الاعتقاد بأن برثولماوس هو نفسه نثنائيل.

ب ـ كرازته

استمر برثولماوس ضمن مجموعة الإثنى عشر رسولاً ملازماً الرب يسوع أيام حياته حتى يوم الصليب، وكذلك بعد قيامة الرب من بين الأموات وظهوره لهم حيًّا عدة مرات بعد قيامته، وكان معهم يوم صعود الرب إلى السماء، وكان مع الرسل فى العلية حينما كانوا يواظبون على الصلاة بنفس واحدة فى انتظار موعد الروح القدس.

وفى يوم الخمسين امتلأ مع جماعة الرسل من الروح القدس، وكان يشهد للمسيح معهم واحتمل لأجل اسم يسوع الإهانات والجلد والسجن بفرح وشكر (أعمال ٥: ٤١-٤٢).

بعد ذلك قاد الروح القدس برثولماوس مع فيلبس للكرازة فى مقاطعة فريجية بأسيا الصغرى.

حيث بشرا فى مدينة هيرابوليس القريبة من كولوسى ولاودكية، وهناك آمنت زوجة الوالى الرومانى بالمسيح بعد أن شُفيت بصلاة الرسولين برثولماوس وفيلبس، وقد أدى إيمان زوجة الوالى بالمسيح إلى غضب الوالى الشديد عليهما، فأمر بقتلهما صلباً، وفعلاً صُلب القديس فيلبس الرسول أما برثولماوس فبعد أن ربطوه بالصليب، قاموا بعد ذلك بحلّه وأنزلوه من على الصليب وطردوه من المدينة، فذهب شرقاً إلى مقاطعة ليكاؤنية التى يؤكد القديس يوحنا ذهبى الفم- فى عظته على الاثنى عشر رسولاً - أنه بشَّر شعبها بالمسيح.

جـ تبشيره فى أرمينيا والهند

وبعد ذلك ذهب برثولماوس الرسول شرقاً إلى بلاد أرمينيا والهند حيث بشَّر الوثنيين بالمسيح، وتذكر مصادر تاريخ الكنيسة الأرمينية أنه ذهب إلى أرمينيا فى سنة ٦٠م قبل استشهاد القديس تَّداوس الرسول وبشَّر هناك بالمسيح.

واستمر القديس برثولماوس يكرز بالمسيح فى المنطقة التى تقع إلى الطريق الجنوبى الشرقى من بحر قزوين والتى كانت تُعرف فى العصور القديمة على أنها جزء من بلاد الهند، لهذا السبب فإن مراجع التاريخ فى القرون المسيحية الأولى تذكر أن الرسول برثولماوس بشَّر فى بلاد أرمينيا والهند وفارس، فيذكر يوسابيوس المؤرخ الكنسى الشهير فى القرن الرابع أن القديس بنتينوس مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ذهب فى رحلة تبشيرية إلى الهند نحو سنة ١٨٠م فى أيام القديس ديمتريوس أسقف الإسكندرية وأنه وجد هناك (أى فى تلك البلاد التى كانت تسمى حينئذ بلاد الهند) مسيحيين عرف منهم أن برثولماوس الرسول هو الذى بشَّر هناك بالمسيح وأنه أى القديس برثولماوس، ترك عندهم نسخة من إنجيل القديس متى باللغة العبرانية، وأن

استشهاد القديس برثولماوس

تذكر مخطوطة «استشهاد القديس برثولماوس» التى وُجدت باللغة الأثيوبية (فى سنة ١٩٠٧م والمحفوظة بالمتحف البريطانى) أن ملك بلاد أرمينيا المسمى أغرياس أمر بوضعه فى جوال مملوء بالرمال وطرحه فى البحر، وهكذا نفذوا أمر الملك، وكان ذلك فى سنة ٦٨ م، ويذكر تقليد كنيسة أرمينيا أن قبر الرسول موجود فى نفس المدينة (ديربند) حيث استشهد، أما عظامه فقد نُقلت إلى العراق فى مدينة تسمى دوراس، وكان ذلك فى القرن السادس، وبعد ذلك نقلت إلى جزيرة التيبر بروما حيث أقيمت هناك كنيسة باسم القديس برثولماوس، فى القرن العاشر وذلك بحسب تقليد كنيسة روما، أما رأس القديس فهى موجودة فى دير «كاراكللو» بجبل أثوس باليونان.

القديس بنتينوس أحضر معه هذا الإنجيل عند عودته إلى الإسكندرية.

د - استشهاده

يذكر القديس چيروم أن برثولماوس بشّر فى أرمينيا، ويذكر كتاب «التاريخ الرسولى» لمؤلفه عبديا السريانى أن الله صنع على يدىْ برثولماوس عجائب كثيرة هناك أثناء تبشيره بالمسيح وآمن كثيرون على يديه وشفيت ابنة ملك مدينة «ألبانابوليس» التى هى الآن «ديربند»، وتقع الآن جنوبى روسيا، وخرج منها الروح الشرير مما أثار حنق كهنة الأوثان عليه بشدة، وآمن الملك وكثيرون معه، وعمّدهم برثولماوس، ولكن كهنة الأوثان أثاروا شقيق الملك على الملك وعلى برثولماوس، فقام شقيق الملك ويسمى «أستيجاس» بالقبض على القديس برثولماوس وأمر بضربه وتعذيبه فقاموا بسلخ جلده حيًا وصلبوه، فاستشهد هناك.

٧ - توما الرسول

أ - نشأته.

ب - كرازته.

أ - نشأته

وُلد بالجليل وكان صياداً واختاره الرب يسوع أحد الاثنى عشر ليكون صياداً للناس، فهو الذى قال للتلاميذ عندما كان الرب ذاهباً لإقامة لعازر «لنذهب نحن أيضاً لكى نموت معه»(يوحنا ١١:١٦) وكذلك عندما قال المسيح «فى بيت أبى منازل كثيرة وإلا فإنى كنت قد قلت لكم أنا أمضى لأعد لكم مكاناً وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلىَّ حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً، وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق، قال له توما ياسيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟ قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتى إلى الآب إلاَّ بى»(يو١٤:٦٢).

وبعد قيامة المسيح لم يكن توما حاضراً مع الرسل فى مساء أحد القيامة حيث ظهر لهم الرب فى العلية، وعندما عرف من التلاميذ أنهم قد رأوا الرب فقال لهم «إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع أصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أؤمن، وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً داخلاً وتوما معهم، فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى الوسط وقال سلام لكم، ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدىَّ وهات يدك وضعها فى جنبى ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً أجاب توما وقال له ربى وإلهى، قال له يسوع لأنك رأيتنى يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يوحنا ٢٠: ٢٥-٢٩).

ب - كرازته

كان توما الرسول موجوداً مع التلاميذ فى العلية يوم حلول الروح القدس عليهم، ثم بعد ذلك ذهب للكرازة فى بلاد ما بين النهرين وفارس(أى العراق وإيران حالياً) وهناك التقى بالمجوس وعمدهم واشتركوا معه فى البشارة، وبعد أن مكث فترة يخدم فى بلاد فارس ذهب إلى الهند إلى منطقة ملابار بجنوبى الهند. وهناك بشّر بالمسيح وآمن كثيرون بواسطة كرازته وعمّدهم. وتوجد فى سجلات الكنيسة فى الهند أخبار وقصص عديدة عن كرازته والمعجزات التى أجراها المسيح على يديه. وإحدى هذه القصص تفيد أن توما بيع كعبد لملك الهند، ولما سأله الملك عن صناعته أجابه بنّاء، فأعطاه الملك أموالاً ليشيد بها قصراً فخماً، وكان توما يفكر فى قصر سماوى وليس أرضياً، فأخذ الأموال ووزعها على الفقراء، فألقى القبض عليه وأودع فى السجن. فلما مرض شقيق الملك

رأى فى رؤيا الليل قصراً بهياً جداً، وقيل له فى الرؤيا إنه القصر الذى بناه توما، ثم شُفى أخو الملك وبعد ذلك آمن الملك وأخوه، وأطلق لتوما حرية التبشير ولا سيما بعد أن ظهرت خشبة ضخمة على شاطىء البحر لم يستطع كثيرون أن يرفعوها. فاستأذن القديس توما الملك فى رفعها والسماح له ببناء كنيسة من خشبها، فأشار عليها بعلامة الصليب ورفعها وبنى منها الكنيسة. ثم انطلق إلى مدن أخرى فى الهند يبشِّر فيها بالمسيح وهناك قام عليه كهنة الأوثان، وطعنه أحدهم برمح بينما كان يصلى فنال إكليل الشهادة ودُفن جسده فى ملابار ثم نقل إلى أوديسا (الرها).

الكنيسة فى الهند

يتضح من سيرة توما الرسول أن الكنيسة فى الهند تأسست منذ العصر الرسولى. ومنذ القرن الرابع الميلادى كان كرسى أنطاكية يرسل مطارنة وأساقفة لكنيسة ملابار بجنوبى الهند.

ويبلغ عدد المسيحيين بالهند الآن أكثر من (٢٠) مليون مسيحى منهم نحو ٢ مليون بكنيسة الهند السريانية الأرثوذكسية (التى تتحد فى العقيدة مع الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر) وهى كنيسة ناهضة فى العصر الحديث ولها نشاط كرازى فى نواحٍ مختلفة من بلاد الهند. ونحو (١٠) مليون من الكاثوليك، والباقى من مختلف الطوائف المسيحية هناك.

✣ ✣ ✣ ✣

٨- متى الرسول

(أ) نشأته واتباعه للسيد المسيح.

(ب) كرازته.

القديس متى الرسول هو أحد الإثنى عشر رسولاً الذين اختارهم الرب يسوع المسيح ليكونوا تلاميذاً له، وليرسلهم للكرازة ببشارة الملكوت.

(أ) نشاته واتباعه للسيد المسيح

كان متى من الجليل مثل غالبية رسل المسيح، وكان يعمل عشاراً (مت ١٠: ٣) فى مدينة كفر ناحوم، والعشار هو جابى المكوس(الضرائب) والذى كان يعمل لحساب الدولة الرومانية، ولذلك كان العشارون محتقرين، ويعتبرون خطاة فى نظر اليهود.

وبعد أن شفى المسيح الرجل المفلوج فى كفر ناحوم وغفر له خطاياه، خرج يسوع من هناك «وفيما هو مجتاز رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له اتبعنى، فقام وتبعه (مت ٩: ٩). وبعد ذلك يذكر الإنجيل أن متى صنع وليمة للمسيح فى بيته دعا إليها جمعاً كثيراً من العشارين، ولما تذمر الكتبة والفريسيون على المسيح وتلاميذه قائلين: «لماذا تأكلون وتشربون مع عشارين وخطاة»، فأجاب يسوع وقال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩: ١٠ -١٣، لو ٥: ٢٧ - ٣٢).

ومن ذلك الوقت تبع متى المسيح ولازمه مثل بقية الرسل الاثنى عشر، وسمع تعاليمه وحفظها ورأى آياته ومعجزاته، وكان شاهداً لآلامه وقيامته من بين الأموات.

ب - كرازته

كان الرسول متى مع بقية الرسل بعد صعود الرب إلى السماء، فى علية صهيون وقت حلول الروح القدس، وكرز معهم فى أورشليم بين اليهود، واحتمل معهم بفرح الإهانات والجلد والسجن لاسم الرب يسوع، ومثل غالبية الرسل، يبدو أن متى بشَّر فى عدد من البلاد، ونعرف من كتابات الآباء



مثل كليمندس الاسكندرى وايريناوس وغيرهم، أنه بشَّر بالإنجيل بين العبرانيين وقضى نحو ١٥ سنة يبشِّر بين اليهود فى فلسطين وخارجها. وأنه فى خلال هذه الفترة كتب إنجيله باللغة العبرانية لفائدة المؤمنين المسيحيين من أصل عبرانى.

وبعد ذلك ذهب متى الرسول إلى أثيوبيا وبشَّر بالإنجيل هناك حيث تقابل مع الخصى وزير كنداكة ملكة الحبشة الذى كان اعتمد على يد فيلبس الشماس(أعمال ٨: ٣٦ - ٤٠) فرحَّب به الخصى واستضافه فى بيته بترحاب عظيم، وكان هناك فى المدينة ساحران فى المدينة أضلاَّ الناس بسحرهما. وكان الناس يعيشون فى رعب تحت سطوة هذين الساحرين، فغلبهما متى الرسول بالصلاة، وعلامة الصليب وأبطل سحرهما، فآمن كثيرون بالمسيح على يديه، واعتمدوا.

ويذكر فى تاريخ خدمته فى أثيوبيا أنه شفى ابنة الملك التى كانت مريضة بمرض عضال، وكانت تُسمى الأميرة «أفجانيا» فآمنت الأميرة بالمسيح وبعد ذلك نذرت نفسها لحياة البتولية، وتبعها عدد من العذارى كرسن أنفسهن لخدمة المسيح.

ولما مات الملك اغتصب أحدهم المُلك وحاول أن يتخذ الأميرة أفجانيا زوجةً له، فرفضت متمسكة بنذر بتوليتها للمسيح، وحاول الملك المغتصب أن يضغط على الأميرة عن طريق القديس متى فرفض الرسول أن يخضع لأمره، فما كان من الملك إلا أن حرَّض الجند ليضربوا القديس، وفى إحدى المرات بينما كان هو خارج من تقديم عشاء الرب، هاجمه الجند وضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات.

أما الأميرة أفجانيا فحاول الملك أن يخضعها بقوة السحر فلم يستطع، ولما عزم على قتلها، اعتراه مرض عضال، ثم أصيب بالجنون وقتل نفسه.

وقد ذكر كليمندس الإسكندرى من القرن الثانى أن القديس متى كان يعكف كثيراً على الصلاة والصوم، وأنه كان ناسكاً يقتات بالبقول والحبوب.

وقد خدم فى بلاد أثيوبيا حوالى ٢٠ سنة واستشهد فيها.

✣ ✣ ✣ ✣

٩- يعقوب بن حلفى

انظر بند رقم ١٨ من هذا الفصل.

✣ ✣ ✣ ✣

١٠- تدَّاوس الرسول (يهوذا ليس الإسخريوطى)

(أ) خلفية عن وجوده مع الرسل.

(ب) كرازته.

(جـ) استشهاده .

(أ) خلفية عن وجوده مع الرسل

يرد اسمه فى قائمة الإثنى عشر رسولاً بحسب إنجيل متى هكذا: «ولبَّاوس الملقب تدَّاوس»(متى ١٠: ٣) وفى إنجيل مرقس «تدَّاوس» (مرقس٣:١٨) وفى إنجيل لوقا وسفر الأعمال يدعى «يهوذا أخا يعقوب» (لوقا ٦: ١٦، أع ١:١٣) .أما إنجيل يوحنا فيسميه «يهوذا ليس الإسخريوطى» (يو ١٤: ٢٢).

ولا تذكر الأناجيل قصة دعوته لاتباع الرب يسوع مثلما ذُكرت دعوة بطرس ويوحنا وأندراوس ويعقوب ومتى وفيلبس وبرثولماوس، ولكن الأناجيل أوردت اسمه كأحد الرسل الذين عيَّنهم الرب يسوع «ليكونوا معه ليرسلهم ليكرزوا» (مرقس ٣:١٤)، وكلمة «تدَّاوُس» كلمة أرامية معناها «محبوب أو



عزيز»، أما كلمة «لبَّاوس» فهى كلمة عبرية لها نفس المعنى «حبيب».

ويسجل إنجيل يوحنا حواراً حدث بين تَدَّاوُس (يهوذا ليس الإسخريوطى) وبين الرب يسوع، وذلك عندما قال الرب للتلاميذ بعد العشاء فى ليلة صلبه «الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى» عندئذ سأله يهوذا ليس الإسخريوطى، تَدَّاوُس، ياسيد ماذا حدث حتى أنك مزمع أن تظهر لنا ذاتك وليس للعالم، فأجاب يسوع وقال له إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً(يو ١٤: ٢١ - ٢٣).

وكان يهوذا مع الأحد عشر رسولاً فى العلية عندما ظهر لهم يسوع بعد قيامته من الأموات وامتلأ بالفرح معهم لرؤية المسيح الحى. وبعد صعود الرب إلى السماء كان معهم فى العلية (أعمال ١:١٠) مواظبين على الصلاة بنفس واحدة فى انتظار الروح القدس.

(ب) كرازته

بعد حلول الروح وامتلاء تَدَّاوُس بالقوة من الأعالى تحقيقاً لوعد الرب- بعد ذلك بفترة غير طويلة- ترك تداوس أورشليم وبشَّر فى اليهودية والسامرة وفى بلاد سوريا وما بين النهرين (العراق حالياً) وبلاد جنوبى أرمينيا والرها وبلاد فارس.

ويذكر مؤرخو كنيسة أرمينيا أن يهوذا تدَّاوس الرسول هو أول من بشَّر بالمسيح فى أرمينيا، وأنه قضى هناك حوالى خمس عشرة سنة من ٣٥ - ٥٠ م وأن القديس برثولماوس (نثنائيل الرسول) قد ذهب بعده إلى أرمينيا أيضاً حيث بشَّر هناك حتى سنة ٦٠م.

وبعد أرمينيا وأديسا (الرها) ذهب القديس تَدَّاوُس إلى بلاد فارس (فى الجزء الذى كان فى ذلك الوقت ضمن بلاد أرمينيا القديمة وهو الآن جزء من شمالى إيران عند حدودها مع جنوبى روسيا) حيث بشَّر هناك بالسيد المسيح مع القديس سمعان الغيور بعد رجوع الأخير من بريطانيا إلى فلسطين. وفى بلاد فارس كرز يهوذا (تَدَّاوُس) و سمعان رسولا يسوع المسيح مبشِّرين بالخلاص. وصنع الرب على أيديهما آيات كثيرة.

وكان «باراداش» قائد البلاد يستعد لحرب مع بلاد الهند، فطلب أن يسمع مشورتهما فى الوقت الذى كان فيه السحرة يشيرون عليه بالحرب، فأشار عليه الرسولان بأن هذه الحرب ستكون طويلة وعنيفة ودموية، وأنبآه بأن لا يتعجل بالحرب. لأن الأعداء سيحضرون فى اليوم التالى حاملين شروط الصلح، وقد تمت نبوتهما بالحرف. فعظم الرسولان فى عينى القائد ورجال بلاطه، فآمنوا بالمسيح وتبعهم فى إيمانهم كثيرون من شعب البلاد.

رسالة من ملك أديسا إلى السيد المسيح

يذكر يوسابيوس المؤرخ الكنسى الشهير فى القرن الرابع أن «أبجر» ملك أديسا (اديسا: الرها) (وهى مدينة تقع شمالى سوريا وجنوبى أرمينيا ومكانها الآن يقع جنوبى روسيا قرب البحر الأسود)، أرسل إلى السيد المسيح يدعوه إلى المجئ إلى أديسا لينجو من اضطهاد اليهود وأيضاً لكى يشفى أبجر من أمراضه. ويقول يوسابيوس إنه قد رأى هذه الرسالة فى محفوظات مدينة أديسا وأنه ترجمها بنفسه من اللغة السريانية إلى اليونانية. ثم يقول يوسابيوس إن يسوع رد على رسالة أبجر بالاعتذار عن الذهاب إلى أديسا ولكنه - أى الرب يسوع - وعد أبجر بأنه بعد صعوده سيرسل له أحد تلاميذه ليشفيه. ثم يذكر يوسابيوس أن هذا الوعد قد تحقق بعد صعود يسوع بذهاب تَدَّاوُس الرسول إلى أديسا حيث بشر هناك بالمسيح، وشفى كثيرين من بينهم. الملك أبجر الذى حاول أن يعطى هدية كبيرة من الذهب والفضة للرسول تَدَّاوُس فاعتذر عن قبولها.

وبقيا هناك عدة سنوات يبشران بكلمة الرب فانتشرت كلمة الإنجيل فى بلاد فارس انتشاراً كبيراً.

جـ - استشهاده

وصل القديس تدَّاوُس مع سمعان الغيور للكرازة إلى شنعار شمالى فارس، وهناك قام عليهما السحرة وكهنة الشمس وأثاروا عليهما الشعب والحكام، فأمسكوهما وطرحوهما فى السجن، ثم عذبوهما فقتلوا تدَّاوُس بالسهام والحربة، أما سمعان الغيور فنشروه بالمنشار.

✣ ✣ ✣ ✣

١١- القديس سمعان (القانوى الغيور)

(أ) اتباعه للسيد المسيح.

(ب) كرازته.

(جـ) استشهاد الرسولين سمعان وتدَّاوُس.

أ - اتباعه للسيد المسيح

لقب سمعان بلقب القانوى فى إنجيل متى(١٠-٤) وفى إنجيل مرقس(٣: ١٨)، أما فى إنجيل لوقا (٦: ١٥)، وأعمال الرسل (١: ١٣) فيلقب بسمعان الغيور.

وسبب تلقيب سمعان بلقب الغيور يرجع إلى انتمائه أصلاً إلى حركة «الغيورين» قبل اتباعه للرب يسوع، هذه الحركة كانت إحدى الحركات اليهودية المتطرفة والتى كانت تسعى إلى طرد الرومان من فلسطين بالعنف وبالثورة. ويبدو أنه عندما التقى بالسيد المسيح، وجد فيه «المخلص» «المسيَّا» الذى سيردّ المُلك إلى إسرائيل، وينتصر على الرومان بدون استخدام العنف، ومن المرجح أن يكون هو الذى سأل الرب يسوع- بعد القيامة- نيابة عن التلاميذ قائلاً «يارب هل فى هذا الوقت ترد المُلك إلى إسرائيل»(أعمال١: ٦) وكان رد المسيح على التلاميذ حاسماً فى انتزاع هذه الفكرة من عقول الرسل وبخاصة سمعان الغيور عندما قال لهم إنه ليس لهم أن يعرفوا زمن رد المُلك إلى إسرائيل، بل أن ينحصر اهتمامهم فى الكرازة بإنجيل المسيح لكل العالم بعد أن ينالوا قوة من الروح القدس.

(ب) كرازته

تذكر مراجع تاريخ الكنيسة فى العصور الأولى أن القديس سمعان الرسول بعد حضوره حلول الروح القدس يوم الخمسين مع بقية الرسل والتلاميذ وامتلائه بالقوة حسب وعد المسيح لهم، ترك أورشليم - بعد فترة من الوقت - وسافر للكرازة بالإنجيل فذهب إلى مصر ثم شمالى أفريقيا (قرطاجنة)، ومن هناك سافر إلى أسبانيا، وبعد ذلك اتجه شمالاً وبشَّر بالإنجيل فى الجزر البريطانية مع القديس يوسف الرامى، وكان تبشيره فى بريطانيا فى نحو سنة ٥٠م.

ولم يستمر هناك فترة طويلة بسبب ظروف الحرب البوديكية Boaddicean War التى وقعت فى بريطانيا فى ذلك الوقت.

ولكن هناك دلائل تاريخية وأثرية تؤكد أن بعض البريطانيين آمنوا على يديه، وكان لهم كنيسة يعبدون فيها ترجع إلى ما قبل القرن الثانى، وقد أكتشفت بقاياها فى حفريات اكتشفت حديثاً.

(جـ) استشهاد الرسولين سمعان وتدَّاوُس

رجع القديس سمعان الرسول من بريطانيا إلى فلسطين. ومن هناك ذهب ليبشِّر بالإنجيل مع تدَّاوُس الرسول أحد الإثنى عشر أيضا، ويذكر التاريخ القديم للكنيسة أنهما بشَّرا معاً فى سوريا وفى ما بين النهرين (العراق حالياً) ثم بعد ذلك ذهبا للتبشير فى بلاد فارس، وبعد أن بشَّرا هناك استشهدا فى تلك البلاد فمات سمعان منشوراً بالمنشار، أما تدَّاوُس

فقد قُتل بالسهام والحربة.

وقد دفُن جسد القديسين سمعان الغيور وتدَّاوُس معاً، واختلطت عظامهما وهى محفوظة فى قبر كبير بكنيسة القديس بطرس بروما، وأجزاء من هذه العظام محفوظة فى كنيسة القديس ساتورنيوس بأسبانيا، وأجزاء أخرى منها كانت فى دير القديس نوربت بكولونيا فى ألمانيا حتى وقت تدميره فى الحرب العالمية الثانية.

✣ ✣ ✣ ✣

١٢- يهوذا أخو الرب

جاء ذكر الرسول يهوذا فى كل من(متى١٣: ٥٥) وفى مرقس (٦ :٣)، والاسم يعنى فى اليونانية علاقة النسب من الدرجة الأولى، على أنه قد يعنى أيضاً «أخ» أو «أخت» بنفس الترتيب أى يأتى **أولاً** بمعنى المُذكر ثم **ثانياً**: بالمؤنث. واعتبر الباحثون من الكاثوليك أن الكلمة تعنى «ابن» أو ابنة» الخال أو الخالة، وذلك من أجل توضيح تعليمهم الخاص بعذراوية مريم الدائمة، على أنه فى كلا العددين المذكورين سابقاً، وكذلك ما جاء فى إنجيل (يوحنا ٦: ٤٢) فإنه يشار إلى السيدة العذراء بأنها «أم» مما لايدع مكاناً للشك أن «أخ» بمعنى قريب هو المقصود «موسوعة زوندرڤان المصورة للكتاب المقدس»، ويرجح أن يهوذا أخى الرب هو كاتب الرسالة التى تحمل اسمه (راجع رسالة يهوذا).

لا مجال للخلط بينه ويهوذا المذكور فى (يوحنا ١٤: ٢٢)، والذى يدعى تدَّاوُس ولبَّاوس فى(متى١٠: ٣)، وفى إطار التأكيد على أقوال الرسل التى سبق أن قالوها (يهوذا ١٧) يستنتج من كلامه أنه ليس أحد التلاميذ.

كان يهوذا الرسول يتصف بالتواضع، وكان يذكر أنه أخو يعقوب وعبد يسوع المسيح، وقد أعلن فى رسالته حقائق لم تُذكر من قبل فى الكتب المقدسة (راجع ٩، ١٤، ١٥).

✣ ✣ ✣ ✣

١٣- بولس الرسول

أ - نشأته.

ب - اضطهاده للكنيسة قبل الإيمان.

جـ - إيمانه بالمسيح.

(أ) نشأته

كان يدعى شاول قبل إيمانه بالمسيح، وُلد فى طرسوس، ولذلك كان يتمتع بالمواطنة الرومانية وحقوق المواطن الرومانى، وكان يتقن اليونانية نظراً لنشأته فى طرسوس التى كانت بها جامعة طرسوس العظيمة. فكانت ملتقى أجناس مختلفة من الشرق والغرب، وكانت تتحدث اليونانية، كان والده فريسياً (أعمال ٢٣: ٦).

درس بولس الشريعة فى أورشليم على يد غمالائيل أعظم معلمى اليهود، الذى حقق شهرة كبيرة لعلمه الغزير وسعة أفقه.

(ب) اضطهاده للكنيسة

كان شاول يضطهد المسيحيين، وكان راضياً بقتل استفانوس، حيث كان المضطهدون الذين رجموا استفانوس يخلعون ثيابهم عند رجلى شاول (راجع أعمال ٧: ٥٨، ٨: ١)، واستمر شاول فى اضطهاده للكنيسة بعد رجم استفانوس «وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن»(أعمال ٨: ٣)، وقد امتد اضطهاده حتى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة (أعمال ٢٦: ١٢).

(جـ) إيمانه بالمسيح

يعتبر إيمان شاول بالمسيح علامة مهمة فى تاريخ الكنيسة الأولى، وقد وردت حادثة الرؤية التى ظهرت له وهو فى

طريقه إلى دمشق ثلاث مرات، مرة يذكرها لوقا البشير (أعمال ٩: ٤-٨)، ومرتان يذكرهما بولس فى أعمال(٢٢: ٥-١٦، ٢٦: ١٢-١٨)، وأصبح شاول المضطهِد أعظم كارز فى تاريخ المسيحية.

(قصة حياة بولس الرسول: أسفاره وكرازته وسجنه وردت فى الفصل الثانى من الباب الأول، وكذلك يمكن مراجعة الرسائل التى كتبها فى موضعها من هذا المجلد.

طرسوس

مدينة تقع على نهر كيدنوس Cydnus فى سهول كيليكية، وتقع على بعد نحو (١٦) كيلو متراً من ساحل البحر المتوسط، وما خلفته السنون من آثار للمدينة، يجعلنا نستنتج أن المدينة كان يقطنها نحو ما لايقل عن نصف المليون من السكان فى عصر الرومان. كان نهر كيدنوس صالحاً للملاحة، غير أن السفن كانت ترسو على الميناء الذى يقع على بعد نحو(١٠) كيلو مترات إلى الجنوب من المدينة، وكان الميناء معروف بالمهارة فى تشييد أرصفته والمنشآت التى تحيط به، وكان ثمة طريق رئيسى يقود إلى الشمال، حيث «بوابات كيليكية»، المعبر المعروف الذى يقطع جبال طوروس، ويقع على بعد نحو (٥٠) كيلو متراً من المدينة.

وتمر به الطرق التجارية بين سوريا وأسيا الصغرى، وكان سبباً فى ثراء مدينة طرسوس.

إننا لانعرف شيئاً عن أصل المدينة ونشأتها، إلاَّ أنه يرجع أنها كانت مدينة كيليكية أساساً، قام اليونانيون بغزوها واستعمارها، واسم موبسوس Mopsus يرتبط تقليدياً بالمستعمرات اليونانية فى كيليكية، وربما تشير - كما يرى المؤرخ رامساى إلى مستعمرات أيونية مبكرة، وربما يؤيد هذه النظرية ما جاء فى تكوين(١٠: ٤)، «وبنوا ياوان أليشه وترشيش وكتيم»، حيث يرى المؤرخ يوسيفوس أن ترشيش هى «طرسوس»، ومع ذلك فهذا الرأى لايحول دون وجود تفسيرات مختلفة، فى سياقات أخرى، ويُرفض هذا الرأى نظراً للقدم الشديد لسفر التكوين، وربما يكون برهاناً على تدخل أيونى مبكر.

ويوجد ذكر متقطع فى التاريخ عن طرسوس، فكما هو مسجل على المسلة السوداء المحفوظة فى المتحف البريطانى والخاصة بالملك شلمنأسر Shalmaneser الثالث، الملك الأشورى فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد أنه استولى على المدينة وحكمها. ثم بعد ذلك حكمها المديانيون والفُرس، ويصف زينوفون Xenophon نحو سنة ٤٠١ ق.م. طرسوس بأنها «المدينة العظيمة» التى يقع فيها قصر الملك سينيزيس Syeannesis. وقد خُلع هذا الملك نظراً لاشتراكه مع حركة كورش Cyrus(الأصغر) المتمردة، والتى كانت سبباً فى انتقال زينوفون وعشرة آلاف آخرين إلى كيليكية.

وقد وجد الإسكندر الأكبر فى نحو سنة ٣٣٤ ق.م. عندما أراد أن يضمها إليه أن المنطقة واقعة تحت حكم مرازبة الفرس، وثمة بعض المؤشرات التى تدل على تأثرها بالنفوذ الإغريقى والشرقى، ولا توجد حتى ذلك الحين أى مؤشرات على حكم ذاتى.

وبعد الإسكندر، منح ملوك السلوقيين طرسوس حكماً ذاتياً، وما يتبع ذلك من حرية، وإنه لمن المحتمل أن ذلك حدث نتيجة للصدمة التى أصابت الرومانيين نتيجة لانهزام أنطيوكس الكبير(الرابع). فحل السلام فى سنة (١٨٩ ق.م.) إلا أن ثمة رأياً آخر يرد ذلك لتمرد أهلها لأن أنطيوكس وهب أهل المدينة عبيداً لعشيقته أنطيوكيس، ولإنهاء ذلك التمرد، منح طرسوس شكلاً من الحكم الذاتى، ويبدو أن سوريا أيضاً مُنحت نوعاً من الحكم الذاتى مثل طرسوس، وقدرة طرسوس مسقط رأس القديس بولس على التوليف بين الشرق والغرب، اليونانى والشرقى ترجع إلى هذا الوقت.

وما ورد من سفر المكابيين الثانى (٤: ٣٠-٣٦) يكشف عن الاستقلال السريع، وعن إعادة التنظيم والتى حصل عليها أهل طرسوس المتمردون من أنطيوكس أبيفانوس فى سنة ١٧١ ق.م. وتكوين «عشيرة» اليهود بعد عصر الإسكندر ربما يرجع إلى ذلك الوقت.

وتاريخ مدينة طرسوس غامض خلال القرن الثانى قبل الميلاد، غير أن تاريخها خلال القرن الأول قبل الميلاد معروف على نحو أفضل.

فقد بدأ تغلغل الرومان فى كيليكية فى سنة ١٠٤ ق.م. وأصبحت مستعمرة رومانية عندما ضمها بومبى إلى الامبراطورية الرومانية، فى عام ٦٥ أو ٦٤ ق.م. ويرجح أن منح المواطنة الرومانية للطرسوسيين تم فى عهده، وقد حكمها شيشيرون فى سنة ٥١ ق.م. وكان عليه أن يحمى ساحل كليكية من القرصان، وأن يحمى البلاد والمصالح الرومانية. وقد جعلها أنطونيوس مدينة حرة فى سنة ٤١ ق.م. وأعفاها من الضرائب، وقد ازدهرت المدينة ولعبت دوراً مهماً فى الحروب الأهلية. وقد زارها أنطونيو وكانت الأثيرة لأوغسطس قيصر، لأنها مدينة أثينودورس Athendrorus معلّمه وصديق عمره. وقد عُرفت طرسوس بجامعتها العظيمة والتى كانت تبارى جامعتى الإسكندرية وأثينا فى الشهرة، كما كانت تشتهر بصناعة الكتان إلى جانب صناعة الخيام، التى كان يمارسها القديس بولس.

✣ ✣ ✣ ✣

١٤- متياس الرسول

(أ) خلفية عن وجوده مع الرسل.

(ب) كرازته فى أورشليم.

(جـ) كرازته خارج فلسطين.

(أ) خلفية عن وجوده مع الرسل

يأتى ذكر متياس الرسول لأول مرة فى العهد الجديد، فى سفر أعمال الرسل حينما قرر رسل المسيح القديسون بعد صعود رب المجد إلى السماء أن يختاروا واحداً عوضاً عن يهوذا الإسخريوطى. وقال بطرس الرسول فى وسط جماعة الرسل «فينبغى أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذى فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذى ارتفع فيه عنا، يصير واحداً منهم شاهداً معنا بقيامته. فأقاموا اثنين يوسف الذى يدعى بارسابا الملقب يوستس ومتياس، وصلوا قائلين أيها الرب العارف قلوب الجميع عيِّن أنت من هذين الاثنين أيًا اخترته، ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التى تعداها يهوذا ليذهب إلى مكانه، ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحُسب مع الأحد عشر رسولاً (أعمال ١: ٢١ - ٢٥).

وبذلك صار متياس هو الرسول الثانى عشر بدلاً من يهوذا الإسخريوطى الخائن.

ويظهر من الوصف الذى يسجله سفر الأعمال لمن ينتخب ليصير مُكملاً لعدد الرسل أن يكون قد تتلمذ للمسيح منذ معمودية يوحنا المعمدان وحتى صعود المسيح إلى السماء، وعلى هذا الأساس لابد أن يكون متياس أحد التلاميذ الأوَّلين من غير الاثنى عشر. ولذلك يرجح يوسابيوس المؤرخ الكنسى (القرن الرابع) أن متياس كان أحد السبعين رسولاً الآخرين الذين اختارهم يسوع (لو ١٠:١)، ومن المرجح أيضاً أن يكون متياس قد تتلمذ على يوحنا المعمدان مثل أندراوس ويوحنا الحبيب، قبل أن يصير تلميذاً للمسيح.

وهكذا كان متياس أحد الذين تبعوا المسيح ولازموه أيام خدمته على الأرض وخدم مع الرب وكرز بملكوت الله فى فترة خدمة المسيح فى بلاد اليهودية، وكان مع الرسل بعد صعود المسيح من بين المئة والعشرين اسماً الذين كانوا يجتمعون فى

العلية للصلاة فى انتظار حلول الروح القدس، ولما وقعت عليه القرعة وصار الرسول الثانى عشر مع الرسل كان ذلك قبل يوم الخمسين.

(ب) كرازته فى أورشليم

فى يوم الخمسين امتلأ متياس، مع بقية الرسل، بالروح القدس، وبقى معهم فى أورشليم يشهد بقيامة المسيح، ويكرز باسمه فى فترة السنوات الأولى بعد حلول الروح على الرسل، ولكن سفر الأعمال لا يسجل لنا شيئاً عن كرازة متياس الرسول الخاصة.

(جـ) كرازته خارج فلسطين

بعد السنوات الأولى للكرازة فى أورشليم واليهودية مع باقى الرسل، ذهب متياس بإرشاد الروح القدس ليكرز بين يهود الشتات أى بين اليهود الساكنين فى وسط شعب الأمم الوثنية خارج فلسطين، ويخبرنا تاريخ كنيسة أرمينيا. أن متياس هو أحد خمسة من الرسل الذين اشتركوا فى تبشير أرمينيا وهم: تدّاوُس، وبرثولماوس، وسمعان القانوى، وأندراوس، ومتياس أى أن متياس بدأ يبشر أيضاً الوثنيين، بالإضافة إلى يهود الشتات، فذهب إلى منطقة يسكنها قوم من آكلى لحوم البشر تقع جنوبى البحر الأسود وربما كانت إحدى مقاطعات أرمينيا. وصار يبشرهم بالمسيح مخلص العالم، وبعد قليل قبضوا عليه وألقوه فى السجن. وفى أثناء تلك الفترة أرسل الله أندراوس الرسول الذى زاره فى السجن. ورأى العذاب الذى يقع عليه. وبعد ذلك حينما حاول أهل تلك المدينة أن يقبضوا على أندراوس الرسول. صلّى هو ومتياس إلى الرب فتفجرت المياه وأغرقت المدينة مما جعل أهل المدينة يأتون باكين أمام أندراوس ومتياس معترفين بخطاياهم. وعندئذ أرشدهم الرسولان أن يؤمنوا بالرب يسوع المسيح لكى يخلصوا، فآمنوا جميعاً وأطلقوا سراح القديس متياس، ثم صلّى الرسولان إلى الرب فانحسرت المياه عن المدينة، وبعد ذلك صرف متياس وأندراوس فترة من الوقت بين شعب تلك البلاد بعد أن عمداهم باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس. وصليا لأجلهم إلى المسيح فنزع منهم الطبع الوحشى ورسموا لهم أسقفاً وبعض القسوس لرعايتهم. وبعد أن أقاما عندهم فترة من الوقت تركاهم، وكان المؤمنون يسألونهما هما سرعة العودة إليهم. ويذكر كتاب «استشهاد القديس متياس» الذى يرجع إلى القرن الثالث أن متياس الرسول ذهب إلى مدينة دمشق وبشّر فيها بالمسيح. وأنه تعرّض لآلام شديدة هناك، ولكن بعض أهل المدينة آمنوا بواسطة كرازته فعمّدهم وأقام لهم قسوساً، وبعد ذلك رجع متياس إلى اليهودية وخدم بين اليهود فترة قصيرة فى أورشليم وما حولها، وهناك قام عليه اليهود ورجموه بالحجارة حتى الموت، ودُفن فى مدينة تدعى فاليون باليهودية، وكان ذلك فى سنة ٦٤ م.

رفات القديس متياس

يذكر تقليد كنيسة الروم الأرثوذكس، وكذلك تقليد كنيسة روما الكاثوليكية أن جسد متياس الرسول كان مدفوناً فى اليهودية منذ استشهاده وحتى عصر الملك قسطنطين حينما قامت الملكة هيلانة بنقل رفاته إلى روما. ويذكر تقليد كنيسة روما أن أجزاء من رفات القديس متياس قد نُقلت من روما إلى مدينة تريف (الآن ترير) بألمانيا. حيث بُنيت كنيسة باسم متياس الرسول وضُعت فيها رفاته منذ القرن الثانى عشر وما تزال هذه الأجزاء موجودة فى هيكل جانبى بدير كنيسة القديس متياس فى ترير، وهكذا فإنه يوجد مكانان لرفات القديس متياس الرسول أى فى روما وفى ترير إلى الآن.

✣ ✣ ✣ ✣

١٥- لوقا البشير

(أ) نشأته.

(ب) إيمانه بالسيد المسيح.

(جـ) كرازته.

(د) لوقا الكاتب الأديب.

(هـ) سنواته الأخيره واستشهاده.

هو كاتب الإنجيل الثالث، وكاتب سفر أعمال الرسل أيضاً، وهو ليس من الرسل الاثنى عشر.

وكان مصاحباً لبولس الرسول فى أسفاره الكرازية وشريكاً له فى كرازته وأتعابه.

(أ) نشأته

ليس لدينا معلومات أكيدة سواء من الإنجيل أو من تقليد الكنيسة الأولى عن الموطن الأصلى للقديس لوقا. ولكن يرجح أنه من مدينة أنطاكية فى سوريا حيث يذكر المؤرخ الكنسى يوسابيوس أن لوقا كانت له علاقات عائلية فى أنطاكية. وعلى هذا الأساس يكون لوقا الإنجيلى من أصل سورى ولم يكن يهودى الأصل، بل كان وثنياً قبل أن يؤمن بالسيد المسيح. وكان لوقا من بيئة مثقفة، وكان يتكلم ويكتب اللغة اليونانية بسهولة وطلاقة وهى لغة الثقافة فى عصر الإنجيل. وقد درس لوقا الطب فى ذلك الوقت وصار طبيباً.

(ب) إيمانه بالمسيح

لم يسجل لنا الإنجيل شيئاً محدداً عن كيفية دخول لوقا فى الإيمان بالمسيح واتباعه، فهو لم يكن من التابعين الأول الذين عاشروا الرب يسوع المسيح أيام خدمته له المجد على الأرض.

ومن المرجح أن يكون لوقا قد عرف المسيح وآمن به على أيدى التلاميذ الذين ذهبوا من أورشليم إلى أنطاكية، وكانوا يبشرون باسم الرب يسوع هناك حوالى سنة ٣٥م (انظر أع ١١: ١٩-٢١).

أى عقب الاضطهاد الذى أثاره اليهود على الكنيسة فى أورشليم والذى فيه قُتل استفانوس أول الشمامسة (الخدام).

(جـ) كرازته

يظهر من سفر أعمال الرسل الذى كتبه القديس لوقا بعد الإنجيل لكى يكمل تاريخ المسيحية بعد قيامة الرب يسوع وصعوده إلى السماء. ويذكر انتشار الإيمان بواسطة الرسل القديسين والجهاد والأتعاب التى عانت منها الكنيسة الأولى وانتصارها الروحى فى وسط الضيقات والمقاومات التى تعرضت لها.

ويظهر من سفر أعمال الرسل أن لوقا قد التقى بالرسول بولس فى مدينة ترواس خلال رحلة بولس الرسول الثانية (يمكنك الرجوع إلى الرحلة الثانية لبولس الرسول لتتبع ذلك فى ميلاد الكنيسة). إذ فى هذه المدينة يبدأ القديس لوقا فى كتابته باستخدام ضمير الجمع وذلك حينما ظهرت لبولس رؤيا فى الليل رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول اعبر إلى مكدونية وأعنّا، فلما رأى (بولس) الرؤيا للوقت **طلبنا** أن نخرج إلى مكدونية متحققين أن الرب قد **دعانا لنبشرهم**، **فأقلعنا** من ترواس ... إلى فيلبى، **فأقمنا** فى هذه المدينة أياماً (أع ١٦: ١٢ - ١٠). ومنذ ذلك الوقت صار رفيقاً وشريكاً لبولس الرسول فى الكرازة بالمسيح. وقد مكث القديس لوقا فترة فى فيلبى، بعد أن تركها بولس وسيلا، يخدم هناك إلى أن رجع القديس بولس إلى فيلبى فى مقاطعة مكدونية مرة ثانية فى رحلته التبشيرية الثالثة (من سنة ٥٤م - ٥٨ م) (أع ٢٠: ٣-٥) ثم رافق بولس بعد ذلك وظل ملازماً له لم يفارقه ربما حتى آخر أيام بولس الرسول قبل استشهاده

(أى حوالى أكثر من عشر سنوات. إذ رافق بولس الرسول فى عودته للمرة الأخيرة إلى أورشليم، وكان قريباً منه فى فترة سجنه فى قيصرية، كان يخدم الرسول بولس ويواسيه. ثم سافر معه إلى روما لما أرسل الرسول مقيداً تحت الحراسة إلى عاصمة الامبراطورية الرومانية. وبقى بقربه فى روما خلال مدتىْ السجن الأولى والسجن الثانية، ولكن لوقا لم يسجن مع بولس بل بقى حراً، وكان الصديق الوفى الحبيب لبولس الرسول، كما يسميه الرسول بولس فى رسالته إلى كولوسى «لوقا الطبيب الحبيب» (كورنثوس ٤ : ١٤). بل ويذكر بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس والذى كتبها وهو فى فترة السجن الثانية فى روما أنه لم يبق معه أحد من الأصدقاء هناك سوى لوقا «لوقا وحده معى» (تيموثاوس الثانية ٤ : ١١). كما يذكره الرسول بولس فى الرسالة إلى فليمون كواحد من العاملين معه «ومرقس وأرسترخس وديماس ولوقا العاملون معى».

لاشك أن لوقا **الطبيب** كان نافعاً جداً لبولس الرسول فى أمراضه الجسدية ومجهوداته وأتعابه الكثيرة.

(د) لوقا الكاتب الأديب

كان القديس لوقا كاتباً أديباً يكتب اليونانية بسهولة، وأسلوبه فى الكتابة أسلوب أدبى جميل، والإنجيل الذى كتبه بإلهام الروح القدس هو أطول الأناجيل الأربعة من ناحية الحجم ، كما أنه أكثرهم جمالاً فى الأسلوب الأدبى اليونانى.

كما أن الإنجيل حسب القديس لوقا يتميز بالحرص على الدقة التاريخية، إذ يحاول أن يربط أحداث المسيح العظيمة بالتواريخ المدنية المعاصرة فى الامبراطورية الرومانية تحت حكم أوغسطس قيصر، وخلفائه، وهو نفسه يشير إلى اهتمامه بالتدقيق التاريخى فى افتتاحية الإنجيل قائلاً: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلّمها إلينا ، الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شىء من الأول. بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى عُلِّمت به» (لو ١ : ١-٤).

ومن خصائص الإنجيل حسب لوقا أنه يهتم بإبراز الرحمة والحنان الإلهى نحو الإنسان مجسدة فى أعمال الرب يسوع التى سجلها مبيناً إشفاق المسيح ومحبته للخطاة. وبخاصة عطفه الذى أبداه نحو الوثنيين، أى الأمم غير اليهود ، فإنجيل لوقا هو تصوير جميل لحياة الرب يسوع على الأرض، وبصفته طبيب البشرية كلها ومخلص العالم كله.

أما كتاب أعمال الرسل الذى كتبه القديس لوقا الإنجيلى، فهو كما يذكر هو نفسه فى بدايته يعتبر تكميلاً وامتداداً طبيعياً للإنجيل بعد صعود السيد المسيح إلى السماء. وهو يبين أعمال الروح القدس التى عملها فى نشر وامتداد الإيمان

لوقا الطبيب الفنان

عرفنا من شهادة الرسول بولس عنه أنه كان طبيباً (كو ٤ : ١٤). ولكن مصادر التقليد المسيحى بعد عصر الرسل مباشرة تذكر أن لوقا كانت له أيضاً مواهب فنية فى الرسم، وأنه رسم أيقونات يصوِّر فيها حياة السيد المسيح، ورسم السيد المسيح مصلوباً، كما رسم أيقونات للعذراء مريم وللرسل، ويذكر تقليد الكنيسة السريانية الأرثوذكسية أن هناك أيقونة ماتزال تحتفظ بها وهى عبارة عن رسم للسيدة العذراء مريم وهى تحمل السيد المسيح، وهى من رسم القديس لوقا نفسه. وماتزال الأيقونة محفوظة فى الكنيسة السريانية بالقدس، كما أن إنجيل القديس لوقا كان مصدراً لإلهام الرسامين المسيحيين فى العصور الأولى إذ كانوا يأخذون من مادته لرسم صورهم.

بالمسيح خارج اليهودية أي في أنطاكية، ثم أسيا الصغرى، ثم في بلاد اليونان وقبرس، وأوربا وحتى وصول الرسول بولس إلى مدينة روما.

ويعتبر الكتابان: أي الإنجيل، سفر أعمال الرسل هما أول سجل لتاريخ الكنيسة المسيحية حيث كتبهما القديس لوقا.

(هـ) سنواته الأخيرة واستشهاده

بعد استشهاد الرسول بولس في روما في سنة ٦٧م في عهد نيرون الطاغية. ذهب القديس لوقا للتبشير في عدة مواضع في بلاد اليونان. وتذكر مصادر التاريخ أنه عاش إلى أن بلغ من العمر ٨٤ عاماً، وأنه مات مصلوباً مع القديس أندراوس في مدينة بترا، أو في مدينة إيلايا في اليونان.

✣ ✣ ✣ ✣

١٦- برنابا الرسول

(أ) نشأته وخلفيته.
(ب) خدمته مع بولس.
(جـ) افتراق برنابا عن بولس.

(أ) نشأته وخلفيته

وُلد لاوى في قبرس، وكان عضو الكنيسة الأولى في أورشليم، ومرقس الذي كان يعيش في أورشليم هو ابن أخته (كولوسي ٤: ١).

كان اسمه يوسف، وأطلق عليه الرسل لقب «برنابا»، والكلمة اليونانية مأخوذة عن الأرامية وتعني «ابن النبوة»، وقد ترجمها البشير لوقا «ابن الوعظ»، وهي تعني ابن التشجيع أو التعزية، وفي ذلك إشارة إلى شخصيته وصفاته (أعمال ٤: ٣٦).

يأتي أول ذكر للرسول برنابا لأنه باع الحقل الذي كان يمتلكه (ربما في قبرس ؟) وأعطى النقود للرسل وذلك من أجل الفقراء من المؤمنين (أعمال ٤: ٣٧).

ثم يذكر بعد ذلك عودته إلى أورشليم في السنة الثالثة بعد إيمانه بالمسيح ، وقدمه للتلاميذ الذين لم يكونوا مصدقين ذلك، وربما يشير ذلك إلى أن برنابا كان يعرف بولس قبل ذلك، ربما عندما كانا يدرسان معاً في طرسوس، وهذا مجرد تخمين.

(ب) خدمته مع بولس

بعد أن سمعت الكنيسة في أورشليم أن بعض الذين تشتتوا من جراء الضيقة التي حصلت بسبب استفانوس اجتازوا إلى أنطاكية للكرازة، أرسلوا برنابا لكي يعضدهم ويعاونهم (أعمال١١: ١٩-٢٢). لما رأى برنابا نعمة الله، وأن الظروف مشجعة هناك، خرج إلى طرسوس ليطلب شاول. ولما وجده جاء به إلى أنطاكية (أعمال١١: ٢٣ - ٢٥). وكان لخدمتهما معاً نتائج طيبة، فكانت الكنيسة تنمو إذظلا يخدمان هناك سنة كاملة ، ودعى التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً (أعمال ١١: ٢٦) وقد أرسلت الكنيسة في أنطاكية بعض العطايا - لخدمة الإخوة الساكنين في أورشليم - إلى المشايخ بيد برنابا وشاول (أعمال ١١:٢٩و٣٠)، ويرى بعض الدارسين أن تلك الزيارة التي قام بها برنابا وشاول هي نفسها التي ذكرها الرسول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية (٢:١-١٠)،إلاَّ أن تلك الزيارة كانت على الأرجح في وقت انعقاد مجمع أورشليم (أعمال١٥).

والقائمة التي وردت في (أعمال ١٣: ١) عن الأنبياء والمعلمين تتضمن أن برنابا كانت له خدمة معروفة، وقد أذعنت الكنيسة في أنطاكية للروح القدس الذي قال لهم: «افرزوا لي برنابا وشاول»، وأطلقوهما في رحلة كرازية (أعمال ١٣:

١-٣).

دُعي برنابا رسولاً في (أعمال ١٤: ١٤)، ويبدو أنه كان معروفاً في رحلته الكرازية التي قام بها مع بولس الرسول (أع ١٣: ٧)، وقد ذُكر برنابا مرة أخرى، وذلك حينما شفَى بولس في لسترة رجلاً عاجز الرجلين، فظنت الجموع أن بولس وبرنابا من الآلهة، فكانوا يدعون برنابا زفس (زيوس ZEUS) وبولس هرمس HERMES لأنه كان هو المتقدم في الكلام (أعمال الرسل ١٤:١٢). فكانوا يعتبرون أن برنابا هو الإله وأن بولس مجرد معاون ومتحدث عنه.

كان الرسول برنابا يتمتع بمكانة رفيعة في أورشليم حتى إن ذكره كان يأتي قبل ذكر الرسول بولس .. وكذلك ذُكر برنابا في الخطاب الذي صدر عن المجمع في أورشليم (أعمال الرسل ١٥: ٢٥)، وقد أعطاه الرسل المعتبرون أعمدة، يمين الشركة هو وبولس (غلاطية ٢: ٩).

القديس برنابا

يعتبر التقليد أن برنابا أحد السبعين تلميذاً، ويذكر أنه استشهد في قبرس، وإليه يعزى العلامة ترتلياوس السكندري أنه كاتب الرسالة التي تحمل اسمه، وهاتان الإشارتان تشيران إلى التقدير الكبير الذي ظل يلازم الرسول برنابا.

(جـ) افتراق برنابا عن بولس

استمر برنابا وبولس في كرازتهما في أنطاكية، اقترح الرسول بولس أن يعودا ليفتقدا الكنائس التي بشّرا فيها، فأراد برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذي يدعى مرقس والذي فارقهما في بمفيلية وعاد إلى أورشليم (أعمال ١٣:١٣). وأن يعطوه فرصة أخرى، أما الرسول بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما. وافترق كل منهما عن الآخر على أثر المشاجرة التي حدثت بينهما، وسافر برنابا الذي أخذ معه مرقس في البحر إلى قبرس (أعمال ١٥: ٣٦-٤١). وكان ذلك هو آخر ما ذكر عن الرسول برنابا.

انتهت العلاقة التي ربطت بين برنابا وبولس في الكرازة، إلاَّ أن الصداقة التي بينهما استمرت فقد امتدح الرسول بولس اتّباع برنابا لمبدأ الاعتماد على الذات، نفس المبدأ الذي تبنّاه بولس الرسول (راجع كورنثوس ٩: ٦).

✣ ✣ ✣ ✣

١٧- مرقس البشير

(أ) نشأته.

(ب) اتباعه للسيد المسيح.

(جـ) كرازته.

(د) تبشيره في ليبيا ومصر.

(هـ) كرازته في الإسكندرية.

(و) عودته إلى الاسكندرية.

(ز) استشهاده.

(أ) نشأته

وُلد في مدينة القيروان، إحدى الخمس المدن الغربية بشمالي أفريقيا، وهو من أسرة يهودية تقية، ولما أغارت إحدى القبائل الهمجية على مدينة القيروان، ونهبوا أهلها. اضطرت عائلة مرقس للرحيل إلى أورشليم حيث شب مرقس، في الوقت الذي كان فيه الرب يسوع يبدأ خدمته الكرازية في فلسطين.

(ب) اتباعه للسيد المسيح

تعرّف مرقس بالمسيح عن طريق الرسول بطرس الذي كانت زوجته ابنة عم مرقس وصار أحد التلاميذ السبعين الذين أرسلهم الرب يسوع اثنين اثنين أمام وجهه (لوقا ١٠: ١). وفي بيت مرقس صنع الرب يسوع العشاء الرباني في ليلة



آلامه، وفى العلية التى فى بيت مرقس حَلَّ الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين ، ويذكر سفر الأعمال أن التلاميذ كانوا يجتمعون ويصلون فى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس (أع ١٢: ١١-١٧).

وهكذا يعتبر هذا البيت أول كنيسة مسيحية.

(جـ) كرازته

كان أول شخص جذبه القديس مرقس إلى الإيمان بالمسيح هو والده أرسطو بولس الذى آمن بالمسيح بسبب المعجزة التى أجراها الله على يد القديس مرقس ابنه. فآمن والده أرسطو بولس بالمسيح وأعلن إيمانه أمام مرقس ابنه، كما يقول التقليد.

خدم القديس مرقس مع الرسول بطرس فى أورشليم واليهودية بعد صعود المسيح، ثم بشَّر مع الرسولين بولس وبرنابا (أع ١٣: ١-٥) فى جزء من الرحلة التبشيرية الأولى للقديس بولس، ولكنه فارقهما عند مدينة برجة بمفيليه بأسيا الصغرى (أع ١٣:١٣).

سافر بعد مجمع أورشليم الرسولى مع برنابا للخدمة فى قبرس، وخدم مع بولس الرسول نحو عام ٦٠ م فى رومية أثناء فترة السجن الأولى. إذ يتحدث عنه فى رسالة كولوسى قائلاً: «يسلم عليكم أرسترخس المأسور معى ومرقس ابن أخت برنابا الذى أخذتم لأجله وصايا، إن أتى إليكم فاقبلوه» (كو ٤: ١٠)، ويتضح من كلام الرسول بولس أن القديس مرقس ربما يكون قد ذهب إلى كولوسى للخدمة أيضاً بعد روما.

(د) تبشيره فى ليبيا ومصر

انفرد القديس مرقس بالكرازة - بحسب التقليد- فى الخمس المدن الغربية (ليبيا حالياً) ومصر، وذلك حسب توجيه الروح القدس له.

فجاء من روما إلى الخمس المدن أولاً - أى إلى موطنه الأصلى- وبشَّر فيها بإنجيل المسيح، وأجرى الله على يديه معجزات كثيرة من شفاء مرضى وإخراج الشياطين. فآمن كثيرون بالمسيح، وكسَّروا أصنامهم التى كانوا يعبدونها، فعمَّدهم باسم الآب والابن والروح القدس، وبعد ذلك أرشد الروح القدس القديس مرقس أن يذهب أيضاً إلى مصر ليكرز فيها بإنجيل المسيح، فجاء إلى الإسكندرية من ليبيا نحو سنة ٦١ م. (انظر الجزء الثانى:كنيسة الإسكندرية -مصر).

هـ- كرازته فى الاسكندرية

لما وصل القديس مرقس إلى الاسكندرية كان حذاؤه قد تمزق من كثرة السير على قدميه فى أسفار الكرازة والتبشير، فمال إلى إسكافى فى المدينة ليصلح له حذاءه، وبينما هو يصلحه دخل مخرز فى أصبعه ، فصرخ قائلاً: «ياالله الواحد» ففرح القديس مرقس عندما سمع هذه الكلمة، وبعد أن شفى جرح أنيانوس باسم يسوع المسيح بن الله بدأ يبشره بالمسيح مستخدماً الكلمة التى نطق بها أنيانوس عندما جُرح، ففتح الرب قلبه وآمن بالمسيح، ثم أخذ الإسكافى مرقس معه إلى بيته لكى يسمع منه أكثر عن الإيمان الجديد الذى اعتنقه، وبعد ذلك اعتمد انيانوس وكل أهل بيته على يد القديس مرقس (راجع أيضاً الباب الخاص بالإسكندرية ـ مصر فى الجزء الثانى من الموسوعة).

ثم أخذ الإيمان ينتشر بين عدد آخر، وكانت حياة المؤمنين الأوائل بالاسكندرية تتميز بعمق القداسة، وبحياة الشركة الكاملة مثل كنيسة أورشليم، وكانت قوة تأثيرهم الروحى سبباً فى ازدياد عدد الذين ينضمون إلى المسيحية مما أثار كهنة الأوثان وحكام المدينة ضد القديس مرقس حتى أنهم فكروا فى قتله، فطلب منه المؤمنون أن يبتعد عن الاسكندرية لفترة من الوقت، لذلك قام بسيامة أنيانوس أسقفاً على الاسكندرية، وذلك نحو عام ٦٢م، ورسم معه ثلاثة قسوس وسبعة من الشمامسة.

ثم غادرها إلى الخمس المدن الغربية، حيث افتقد المؤمنين فيها، وقضى فيها حوالى سنتين نظم فيها الكنيسة ورسم لهم أساقفة وقسوساً وشمامسة.

بعد ذلك ذهب القديس مرقس إلى أسيا الصغرى، إذ نقرأ للقديس بولس «لوقا وحده معى، خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لى للخدمة» (٢تيموثاوس ٤: ١١)، وهكذا ذهب مرقس مع تيموثاوس إلى رومية للخدمة هناك مع الرسول بولس أثناء سجن الرسول بولس فى الفترة الثانية فى رومية، وكان ذلك نحو سنة ٦٦م، وبقى هناك إلى وقت استشهاد الرسولين بطرس وبولس نحو سنة ٦٧م.

(و) عودته إلى الإسكندرية

رجع القديس إلى الإسكندرية فى سنة ٦٧م، فوجد أن الكنيسة قد نمت وازدهرت جداً، وبنوا لهم كنيسة فى شرقى الإسكندرية فى منطقة بوكاليا وعكف القديس مرقس على تعليم المؤمنين وتثبيتهم، كما كتب الإنجيل المسمى باسمه، وأسس المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية.

(ز) استشهاده

فى ليلة عيد القيامة فى سنة ٦٨م، بينما كان القديس مرقس مع المؤمنين يحتفلون بذكرى قيامة السيد المسيح تجمهر الوثنيون حول الكنيسة فى بوكاليا واقتحموها وقبضوا على القديس مرقس وربطوه بحبل غليظ حول وسطه. ثم أخذوا يجرونه فى شوارع المدينة فتجرح جسده وسالت دماؤه، وألقوه فى السجن وكان فى السجن يسبح الله ويشكره.

وفى اليوم التالى عاد الوثنيون مرة أخرى وأخذوا القديس من السجن وربطوا عنقه بالحبل، وأخذوا يجرونه كما فعلوا فى اليوم السابق حتى فاضت روحه الطاهرة ونال إكليل الشهادة. ولما حاول الوثنيون إحراق جسده هبت عاصفة شديدة مصحوبة بأمطار غزيرة، فأنطفأت النيران، فحمل المؤمنون جسده ، ودفنوه فى كنيسة بوكاليا التى أسموها باسمه من ذلك الوقت (راجع أيضاً الإسكندرية فى موضعها من الجزء الثانى من الموسوعة).

✣ ✣ ✣ ✣

١٨- يعقوب

ثمة عدة أشخاص فى العهد الجديد يحملون هذا الاسم، مالم يكن لنفس الأشخاص ألقاب متباينة يُعرفون بها.

وفيمايلى نتناول كل شخص منهم بالدراسة:

١- يعقوب بن زبدى

أ - العائلة.

ب - دعوته.

جـ - تلمذته.

د- استشهاده.

٢- يعقوب بن حلفى

٣- يعقوب الصغير

٤- يعقوب «أخو الرب»

أ - العائلة.

ب - تجديده.

جـ - مكانته البارزة.

د - صفاته الشخصية.

هـ - كتاباته.

و - استشهاده.

٥- يعقوب أبو يهوذا

✣ ✣ ✣ ✣

١- يعقوب بن زبدى

القصص الكتابية الوحيدة ليعقوب بن زبدى أو تلك التى كُتبت عنه نجدها فى الأناجيل المتشابهة وفى سفر أعمال الرسل (متى ٤ :٢١ ، ١٠ :٢، ١٧ :١، ١٠ : ١) و(مرقس ١ :١٩و٩، ٣ :١٧ ، ٥ : ٣٧ ، ٩ : ٢ ، ١٠ : ٣٥ و٤١ ، ١٣ :٣ ، ١٤ : ٣٣)،(لوقا ٥ : ١٠ ، ٦ : ١٤ ، ٨ :٥١ ، ٩ :٢٨ و ٥٤)، (أعمال الرسل ١ :١٣ ، ١٢ :٢).

وكان من تواضع الرسول يوحنا أنه لم يذكر أخاه بالاسم، على الرغم من أنه كشف عن حضوره مع الرسل الآخرين بعد القيامة (يو ٢١ :٢). والمرة الوحيدة التى ذكر فيها يعقوب بالاسم خارج الأناجيل الثلاثة الأولى كانت فى قائمة الرسل وذلك فى (أعمال ١ :١٣). وعند الإشارة إلى موته (أعمال ١٢ : ٢). وهذا صمت يدعو إلى الدهشة بالنسبة لرسول له هذه المكانة.

(أ) العائلة

دُعى يعقوب «ابن زبدى» وهو أخو يوحنا. وشيوع استخدام اسم يعقوب قبل يوحنا فى الأناجيل ربما يشير إلى أن يعقوب كان الأكبر سناً (متى ١٠ :٢، ١٧ :١، مرقس ٣: ١٧ ، ٥ : ٣٧). وفى كل هذه الفقرات عُرّف يوحنا بأنه « أخو يعقوب» ومع ذلك فقد عُكس هذا التعريف فى سفر أعمال الرسل، حيث ذُكر يعقوب باعتباره «أخا يوحنا» وذلك بالنسبة لأولئك الذين كانوا أقل معرفة بسائر الرسل (أعمال١٢ :٢).

أما الوالد «زبدى» فكان صياداً يمتلك عدة مراكب فى بحر الجليل، وكان لديه عمال وخدم (مرقس ١ :٢٠، لوقا ٥: ١١)، ولابد أن كان يدير مؤسسة كبيرة. والبعض يستنبطون دليلاً إضافياً على غِناه من حقيقة أن يوحنا كان معروفاً عند رئيس الكهنة (يوحنا ١٨: ١٥).

وربما كانت العائلة تمتلك عقارات فى أورشليم، وكانوا يقضون بعض الوقت هناك، والصيادون الذين يمتلكون مراكب كبيرة وعمالة كافية، كان بمقدورهم أن يصطادوا سمكاً أكثر، وأكبر فى المياه العميقة.

وكانت الأسماك المملحة تسوّق فى أورشليم بعد اكتفاء السوق المحلى فى بيت صيدا، بل فى كفرناحوم أيضاً، وكان سمعان يعمل معهما (لوقا٥ : ١٠)، وربما كان أندراوس أيضاً (مرقس١: ١٦)، ومن المحتمل أن أم يعقوب ويوحنا هى سالومة، والتى يعتقد البعض إنها أخت أم يسوع (قارن مرقس ١٥ :٤٠، يوحنا ١٩: ٢٥).

ب ـ دعوته

يبدو أن يعقوب لم يكن مع بطرس وأندراوس فى رحلتهما إلى اليهودية، حين علما بمجيء «حمل الله» وتلقّيا دعوتهما للتلمذة (يوحنا١ :٣٥ - ٥١) ولعل يوحنا كان تلميذاً للمعمدان والذى كان مع أندراوس (يوحنا١ : ٤٠) وإذا كان الأمر كذلك، فمن المحتمل أن يعقوب لم يصحبهما، وذلك لكى يباشر العمل أثناء غياب ثلاثة أعضاء فى شركة العمل لذهابهم لرؤية الحركة العظيمة التى كان يقودها يوحنا المعمدان بل إنهما انضما إليه ليكونا ضمن تلاميذه، وحين سرد ـ إثر عودتهما إلى الجليل ـ الأحداث التى وقعت فى اليهودية، فلا ريب أن يعقوب أخذ عنهما إيمانهما وحماستهما، وعلى أى حال، كان يعقوب مستعداً تماماً لما بدا وكأنه دعوة مفاجئة أتته فى وقت لاحق عند بحر الجليل (لوقا ٥: ٢-١١).

جـ ـ تلمذته

ما أن أصبح يعقوب تلميذاً، إلا وسرعان ما احتل مكانة بارزة، فقد أُختير ضمن الاثنى عشر تلميذاً. وكان دائماً فى صحبة بطرس ويوحنا وأندراوس (متى ١٠: ٢، مرقس٣: ١٧، لوقا ٦: ١٤، أعمال ١ :١٣). وأصبح مع التلميذين بطرس ويوحنا موضع ثقة يسوع، وكان الثلاثة معاً فى بيت

حماة بطرس مع أندراوس (مرقس١: ٢٩-٣١).

وفى بيت يايرس، لم يسمح يسوع إلا لهؤلاء الثلاثة فقط من جماعة التلاميذ بالدخول معه إلى الغرفة حيث كانت الصبية (مرقس ٥:٣٧، لوقا ٨: ٥١) وعند التجلى اختار يسوع هؤلاء الثلاثة ليصعدوا معه إلى الجبل (متى ١٧: ١٠، مرقس ٩:٢، لوقا ٩: ٢٨)، بل ولم يسمح لهم بأن يتحدثوا عمّا رأوه إلاّ بعد أن أقام يسوع من بين الأموات (مرقس ٩: ٩).

وأخيراً، كان هؤلاء الثلاثة هم الذين اختارهم يسوع لمصاحبته فى بستان جثسيمانى (متى٢٦:٣٧، مرقس ١٤:٣٣).

وقد اشترك يعقوب فى مالايقل عن حدثين يظهر من خلالهما مدى إجلاله وتقديره للمسيح. فبعد التجلى مباشرة، وحين كان يسوع ماراً عبر السامرة فى طريقه إلى أورشليم (لوقا ٩: ٥١) لم يستقبله أهل السامرة الاستقبال اللائق (لوقا ٩ : ٥٣). فكان رد فعل يعقوب ويوحنا حاداً إذ قالا ليسوع: «يارب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً (آية ٥٤)، وذلك لأنهما كانا قد رأيا منذ فترة قصيرة جداً المجد الأسمى للرب. أما يسوع فالتفت إليهما وانتهرهما، ولعل هذا الميل إلى الحدة والاندفاع هو ماحدا بيسوع لأن يطلق عليهما لقب بوانرجس أى ابنى الرعد (مرقس٣: ١٧).

أما الموقف الآخر فهو حين عزم يسوع على القيام بآخر رحلة له إلى أورشليم (١٠:٣٢)، حيث قال الأخوان ليسوع: «أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك (مرقس١٠: ٣٧). وقد ساندتهما والدتهما فى هذا الالتماس، وكانت هى ممن يتبعون يسوع وممن يدعمون الجماعة بأمانة (لوقا٢٠: ٢٠-٢٨). وقد وبخهما يسوع على طلبهما هذا (مرقس ١٠:٤٠) وأعاد السلام إلى جماعة التلاميذ (مرقس ١٠: ٤٢- ٤٥).

وقد ذُكر حضور يعقوب فى مناسبتين أخرتين، فقد كان أحد التلاميذ الأربعة الذين كانوا على جبل الزيتون وسألوا يسوع عن الأمور الأخيرة (مرقس ١٣: ٣ ،٤)، كما كان موجوداً أيضاً عند بحر الجليل حين ظهر الرب المقام للتلاميذ مرة ثالثة، وكذلك حين أُجريت معجزة الصيد الوفير (يوحنا ٢١:١- ١٤).

د ـ استشهاده

الرسول يعقوب هو الوحيد من الاثنى عشر الذى ذكر موضوع استشهاده فى العهد الجديد حيث استشهد بالسيف، وكان أيضاً أول الشهداء بين الرسل (أعمال ١٢: ١ ، ٢) وكان ذلك نحو عام ٤٤م، ثم جعل الملك هيرودس أغريباس الأول من سمعان الهدف الأول فى هجومه على الكنيسة فى حركة اضطهاد واسعة النطاق تضمنت إلقاء القبض على بطرس (أعمال١٢: ٣)، أما وأن يعقوب كانت له من المكانة البارزة حتى أنه هو وحده الذى تقرر قتله، فإن هذا يشير إلى أن الرسول يعقوب إذا لم يكن من بين أكثر التلاميذ مكانة، فلابد وأنه كان من أكثر المسيحيين الذين يخافهم أعداؤهم ويقيمون له وزناً كبيراً. وبموته تحققت نبوة يسوع بأنه سيشرب من كأس سيده(مر١٠: ٣٩).

الأساطير اللاحقة توسّع من قصة يعقوب الرسول فى العهد الجديد.

ذلك أن كليمندس السكندرى، ويوسابيوس يشيران إلى مايسمى «سفر أعمال القديس يوحنا»، وهو كتاب هرطوقى يعود إلى القرن الثانى الميلادى، حيث يروى قصة دعوة يعقوب ووجوده أثناء التجلى، كما يذكر تفصيلات أخرى عن رحلات تبشيرية قام بها يعقوب إلى الهند، وإلى «الاثنى عشر سبطاً» المشتتين فى العالم، وكذلك إلى أسبانيا. واستناداً إلى أسطورة لاحقة (القرن السادس أو السابع) جُعل يعقوب القديس الشفيع لأسبانيا، وقد ذُكرت قصص عجيبة عن كرازته وإعادة الملائكة

لجسده بعد استشهاده فى فلسطين، وقيل إن الملائكة قادوا السفينة بدون شراع أو دفة، وتوجهوا بها إلى أسبانيا ومعهم الجسد المقدس، وقد ذُكرت سلسلة من المعجزات التى تستوجب توقيره، إلاَّ أن موت الرسول يعقوب فى وقت مبكر ينفى عن تلك الأساطير الحد الأدنى لأى أساس تاريخى.

ويُعرف الرسول يعقوب بن زبدى فى التقليد باسم يعقوب الكبير، وذلك للتمييز بينه وبين يعقوب الصغير.

✣ ✣ ✣ ✣

ب- يعقوب بن حلفى

الإشارات الوحيدة إلى يعقوب بن حلفى فى العهد الجديد هى مجرد تضمين اسمه فى قوائم الاثنى عشر رسولاً (متى ١٠: ٣، مرقس ٣: ١٨، لوقا ٦: ١٥، أعمال الرسل ١٣:١)، مالم يكن هو كما يفترض البعض - نفس الشخص (سوف نتناول ذلك فيما بعد) المعروف باسم يعقوب الصغير - ويُذكر مع تَدَاوُس فى إنجيلى متى ومرقس، ومع سمعان الغيور فى إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل، حيث أن متى أو لاوى يُسمى أيضاً ابن حلفى (انظر متى ٩:٩، مرقس ١٤:٢) فمن المحتمل أن يكون أخا يعقوب، ومع ذلك، فإنه إذا كان ذلك صحيحاً، يكون من الغريب أن هؤلاء الإخوة لم يُذكروا معاً بأى حال فى الأناجيل، كما هو الحال بالنسبة ليعقوب وأندراوس وابنى زبدى، وقد رجمه اليهود لكرازته بالمسيح.

✣ ✣ ✣ ✣

جـ- يعقوب الصغير

يعتقد كثيرون أن يعقوب بن حلفى لُقِّب بعدة أسماء، بما فيها هذا الاسم، وإذا كان الأمر كذلك، فيكون هو أيضاً يعقوب الصغير، ابن مريم، وأخو يوسى أو يوسف (مرقس ١٥: ٤٠).

وقد ترجمت «أقل» أو «أصغر»، ولعلها تشير إلى القامة، وأما أنه إذا ما قورن بابن زبدى فلربما نجده أصغر منه سناً أو أقل منه شهرةً، وقد ذُكرت أمه مريم، بأنها كانت حاضرة عند الصليب (متى٢٧: ٥٦، مرقس ١٥: ٤٠)، وعند اكتشاف القبر الخالى (مرقس ١٦: ١، لوقا٢٤: ١٠)، ويعتقد أنها مريم زوجة كلوبا، غير أن النسخ العربية تترجمها «مريم ابنة كلوبا» وعلى هذا الأساس فإن التعريف الشائع ليعقوب بن حلفى بأنه ابن مريم يكتسب مزيداً من القبول، على الرغم من أنه يحتمل تماماً أن نفس الشخص كان يحمل كلا الاسمين، حلفى وكلوبا. وتشير الكتابات إلى سمعان بن كلوبا، الذى عُرف بأنه سمعان الغيور، وإذا ما تقبلنا هذا، فإن ذلك من شأنه أن يفسر لنا ذكر اسم يعقوب مع سمعان فى إنجيل لوقا وفى سفر أعمال الرسل (كما يذكر إخوة آخرون ضمن الاثنى عشر).

ومع قلة الإشارات الواردة فى العهد الجديد، فمن المحتمل أن تظل معظم هذه التعريفات - فى أفضل حالاتها - كمجرد تخمينات واجتهادات.

✣ ✣ ✣ ✣

د- يعقوب أخو الرب

ذُكر يعقوب أولاً ضمن إخوة يسوع، الأمر الذى يُستشف منه بلا ريب أنه الأكبر سناً (متى١٣: ٥٥، مرقس ٣:٦). ويذكره بولس كأحد الرسولين اللذين تقابل معهما فى أورشليم بعد تجدده بثلاث سنوات (غلاطية ١: ١٩).

ويبدو أنه هو الذى دُعى يعقوب فحسب (أعمال ١٢: ١٧، ١٥: ١٣، ٢١: ١٨، كورنثوس الأولى ٧:١٥، غلاطية ٢: ٩ و١٢، يعقوب ١:١، يهوذا ١)، ولم يذكر باسمه سوى

مرتين فقط فى الأناجيل (متى ١٣: ٥٥، مرقس ٦: ٣). وفى الغالب كان من بين الإخوة الذين سعوا لمقابلة يسوع لإقناعه بالعدول عن مهمته الشاقة (متى١٢: ٤٦، مرقس ٣: ٢٠ و٢١و٣١ و٣٢). ثم إن الإخوة صاحبوه أيضاً إلى كفر ناحوم (يوحنا ٢: ١٢). وفى وقت لاحق حاولوا إقناع يسوع بأن يترك الجليل ويذهب إلى اليهودية وذلك فى أيام عيد المظال (يوحنا ٧:٣). وفى ذلك الحين لم يكن الإخوة قد آمنوا بيسوع (يوحنا ٧:٥). إلا أنهم كيهود أتقياء ذهبوا إلى العيد (الآية١٠).

أ ـ العائلة: نوقشت العلاقة بين يسوع وإخوته بشىء من التفصيل. وأكثر تفسير معقول لكلمة «أخ» فى زمان كتابة العهد الجديد، وغيره من الكتابات المسيحية الأولى، هو أخذها بمعناها الحرفى، وهو أن يعقوب والآخرين كانوا أبناء يوسف ومريم بعد ولادة يسوع ابنها «البكر»، وقد سُمى هذا **بالتفسير الهلڤيدى** نسبة إلى هلڤيديوس Helvidios وعلى أساس وجهة النظر هذه يبدو أن يعقوب كان من عائلة كبيرةبكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وقد ذُكرت أسماءأربعة من إخوة يسوع: يعقوب، يوسف، سمعان، يهوذا، كما أشير أيضاً إلى «أخواته جميعهن» (متى١٣: ٥٦)، ولو كان له أختان فقط لاستخدمت كلمة «كلتاهما» بدلا من «جميعهن»، وعلى هذا فلابد وأن كان ليسوع سبعة إخوة وأخوات ـ وربما تسعة، ومع وجود مثل هذه الإشارات الواضحة إلى إخوة وأخوات بغية التعريف، وهو ما يترك انطباعاً وإتجاهاً يقويه الاستخدام العادى لكلمتى «ابن»، و«أم» (متى ١٣: ٥٥و٥٦، مرقس٦: ٣).

إلا أنه ثمة وجهة نظر أخرى جاءت فى وقت مبكر تبنتها **طائفة ابيفانوس**، وقد راجت هذه الفكرة مع تبجيلها لمريم وبداية الاعتقاد بعذراويتها الدائمة، وقد أيد هذا الاعتقاد كل من العلامة أوريجانوس ويوسابيوس المؤرخ والقديسين «غريغوريوس» و«أمبروسيوس»، وهذه الفكرة تتلخص فى أن هؤلاء «الإخوة» كانوا أبناء يوسف من زواج سابق. وبالنظر إلى أن الأناجيل القانونية لم تقدم دليلاً على هذا الوضع، فقد حاولت الأناجيل الأبوكريفية أن تقدم ذلك الدليل، وتأكيداً أن يوسف كان قد تعدى الثمانين من عمره عند زواجه الثانى مما أضفى استحساناً على قبوله عذراوية مريم الدائمة، وأعطى وقتاً كافياً لعائلة لم تكن من أقارب يسوع ومريم.

ولكن هذه بالطبع، ولّدت تعقيدات أخرى، أهمها وضع «الإخوة» فى الجيل الخطأ لكى تتناغم مع المعلومات الواردة فى الأناجيل وسفر أعمال الرسل والرسائل.

أما **ثالث الآراء** الهامة، فقد اقترحه القديس چيروم، وذلك لكى يدحض ما قاله هلڤيديوس: فقال إن كلمة «إخوة» إن هى إلا تعبير عريض وعام يمكن أن يُعنى بها أيضاً «أقارب» أو أبناء العم» أو من هم على هذه الدرجة من القرابة، ولم يدَّع چيروم أنه يستند فى نظريته إلى أى مصدر تقليدى بل اعتمد كلية على الحجج النقدية واللاهوتية، وكما يقول لايتفوت Lightfoot فإنه على الرغم من أن چيروم لم يتمسك بنظريته بقوة أو بصفة مستمرة، إلاَّ أنها لاقت قبولاً وعلى نطاق واسع، وهى تشكل الرأى الرسمى الذى اعترفت به الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. والتعريفات الواضحة- ولكنها غير مؤكدة- وُضعت بالنسبة لأقارب يسوع وأصدقائه وأتباعه لدعم الرأيين الأولين اللذين عرضنا لهما، أوعلى الأقل لتقديم بدائل للمعنى الطبيعى لكلمة أخ.

ب ـ تجديده

لم يكن يعقوب وإخوته الآخرين متعاطفين مع خدمة يسوع وما يقوله عن نفسه.

فعلى الرغم من أنهم تربوا فى بيت صالح، ويبدو أنهم كانوا متجاوبين مع الديانة اليهودية، إلا أنهم لم يؤمنوا بيسوع (يوحنا ٧: ٢-٥). بل إن أقاربه شككوا فى توازنه

مرة واحدة على الأقل(حيث قال أقرباؤه إنه مختل مر ٢١و ٣١). وحين رُفض يسوع فى الناصرة، ألمح إلى أن المقاومة موجوده بين أقربائه وفى بيته (مر ٦: ٤). ولعل الوحدة والحزن اللذين اختبرهما يسوع انعكسا فى تحذيراته لاتباعه بأنه يتوجب عليهم أن يكونوا مستعدين للمقاومة التى تأتيهم من قِبَل أقرب وأعز الناس لديهم (متى ١٠: ٣٤ -٣٧، لوقا ١٤: ١٦).

ومع ذلك يبدو أن صداقة حميمة قامت بين يعقوب ويسوع على أساس إعجاب يعقوب إعجاباً حقيقياً بيسوع.

وإلاَّ فهل تحول يعقوب على هذا النحو من السرعة إلى الإيمان وقت القيامة؟!

ولابد أن تجديد يعقوب كان مثار دهشة، بل ولم يكن أمراً متوقعاً بالنسبة لأولئك الذين كانوا يعرفون موقفه من يسوع. ومع ذلك ـ وكما كان الحال بالنسبة لبولس ـ لابد وأنَّ تَفجُّر الإيمان هذا كانت له سوابق مهَّدت لهذا التغيير المباغت. ولعل أقوال السيد المسيح عن نفسه نجم عنها استيقاظ ضمير يعقوب الذى سبق أن كبحه بشدة، ولم يكن موقف يعقوب من يسوع إلا انعكاساً لإحباطات يعقوب وارتباكه، وكان الحل الأكيد فى ظهور خاص للمسيح المقام(كورنثوس الأولى ١٥: ٧). وقد أعقب ذلك وعلى نحو من السرعة نتيجتان هامتان.

أولاً: أصبح يعقوب مؤمناً متقدماً، وانضم إلى مؤمنى أورشليم.

ثانياً: فإذ رأى الرب المقام قد اعترف به من جانب الجماعة المختارة التى شاهدت القيامة، وهى حقيقة ما كان بدونها سيرقى إلى هذه المكانة العظيمة التى أصبحت له فى الكنيسة (كورنثوس الأولى ٩: ١، أعمال ١: ٢٢) أما مكان ظهور المسيح ليعقوب والملابسات التى صاحبت ذلك غير معروفة.

أما الأهمية الفائقة للحدث فأمر واضح للغاية.

جـ ـ مكانته البارزة

يقول التقليد إن يعقوب كان أسقفاً على أورشليم (وكذلك يذكر يوسابيوس فى تاريخ الكنيسة ٢: ١) وليس من المحتمل أنه اختير لهذا المنصب على الإطلاق، غير أن خصاله الأخلاقية، ومواهبه الروحية السامية، بالإضافة إلى قرابته ليسوع، لابد وأن كانت لها تأثيراتها التى كان من شأنها أن أصبح أحد أعمدة الكنيسة.

إن كل المفسرين يجمعون على مكانة يعقوب الرفيعة، وقد تقابل مع بولس فى أورشليم(غلاطية ١: ٩) وذلك بعد ثلاث سنوات من تجديده.

أما بطرس فإذ قد أخرجه الرب من السجن، فقد أرسل إلى يعقوب والإخوة يخبرهم بذلك(أعمال١٢: ١٧). وفى مجمع أورشليم، كان رأى يعقوب هو الذى لاقى تأييداً كبيراً (أعمال١٥: ١٢-٢١).

وفى آخر زيارة قام بها بولس لأورشليم استقبله يعقوب والشيوخ (٢١: ١٨).

وقد وجد يهوذا، كاتب رسالة يهوذا أن عبارة «أخو يعقوب» تعد كافية للتعريف بنفسه (يهوذا).

وإذا كان يعقوب وصل إلى هذه الدرجة فى أورشليم، فمن الطبيعى أن ينتشر ذلك فى بقية فلسطين، التى كانت أورشليم مركز حياتها، أما أثر مكانته خارج فلسطين فيتركز معظمه فى أوساط اليهود المسيحيين الذين يعيشون فى الأمم الوثنية. وتوضح رسالة يعقوب التأثير الواسع النطاق لكاتبها.

د ـ صفاته الشخصية

يتفق التقليد مع ما جاء فى كتاب العهد الجديد بأن

يعقوب كان رجلاً ذا شخصية مؤثرة، ويتميز بتقوى هائلة، وواسع النفوذ، ويقول هيجيسبوس إن يعقوب كان يُعرف «بالبار» وبأنه «حصن الشعب» وقد عاش حياة القداسة والتقوى وكان يلقى الاحترام حتى من اليهود غير المؤمنين.

كما ذكر هيجيسبوس فى رواية تنحو إلى المبالغة أن يعقوب كان نذيراً وناسكاً وكان مقدساً من بطن أمه، خمراً ومسكراً لايشرب، بل وما كان يأكل لحماً، ولم يمس رأسه موسى، ولم يطيب نفسه قط بالطيب، وأن ركبتيه كانتا فى قوة ركبة الجمل، لأنه كان يصلى باستمرار ويتضرع إلى الله أن يغفر خطايا الشعب.

وعلى الرغم من أنه يجب غض الطرف عن العبارات المبالغ فيها، إلا أن الصورة الأساسية كانت تتفق مع ما هو معروف عن يعقوب، وربما كان حازماً صارماً، إلا إنه لم يكن ضيق الأفق.

ولنلاحظ فكره وسداد رأيه إبان مجمع أورشليم(أعمال ١٥:١٣- ١٩). وربما كان ذا طبع متشدد، غير أنه مامن أحد شكك فى استقامته ونزاهته، وتعبير «البار» يشير إلى نزاهته وأمانته واستقامته من ناحية التمسك بالأسلوب الصحيح للحياة كما يراه هو.

هـ ـ كتاباته

انظر رسالة يعقوب

و ـ استشهاده

يقول يوسيفوس إنه فى الفترة ما بين موت فستوس ووصول الحاكم الجديد ، انتهز حنانيا رئيس الكهنة الفرصة لدعوة المجلس التشريعى للاجتماع. واتهم يعقوب وآخرين بانتهاك القانون ، ولاتعرف التفاصيل، غير أنه ربما تكون الاتهامات قد تضمنت نشر العقيدة المسيحية. ونتيجة لذلك تم رجم يعقوب حتى الموت. ويقول يوسيفوس إن هذا العمل الظالم احتجَّ عليه يهود أتقياء غير مسيحيين كانوا يوقرون يعقوب لأمانته فى حفظ التقاليد اليهودية، فكان من شأن ذلك أن أبعد رئيس الكهنة من وظيفته ، أما هيجيسبوس فيذكر قصة واضحة أكثر تفصيلاً عن الاستشهاد ، ولعل ذلك جاء فى إطار من المبالغة الأسطورية ، وكان استشهاد القديس يعقوب فى نحو سنة ٦٢ م.



٥- يعقوب أبو يهوذا

كل ما يعرف عن يعقوب هذا هو أنه أبو الرسول يهوذا (ليس الإسخريوطى)، كما جاء فى (لوقا ٦: ١٦ وأعمال ١: ١٣).

الباب الثانى

الفصل الثانى

كتابات العهد الجديد

نقدم فيمايلى لمحة موجزة عن كتابات العهد الجديد(الإناجيل وسفر أعمال الرسل والرسائل، ورؤيا يوحنا) التى تركها لنا الرسل. متتبعين الكاتب، وزمان ومكان الكتابة، والهدف من السفر، ولمن كُتب، والإطار العام للسفر، وذلك لكى تكون صورة الأدب المسيحى الذى كتبه الآباء الأولون متصلاً بكتابات الرسل. وحتى تكون القضايا الفكرية اللاهوتية التى تعرَّض لها الآباء واضحة فى ذهن الدارس جنباً إلى جنب مع الكتابات القانونية للأسفار المقدسة فى العهد الجديد. والحقيقة أننا لانستطيع أن نبدأ من كتابات الآباء الأولين دون عرض لما سبقتها من كتابات. فبعض هذه القضايا كانت ماتزال تعانى منها الأجيال التالية. فبعض الأفكار المنحرفة التى كتب الرسول بولس والرسول يوحنا لمواجهتها كانت مازالت قائمة فى أوقات لاحقة. وتعرَّض لها الآباء فى كتاباتهم. كما أن دراسة كيف تأسست الكنائس وكيف نشأت الحاجة لكتابة بعض الرسائل، والحركة الاجتماعية وملامحها والثقافات السائدة آنذاك والقوى السياسية، كل هذه علامات وخلفية لايمكن تجاوزها لتقديم الملامح الواقعية للمسيحية وما واجهته من أفكار وتيارات وحركات.

المحتوى

١- مقدمة للأناجيل الأربعة.

٢- إنجيل متى.

٣- إنجيل مرقس.

٤- إنجيل لوقا.

٥- إنجيل يوحنا.

٦- سفر أعمال الرسل.

٧- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية.

٨- رسالتا بولس الرسول إلى أهل كورنثوس.

٩- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية.

١٠- رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس.

١١- رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبى.

١٢- رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسى.

١٣- رسالتا بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى.

١٤- رسالتا بولس الرسول إلى تيموثاوس.

١٥- رسالة بولس الرسول إلى تيطس.

١٦- رسالة بولس الرسول إلى فليمون.

١٧- رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين.

١٨- رسالة يعقوب.

١٩- رسالة بطرس الرسول الأولى .

٢٠- رسالة بطرس الرسول الثانية.

٢١- رسائل الرسول يوحنا الثلاث.

٢٢- رسالة يهوذا.

٢٣- رؤيا يوحنا.

(ا) مقدمة للأناجيل الأربعة.

(أ) تسجيل الأناجيل الأربعة.

(ب) نظريات تفسر نشأة الأناجيل لاسيما المتشابهة.

١- مقدمة للأناجيل الأربعة

إن الكتب الأربعة الأولى فى الترتيب فى كتاب العهد الجديد هى أناجيل متى، مرقس، لوقا ويوحنا. وتُسمى أناجيل لأنها عبارة عن تسجيل للكرازة الأولى بالأخبار السارة التى جاء بها السيد المسيح، وهى لم تذكر كل الأعمال التى قام بها السيد المسيح، أو كل الحقائق عنه، كما أنها ليست تاريخاً ولا عظات فحسب، برغم أنها تحتوى على التعليم والوعظ. ولا هى تقارير عن أخبار، وإنما كل هذه العناصر تظهر فيها وتتحد فى شكل جديد خاص بالمسيحية فحسب. وهذه الكتابات كانت بغرض التعبير عن الرسالة الرئيسية للكرازة الأولى بالمسيحية. ولكى تمد المؤمنين بالتعليم الذى يؤكد إيمانهم.

وقد أُطلق على الأناجيل الثلاثة الأولى «الأناجيل المتشابهة»، وبالرغم من الاختلاف فيما بينها فى بعض النواحى فإنها تتبع نفس النظام فى ترتيب الأحداث، وتذكر بإسهاب كرازة السيد المسيح فى الجليل. أما إنجيل القديس يوحنا فإنه يختار بعض الأحداث، ويركز على كرازة وأعمال السيد المسيح فى اليهودية، ويفسر حياة السيد المسيح من منظور لاهوتى بأكثر مما فعل البشيرون الآخرون.

لقد قُبلت الأناجيل الأربعة، فمن بداية تأسيس الكنيسة المسيحية أُعترُف بما سُجل فيها عن حياة السيد المسيح وأعماله، وأول كاتب ذكرها بالاسم هو بابياس Papias من هيرابوليس، الذى عاش فى الثُلث الأول من القرن الثانى الميلادى.

وذلك طبقاً لما ذكره بابياس فى تاريخ الكنيسة، حيث ذكر تقريره «لقد كتب متى تاريخه باللغة العبرية، وأن مرقس هو الشارح لبطرس، وقد كتب بدقة شديدة ما سجله، ولكن ليس بنفس الترتيب الذى قام به سيدنا ...» أما يوستينوس الشهيد فيذكر فى سنة ١٥٠م «إن المذكرات التى كتبها الرسل، والتى تُسمى الأناجيل» كتبها الرسل ومن اتبعوهم (١ الدفاع ٦٦-٦٧)، وقد قام تاتيان، أو (طاطيان) الكاتب الغنوسى فى منتصف القرن الثانى، وجمع الأحداث التى وردت فى الأناجيل الأربعة فى كتاب واحد هو الدياطسرون، وعلى ذلك فإنه لابد أن الأناجيل الأربعة قد عُرفت وقُبلت على أنها المرجع الذى تستند إليه الكنيسة وذلك ليس متأخراً عن بداية القرن الثانى.

الإنجيل

الإنجيل كلمة مأخوذة من الكلمة اليونانية إفانچيلْيُون، وهى من مقطعين الأول: (إفا) ويعنى سار أو مُفرح، والآخر: (إنچيليون) ويعنى خبر أو بشارة أو رسالة.

فالإنجيل هو الخبر السار أو البشارة المفرحة ورسالة الخلاص، وهو إعلان الله لكل ما يحتاج الناس أن يعرفوه عن خلاصهم، وقد استخدمها الرب يسوع المسيح نفسه قائلاً: «توبوا وآمنوا بالإنجيل» وذلك عندما ذهب يسوع إلى الجليل «ليكرز ببشارة ملكوت الله» (مرقس١: ١٤). فالإنجيل ليس كتاباً فحسب، وإنما هو الرسالة التى نادى بها السيد المسيح ورسله وتلاميذه.

أسفار العهد الجديد القانونية

اجتمع المجمع المسيحى فى قرطاجنة فى سنة ٣٩٧م وقرر أن أسفار العهد الجديد القانونية هى الأسفار السبعة والعشرون التى بين أيدينا اليوم، والتى تقبلها كل الطوائف المسيحية.

(أ) تسجيل الأناجيل الأربعة

لم تبدأ الكنيسة المسيحية كرازتها بتوزيع كتبها المقدسة

و إنما من خلال الكرازة الجهارية، وقد تركزت شهادة الرسل على موت السيد المسيح وقيامته (راجع أع ٤: ١٠)، الذى قال عنه بولس «الذى أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥) وقد شهد التلاميذ الأوائل أينما ذهبوا عن المسيح الذى تنبأ عنه العهد القديم، وقد بشَّروا بحياته وأعماله، والأحداث التى بلغت أوجها فى آلامه، والتى كتب عنها بولس قائلا: «فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وإنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب، وإنه ظهر لصفا ثم للإثنى عشر» (١كو ١٥: ٣-٥).

إنه مما لاشك فيه أن الرسل لم يقيدوا أنفسهم بهذه الحقائق فقط، لأن كان لسامعيهم الرغبة فى الحصول على المزيد من المعلومات عن يسوع، إن الأحداث الهامة فى حياة المسيح قد ذُكرت، وهو ما تحتويه الأناجيل التى بين أيدينا.

لقد تلقَّى الرسل الذين دخلوا إلى الإيمان حديثاً التعليم «تعليم الرسل» (أع٢: ٤٢)، ولابد أن ذاك التعليم قد احتوى على تاريخ حياة السيد المسيح، موته وقيامته، وبدون هذا التعليم، لكانت الكنيسة قد فقدت رسالتها المميزة. فبينما التعليم الشفهى قد لايكون نمطياً، وليست له صفة الاستمرارية، وهذا ماقد ألمح إليه لوقا عندما كتب إلى صديقه ثاؤفيلس .. «لتعرف صحة الكلام الذى عُلِّمت به» (لوقا ١: ٤) وكلمة «علِّمت» هى فى اليونانية Catechized وتتضمن معنى نقل المعرفة عن طريق الكلمة المنطوقة، وربما تعنى التعليم الرسمى، وقد عُلِّم ثاؤفيلس فعلاً معرفة عامة عن محتوى الإنجيل، وقد وضع لوقا الحقائق مكتوبة ليؤكد على الحقائق التى سبق وعرفها.

وحيث أن المؤمنين الجدد بحاجة إلى التعليم دائماً، وأن المؤمنين من المعاصرين للسيد المسيح أصبحوا شيئاً فشيئاً غير موجودين إما بسبب الشتات، أو بسبب الموت، ومن ثم أصبح لزاماً وجود تسجيل مستمر. والانتقال من الوعظ إلى الكتابة يُستنتج من الإشارات الواردة فى الأناجيل الموجودة بين أيدينا، والكتابات الأولى الأخرى. وتوجد نظريات عديدة تفسر أصل نشأة الأناجيل، ولاسيما الأناجيل المتشابهة، حيث تقدم المشكلة الخاصة بالتشابه اللفظى فى بعض الأجزاء، وللاختلاف الكبير فى أجزاء أخرى.

(ب) نظريات تحاول تفسير نشأة الأناجيل ولاسيما الأناجيل المتشابهة وهى:

١- نظرية التقليد الشفهى

كان لدى رسل السيد المسيح ممن لازموه وكانوا مقربين إليه مخزوناً هائلاً من الذكريات وكذلك من التعليم.

فتبشير الرسل هو إعادة ذكر للأحداث الهامة، والتعليم: مثل الموعظة على الجبل، وأحداث آلام السيد المسيح.

وثمة أحداث تبدو أقل فى الأهمية لم يذكرها الرسل، وعندما بدأ الرسل فى تسجيل كتاباتهم كتبوا الأحداث الهامة والرئيسية، وقد اختار كل كاتب ما يحتاجه لمن يكتب إليهم. ولذلك فإن الحقائق العامة والأساسية يمكن أن تكون هى نفسها مشتركة للجميع، أما الترتيب والأسلوب فيختلفان. فالتشابه فى الأناجيل إنما هو تكرار للكرازة التى تقوم بها الكنيسة، والاختلافات ترجع نتيجة للاختيار من الحقائق المتنوعة والأحداث التى تناسب كل كاتب.

٢- نظريات ترى أن الأناجيل يعتمد بعضها على بعض

يرى بعض المفسرين أن الأناجيل الأربعة يعتمد بعضها على بعض.

فهل التغييرات والتباديل فى الترتيب كانت متاحة؟، لم يستطع أحد أن يبرهن على ذلك، ولم يعد أحد يؤمن بهذه

النظرية كذلك.

٣- نظرية الوثيقتين

توجد نظرية حديثة ترى أن هناك مصدرين أساسيين استقى منهما كاتبو الأناجيل الثلاثة المتشابهة، وهذان المصدران هما «إنجيل مرقس»، وافتراض جدلى بأنه ثمة مجموعة من أقوال السيد المسيح والأمثال يطلق عليها «Q» وهى تعنى المصدر، وهذه النظرية ترجع إلى الملاحظة بأن معظم محتوى إنجيل مرقس إنما هو جزء رئيسى فى إنجيل متى وإنجيل لوقا.

فبينما مرقس ومتى قد يذكران مالم يذكره لوقا، ولوقا ومرقس قد يذكران مالم يذكره متى، لكن متى ولوقا قد ذكرا كل ماذكره مرقس، ويُفترض أن «Q» يحتوى على المواد التى جاءت فى إنجيلى «متى» و «لوقا» ولم تُذكر فى إنجيل مرقس. وطبقاً لنظرية الوثيقتين هذه، فإن مرقس يذكر الحقائق الأساسية فى حياة الرب يسوع كما كان يُكرزَ بها ويُعلَّم فى الكنيسة، وأن «Q» أو المصدر فيتكون من أقوال وأعمال السيد المسيح ولكنها لم تكن مرتبة.

إن مثل هذه النظرية تشكل خطراً داهماً للشك الذى تصوِّبه تجاه دقة واستقلالية كل من إنجيلى متى ولوقا. فإذا كان كل منهما قد دمج إنجيل مرقس بكامله أو أدخلا بعض التعديلات، والإضافات كما رأيا من المناسب، فهل كتبا ما يمكن أن يصنف معه من أجل أهميته وسلطانه؟ إنه لايوجد مطلقاً أى أثر للمصدر «Q» ووجوده، إنما هو مجرد فرض جاء بناءً على أساس افتراض أن متى ولوقا لهما مصدر واحد للمادة المشتركة بينهما والتى لم تذكر فى مرقس. إن بناء النظرية مبنى على مجرد افتراض، وإن ثمة اختلافاً على ماهى المواد التى ذُكرت - أو لم تُذكر- فى المصدر أو «Q».

على الرغم من أنه من المحتمل أن كاتبى الأناجيل قد استخدموا مصادر مكتوبة، إلا أنه لايوجد أى سبب يوضح لماذا لايعتمدون على مدى واسع. على معرفة مباشرة أو معلومات شفهية مباشرة لمعظم المادة التى كتبوها. وهناك برهان غير مقنع تماماً لتأييد النظريات التى ترجع بزمن كتابة الأناجيل إلى أواخر القرن الأول، أو إلى أوائل القرن الثانى الميلادى. إذا كان فى إمكان الكُتَّاب (كُتَّاب الأناجيل) أنفسهم أن يكتبوا معظم المادة التى كتبوها والتى تنسب إلى المصادر المزعومة!

٤- نظرية نقد الشكل

وهى النظرية التى اقترحها دبلوى Dibeluis فى عام ١٩١٩م، وحاول من خلالها أن يتغلغل فى مصادر التقليد الشفهى.

وهو يرى أن المادة التى تكونت منها الأناجيل كانت فى الأساس عبارة عن تقارير قصيرة مستقلة متداولة والتى كان من الممكن أن تصنف بحسب الشكل الأدبى التى اقترح لها سلسلة من العناوين: قصة الآلام التى تتعلق بنهاية حياة المسيح، و النماذج أو نماذج من أعمال المسيح التى استخدمت فى توضيح رسالته، وسرد أحداث المعجزات التى تدخل البهجة على السامعين، وقصص حياة الرجال المقدسين. كما ذكروا نماذج من الأقوال تفوه بها السيد المسيح واستخدمت فى العظات، ومن هذا التنوع فى العدد الكبير للاقتباسات والقصص، طبقاً لهذه النظرية، فإن العظات الأولى قد أُلقيت، ثم فيما بعد دُونت فى الأناجيل.

وبينما ليس من المستحيل أن أعمال المسيح وأقواله المتفرقة قد تم تسجيلها فى الأناجيل ، وإنه لأمر مشكوك فيه أنها قد خضعت لسلسلة طويلة من الإعداد. إن كل إنجيل يحمل سمات خاصة لغرض محدد بالأحرى عن كونه تجميع تم بالصدفة لتقليد منتشر.

إن البرهان المحدد الذى يتعلق بأصل الأناجيل المتشابهة

ربما يرجع إلى ماجاء فى استهلال إنجيل لوقا. إذ يكتب الإنجيلى «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا» (أى عن حياة يسوع) (راجع لو ١:١)، ولكنه وجد أن تلك الكتابات لايعتد بها، ولذلك كتب «رأيت أنا أيضا... أن أكتب على التوالى»(١:٣)، فهو يرى أن له نفس الحق أن يكتب عن حياة السيد المسيح كما فعل الآخرون أيضاً. فعنده من المعلومات مايفوق معلومات الآخرين. إن لوقا يعتبر أن ذلك قد لاقى قبول الكنيسة كلها، وأنها قد انتقلت إليه من خلال «الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة»(لو١:٢).

إن الكلمة المستخدمة «خداماً للكلمة» هى نفسها التى استخدمها فى (أع ١٣:٥) لتصف يوحنا مرقس الذى كان حاضراً مع برنابا وبولس فى كرازتهما الأولى. وحيث أن لوقا لم يكن معهم فى ذلك الحين، فيبدو أنه قد حصل من مرقس على جانب من المعلومات التى وردت فى إنجيل مرقس، الحقيقة التى ربما تفسر إلى حد ما حقيقة الألفاظ المستخدمة.

كان البشير لوقا حريصاً على الاستعانة بمصادر علمية موثوق بها. بل وكان معاصراً للسياق العام للأحداث (١:٣)، كان باحثاً مدققاً فى المعرفة، ومدققاً كذلك فى نقلها. وعلى الرغم من أن متى ومرقس لم يذكرا شيئاً محدداً شبيهاً بما ذكره لوقا فيما يتعلق بهذا الأمر،إلا أن اتباعهما لنفس الترتيب والمحتوى لكتابتهما، إنما يدل مقدماً على دقة على نفس المستوى.

إن الكلمات الختامية للإنجيل الرابع إنما تلقى بالأضواء على هذه المشكلة التى تتعلق بالكتابة، فقد كتب البشير يوحنا قائلاً: «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب فى هذا الكتاب، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا..» (يوحنا ٢٠: ٣٠و٣١)، إذ أن يوحنا كان قد اختار بعض الحقائق عن حياة المسيح وتعليمه من الأحداث التى يختزنها فى ذاكرته مما يخدم الغرض من الكتابة، فقد كان للإنجيل الذى كتبه غرضاً محدداً، ولذلك فقد استخدم من المواد ما يمكنه من الوصول إلى هدفه. وحيث أن الأناجيل لم يُقصد بها أن تكون شاملة، فإنه لا يتوقع أنها تمدنا بالكامل عن كل ما قاله وما فعله يسوع، وكذلك لا يجب أن ننظر إليها على أنها غير دقيقة لأن ثمة أحداثاً ذُكرت فى بعض الأناجيل بينما لم تُذكر فى الأناجيل الأخرى.

ربما يكون أفضل تفسير لعملية الكتابة أن كل كاتب من كُتَّاب الأناجيل الأربعة كان يسعى لنقل جوهر الرسالة للجمهور الذى يكتب له، ولذلك فقد قام كل منهم على حدة باختيار وترتيب الأحداث بطريقته الخاصة ومن ناحية أخرى، فإن الرسالة كانت قد تكررت كثيراً لدرجة أنها أصبحت محددة، وأن الكلمات المستخدمة كان يمكن لأى إنسان أن يذكرها، وليس من المستبعد أن كلاً من متى ومرقس ولوقا قد التقوا فى وقت ما، أثناء جولاتهم التبشيرية، وتبادلوا الملاحظات.

٢- إنجيل متى

أ - لمحة موجزة.
ب - الكاتب.
جـ - زمن الكتابة.
د - هدف إنجيل متى.
هـ - الإطار العام لإنجيل متى .

أ - لمحة موجزة

يعد إنجيل متى أقدم الأناجيل وأوسعها استخداماً. وكما سبق الإشارة فإن يوسابيوس القيصرى المؤرخ الكنسى فى القرن الرابع الميلادى، ذكر ماقاله بابياس: «لقد كتب متى تاريخه باللغة العبرية، وكل شخص قادر على الترجمة قام

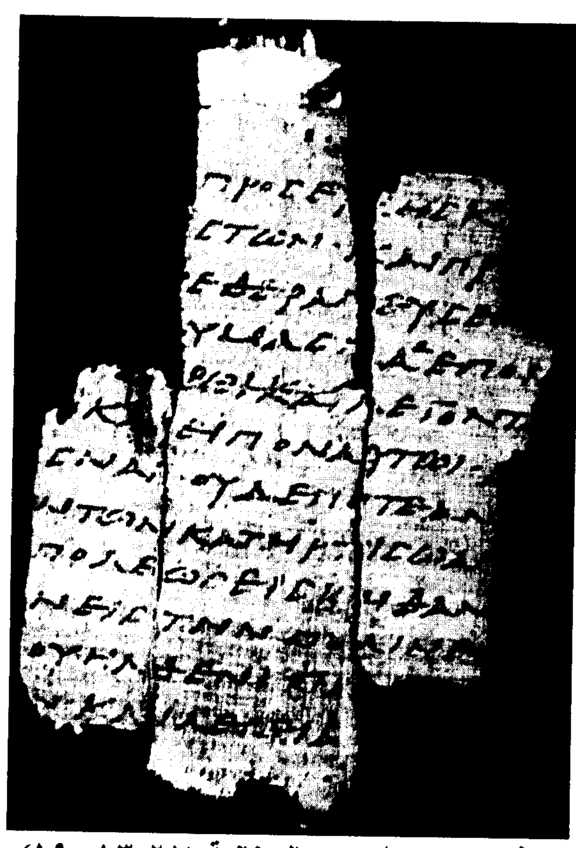
بترجمته» (يوسابيوس تاريخ الكنيسة ٣: ٣٩) ولأن يوسابيوس لم يذكر كاملاً كل ماقاله بابياس فإن المعنى غير واضح. فربما ماكان يقصده باللغة العبرية هو اللغة الأرامية، حيث كانت اللغة الشائعة أنذاك ليهود فلسطين. وهو لايقصد أن البشير متى ساهم بمعلومات محددة عن يسوع فى الفترة السابقة للامتداد الأممى فى الكنيسة، والتى لابد أنها عرفت بناء على ذلك قبل عام ٥٠م، إن الاقتباسات أو الإشارات من الإنجيل فى تعاليم الرسل Didache (١٢٥ م)، ورسالة برنابا (١٥٠ م) ، ورسالة أغناطيوس إلى أهل سميرنا (١١٨م)، وحوار يوستينوس الشهيد مع تريفون Trypho (١٤٠م) تتفق إلى حد كبير مع إنجيل متى بأكثر من اتفاقها مع إنجيلى مرقس ولوقا، ولابد أن الإنجيل كان متداولاً فى أواخر القرن الأول، وربما قبل ذلك.

ب ـ الكاتب

إننا لانعرف سوى القليل عن كاتب إنجيل متى، وهو من يدعوه الإنجيل «لاوى»، وكان عشاراً أى جابياً للضرائب بالقرب من كفر ناحوم (متى ٩: ٩ ،١٠) وقد دعا المسيح إلى وليمة فى بيته (راجع مر ٢: ١٥)، ولم يُذكر عن «متى» شيء آخر فى الأناجيل غير ماذُكر فى قائمة أسماء الرسل (مرقس ٢: ١٤، لوقا ٦: ١٥، أعمال ١: ١٣) وكلمة متى تعنى عطية يهوه ولابد أنه كان متعلماً، لأنه كان يُجبر الناس على دفع الضرائب لحساب الحكومة الرومانية.

جـ ـ زمن الكتابة

إن تاريخ إنجيل متى غير معروف. ولكن صمته عن ذكر تدمير أورشليم، التى لها أهمية فى النبوات اليهودية، وفى قلب كل يهودى، يشير إلى أن الأصل كُتب ليس متأخراً عن سنة ٥٠م، حيث وجد الإنجيل فى ذلك الوقت باليونانية فحسب بين المسيحيين من الأممين. حيث أن استخدامه على نطاق واسع بين المسيحيين الأمميين بدأ بعد التشتت من أنطاكية،



شذرة من إنجيل متى باليونانية (٢١:١٣ ـ ١٩)
بردية ترجع إلى القرن الثالث الميلادى

وقد بدأ تداوله هناك بين سنة ٥٠م، وسنة ٦٥م.

وقد كتب إيريناوس «إن متى أصدر إنجيلاً مكتوباً بين العبرانيين بلغتهم الخاصة» (ضد الهرطقات ٣: ١ ،١) وتأكيداً لما قاله بابياس، فربما يكون إنجيل متى هو الأول الذى يجمع فى وقت واحد بين تعاليم المسيح والتى قام متى بنقلها، وأعماله التى شكلت جوهر الكرازة المسيحية. والتى أعلنها بطرس، وذكرها مرقس بشىء من الاختصار. ويعتبر إنجيل

الأماكـن الرئيسيـة كما وردت فى إنجيل متى.

متى أقدم الكتابات التى أستخدمت فى المرحلة الانتقالية من الكنيسة فى أورشليم إلى كنيسة الأمم اليونانية.

د ـ هدف إنجيل متى

إن هدف إنجيل متى هو إعلان مسيانية يسوع، وكان هذا الموضوع يأتى على رأس قائمة الموضوعات التى كان الرسل يبشرون بها، وذكر سلسلة نسب المسيح توضح إتمام العهد الذى قطع لابراهيم وإسحق ويعقوب وداود (راجع متى ١:٢٢و٢٣ ، ٢:٥و٦ و١٥و١٧و١٨ ، ٣:٣ ، ١٤:٤). وقد ارتبطت أحداث حياته بتحقيق النبوات، وتؤكد الموعظة على الجبل علاقة المسيح بالناموس(متى ٥: ١٧ - ٢٠) كما قال السيد المسيح عن نفسه إنه أعظم من يونان، وأعظم من الملك سليمان (متى ١٢: ٤١ -٤٢) لقد قبل السيد المسيح اعتراف سمعان عنه «أنت هو المسيح بن الله الحى»، ومدحه أيضاً (متى١٦: ١٣- ٢٠) وقد أكد السيد المسيح ما قاله عندما أراد أن يستحلفه (متى٢٦: ٦٣- ٦٤).

لقد اتبع متى بصفة عامة نفس الترتيب الزمنى الذى أتبعه كاتبا الإنجيلين المتشابهين الآخرين، ويوجد قسمان كبيران يبدآن بعبارة «من ذلك الزمان، ومن ذلك الوقت» (متى ٤: ١٧ ،١٦: ٢١) وهما يقدمان بداية خدمة يسوع الجهارية، والفساد الذى قاد ابن الله إلى الصليب، وقد جمع متى بينهما ليوضح حقائق النبوات المسيانية.

لقد سجل الكاتب سبعة موضوعات مهمة هى :

١- كرازة يوحنا (٣: ١-١٢).

٢- الموعظة على الجبل (٥: ١-٧: ٢٩).

٣- إعداد التلاميذ للخدمة (١٠:١-٤٢).

٤- أمثلة الملكوت(١٣: ١- ٥٢).

٥- معنى الغفران(١٨: ١- ٣٥).

٦- نبوات عن آخر الأيام(٢٣: ١- ٢٥: ٤٦).

٧- الوكالة العظمى(٢٨: ١٨-٢٠).

يُعتبر إنجيل متى هو الإنجيل الوحيد الذى ذكر «الكنيسة» (١٨:١٦ ، ١٨: ١٧).

هـ ـ الإطار العام لإنجيل متى

١- قصة الميلاد (١:١-٢:٢٣).

٢- يوحنا المعمدان (٣: ١-١٧).

٣- يسوع يخدم فى الجليل (٤ : ١-١٨: ٣٥).

أ- الإعداد (١٤- ٢٥).

ب- الموعظة على الجبل(٥: ١-٧: ٢٩).

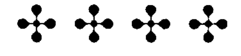
جـ- معجزات السيد المسيح وتعاليمه (٨:١-١٨: ٣٥).

٤- خدمة يسوع فى تخوم اليهودية وأورشليم (١٩:١٠-٢٥: ٤٦).

٥- آلام السيد المسيح (٢٦:١-٢٧: ٦٦).

٦- قيامة السيد المسيح(٢٨: -٢٠).

✣ ✣ ✣ ✣



أ- الكاتب.

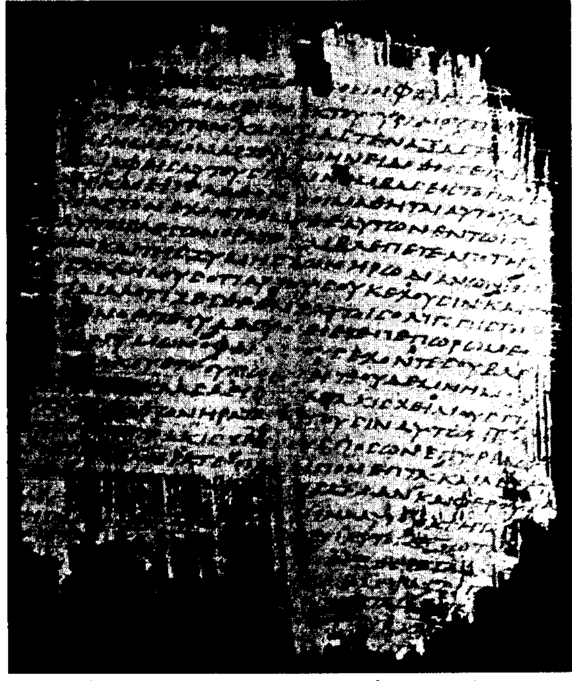
ب- مكان كتابة إنجيل مرقس.

جـ- زمن كتابة إنجيل مرقس.

د- خصائص إنجيل مرقس.

هـ- هدف إنجيل مرقس.

و- الإطار العام لإنجيل مرقس.



شذرة لبردية من إنجيل مرقس باليونانية
(من القرن الثالث الميلادى)

أ ـ الكاتب

لقد لخص إيريناوس ما كتبه بابياس عن إنجيل مرقس، الذى كتبه الرسول الشاب يوحنا مرقس، فكتب إيريناوس بعد أن رحلا (بطرس وبولس) فإن مرقس التلميذ، والمفسر لبطرس، سلَّمنا كتابةً «ماسبق لبطرس أن بشَّر به» وقد ردد تلك الجملة كل من ترتليانوس (٢٠٠م) وأوريجانوس السكندرى (٢٥٠م) وچيروم (٤٠٠ م).

ب ـ مكان كتابة إنجيل مرقس

إن مكان كتابة إنجيل مرقس غير معروف على وجه التحديد، وإن كان التقليد العام يربطه بروما. فيعزى أسلوب مرقس الواضح المُركَّز الجذل إلى العقلية الرومانية العملية،

ETRESPONDENSDIXITILLISIHS
UIDETEHASMAGNASSTRUCTURAS
AMENDICOUOBIS
QUIANONRELINQUETURHICLAPIS
SUPERLAPIDEMQUINONDESTRUATUR
ETPOSTTERTIUMDIEM
ALIUTRESUSCITETURSINEMANIBUS

شذرة من (إنجيل مرقس ١٣: ٢) باللاتينية

فهى عملية أكثر منها نظرية، وتوجد كلمات لاتينية فى النسخة الأصلية اليونانية أكثر من سائر الأناجيل. فإذا لم يكن مرقس البشير يكتب للرومانيين، فلعله قد تأثر بالبيئة الرومانية، ومن المحتمل أنه بدأ تدوين الإنجيل فى فلسطين، وأكمله فى روما. وربما يكون قد كُتب تلخيصاً للكرازة الرسولية للأمم، ولذلك لكى يمد حديثى الإيمان بحقائق الإيمان المسيحى. والأقوال التى وردت فى مقدمة ضد أتباع مارقيون وكتابات كليمندس وإيريناوس تشير إلى روما كمكان للكتابة.

جـ ـ زمان كتابة إنجيل مرقس

يعتقد معظم المفسرين أن إنجيل مرقس كتبه مرقس البشير مابين سنة ٦٥ م وسنة ٧٠ م، وأفضل ما يمكن أن نرتكز عليه لمعرفة تاريخ كتابة الإنجيل هو ما نستقيه من معلومات من آباء الكنيسة. فالقديس إيريناوس وكاتب مقدمة ضد أتباع مارقيون يضعان تاريخ كتابة الإنجيل بعد وفاة الرسولين بطرس وبولس. وهو ما يتطلب تاريخاً بعد سنة ٦٧ م، السنة التى يرجح أن القديس بولس قد أُستشهد فيها. كما أن صمت القديس مرقس عن ذكرخراب أورشليم (٧٠م) فى إتمامه للأصحاح الثالث عشر، إنما يعنى أن تاريخ الكتابة يرجح أن يقع بين سنتى ٦٧ م، ٧٠ م.

د ـ خصائص إنجيل مرقس

إن محتوى إنجيل مرقس موجز ولكنه شامل وهو مثل آلة تصوير، وكل صورة منها تسجل حدثاً أو فعلاً من حياة السيد المسيح. ولإنجيل مرقس بعض الصفات التى تميزه فهو يركز على النواحى العملية لا النظرية، ولم يذكر سوى القليل من أقوال وأمثال السيد المسيح، إلا أنه ذكر معجزات أكثر مما جاء فى الأناجيل الأخرى وذلك قياساً إلى حجم الكتاب. وأسلوبه جذل تصويرى(راجع مر ١: ١، ١٣:٥، ٨: ٧) وهو يتنقل بسرعة بين الأحداث، إلا أن هذا الإنجيل ينقل لنا صورة محددة عن السيد المسيح. ومن أعماله المختلفة يرسم صورة موحدة للشخص الفائق السمو الذى يقدر أن يغفر

الأماكن الرئيسية كما وردت في إنجيل مرقس

الخطايا ،ويشرّع للأخلاق المسيحية، ويشبع الجموع الجائعة، ويشفي المرضى، ويتحاور مع مثقفي اليهود.

وينفرد مرقس بذكر ردود أفعال الجماهير، وقد ذكر ذلك عدة مرات (راجع ١: ٢٧ ، ٢:٧ ، ٤: ٤١ ، ١٠: ٢٦ ، ١١: ١٨ ، ١٢: ٣٤)، ويوجد نحو ثلاثة وعشرين تعبيراً تعكس ردود أفعال من قابلوا يسوع، والانطباع الذى تركه عليهم.

هـ- هدف إنجيل مرقس

يبدو أن الهدف من كتابة إنجيل مرقس هدف تبشيرى، فهو يتضمن تعليماً نظرياً أقل مما ورد فى إنجيل متى. ودفاعاً أقل مما جاء فى إنجيل لوقا، وقد كُتب بأسلوب يناسب بسطاء الناس، وذكر تطبيقات الإيمان، والقديس مرقس يعطى إحساساً لمن يقرأ الإنجيل الذى كتبه أنه يشاهد الحدث فى موقعه.

و- الإطار العام لإنجيل مرقس

١- العنوان ١: ١.
٢- تمهيد لخدمة المسيح (١: ٢-٣).
٣- خدمة المسيح فى الجليل (١:١٤ ، ٦: ٣٠).
٤- المسيح يغادر الجليل (٦: ٣١ ،٩: ٥٠).
٥- خدمة المسيح فى تخوم اليهودية (١:١٠ - ٥٢).
٦- المسيح يختتم خدمته فى أورشليم (١١: ١-١٣و ٣٧).
٧- آلام المسيح وقيامته (١٤: ١ - ١٦و٢٠).

✣ ✣ ✣ ✣

٤- إنجيل لوقا

أ- الكاتب.
ب- زمن الكتابة.
جـ- مكان الكتابة.

د- هدف إنجيل لوقا.

هـ- خصائص إنجيل لوقا.

و- الإطار العام لإنجيل لوقا.

١ ـ الكاتب

تتوفر لدينا معلومات أوفر عن إنجيل لوقا وذلك بأكثر مما تتوفر عن إنجيلى متى ومرقس، لأن القديس لوقا يكتب بنفسه مقدمة مختصرة (لوقا١: ١-٤). وهذا مايوضح طريقته وغرضه من الكتابة، وهذه المقدمة هى المفتاح للإنجيل التى تجعل القارىء يفهم ماهى دوافع وظروف الكتابة. ومقارنة مقدمة إنجيل لوقا مع مقدمة سفر أعمال الرسل تبين لنا أن السفرين قد كتبهما نفس الشخص، وأنهما موجهان إلى ثاؤفيلس. يتضح ذلك من قراءة المقدمة التى جاءت فى سفر أعمال الرسل (١: ١-٥) إذ يقول «الكلام الأول الذى أنشأته يا ثاؤفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به إلى اليوم الذى ارتفع فيه». وحيث أن الكلمات التى وردت فى السفرين والأسلوب تكاد تتطابق لذا فإنه لايوجد أدنى شك فى أن كاتبهما شخص واحد هو القديس لوقا.

والقديس لوقا هو رفيق القديس بولس، وقد كتب بولس عنه «لوقا الطبيب الحبيب» (كولوسى٤: ١٤) والتقليد المبكر يؤكد أن كاتب هذا العمل هو القديس لوقا وقد اقتبس يوستينوس الشهيد (١٤٠م) ماجاء بالتحديد فى (لوقا ٢٣: ٤٦). أما تاتيان (١٤٠ - ١٥٠م) فقد ضم إنجيل لوقا إلى الدياطسرون، ومارقيون الغنوسى اعترف بإنجيل لوقا على أنه الإنجيل القانونى الوحيد. واستشهد ايريناوس (١٧٠م) بالكثير مما ورد فى إنجيل لوقا، واعترف صراحةً بأن لوقا هو كاتبه (ضد الهرطقات ٣:١:١).

وما يدعم رأى التقليد هو البرهان الداخلى، حيث أن لوقا الرفيق الوحيد لبولس، استطاع كتابة سفر أعمال الرسل، وبالتالى يستطيع أن يكتب هذا الإنجيل. فاللغة فى الكتابين تبين اهتمام الكاتب بالمرضى والمرض، وهو يستخدم ألفاظاً وصفية يستطيع الطبيب أن يستخدمها أكثر من أى شخص آخر، ففى وصف مرقس لمرض حماة سمعان قال «كانت حماة سمعان مضطجعة محمومة» (مر١: ٣٠)، و أما لوقا الطبيب فقال: «وكانت حماة سمعان قد أخذتها حُمَّى شديدة (لوقا ٤: ٣٨)، (قارن أيضاً مرقس١: ٤٠، لوقا ٥: ١٢، مرقس ٣: ١، لوقا ٦: ٦، مرقس ٥: ٢٥ و ٢٦، لوقا ٨: ٤٣ و ٤٤).

إن المقدمة التى كتبها البشير لوقا تتضمن أن الكثير قد كُتب عن حياة السيد المسيح وكان متداولاً عندما كتب الإنجيل (١: ١)، وربما كتب ذلك لأنه لم يقنع بدقة المعلومات والحقائق



صورة لصفحة من إنجيل لوقا باليونانية (٩:٤٥ - ١٠:١)

التى ذكرها الآخرون، وقد كان ترتيب الأحداث عند القديس لوقا هو نفسه عند كل من القديس متى والقديس مرقس.

ب ـ زمن الكتابة

على الرغم من أن زمن كتابة هذا الإنجيل غير معروف بالتحديد، إلا أن الاحتمال الغالب هو أنه لم يكتب متأخراً عن سنة ٦٢م، فلابد أن لوقا كتب الإنجيل قبل أن يكتب سفر الأعمال، فالأرجح أن سفر الأعمال قد انتهت كتابته بينما كان بولس فى سجن روما، حيث كان الكاتب يعرف كثيراً عن ما يحدث لبولس بأكثر مما سجل فى سفر الأعمال، إذ أنه بعيد عن الاحتمال أنه انتهى من كتابة سفر الأعمال دون أن يكشف عن الحقائق التى تتعلق بحياة بولس، وربما لم يكتب المزيد لأنه لم يكن ثمة جديد يمكن أن يذكره، ولابد أن سنتى سجن بولس فى روما قد انتهتا فى سنة ٦٢م، وفى هذه الحالة فإن تجميع الحقائق من أجل كتابة الإنجيل لابد أنه سبق هذا الزمان. كان لدى لوقا فرصة كبيرة لكى يقابل من شاهدوا وعاصروا حياة السيد المسيح. ولكى يزور على الطبيعة الأماكن التى خدم فيها يسوع، وذلك خلال سجن بولس فى قيصرية لمدة سنتين.

جـ ـ مكان الكتابة

لايعرف على وجه اليقين مكان كتابة هذا الإنجيل، على الرغم من أنه لابد أن قام لوقا بكتابته خلال الجزء الأول من سجن بولس. وربما أرسله لوقا بصفة خاصة لثاؤفيلس، بعد أن أنتهى من كتابة سفر الأعمال، ومن المحتمل أن كلا الكتابين قد أعطيا لكنيسة الأمم اليونانية، وكذلك فإنه ربما كُتبا قبل تدمير أورشليم، حيث أنه لاتوجد أية إشارة لذلك على صفحاتهما.

د ـ هدف إنجيل لوقا

والغرض من كتابة السفر ذُكر فى المقدمة «أن أكتب إليك أيها العزيز ثاؤفيلس»(١:٣) ربما كان ثاؤفيلس أحد أصدقائه وهو على قدر كبير من الثقافة وله مكانة اجتماعية رفيعة. وربما كتب له كصديق شخصى لعله يبدد شكوكه، كشخص حديث فى الإيمان ، وليقوده إلى الإيمان الحقيقى.

هـ ـ خصائص إنجيل لوقا

يتميز إنجيل لوقا بأنه كُتب بأسلوب أدبى. والأسلوب الذى كُتبت به المقدمة يتفق إلى حد كبير مع الأسلوب الأدبى للكتب الكلاسيكية. وقد كتب مقدمة عن ميلاد وحياة المسيح، وكذلك كتب مقدمة عن خدمة يسوع الجهارية بشىء من التفصيل يفوق الأناجيل الأخرى. وقد كتب لوقا على نحو متميز الجزء (٩: ٥١ ،١٨: ١٤) وهذا الجزء يتضمن العديد من الأمثال والأحداث التى وضعها لوقا فى أسلوب أدبى وبترتيب متميز. فالأمثال التى جاءت فى (لوقا ١٥) عن الخروف الضال، والدرهم المفقود، والابن الضال، كُتبت باختصار، ولكن بأسلوب أدبى بديع. مع الأخذ فى الاعتبار حقيقة أن قائلها هو يسوع، ونقل القديس لوقا لها يبين مدى استخدام الأسلوب البديع للكاتب الذى يستطيع أن يكتب بطريقة مؤثرة.

قدم القديس لوقا المسيح المخلص للبشرية، الذى كان يهتم بالفقراء والمضطهدين، وقد جاء ليخلصهم.

لقد ركز البشير لوقا على الحقائق التاريخية، لكى يقنع ثاؤفيلس برسالة السيد المسيح. لذا فقد شرح على نحو وافٍ البيئة التى نشأ فيها يسوع، وسلسلة النسب الطبيعى التى جاء منها، ولم يتبع فى ذلك ما اتبعه القديس متى. وقام لوقا بوضع الأحداث التاريخية فى ترتيبها الزمنى وعلاقتها الأحداث العالمية المعاصرة (لوقا ٢: ١و٢ ،٣: ١و٢). لقد كان لوقا يرى أن المسيحية هى إعلان خطة الله للعالم، لا مجرد طائفة أو دين.

كان القديس لوقا فناناً وأديباً، فكان هو الوحيد من بين كاتبى الأناجيل الذى ضمن إنجيله أربعة أناشيد روحية هى التطويبات (لو ١: ٤٦ - ٥٥)، مباركة زكريا (١: ٦٨ - ٧٩)، تسبيح الملائكة عند ولادة يسوع (٢: ١٤)، والترنيمة

التى نطق بها سمعان فى الهيكل عندما رأى الصبى يسوع (٢: ٢٩ - ٣٢).

يقدم إنجيل لوقا المسيح ابن الإنسان الذى ينتمى لكل البشرية والذى يتعاطف مع كل إنسان. وينفرد بذكر مثل السامرى الصالح، الذى يوضح أن القريب لا يتحدد بالجنس أو الثقافة بل بالمحبة. وقد اهتم القديس لوقا اهتماماً خاصاً بالمرأة والطفل. وقد ركز على خدمة يسوع بين الفقراء والمقهورين(١: ٥٣). لقد عكس لوقا اهتمام يسوع بالفقراء (راجع ٤ : ١٨ ، ١٢: ١٦ - ٢١ ، ١٤: ١٥ - ٢٤ ، ١٦: ١٩ - ٣١).

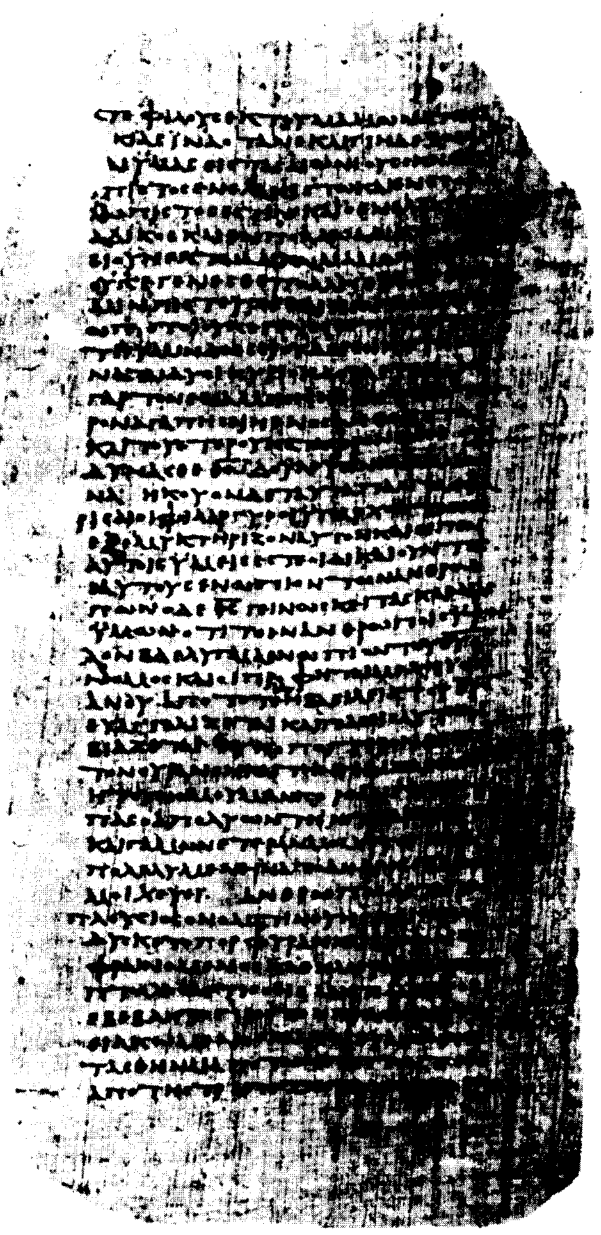
لقد ركّز القديس لوقا على هدفين أساسيين هما:

١- الصلاة: أحد أبرز الموضوعات التى اهتم بها، وقد ذكر أن يسوع قد صلّى عندما اعتمد (٣: ٢١)، وعندما اعتزل فى البرارى (٥: ١٦)، وقبل أن يدعو تلاميذه (٦:١٢)، وقبل أن يعلم تلاميذه (١١: ١)، ومن أجل سمعان (٢٢:٣٢) وفى جثسيمانى (٢٢: ٤١)، وعلى الصليب (٢٣: ٣٤ . ٤٦).

٢- الروح القدس: حيث ذكر لوقا الروح القدس مرات تفوق المرات التى ذُكرت فى كل من إنجيلى متى و مرقس معاً.

(راجع ١: ٣٥ ، ٣ : ٢٢ ، ٤: ١ ، ٤: ١٤و ١٨ ، ١٠: ٢١)، وأمر تلاميذه بأن يقيموا فى أورشليم إلى أن يلبسوا قوة من الأعالى (٢٤: ٤٩)، ونرى كذلك الاهتمام بهذين الهدفين فى سفر الأعمال إلى جانب الاهتمام بالحقائق التاريخية.

إن المحتوى التعليمى ليس واضحاً فى إنجيل لوقا كما هو واضح فى إنجيلىْ متى ويوحنا، إلا أنه كافٍ ليعلن الفكر اللاهوتى المسيحى ، ومفهوم الخلاص قد أُعلن فى



جزء من إنجيل لوقا من القرن الثالث الميلادى

الأماكن الرئيسية كما وردت فى إنجيل لوقا

الكلمات التى قالها يسوع «لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ماقد هلك» (١٩: ١٠)، ويركِّز لوقا على أن يسوع هو المسيًا الذى سبق أن تنبأ عنه العهد القديم الذى «كان ينبغى أن (المسيح) يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم» (٢٤: ٤٦ و٤٧).

إن الغرض النهائى من تعليمه هو نقل الحقائق الروحية الهامة للقارىء.

و - الإطار العام لإنجيل لوقا

١- مقدمة (١: ١ - ٤)

٢ - قصة ميلاد يسوع (١: ٥ ،٢: ٥٢)

٣- خدمة يوحنا المعمدان (٣: ١ - ٢٠)

٤ - خدمة يسوع فى الجليل (٣: ٢١ ،٩: ٥٠)

٥- جولات المسيح (٩: ٥١ ، ١٩ :٤٤)

٦- خدمة المسيح فى أورشليم (١٩: ٤٥ ،٢١:٣٨)

٧- الآلام (٢٢: ١ ، ٢٤: ٥٣)

✣ ✣ ✣ ✣

٥-إنجيل يوحنا

أ- الكاتب.

ب- خصائص إنجيل يوحنا.

جـ- زمن الكتابة.

د- مكان الكتابة.

هـ- هدف إنجيل يوحنا.

و- التركيز على شخص المسيح.

ز- الإطار العام لإنجيل يوحنا.

ا ـ الكاتب

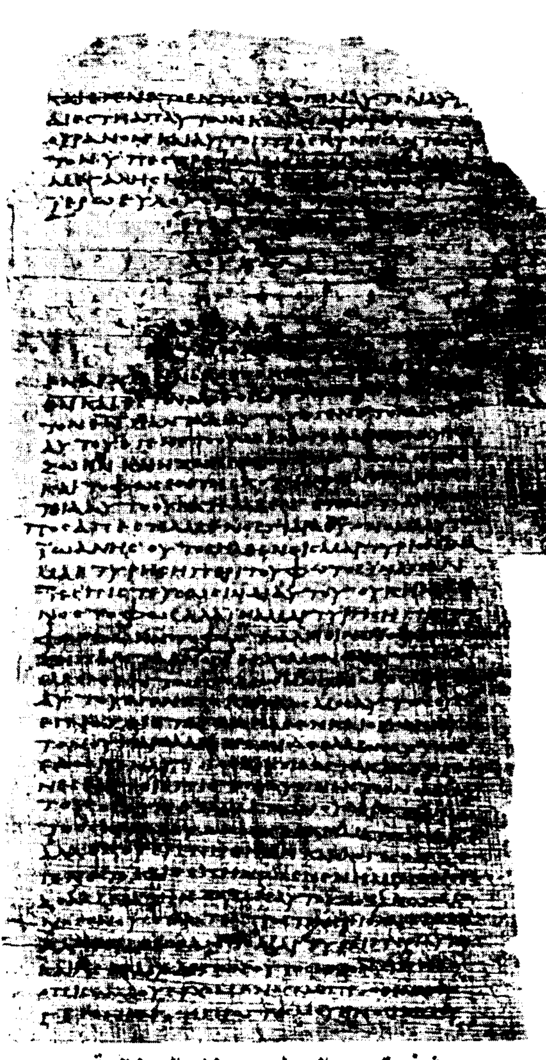
يختلف إنجيل يوحنا اختلافاً بيّناً عن الأناجيل الثلاثة المتشابهة التى سبق أن تحدثنا عنها فى المحتوى والترتيب، فإنجيل يوحنا لايحتوى على أية مثل من أمثال السيد المسيح، ولكن على القليل من أقواله، التى ذُكرت كثيراً فى الأناجيل الثلاثة المتشابهة، وقد ذكر يوحنا سبع معجزات، لم يُذكر خمس معجزات منها فى باقى الأناجيل. لقد كُتب إنجيل يوحنا على مثال عظة بالحرى بأكثر من كونه ترجمة لسيرة حياة. وهو يعالج حياة يسوع على أنها الباعث للإيمان أكثر منها محاولة لتلخيص الأحداث التاريخية.

إن الشذرات التى يقتنيها رايلاندز(Rylands) من ورق البردى تحمل على كل من وجهيها كلمات البشير يوحنا، ويرجع تاريخها إلى الرّبع الأول من القرن الثانى، وتوضح أن هذه النسخة كُتبت نحو عام ١٢٥م، وتوجد إشارات واقتباسات من هذا الإنجيل فى الرسالة إلى برنابا (١٢٥م)، ورسائل اغناطيوس (١١٠م) ويوستينوس الشهيد(١٤٠م)، فيما يبدو إنها اقتباسات من هذا الإنجيل. وهيراقليون الغنوسى، الذى ازدهرت مدرسته الفكرية بين عامى١٤٠م و ١٨٠م كتب تفسيراً لإنجيل يوحنا، كما استخدمه تاتيان (١٤٠م) ضمن الدياطسرون.

وبذلك فإنه لايوجد شك فى أن إنجيل يوحنا كان موجوداً قبل منتصف القرن الثانى ، وفى عصر إيريناوس(١٧٠م-١٨٠م) فإن شهادة الرسل تؤكد على وجود حقيقى للإنجيل الذى كتبه يوحنا التلميذ الذى كان يسوع يحبه.

ب ـ خصائص إنجيل يوحنا

إن هذا الإنجيل نفسه يحمل سمات كاتبه، فالكاتب على معرفة جيدة بالعادات والتقاليد اليهودية، وكذلك يعرف العهد القديم، ويعرف الأماكن المختلفة فى فلسطين، وعاش فى أورشليم. وقال إنه رأى يسوع «ورأينا مجده» (١٤:١)، وكان عند الصليب (١٩: ٣٥)، وذكر الساعة التى جلس



شذرة من إنجيل يوحنا باليونانية
(الأعداد الثلاثة من إنجيل لوقا وبداية إنجيل يوحنا١:١٦)



شذرة من إنجيل يوحنا
(أقدم نسخة موجودة من العهد الجديد)
وهى جزء من بردية لإنجيل يوحنا (١٨: ٣١ - ٣٣)

فيها يسوع عند بئر يعقوب بمدينة سوخار (٤: ٦). وكذلك ذكر عدد وحجم الأجران فى عرس قانا الجليل(٢: ٦).

وكذلك عندما وصف المكان الذي اتكأ فيه الجمع فى معجزة إشباع الخمسة الآلاف(٦: ١٠)، والتفاصيل الكثيرة التى ذكرها فى الأصحاحين الثامن عشر، والتاسع عشر، والأصحاح الأخير يقول عنه «التلميذ الذى كان يسوع يحبه» دون أن يذكر اسمه، الذى كان رفيقاً لبطرس وقت الصيد بعد قيامة الرب يسوع (٢١: ٧)، وكذلك عندما ركضت مريم المجدلية إليه وسمعان بطرس بعدما ذهبت ونظرت الحجر مرفوعاً من القبر (يو٢٠: ٢)، وكان يجلس إلى جوار المسيح فى العشاء الأخير.

ربما لم ينل القديس يوحنا سوى قدر ضئيل من التعليم. إلا أنه يحتمل أنه قد اهتم بتثقيف نفسه لتنمية قدرته على التعبير بالدرجة التى نراه عليها فى الإنجيل، وقد أُستخدمت اللغة اليونانية فى الجليل التى نشأ فيها. وإذا كان الإنجيل قد كُتب قرب نهاية حياته، وتوجد إشارات فى الإنجيل عن طول عمره (٢١: ٢٢و٢٣) فلابد أنه كانت عنده فرصة واسعة لكى ينمى كلاً من لغته اليونانية ومعرفته اللاهوتية. لقد كتب الإنجيل من خلال خبرته ومعايشته للرب يسوع.

إن الفرق بين إنجيل يوحنا والأناجيل المتشابهة الثلاثة الأخرى، هو أن قصة حياة الرب يسوع قد كُرز بها فى هذه الأناجيل الثلاثة، وأن يوحنا كان على علم بها.

وعلى ذلك فإن القديس يوحنا حاول أن يقدم ما يتكامل معها، مقدماً رؤية جديدة عن حياة الرب يسوع.

جـ ـ زمن الكتابة

إن تاريخ كتابة هذا الإنجيل مجهول، وثمة العديد من الافتراضات أُقترحت لذلك. إن جود إنف وإروين يقترحان سنة ٤٠م للزمن الذى ربما كتب فيه يوحنا الإنجيل، ولكن يوجد اقتراح آخر بأنه ربما يكون قد كُتب فى سنة ٨٥ م، حيث يكون التعليم العام للإنجيل قد تبلور، وحيث يحتاج التعليم وكذلك الاعتراضات التى نشأت من جانب الفلاسفة الوثنيين إلى تقديم ذى سلطة فى تفسير خدمة يسوع.

د ـ مكان كتابة إنجيل يوحنا

إن المكان الذى كُتب فيه إنجيل يوحنا غير معروف. وهناك عدة افتراضات لذلك وهى: فلسطين، الإسكندرية، وغيرها. ويقول أيريناوس فى كتابه ضد الهرطقات (٣:١:١) إن يوحنا كتب الإنجيل أثناء إقامته فى أفسس بأسيا، وربما كتبه للكنيسة التى نمت ونضجت، والتى كان عليها أن تواجه اعتراضات الفلاسفة الوثنيين. وشرح العادات اليهودية (١: ٣٨و٦٢و١٣ ، ٤: ٩ ، ٩: ٢٢ ، ١٨: ٢٨.. إلخ) يشير إلى أن الكتابة كانت موجهة للأمميين. وعلى ذلك فإن الاحتمال

الغالب هو أن الإنجيل والرسائل التى كتبها كانت موجهة إلى الكنيسة اليونانية فى أسيا.

هـ - هدف إنجيل يوحنا

كان تركيز القديس يوحنا هو أن يجعل القارىء يؤمن بالمسيا، وقيادته إلى الحياة الجديدة بحسب إيمانهم، فالهدف هو الحياة الأبدية، والحياة قد أُعلنت بين الناس،وذلك باختيار بعض الأحداث من حياة المسيح لتوضح ذلك المعنى.

و - التركيز على شخص المسيح

وفى مقدمة الإنجيل يقدم يوحنا شخص المسيح الكلمة الأزلى، و «الابن الذى فى حضن الآب هو خبَّر، والكلمة صار جسداً» ليعلن الحياة الأبدية للناس، و«النور يضئ فى الظلمة، والظلمة لم تدركه» (١: ٥).

إن إعلان الحياة، مثل النور، فلا تستطيع الظلمة أن تدركه، ومن ثم يبدأ الصراع فوراً نتيجة لذلك. وتاريخ هذا الصراع الروحى يتضح فى شرح حياة السيد المسيح. وهنا يوجد خياران:

الأول: **الإيمان** وهو يعنى قبول النور (١١، ١٢).

والآخر **عدم الإيمان**، ويعنى رفض النور (١: ١٠و١١) والأحداث التى تقع بعد ذلك توضح مآلهما.

إن أساسيات الإيمان تتألف من سبع معجزات مختارة أو آيات قام بها السيد المسيح:

(١) تحويل الماء إلى خمر (٢: ١ -١١).

(٢) شفاء ابن خادم الملك (٤: ٤٦ -٥٤).

الأماكن الرئيسية كما وردت فى إنجيل يوحنا

(٣) شفاء مريض بركة بيت حسدا (٥: ١-٩).

(٤) إشباع الخمس الآلاف (٦: ١- ١٤).

(٥) المشى على الماء (٦: ١٦ - ٢١).

(٦) شفاء المولود أعمى (٩: ١-٤١).

(٧) إقامة لعازر (١١: ١-٤٤).

إن كلاً من هذه المُعجزات تُمثل القوة المسيطرة للمسيح من خلال بعض الأمور الأساسية التى تتعلق بالاحتياج الإنسانى، فهى تظهر قدرته على التغلب والانتصار القوى على تلك الاحتياجات التى تضغط على الإنسان وتحط من قدره، وكل معجزة كانت تجاوباً مع الإيمان الرئيسى الذى صاحبها، ومن هذه المعجزات توجد خمس منها على الأقل كانت بهدف تعليم التلاميذ، وقد كتب يوحنا بالتحديد الغرض من ذلك «وآيات أُخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب فى هذا الكتاب، وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (٢٠: ٣٠و٣١).

إن إنجيل يوحنا يبرز شخص المسيح أكثر مما يبرز أعماله. ويتضح ذلك فى المرات السبع الرئيسية التى ذُكرت، واستخدم فيها السيد المسيح عبارة «أنا هو» فقال: «أنا هو خبز الحياة» (٦: ٣٥)، «أنا هو نور العالم»(٨: ١٢ ، ٩: ٥)، «أنا باب الخراف»(١٠:٧)، «أنا هو الراعى الصالح» (١٠: ١١و١٤)، «أنا هو القيامة والحياة» (١١: ٢٥)، «أنا هو الطريق والحق والحياة» (١٤:٦)، «أنا الكرمة الحقيقية» (١٥: ١).

لقد أُستخدم المجاز فى الإشارة إلى كل وظيفة من وظائف السيد المسيح. فالمسيح كالطعام، غذاءً لكل إنسان. وهو كالباب، الوسيلة للأمان. وكالراعى يؤكد الحماية. وهو كالقيامة والحياة، يحقق الانتصار على الموت. وكالطريق والحق والحياة يمنح اليقين. وكالكرمة الحقيقية، فإنه يميزها بالعناصر الرئيسية للإثمار.

لقد ذكر يوحنا مقابلات يسوع بأكثر مما ذكرت الأناجيل الأخرى. بعضها مقابلات قصيرة مثل التى تمت مع خادم الملك. وبعضها طويلة مثل التى تمت أثناء محاكمته أمام بيلاطس البنطى. ومعظم هذه اللقاءات كانت توضح محاولة يسوع لحث الشخص الذى يتحدث معه ليؤمن به.

لقد استخدم البشير يوحنا كلمات مميزة مثل «الكلمة»، «الحياة»، «الجسد»، «الساعة»، «آية»، «محبة»،(يوجد فعلان مختلفان فى اليونانية) «أرسل»، «بداية»، «عرف» (يوجد فعلان مختلفان فى اليونانية)، «المجد»، «الآب» وغيرها، وهذه الألفاظ قاصرة على استخدام القديس يوحنا لها.

إن إنجيل يوحنا يؤكد على ألوهية المسيح، سواء الإنجيل نفسه أو من خلال الشخصيات التى تعترف وتشهد بذلك. ففى بداية الإنجيل يقول عن المسيح إنه «الكلمة» (راجع ١: ١و٢) ويعترف يوحنا المعمدان بألوهيته فيقول: «وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله»(١:٣٤)، «وأنه نزل من السماء»(٣: ١٣)، وأن الله أرسله(٣: ٣٤)، وقالت عنه السامرية « المسيح مخلص العالم» (٤: ٤٢)، وإكرامه مساوٍ لإكرام الآب (٥:٢٣)، وأن للابن حياة فى ذاته(٥: ٢٦).

وعندما عاد الخدام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين ولم يأتوا به إليهم «أجاب الخدام لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان»(٧: ٤٦) وماقاله المسيح عن نفسه «الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن»(٨: ٥٨). «أنا والآب واحد»(١٠: ٣٠)، ولكن وفى نفس الوقت فإنه كإنسان «قد تعب»(٤:٦)، «وانزعج بالروح واضطرب»(١١: ٣٣)، وقال عن نفسه: «الآن نفسى قد اضطربت»(١٢: ٢٧)، كان يهتم بالروابط الأسرية(١٩: ٢٦).

تمتاز لغة إنجيل يوحنا بأنها بسيطة ومباشرة، وأن ثمة كلمات تتكرر، فهو حافل بتكرار الألفاظ الجديدة التى استخدمها. افتتاحية الإنجيل تحمل سمة شكل الشعر العبرى، فهى إلى حدما تماثل المزامير فى بنائها. وهو يكرر الموضوع

الذى يتحدث بشأنه بكلمات مختلفة (راجع ٥: ٢٦و٢٧)، ربما يشير ذلك إلى أصل سامٍ فى الكتابة، إلا أنه لايوجد برهان على أن هذا الإنجيل كُتب بلغة أرامية فى الأصل.

إن كل إنجيل من الأناجيل الأربعة يصور لنا شخص المسيح من زاوية مختلفة. فإنجيل القديس متى يوضح لنا أن يسوع هو المسيا الذى فيه تتحقق نبوات العهد القديم، ويكمل هدف الله للفداء. والقديس مرقس يقدمه كمن له سلطان ليغلب المرض والخطية والموت، وأنه هو السيد على الجميع. أما القديس لوقا فيقدمه على أنه صالح ويهتم بكل شئون الإنسان. ويقدمه القديس يوحنا على أنه هو الله، الإنسان الحقيقى والإله الحقيقى. على أنه برغم اختلاف أسلوب معالجة كل منهم، وكذلك الاختلاف فى التفاصيل، فهم يجمعون على شخص المسيح، ويحملون شهادة واحدة لشخصيته فائقة السمو.



آخر صفحة من إنجيل يوحنا باليونانية

ز ـ الإطار العام لإنجيل يوحنا

١- مقدمة (١: ١- ١٨).

٢- خدمة وشهادة ابن الله بين الناس(١: ١٩، ١٢:٢٥).

٣- المسيح يعلم خاصته (١٣: ١ ، ١٧: ٢٦).

٤- المسيح يمجد الله فى موته وقيامته (١٨: ١،٠ ٢٠: ٣١).

٥-ختام (٢١: ١-٢٥).

أبو كريفا

هذه الكلمة تعنى(سرى)، وقد استخدمت في الكنيسة أولاً للإشارة إلى الكتب التى تتطلب قراءتها معرفة خاصة (على سبيل المثال النصوص الغنوسية المكتوبة بلغة السحر).

أو كتب يوصى بقرائتها على انفراد، بالمقابلة مع القراءة العلنية للكتاب المقدس(وهو استخدام كان موجوداً بالفعل في العالم اليهودي). وقد اعتبرت كتب الأبوكريفا في كلتا الحالتين غير قانونية. وقد استخدم الآباء كلمة «أبو كريفا» لوصف الكتابات غير المعروفة المصدر، والتى نسبت زيفاً لكاتب أو لآخر، أو بوصف كتابات تتضمن حقائق مفيدة ولكنها تحتوى أيضاً على أخطاء فى العقيدة. أو كتابات غير مسموح بقراءتها علانية فى الكنيسة بالنظر إلى أنها غير قانونية، أو لوصف الكتابات الهرطوقية، أو التى يستخدمها الهراطقة.

وقد صُنِّفت كتب «أبو كريفا» فى البداية إلى نوعين، أحدهما خاص بالعهد القديم، والآخر خاص بالعهد الجديد. وكان هذا يعتمد فى الأساس على الموضوع أو الشخصية إذا كانت تنتمى إلى العهد القديم أو العهد الجديد. وتنقسم أبوكريفا العهد القديم إلى مجموعتين: الأولى تعود إلى أصل

فلسطيني والأخرى ترجع إلى أصل هيلّيني، ومن بينها نعرف «سفر أخنوخ» و«سفر اسدارس الثالث»، و«رؤيا اسدارس» أو «أسدارس الرابع». أما بالنسبة لأسفار الأبو كريفا الخاصة بالعهد الجديد، فإن تقسيمها الأول قام على أساس نوعية كتاباتها الأدبية. فثمة أسفار أبو كريفية للأناجيل، وسفر أعمال الرسل، والرسائل، وسفر الرؤيا، وقد قُسّمت إلى ثلاث مجموعات وهي:

أ- الأناجيل الأبوكريفية المتشابهة وهي التي يستخدمها المسيحيون من أصل يهودي مثل

إنجيل المصريين، وإنجيل بطرس، وإنجيل العبرانيين، وإنجيل الأبيونيين، وإنجيل النذيرين.

ب- الأناجيل التي تتناول تعليماً هرطوقياً

فطائفة النحشتان الهرطوقية (راجع الباب الخاص بالهرطقات) استخدمت إنجيل توما، وأتباع باسيليدس ذكروا اتباعهم لإنجيل سري نبوة للقديس متى، وابيفانوس ذكر إنجيل يهوذا وإنجيل مارقيون..

جـ- التي تستخدم الخيال في محاولة لتوضيح بعض الأحداث في الأناجيل القانونية

وتهتم بإعطاء معلومات عن حياة يسوع، وعائلته مثل (إنجيل الطفولة العربي، إنجيل نيقوديموس أو أعمال بيلاطس (عن محاكمة يسوع)، وإنجيل يعقوب المنحول، سفر أعمال الرسل الأبوكريفي.

وتوجد مجموعة أخرى من أسفار«الأعمال» تتناول اختبارات رسول واحد (أعمال فيلبس، أعمال برنابا، وأعمال تدّاوس. أو الرسولين معاً (أعمال أندراوس ومتياس، أعمال بطرس وأندراوس، وأعمال بولس وأندراوس، أعمال أندراوس وبرثولماوس)، وقد ظهرت في أواخر القرن الرابع. كما ظهرت «عظات كليمندس» المنحولة وهي ليست لرسول، وهو كليمندس الروماني،

وختاماً يمكننا أن نخلص إلى ما يلي:

(١) في بعض الوثائق القديمة مما يطلق عليها أبو كريفا، كانت الرغبة في الإثبات الكتابي(أي التدوين) لما ينسب إلى السيد المسيح وتلاميذه من قبل التقليد الشفهي.

(٢) جاءت بعض الكتابات الأبوكريفية نتيجة الخيال وباستخدام المعلومات الكتابية كاستجابة للاحتياجات المحلية، ولحب الاستطلاع الشعبي لمصير الإنسان، وبالنسبة ليسوع وعائلته.

(٣) سعى البعض لاضفاء الشرعية على الهرطقة وذلك عن طريق التلاعب بالنصوص القانونية.

(٤) المكاتبات الأبوكريفية المتأخرة تعكس المشاكل الدفاعية والعقيدية للعصر الذي كُتبت فيه.

(٥) كان للأسفار الأبوكريفية تأثير كبير على الأدب والفن والعبادة.

وكتب الأبوكريفا لها قيمة تاريخية كبيرة، فهي تعكس لنا النواحي الأخلاقية والدينية التي كانت سائدة في المجتمع (أو بالنسبة لبعض طبقاته).

كان اهتمام بعض الآباء برفض الكتابات الأبوكريفية مثل القديس أيريناوس، والعلامة أوريجانوس في القرن الثاني، وما بعد ذلك. وكان من ثمره صياغة ما أطلق عليه «القائمة الموراتورية» والتي قُسمت فيها الأسفار إلى: مقدسة، وموضع جدل وأبو كريفية، أما قائمة يوسابيوس فتنقسم إلى أربعة أجزاء (أسفار مقبولة من الكنيسة كلها، أسفار موضع جدل، وأسفار زائفة غير هرطوقية، وأسفار أبو كريفية) (يوسابيوس تاريخ الكنيسة ٣: ٢٥). ثم القوائم الرسمية للكنيسة (من القرنين الخامس والسادس وبعدهما) وقد صنّفت فيها النصوص إلى: (قانونية) موضوع جدل أو (أبوكريفية)، وأكثر القوائم

التى تزخر بأسفار أبوكريفا العهد الجديد هى القائمة المسماه: Decretum gelasianum.

وقد ذكر البابا إنوسنت بعض الكتابات على أنها أبوكريفية فى رسالة بعنوان « Consulenti tibi » أرسلها إلى أكسيوبيريوس التولوزى فى ٢٠ فبراير ٤٠٥م. كما توجد ثلاث قوائم يونانية يجب ذكرها : « Stichometric Catatogue » التى وضعها نيسفورس بطريرك القسطنطينية(٨٠٦-٨١٨م)، وقائمة أثناسيوس المنحولة (الأسفار المقدسة المتشابهة) ، والقائمة مجهولة المصدر التى نشرها مونتفوكون كوتيلييه (Montfaucon Cotelier) موسوعة تاريخ الكنيسة: م.ج. مارا M.G. Mara.

٦-أعمال الرسل

(أ) استقلالية سفر أعمال الرسل.

(ب) الإطار العام للسفر.

(جـ) الكاتب.

(د) زمن الكتابة.

(هـ) هدف سفر الأعمال.

أ - استقلالية سفر أعمال الرسل

يُمثِّل سفر أعمال الرسل نحو عشرين بالمائة من كتاب العهد الجديد، ويعتبر ثانى أقدم الكتب المسيحية، بعد إنجيل لوقا، وكلاهما كتبهما القديس لوقا إلى ثاوفيلس(لوقا ١: ١-٤، أعمال ١: ١٠) وقد أشار القديس لوقا فى سفر الأعمال إلى «الكلام الأول عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويُعلم به»، وهذا ما يتفق مع مضمون الإنجيل، ومما يؤكد أن الكاتب هو القديس لوقا لكل من الإنجيل الذى ينسب إليه وسفر أعمال الرسل هو التماثل الشديد بينهما فى اللغة، وتأكيد التقليد، ورفقته للقديس بولس. ويحتمل أن السفر قد حمل هذا العنوان، عندما ضُم إنجيل لوقا إلى الأناجيل الأخرى متى ومرقس ويوحنا، حيث أصبحت فى مجموعة مستقلة تضطلع بقصة حياة السيد المسيح، وقد اختصَّ سفر الأعمال بالتأريخ للفترة اللاحقة، وقد حدث هذا الأمر فى وقت مبكر، حيث تعتبر أقدم قائمة للكتب القانونية هذا العمل مستقلاً.

بالرغم من أن السفر يدعى سفر الأعمال، وحتى بعض المخطوطات تحمل اسم «الأعمال»، إلا أنها لا تسرد كل أعمال الرسل (أتْباع يسوع)، وإنما هى مُختارات سُجلت بدافع الرغبة فى تتبع نمو كنيسة الأمم وذلك منذ يوم الخمسين وحتى امتدادها إلى أنطاكية، وذلك مروراً بكرازة بولس فى روما، وكذلك يركز على شخصيات بطرس، واستفانوس وفيلبس، وبرنابا وبولس ..

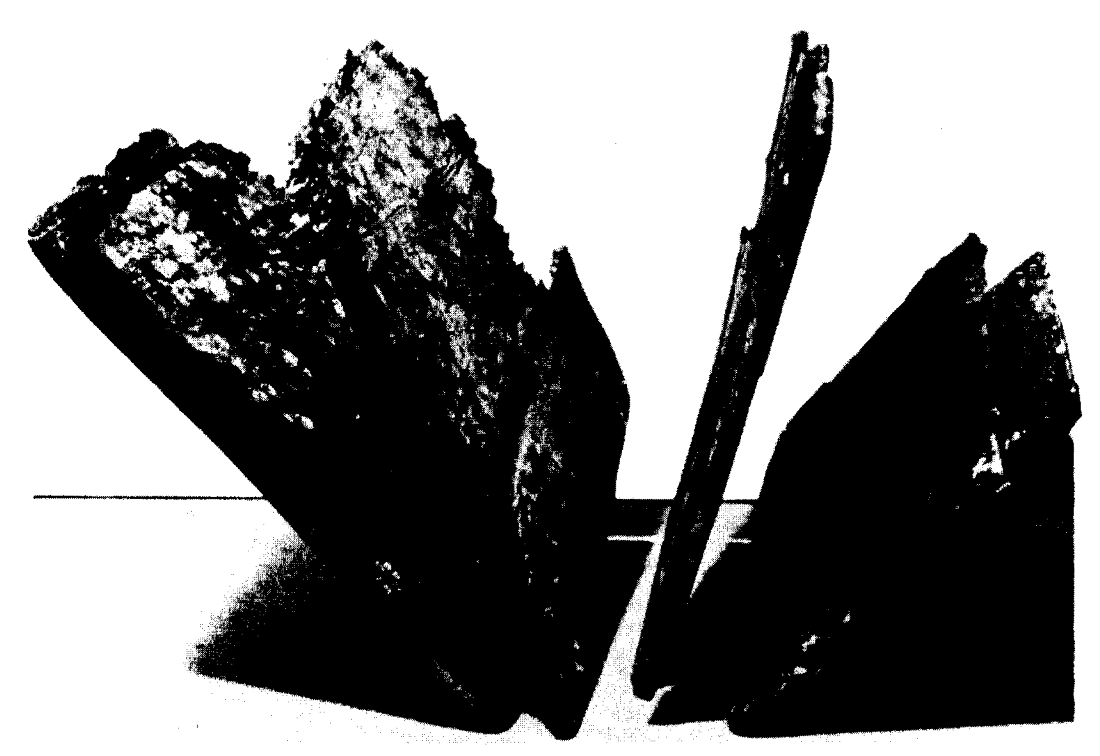
يتأسس سفر الأعمال على قول السيد المسيح المشار إليه فى سفر الأعمال «لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض(١: ٨).

يغطى سفر أعمال الرسل ثلاث مراحل وهى:

المرحلة الأولى: تختص بالبداية فى أورشليم.

المرحلة الثانية: هى المرحلة الانتقالية والتى يميزها تطور الفكر الجديد تجاه الأمم.

المرحلة الثالثة: تغطى خدمة بولس للأمم والتى بدأها من أنطاكية إلى روما مروراً بأسيا الصغرى.



ألواح للكتابة من نحو زمن العهد الجديد. وهى فى الأصل ستة أوراق كانت ملتصقة ببعضها. ووجدت فى مصر

ب ـ الإطار العام للسفر

بداية الكنيسة المسيحية

١-أورشليم: البداية (١: ١ - ٨ ، ٣)

أ- إرسالية المسيح (١: ١- ٨)

ب- الإعداد لحلول الروح القدس(١:٩-٢٦)

جـ- تأسيس الكنيسة بأورشليم (٢: ١- ٧:٦)

د- خدمة استفانوس (٦: ٨ ، ٨: ٣)

٢- المرحلة الانتقالية: أنطاكية (٨: ٤ -١١: ١٨)

أ- خدمة فيلبس (بالسامرة) (٨: ٤- ٤٠)

ب- تجدد بولس(٩: ١- ٣١)

جـ- خدمة بطرس (بقيصرية)(١٠:١-١١: ١٨)

٣- فترة امتداد الخدمة: (روما) (١١:١٩-٢٨:٣١)

أ- الانتقال إلى أنطاكية(١١: ١٩- ١٢:٢٥)

ب- الرحلة الكرازية الأولى(١٣: ١ ،١٤:٢٨)

جـ- مجمع أورشليم(١٥:١- ٣٥)

د- الرحلة الكرازية الثانية (١٥:٣٦ ،١٨: ٢٢)

هـ- الرحلة الكرازية الثالثة (١٨:٢٣ ،٢١: ١٤)

و- سجن بولس ومحاكمته (٢١:١٥ ،٢٨:٣١)

جـ - الكاتب

يعزى التقليد كتابة سفر أعمال الرسل إلى القديس لوقا ، الطبيب اليوناني الذى رافق القديس بولس فى رحلتيه الثانية والثالثة. وتأتى أولى الإشارات إليه فى(أعمال ١٦: ١٠ - ١٧) ثم فى(أعمال ٢٠:٥-٢١:١٧) ثم مرة ثالثة فى (أعمال ٢٧:١- ٢٨: ١٦). لقد رافق لوقا بولس من ترواس إلى فيلبى، إذ يبدو أنه بقى هناك إلى أن عاد بولس فى الرحلة الثالثة، ثم صاحبه إلى روما. وقد بقى قريباً من بولس عندما سُجن. وقد أشار بولس فى رسالة كولوسى إلى «لوقا الطبيب الحبيب»(كولوسى ٤: ١٤، أنظر أيضاً فليمون ٢٤)، وقد أشار إليه فى وقت لاحق مرة أخرى(٢ تيموثاوس ٤: ١١) .

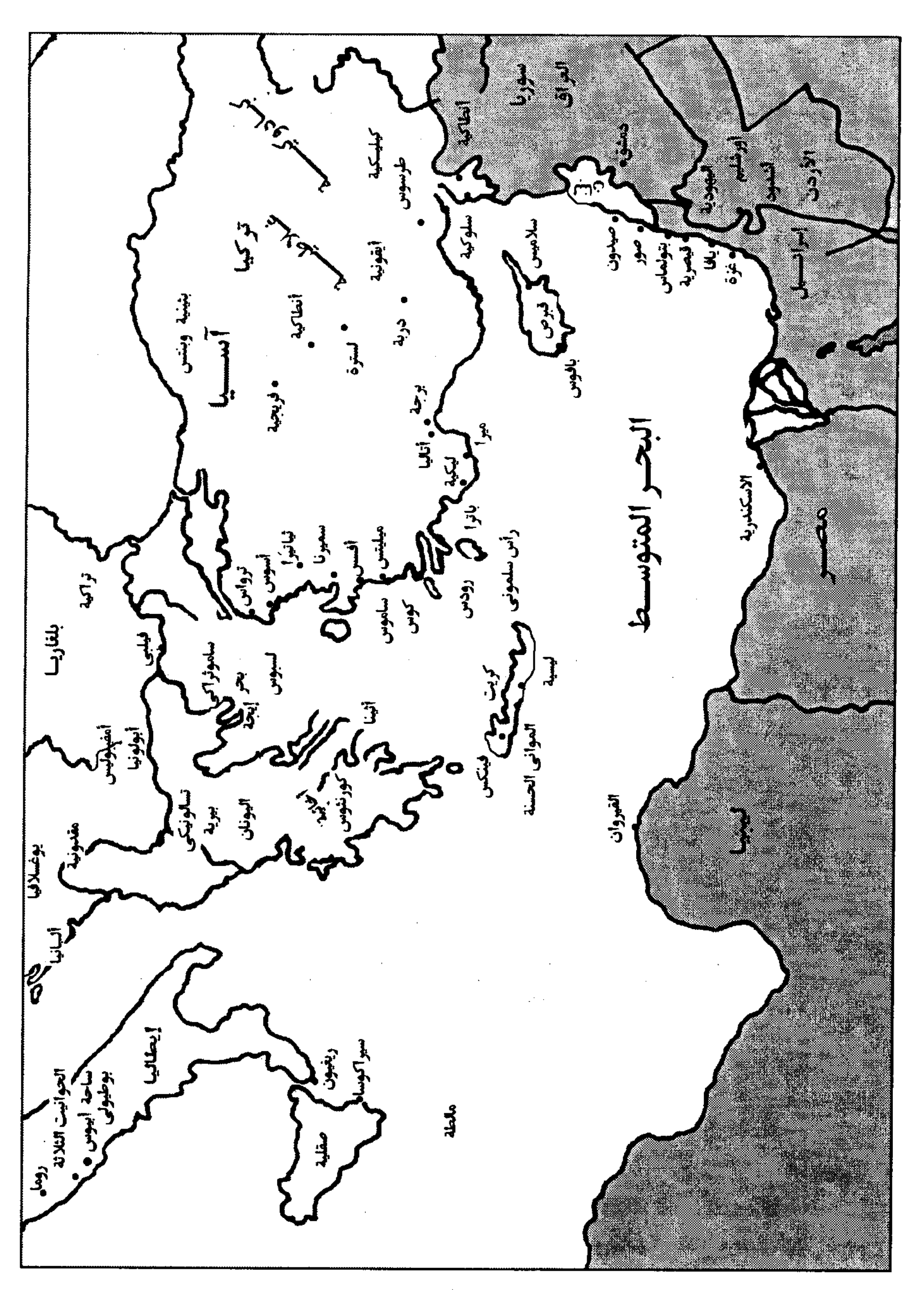
ويقتبس إيريناوس أحد آباء الكنيسة الأولين من سفر أعمال الرسل وينسبه إلى القديس لوقا (ضد الهرطقات ١: ٢٣: ١).

وهذا الدليل يوضح لنا أن الكاتب كان يتمتع بثقافة



صفحة من (أعمال الرسل ٩:١٧ ـ ١٧) باليونانية بحروف كبيرة من القرن الثالث الميلادى

الأماكن الرئيسية كما وردت في سفر أعمال الرسل



يونانية بالإضافة إلى كثرة الترحال، وكانت له ملاحظات دقيقة، ويرى هوبارت Hobart فى كتابة اللغة الطبية عند القديس لوقا، أن الألفاظ الطبية التى استخدمها القديس لوقا إن هى إلا برهان على أن لوقا كان طبيباً.

د - زمن الكتابة

يتوقف سفر أعمال الرسل عند سجن بولس للمرة الأولى فى روما - أى نحو سنة ٦١م أو ٦٢ م، فلم يُكتب سفر أعمال الرسل قبل هذا الوقت، حيث أنه ذكر أحداثاً ما كان يمكن أن يذكرها هو لو أنه كُتب قبل وقوعها.

وتوجد عدة آراء عن زمن كتابة السفر، فمدرسة توبينجن Tubingen school تعزى زمن الكتابة إلى منتصف القرن الثانى، حيث أنها ترى أنه كتاب دفاعى جاء مفسراً للاختلافات التى حدثت فى الكنيسة فى وقت سابق. بينما يرى آخرون أن زمن كتابته يرجع إلى ختام القرن الأول، وهذا الرأى قائم على أساس أن لوقا استخدم أعمال يوسيفوس كمصادر له، ولكن لم تكن تلك الأعمال قد كُتبت حتى سنة ٩٠ م، على أنه ربما يكون لوقا قد استعان بمصادر أخرى، يُحتمل أنها كانت هى نفس المصادر التى استخدمها يوسيفوس أيضاً، إلا أن الإشارات الدقيقة عن الأماكن والأشخاص والأحداث التى وردت فى سفر أعمال الرسل قد تأكدت بالآثار والتاريخ، فإنها تشير إلى أن لوقا كان معاصراً لكل ما ذكره، وعلى الرغم من أن الكاتب كان مهتماً بدرجة كبيرة ببولس الرسول، إلا أنه لايذكر أية إشارة إلى الرسائل التى كتبها، فهل هذا يعنى أن سفر الأعمال قد كُتب بعد جمعها وتوزيعها، أم قبل ذلك؟ وعلى ذلك فإن زمن الكتابة قبل عام ٦٥م يعتبر هو الأكثر احتمالاً.

هـ - هدف سفر الأعمال

يعد سفر الأعمال هو الوثيقة التاريخية الأولى لكل من تاريخ الكنيسة الأولى وللعالم فى ذلك الوقت. وبدون سفر أعمال الرسل لكانت ثمة هوة غير معبورة بين الأناجيل والرسائل. إذ لايوجد توضيح عن كيف تم الانتقال من خدمة الرب يسوع إلى خدمة الرسل وكرازتهم وتعليمهم، فمعظم المعلومات التى لدينا وتتعلق بالرسل وأسفارهم تنبع من سفر الأعمال. وسفر الأعمال ليس سفراً شاملاً، إذ لايذكر كثيراً من التفاصيل وإنما يقدم الأحداث والحقائق الأساسية التى تعاون فى تفسير التاريخ.

إن الإشارات للأحداث المعاصرة التى ذكرت فى سفر الأعمال تمكّن الباحثين من ربط المسيحية بالعالم الذى نشأت فيه، فقد ذكر موت هيرودس أغريباس الأول (١٢: ٢١ - ٢٣)، وتولى غاليون أخائية (١٨: ١٠)، وتولى فيلكس (٢٣: ٢٤) وفستوس (٢٤: ٢٧)، الولاية على اليهودية، وكان هذا هو الاسم الرسمى الذى يطلق على رجال الدولة ممن يحكمون مناطق فى إطار الامبراطورية الرومانية. والمعلومات الدقيقة المذكورة عن التفاصيل الجغرافية عن الرحلة الأخيرة إلى روما (٢٧-٢٨) تمدنا بمعلومات يمكن أن يعتمد عليها المؤرخون المعاصرون، وهى تبين مدى دقة معلومات القديس لوقا.

إن سفر أعمال الرسل يتضمن أول تعليم للكنيسة، وذلك فى العظات التى ذكرها السفر، ويؤكد سفر الأعمال على عمل الروح القدس، ويرسم صورة للعمل الكرازى كنموذج للخبرة العملية التى اختبرها الرسل.

✣ ✣ ✣ ✣

٧-رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية

(أ) تأسيس كنيسة روما.

(ب) الهدف من الرسالة.

(جـ) الكاتب.

(د) زمان ومكان كتابتها.

(هـ) طبيعة الرسالة.

(و) الإطار العام للرسالة.

يعتبر اللاهوتيون أن الرسالة إلى أهل رومية تأتى من حيث الأهمية فى مقدمة الرسائل التى كتبها القديس بولس، فهى تشرح خلاص المسيح بتوسع، وبتفاصيل تطبيقية.

روما

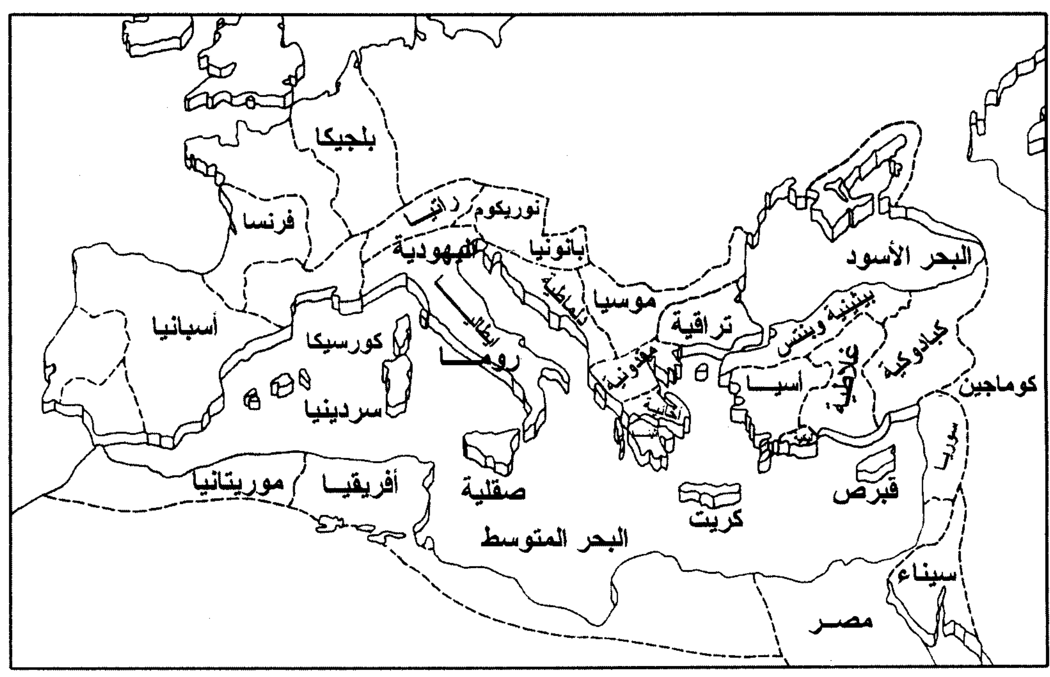
يرجع التاريخ التقليدى لتأسيس مدينة روما إلى سنة ٧٥٣ ق.م. وثمة بعض الروايات تنسب تأسيس روما إلى روميولوس، الذى سُميت المدينة على اسمه، ونُصِّب أول ملك لها. وكانت روما فى الأصل كما تبرهن على ذلك الاكتشافات الأثرية- نقطة التقاء، هى بمثابة البوتقة التى يتجمع المهاجرون فيها ولا ينصهرون فى وطن واحد. فقد تأسست دولة روما على أساس الاتحاد الذى أقامته فيما بينها العشائر التى كانت تقيم هناك، وقد نمت الدولة الرومانية وتطورت شيئاً فشيئاً بفعل الاستراتيجية التى وضعها الاتروسكانيون حيث جذبوا إلى المدينة كثيرين من المهاجرين، وكثيراً من الأفكار الليبرالية من أنحاء البحر المتوسط. وبعد مرور ألف عام من بداية تأسيسها كانت قد اندمجت مع الحضارات الأخرى. كان كل العالم رومانياً، حيث كانت روما هى العاصمة، إلا أن اتساعها الشديد وشمولها للجنسيات المتنوعة قضى على تفرُّدها. ثم فقدت استراتيجيتها التى أملت عليها النماء والتطور، وبحلول العصور الوسطى لم تكن روما بأكثر من مدينة تقع فى إيطاليا!

كانت روما فى زمن العهد الجديد فى كامل قوتها وملء نموها وقد أقيمت العديد من المبانى الضخمة المؤلفة من عدة أدوار، والمقسمة إلى وحدات مستقلة، وذلك لإقامة البروليتاريا التى وصلت إلى أكثر من مليون شخص، ممن جاءوا بهم من كل مكان. وقد أصبحت الأرستقراطية سمة تميز القياصرة، حيث كانوا يصرفون بسخاء من الإيرادات التى يحصلون عليها من القادات الثلاث وذلك لشراء العقارات الخاصة للدولة، فقد أقاموا المبانى الضخمة التى تعبر عن الأبهة، فى قلب العاصمة، والتى ربما لم يكن ثمة مثيل لها فى أى عاصمة أخرى. وقد جذبوا المواهب الأدبية والفنية من الدول الأخرى. وأقامت روما مع دول البحر المتوسط علاقات دبلوماسية، ساعدت الطرق التى أنشأتها لنقل الأغذية والبضائع فى تدعيم تلك الروابط.

(أ) تأسيس كنيسة روما

عندما كتب القديس بولس رسالته ذكر أنه يشتاق إلى زيارة أهل روما منذ سنين كثيرة (راجع١٥:٢٣)، وكذلك شهد عن إيمانهم الذى ينادى به فى العالم (١: ٨).

لقد طرد الإمبراطور كلوديوس Claudois اليهود من روما وذلك نحو منتصف القرن الميلادى الأول (أع ١٥)، لما أحدثوه من اضطراب بسبب التبشير بالمسيح يسوع، وقد اضطر أكيلا وبريسكلاً زوجته أن يغادرا روما إلى كورنثوس، وحيث أقام بولس عندهما وعمل معهما، فلابد أنهما كانا مؤمنين (أع ١٨: ٢، ٣) ويبدو أن الرومانيين قد عرفوا الإيمان من خلال المسيحيين من اليهود- حيث كانوا حاضرين يوم الخمسين (أعمال ٢: ١٠)- وقد قصدوا روما للتبشير. ثم بعد ذلك حين زارها القديس بولس، ويبدو أن القديس بولس لم تكن تتوفر له معلومات عن القديس بطرس فى ذلك الحين حيث لم يذكر عنه أى شىء.



خريطة لموقع رومـا من العالم القديم

(ب) الهدف من الرسالة

لم يكن القديس بولس معروفاً بالوجه عند المؤمنين فى كنيسة رومية، بالرغم من أنه كان يتمتع بالعديد من الصداقات معهم. وقد كتب لهم يخبرهم عن شوقه لزيارتهم «إننى مراراً كثيرة قصدت أن آتى إليكم، ومُنعت حتى الآن»(١: ١٣)، وربما يرجع ذلك لأنه شعر أنه يريد أن يعاونهم على امتداد رسالة الإنجيل فى العالم الغربى، حيث كان انتهى من خدمته فى أورشليم، أو لأنه كان يريد أن يعالج الظروف التى تجتازها الكنيسة فى روما، وإن كان ذلك غير واضح من الرسالة نفسها.

(جـ) الكاتب

تذكر الرسالة نفسها أن الكاتب هو بولس (١:١). وهى تتشابه كثيراً مع الرسالة إلى أهل غلاطية، وهو ما يعد دليلاً على أن الكاتب لكليهما هو بولس، وثمة دليل آخر يتفق مع ما جاء فى سفر الأعمال عن جمع الصدقات وإرسالها للقديسين الفقراء فى أورشليم (رومية ١٥: ٢٥ ، ٢٦ قارن مع أعمال ٢٤: ١٧) ورغبة القديس بولس فى زيارة روما (رو١:١٣و١٥ ،٢٣و٢٤ قارن مع أع ١٩:٢١).

(د) زمان ومكان كتابتها

عندما كتب القديس بولس رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس كان مشروع جمع الصدقات للقديسين الفقراء فى أورشليم قد قارب على الانتهاء(أصحاح ٨ و٩).

وعندما كتب بولس رسالته إلى أهل رومية كانت الصدقات قد وصلت إليهم (راجع رومية ١٥:٢٥-٢٨) وحيث أن رسالة

رومية قد كُتبت بعد الرسالة الثانية إلى كورنثوس، فإنه يبدو أن الرسول كان فى كورنثوس كما كتب، لأن فيبى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كانت موضع ثقة كما كتب بولس فى الرسالة (رومية ١٦: ١و٢)، وحيث أنه مكث هناك لمدة ثلاثة أشهر فقط فى هذه الزيارة (أعمال ٢٠: ٣)، لذا يمكن تحديد تاريخ تقريبى وذلك نحو سنة ٦٥ م، أى قبل أن يذهب مباشرة إلى أورشليم.

(هـ) طبيعة الرسالة

هذه الرسالة تدرج مع الرسائل التعليمية. وبولس الرسول فى هذه الرسالة وهو يبشر بالإنجيل، يركز على الخلاص فى ضوء بر الله (رومية ١:١٦و١٧) حيث أنه لدى الله البار خطة لفداء العالم الفاسد، وذلك بتقديم ابنه ذبيحة «الذى قدمه الله **كفارة بالإيمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة**».

فغفران الخطايا يتطلب إيمان الخطاة بدم المسيح، ومن ثم طاعة الإيمان كما قبلوه (راجع١: ٥، ١:١٦و١٧). وهذه هى نفس الخطة التى اتبعها الله مع ابراهيم (الأصحاح الرابع)

خريطة لموقع روما

حيث أنه تبرر بالإيمان لا بالأعمال.

والخلاص ليس قاصراً على شعب بعينه، وإنما هو لكل من يؤمن لليهودى ، ولليونانى (راجع١: ١٦).

و ـ الإطار العام للرسالة

• **التقديم والهدف**: إعلان بر الله، وإيمان الإنسان (١:١-١٧)

١- احتياج الجميع للبر الإلهى: فاليهود والأمم أدُينوا لأنهم خطاة (١: ١٨ - ٣ : ٣٩)

٢- التدبير الإلهى للبر من خلال الخلاص: (٣: ٢١ - ٨: ٣٩)

أ- **التبرير**: على أساس الإيمان بالمسيح ، وهو عطية من الله. (٣: ٢١ - ٥: ٢١)

ب- **التقديس**: إن روح الله يعمل كقوة مغيرة للحياة الجديدة للمؤمنين للتبرير والتقديس (٦:١-٨ : ٣٠).

جـ- **الحفظ** : لاشىء يفصل المفديين عن محبة الله التى فى المسيح يسوع (٨: ٣١ - ٣٩)

٣- البرهان على بر الله: معالجة قضية الأمة الاسرائيلية (٩: ١ - ١١: ٣٦)

٤- مسئوليات البر: (١٢: ١ - ١٦: ٢٧).

أ- التكريس بالكامل لله (١٢: ١ ،٢)

ب- التواضع فى السلوك (١٢: ٣- ٨)

جـ- محبة المؤمنين (١٢: ٩ - ١٦)

د- السلوك الحسن مع الجميع (المجتمع) (١٢ :١٧- ٢١)

هـ- الخضوع للسلطات الحاكمة(١٣: ١-١٤)

و- إحتمال المؤمنين الضعفاء(١٤: ١-١٥:١٣)

ز- مسئوليات تجاه المؤمنين (١٥:١٤-١٦:٢٧).

٨-رسالتا بولس الرسول إلى أهل كورنثوس

أ- الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.

ب- الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس .

ج- زمان كتابة الرسالتين.

د- رسالتا كورنثوس فى الكتابات الأولى للآباء

هـ- كم رسالة كتبها الرسول بولس لكنيسة كورنثوس؟

تنتمى الرسالتان إلى أهل كورنثوس بالإضافة إلى الرسالة إلى أهل غلاطية، والرسالة إلى أهل رومية إلى مجموعة الرسائل الخلاصية.

كورنثوس

كورنثوس مدينة يونانية تقع فى نهاية غرب البرزخ بين وسط اليونان وبلوبنيزوس Peloponnesus، وهى تشرف على الطرق التجارية بين شمالى اليونان وبلوبنيزوس والطريق الذى يمر بالبرزخ. غير أن طريق البرزخ كان أكثر أهمية فى التجارة من الطرق الأخرى. وكان ثمة ميناءان الأول ليكايوم ويبعد نحو ٢,٥ كيلومتر جهة الغرب من خليج كورنثوس، والميناء الأخر: سينكريا Cenchreae ويبعد ١٤ كيلو متراً جهة الشرق مع الخليج السارونيكى Saronic. وهكذا أصبحت كورنثوس مركزاً هاماً للتجارة، كما كانت كذلك فى الصناعة، ولاسيما صناعة الخزف. كانت المدينة محاطة بأكمة أكروكورنثوس (أى كورنثوس العالية)، والتى كان ارتفاعها يصل إلى (٥٦٦ متراً)، أما جبل الأكروبوليس فكان مقاماً عليه معبد أفروديت، إلهة الحب، والتى عرفت خدمتها بالنواحى اللا أخلاقية فى تلك الأيام ولا سيما فى وقت أرستوفانيس (استرابو: ٣٧٨، أثيناماس٥٧٣)، وكانت كورنثوس تحت حكم المقدونيين منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وحتى عام ١٩٦ ق.م. إلا أنها تحررت فى ذلك العام- وباقى اليونان - من حكم المقدونيين حيث أستولى عليها ت. كونكتيوس فلامينيوس T. Qunictius flamininus وانضم لحلف أخائية. وبعد فترة من الخلاف مع روما، والثورة الاجتماعية التى قام بها كريتولاوس Critulaus قام ل.موميوس L. Mummius بتدمير المدينة تماماً فى عام ١٤٦ ق.م. وقام ببيع سكانها كعبيد. وفى عام ٤٦ ق.م. أعاد يوليوس قيصر بناء المدينة ليعيد إليها الرخاء الاقتصادى الذى كانت عليه. وعندما جاء أوغسطس قيصر جعلها عاصمة الولاية الجديدة أخائية، وهكذا انفصلت عن ولاية مقدونية وأصبحت تحت حكم والٍ مستقل.

أ-الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس

١- تأسيس كنيسة كورنثوس.
٢- الهدف من الرسالة.
٣- الإطار العام للرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.

١- تأسيس كنيسة كورنثوس

لايذكر الرسول بولس إلا القليل بالنسبة لتأسيس الكنيسة، ، لكننا نجد إشارة موجزة إلى ذلك فى (أعمال ١٨)، ولقد أقام بولس الرسول مع الزوجين اليهوديين أكيلا وبريسكلا، ولعلهما كانا قد اعتنقا الإيمان المسيحى من قبل، وكانا قد طُردا من رومية منذ عهد قريب. وقد قام بولس - كعادته - بالكرازة فى المجمع وأقنع « يهوداً ويونانيين »(أعمال ١٨:٤)، أى يهوداً ودخلاء، أو « خائفى الرب » (وهى عبارة تتضمن

يهوداً ودخلاء وأمميين ممن تبنَّوا معظم ما يختص بالديانة اليهودية،دون اتخاذ الخطوة الأخيرة المتعلقة بالختان).

شرعت السلطات اليهودية تعارض استخدام بولس للمجمع فى كرازته. ولقد انسحب بولس وأخذ معه عدداً من اليهود الذين آمنوا بالرب، ومن أبرزهم رئيس المجمع هو وجميع بيته، وانتقل إلى بيت ملاصق للمجمع يخص رجلاً متعبداً لله اسمه تيطس يوستس، وقد شكلت هذه الجماعة نواة كنيسة كورنثوس، والتى كانت تنمو بسرعة (أعمال ١٨ : ٨ و١٠). ولعل العلاقات بين هاتين المجموعتين من الجيران ظلت متوترة، واستغل اليهود فرصة تغيير الحاكم الإدارى (غاليون) لكى يشنوا هجوماً على بولس فى المحاكم، ولكن باءت جهودهم بالفشل، وكان من شأن ذلك أن استطاعت الكنيسة أن تنمو دون مضايقات، فيما مكث بولس مدة طويلة غير عادية (فى نظره) بلغت ثمانية عشر شهراًقبل أن يبحر إلى سوريا مع أكيلا وبريسكلا.

٢ـ الهدف من الرسالة

كتب الرسول بولس الرسالة الأولى ليعالج المشكلة القائمة آنذاك «أخبر أن بينهم خصومات»(١: ١٠- ٤ : ٢١). انضم البعض إلى بولس بإخلاص كمؤسس للكنيسة، فى حين انضم البعض لأبُلُوس وانضم آخرون لصفا (كورنثوس الأولى ١: ١٢). وقد كتب لهم بولس موضحاً أن المسيح وحده هو الذى يستحق أن يُكرز به، لأن المسيح هو الذى صُلب لأجلهم، وقد اعتمدوا على اسمه. إن للخدمة مكاناً «فإننا نحن عاملان مع الله» (٣: ٩)، إن كل خدمة هى من أجل الكنيسة (٣: ٢١ ، ٢٢). فالمسيحية ليست فلسفة لها مدارس فكرية متعددة، ولكل فيلسوف أو معلم تلاميذه وأتباعه وخاصته.

أما المشكلة الثانية التى كتب ليعالجها فكانت مشكلة أخلاقية، حيث انتشرت رذيلة الزنى بينهم. ولأن المؤمنين يشتكون بعضهم البعض عند غير المؤمنين (٦: ١ - ٨). ويركِّز الرسول بولس فى التعليم على تقديس الجسد (٦: ٩ - ٢٠).

ثم كتب لهم عن الزواج وبعض التعاليم الخاصة به (٧: ١ - ٤٠). ثم كتب لهم عن الطعام الذى يُذبح للأوثان (٨: ١- ١١: ١). فقد كان صعباً على أولئك المسيحيين من الشباب أن ينسلخوا من تلك البيئة التى نشأوا فيها. فقد كانوا بحاجة إلى مساعدة لتوجيه سلوك المرأة فى الكنيسة. كذلك أسدى بعض الملاحظات الهامة فيما يتعلق بعشاء الرب (١١: ٢-٣٤).

ولأن أهل كورنثوس من اليونانيين فإنهم يحبون التعبير عن الذات، لذا فقد كانوا يقدِّرون مواهب الروح لاسيما التكلم بألسنة، لذلك يعالج الرسول بولس كل ما يتعلق بالمواهب الروحية، وهو لم يمنعهم من التكلم بألسنة، وإنما أشار إلى المحبة التى هى أكثر أهمية من كل المواهب، ونجد أنشودة المحبة الرائعة فى الأصحاح الثالث عشر (١٢: ١ -١٤: ٤٠)

ستبلغ الرسالة الذروة فى تعليم بولس الرسول عن القيامة (١٥: ١- ٥٨)، فلم تكن الفلسفة اليونانية تؤمن بقيامة الجسد ، فإذا كان المسيح قد قام من بين الأموات فى اليوم الثالث (وآمن أهل كورنثوس بذلك)(١٥: ٣- ١١)، فعلى ذلك فإن قيامة المؤمنين مقبولة أيضاً. أما الأصحاح الأخير فيتكلم عن «الجمع» من أجل القديسين، وعن خطط مستقبلية.

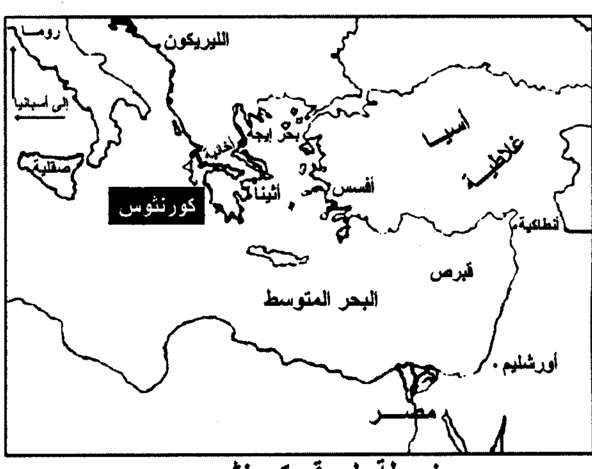
٣ـ الإطار العام للرسالة الأولى لأهل كورنثوس

أولاً: تقديم (١:١ - ٩)

ثانياً: مشاكل فى وسط الشعب (١:١٠ - ٦:٢٠)

أ - روح الخصام (١: ١٠ - ٤ : ٢١)

ب - مشاكل أخلاقية (٥: ١ - ٦: ٢٠).



خريطة لموقع كورنثوس

ثالثاً: مسائل عملية وتعليمية (١:٧- ١٥ : ٥٨)

أ- أمور تتعلق بالزواج (٧: ١ - ٤٠)

ب- ما يتعلق بما يذبح للأوثان (٨:١- ١١:١)

جـ- أمور تتعلق بسلوك المرأة في الكنيسة، وعشاء الرب (١١ : ٢ - ٣٤).

د- ما يتعلق بالمواهب الروحية (١٢:١- ١٤:٤٠).

هـ- مايتعلق بالقيامة (١٥: ١ -٥)

رابعاً: ختام (١٦: ١- ٢٤).

✣ ✣ ✣ ✣

ب-الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

١- هدف الرسالة وظروف كتابتها.

٢- الإطار العام للرسالة.

١ ـ هدف الرسالة وظروف كتابتها.

رد بولس على أولئك الرسل الكذبة، وأكد على سلطته كرسول في رسالته الثانية(٢كو ١٠-١٣). ويبدو أن أحد أعضاء الكنيسة هناك تحول عن بولس بفعل الدعاية التي قام بها أولئك الرسل الكذبة عن أنفسهم (كورنثوس الثانية ٢:٥ وما بعده ، ١٢:٧)، ويبدو أن الموقف هناك جعل الرسول بولس يقوم برحلة سريعة إلى كورنثوس ويترك أفسس مؤقتاً حتى يعالج تلك المشكلات القائمة (كورنثوس الثانية ٢: ١ ، ١٢: ١٤ ، ١٣: ١ و٢) وحتى تم اللقاء وجهاً لوجه يبدو أنه لم يؤتِ ثمره، ففي طريق عودته إلى أفسس كتب بولس الرسول رسالة مليئة بالحزن والدموع (كورنثوس الثانية ٢ : ٤ ،٧ : ٨) وقد أرسلها بيد تيطس. وقد تعرض القديس بولس لخطر الموت فكتب عن ذلك «فإننا لانريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً.. الذي نجانا من موت مثل هذا وهو ينجي» (كورنثوس الثانية ١: ٨ ، ١٠). فترك المدينة إلى ترواس ثم إلى مكدونية حيث إلتقى بتيطس (كورنثوس الثانية ٢: ١٢ ، ١٣).

وكان للأخبار السارة التي حملها إليه تيطس عن الكنيسة في كورنثوس أثرها في التعزية والراحة (راجع كورنثوس الثانية ٧: ٥ ومابعده). وقد قادته تلك الأخبار السارة لكتابة رسالته الثانية والتي من خلالها دافع عن خدمته (كورنثوس الثانية ٢: ١٤- ٧: ٤).وكانت ثمة أمور لم ينته منها، بما في ذلك الجمع الذي كان يجمعه للفقراء من القديسين في أورشليم (كورنثوس الأولى ١٦: ١-٤)، وهو يشير إلى ذلك في الأصحاحين الثامن والتاسع من رسالته الثانية.

وقد واصل الرسول بولس هجومه على الرسل الكذبة وذلك في الأصحاحين العاشر والحادي عشر، وهو يذكر خدمته التي أمتزجت بالمعاناة والأتعاب، ويذكر المخاطر التي تعرّض لها

(١١: ٢٢- ٢٩). ثم يذكر أولئك الذين سمحوا للمتطفلين بأن يخدعوهم (١١: ١٩ ، ٢٠). وكما يقول الرسول بولس فإنهم ألزموه أن يمدح نفسه(راجع ١٢:١١).

إنه لمن الجلى أن الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس قد كتبت بعد فترة قصيرة من الرسالة الأولى.

٣- الإطار العام للرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

١- الاعتراف بعمل الله وتعزيته (١:١-٢: ١٣ ،٧: ٥- ١٦)

٢- امتيازات الخدمة المسيحية والمعاناة فى سبيلها (٢:١٤-٧:٤).

٣- العطاء المسيحى (٨: ١ - ٩: ١٥).

٤- خدمة بولس الرسول وتباينها مع خدمة الرسل الكذبة (١٠: ١ - ١٣: ١٤).

جـ- زمان كتابة الرسالتين

ثمة رأيان عن زمن كتابة الرسالتين:

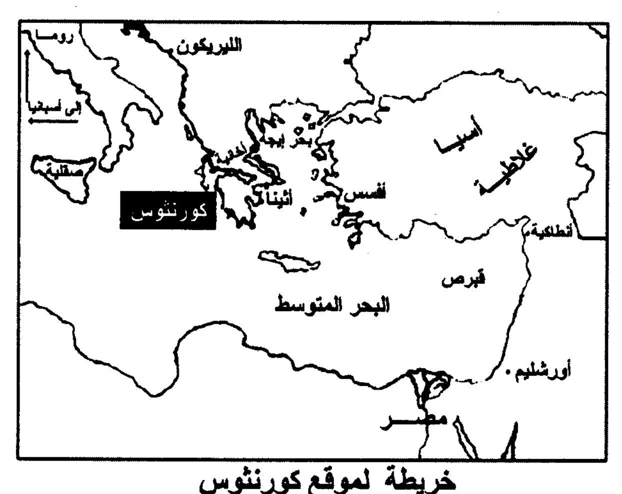
يرى **الرأى الأول** أن الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس قد كُتبت بين عامى ٥٤ - ٥٦ م، وأن الرسالة الثانية قد كُتبت نحو عام ٥٩ م، أما **الرأى الآخر** فيرى أن الرسول بولس قد كتب رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس بعد ولاية غاليون (وكان ذلك نحو منتصف٥١ أو ٥٢ م) وبعد زيارة قصيرة لأفسس ثم لأورشليم ثم العودة ثانية إلى أفسس حيث أقام هناك مايزيد عن سنتين، وهى الفترة التى يرون أنها كانت مناسبة لكتابة رسالته.

د- رسالتا كورنثوس فى الكتابات الأولى للآباء

لرسالتى كورنثوس مكانة بارزة فى الكتابات الأولى، فقد ذكرها الآباء عقب العصر الرسولى مثل كليمندس الرومانى (نحو عام ٩٥ م)، وقد ذكره الرسول بولس فى فيلبى(٤: ٣). واغناطيوس(من النصف الأول من القرن الثانى). وبوليكاربوس(من النصف الأول من القرن الثانى). والشهيد «يوستينوس» (فى أواخر القرن الأول). وكذلك ذكرها مارقيون الغنوسى فى «كتابات الرسل» (نحو ١٤٠م). وكذلك أخذت مكانة بارزة فى أقدم القوائم التى تحتوى كتابات الرسول بولس فقد ذكرت فى الوثيقة الموراتورية (نحو ١٧٠ م)

هـ- كم رسالة كتبها الرسول بولس لكنيسة كورنثوس ؟

ثمة آراء ترجح أن الرسول بولس كتب أربع رسائل إلى كورنثوس، ويشار إلى الرسالة الأولى «بالرسالة المفقودة» (راجع كورنثوس الأولى٥ :٩) أما الرسالة الثانية فهى الموجودة بين أيدينا وتحمل اسم «الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس». وثمة إشارة إلى رسالة ثالثة توصف بأنها «الرسالة الحزينة» (راجع كورنثوس الثانية ٢: ٤). أما الرسالة الرابعة فهى «رسالة شكر» وهى الرسالة التى بين أيدينا والمعروفة «بالرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس».

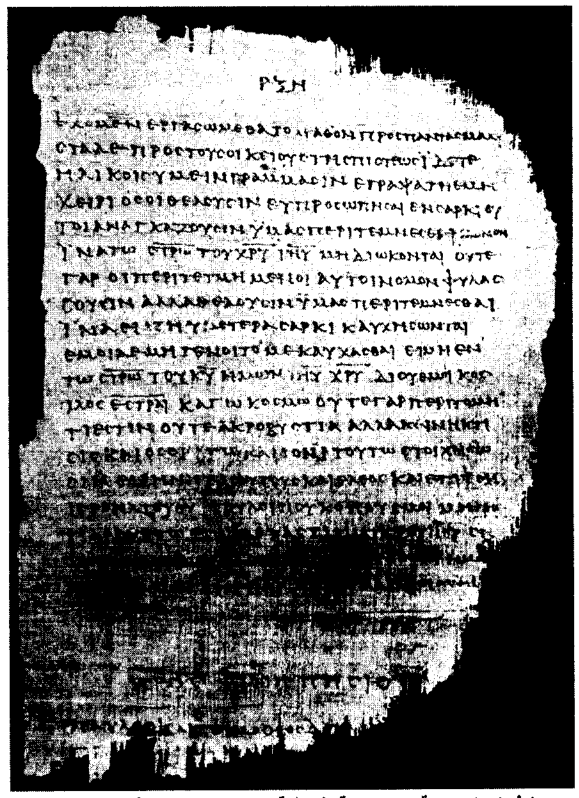


خريطة لموقع كورنثوس

٩-رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية

أ-كاتب الرسالة.
ب- زمان ومكان كتابة الرسالة.
جـ- الهدف من الرسالة.
د- الإطار العام لرسالة غلاطية.

تحتل هذه الرسالة مكانة بارزة فى العهد الجديد، فهى تكشف الكثير من طباع الرسول بولس، كما تلقى الضوء على بعض من أهم تعاليمه.



شذرة باليونانية من رسالة غلاطية (٦: ١٠ - ١٨) وفيلبى (١:١)

أ ـ كاتب الرسالة

تقدم الرسالة لمحات موجزة ولكنها معبرة عن خبرة الكاتب قبل أن يصبح مسيحياً. فهو يذكر حياته السابقة فى ظل اليهودية (١: ١٣).

ويذكر سمتين من سمات اختبار تجديده كان لهما تأثير عظيم عليه، إحداهما تتمثل فى قصد الله لحياته الذى يُذكر عنه إنه يعود حتى إلى ما قبل ولادته (١: ١٥)، أما السمة الأخرى لتجديده والتى أثَّرت فيه بشدة فهى إدراكه أن دعوته للكرازة يمكن إرجاعها إلى تلك المناسبة، فكرازته كانت بإعلان من الله(١: ١٢).

ب ـ زمان ومكان كتابة الرسالة

غلاطية

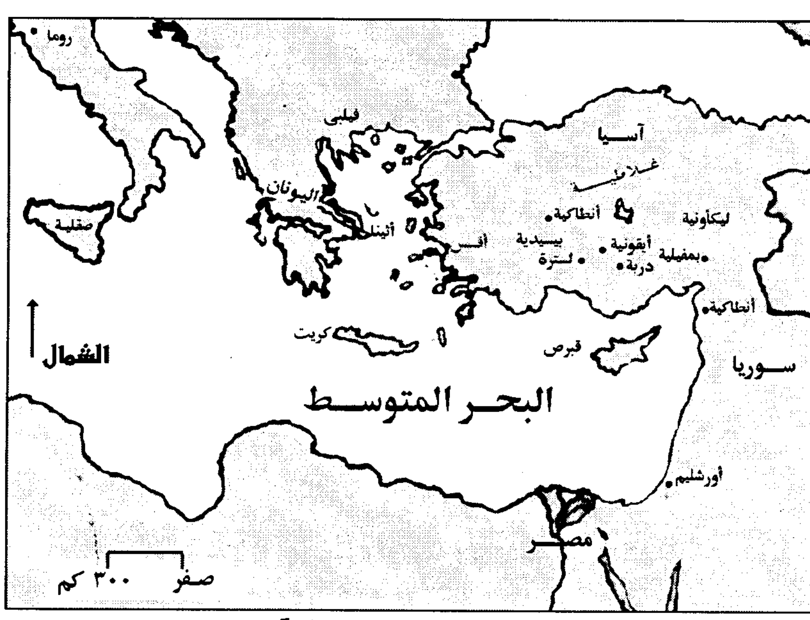
توجد نظريتان عن موقع غلاطية.

النظرية الأولى ترى أن غلاطية يُقصَد بها جغرافياً جزء من المقاطعة الواقعة فى الشمال حيث استقرت مجموعات من الناس جاءت من بلاد الغال(فرنسا) وأطلقوا اسمهم على المنطقة بأسرها، أما **النظرية الأخرى** فترى أن غلاطية أُستخدمت بالمعنى السياسى، ويُقصد بها المقاطعة التى كانت قائمة من حدود بمفيلية فى الجزء الجنوبى من أسيا الصغرى إلى حدود بُنتس تجاه البحر.

لا نستطيع على وجه اليقين أن نحدد زمن كتابة الرسالة. فأتباع النظرية القائلة بأن غلاطية هى الجزء الشمالى من المقاطعة، يرون أن الرسالة كُتبت بعد الأحداث التى ذُكرت فى (أعمال ١٨: ٢٣) أى أثناء الرحلة التبشيرية الثالثة لبولس، ولعل ذلك كان إبان تواجد بولس فى أفسس، أو بعد ذلك بوقت قصير.

ومن ناحية أخرى، فإنه إذا ما كانت الرسالة قد وجهت إلى كنائس جنوبى غلاطية التى أسسها الرسول فى الرحلة





خريطة لموقع غلاطية

التبشيرية الأولى، فأى تاريخ بعد هذه الرحلة يكون محتملاً، بما فى ذلك أثناء الرحلة الثالثة كما سبق القول. إلا أن ثمة احتمالاً آخر يطرح نفسه بالنظر إلى أن تاريخاً أقدم يتناسب بالأكثر مع خلفية الرسالة. كما أنه من المحتمل أن تكون هذه الرسالة ضمن الرسائل الأولى التى كتبها الرسول بولس.

جـ ـ الهدف من الرسالة

ثارت الصعوبات فى كنائس غلاطية لأن جماعة من الناس كانت تصر على ضرورة ختان الأمميين، ولابد أن هؤلاء كانوا من أصل يهودى، حيث رأوا أنه لا رجاء للأمميين ما لم يقبلوا الختان كأمر استهلالى.

تتباين التفسيرات طبقاً للتاريخ الذى يُنسب لكتابة الرسالة، فإذا كانت قد كُتبت قبل مجمع أورشليم (أعمال ١٥)، ولم يكن قد تم الفصل بعد فى موضوع الختان، فيكون موقف الغلاطيين هو أول عقبة رئيسية بالنسبة له. أما إذا كان مجمع أورشليم قد سبق أن انعقد، هنا تكون كنائس جنوبى غلاطية قد تلقَّت بالفعل تلك القرارات (١٦:٤)، وبهذا يكون التهوديون اتخذوا موقفاً أكثر تشدداً من الموقف الذى تبنَّاه الرسل فى أورشليم. أما إذا كانت الرسالة إلى كنائس الشمال، فلا يوجد دليل صريح على أنهم تسلموا تلك القرارات.

ولنا أن نستخلص من ذلك أن الرسول استهدف من وراء هذه الرسالة أمرين اثنين:

الأول: التأكيد على قانونية رسوليته.

الآخر: عرض وتوضيح طابع الإنجيل الذى يبشر به.

ونراه فى الجزء الأول من الرسالة معنى بأن يبيِّن علاقته مع الرسل «الأعمدة» فى أورشليم، حتى يوضح مساواته بهم، بينما هو فى ذات الوقت يظهر استقلالية عنهم، وإن دعوته للرسولية هى من قبل الله لا من قبل الناس، فضلاً عن ذلك، نراه يؤكد أنه لا يوجد سوى إنجيل واحد، الأمر الذى يوحى بأن خصومه كانوا يتهمونه بأنه يبشر بإنجيل مختلف، وأنه يدَّعى أنه تلقَّى إنجيله من الله. ويضمِّن بولس رسالته تعبيرات عن بعض الحقائق اللاهوتية الهامة، والجزء الأساسى من الرسالة يصدر تحذيراً قوياً ضد التقيد الحرفى بالناموس، الأمر الذى ينطبق لاعلى الموقف الذى واجهه بولس فى كنائس غلاطية فحسب، بل حيثما كان هناك اعتماد على الممارسات الحرفية للناموس على اعتبار أنها ضرورية للخلاص. فإذا لم يكن فى مقدور الأممى أن يصبح مسيحياً إذا لم يختتن، فإن

هذا لا يعنى أنه جعل من ممارسة خارجية شرطاً للخلاص المسيحى فحسب، بل إن هذا يعنى أيضاً التزاماً بحفظ الناموس اليهودى كله. وبولس يعارض التبرير بأعمال الناموس، وهو إذ يفعل ذلك يبيِّن سمو التبرير بالإيمان. والرسالة كلها تمجِّد تعليم النعمة، ومع ذلك فإن نفى الرسول لتعليم التبرير بالأعمال يأتى من منطلق أن الأعمال وحدها لاتؤدى إلى الخلاص، فهو يرى بكل وضوح أن البديل للتمسك بحرفية الناموس لايعنى التحرر من كل قيد. فعلى الرغم من أن المسيح قد حقق الحرية للمؤمن، فلا ينبغى استخدام هذه الحرية للانغماس فى شهوات الجسد (٥: ١)، والواقع أن عرض الرسول بولس للحياة المسيحية فى هذه الرسالة إنما هو عرض لنظام أخلاقى سامٍ. وقد كان هو نفسه قدوة بإعلانه أنه صُلب مع المسيح (٢: ٢٠). ولم تكن هذه الرسالة مثياقاً للحرية المسيحية فحسب، بل كانت ميثاقاً للحياة المسيحية أيضاً.

د ـ الإطار العام لرسالة غلاطية

يرى معظم الدارسين أن ثمة أقسام تميز الرسالة- بالإضافة للتحية والختام - ويمكن عرض الإطار العام للرسالة على النحو التالى:

أولاً: تحية وتوبيخ (١ - ١٠)
أ- تحية (١: ١ -٥)
ب- توبيخ (١: ٦ - ١٠)

ثانياً: التأكيد على أن رسوليته من قِبل الله(١: ١١ - ٢: ٢١)

أ- توضيح: يوضح الرسول أن رسالته ليست بحسب البشر، بل من قِبل الله مباشرة (١: ١١-١٢).
ب - سرد لتاريخ بولس قبل إيمانه المسيحى (١:١٣- ٢: ٢١).

١- إثبات سلطانه الرسولى (١:١٣- ٢٤)
٢- ممارسة سلطانه مع الرسل (٢: ١- ٢١)

ثالثاً: التعليم عن الحرية (٣:١- ٤ :٣١)

(أ) البر والوراثة يأتيان بالإيمان لا من الناموس (٣: ١- ٤: ٧)

(١) اختبار شخصى(٣: ١ -٥)
(٢) إيمان ابراهيم أبو الآباء (٣: ٦ - ٩)
(٣) إعلان بشأن الناموس (٣ :١٠ - ١٤)
(٤) أسبقية الوعد (٣: ١٥- ١٨)
(٥) هدف الناموس (٣: ١٩- ٢٢)
(٦) دور الإيمان (٣: ٢٣ - ٤: ٧)

(ب) بولس يناشد أهل غلاطية (٤:٨-٢٠)
(١) الظروف التى دعته إلى ذلك (٤:٨ -١١)
(٢) مضمون المناشدة (٤: ١٢ - ١٦)
(٣) سبب المناشدة

(جـ) تشبيهات مجازية تتعلق بالموضوع (٤: ٢١ - ٣١)

(١) الموقف التاريخى(٤: ٢١ -٢٣)
(٢) توضيحات باستخدام الرمز (٤:٢٤ - ٢٧)
(٣) تطبيق شخصى(٤: ٢٨ -٣١)

رابعاً: توضيح معنى حياة الحرية(٥:١-٦:١٠)

(أ) حياة الحرية من نظام حَرفية الناموس (٥:١- ١٢)

(١) وصية وتوصية (٥: ١)
(٢) موضوع خطير (٥: ٢ -١٢)

(ب) حياة المحبة فى روح الله (٥: ١٣- ٦:١٠)
(١) حياة المحبة تنبذ: الانحلال والشهوات الجسدية (٥:١٣ - ١٥)

٢- قوة حياة المحبة الناجمة عن سيطرة الروح (٥: ١٦-٢٤)

٣- التعبير عن حياة المحبة: توجيه الروح (٥:٢٥ - ٦: ١٠)

خامساً: خاتمة (٦: ١١- ١٨).

أ- تحذير ختامى (٦: ١١- ١٦).

ب- رجاء ختامى (٦: ١٧).

جـ- بركة ختامية (٦: ١٨).

١٠- رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس

أ- الكاتب.

ب- زمن كتابة الرسالة.

جـ- الهدف من الرسالة.

د- الإطار العام لرسالة أفسس.

أفسس

كانت **أفسس** أكثر المدن أهميةً فى أسيا الصغرى، وتقع على نهر الكايستر، ولها ميناء على بحر إيجة. وبالنظر إلى موقعها هذا أصبحت مركزاً للرحلات التجارية، حيث كانت فى ملتقى طرق تجارية كبرى تصل إليها من جهات عديدة، وكان بها هيكل وثنى عظيم للإلهة أرطاميس (ديانا).

وهى رسالة إلى المسيحيين فى مدينة أفسس العظيمة وما يجاورها. وقد كُتبت بأسلوب رائع، وتقدم لنا فكرة عن دور الكنيسة وهدفها.

خريطة لموقع أفسس

أ ـ الكاتب

يعرِّف كاتب الرسالة نفسه بأنه الرسول بولس (١:١، ٣: ١)، كما أنه يصف خدمته بعبارات تعكس ما نعرفه عن بولس (٣: ٧و١٣، ٤:١، ٦: ١٩-٢٠)، وقد قام القديس بولس بكتابة الرسالة للكنيسة التى فى أفسس، إلا أنه لعدم ورود عبارة «فى أفسس» فى أقدم المخطوطات، فلعل الرسول بولس كان يقصد أن تكون الرسالة لكل الكنائس التى أسسها فى المنطقة، وما يؤكد ذلك أنه لم يذكر أية أسماء كما فى سائر الرسائل الأخرى، وعوضاً عنها نجد تحية عامة وُجهت إلى «الإخوة»(٦:٢٣)

ب ـ زمن كتابة الرسالة

ماجاء فى(أفسس ٤: ١ ، ٦: ٢) يفيد أن هذه الرسالة كُتبت فيما كان بولس سجيناً، ويعتقد معظم الباحثين أن رسالة أفسس(مع رسائل كولوسى وفليمون وربما فيلبى) كُتبت إبان فترة سجن بولس فى رومية الذى استمر لمدة سنتين

(أعمال ٢٨:١٦و ٣٠)، ولعل ذلك كان فى فترة مابين سنة ٥٩ م وسنة ٦٣م.

وإذ كُتبت الرسالة فى نفس الوقت تقريباً الذى كُتبت فيه رسالة كولوسى، فقد جاءت الرسالة إلى أهل أفسس لتبين مدى التشابهات والاختلافات إذا ما قورنت معها.

أقام بولس الرسول فى المدينة ثلاث سنوات (أعمال ٢٠: ٣١) حيث حولّها إلى مركز تبشيرى، واستخدم مدرسة انسان إسمه تيرانس لخدمة رسالة الكنيسة(أعمال ١٩: ١)، ولذلك كان طبيعياً بالنسبة لرسالة قُصد أن يقرأها الناس على نطاق واسع فى ذلكم الجزء من آسيا الصغرى أن تُرسل بصفة أساسية إلى أفسس.

جـ ـ الهدف من الرسالة

ترد كلمة «سر» فى رسالة أفسس للمرة الأولى فى (٩:١) وفيها يحدد الرسول بولس هدف الرسالة، حيث يشير بالتحديد إلى خطة الله للعالم. فالله يهدف أن يجمع كل شىء فى المسيح. والوسيلة الرئيسية التى يستخدمها الله فى العالم الحاضر لتحقيق هذا الهدف هى الكنيسة. وقد أسقط الله كل الحواجز فى ذلكم المجتمع الجديد(الكنيسة)، وبين اليهود والأمم وقد وحّد بينهما إذ جعل منهما «إنساناً واحداً جديداً»(٢: ١٤و ١٥). وليس هذا التوحيد بين الفرقتين التى كانت تعادى إحداهما الأخرى سابقاً سوى رمز للوحدة التى تصبح حقيقة بين كل أعضاء جسد المسيح. وفى ذلكم المجتمع الجديد، ومجتمع القديسين لاتوجد حواجز أو معوقات قومية أو خاصة بالجنس أو اللون أوالثقافة، فالكنيسة جسد واحد فى المسيح يسوع، وتلك هى الخطوة الأولى فى التوصية طبقاً لخطة الله، حيث يوحّد الله كل الأشياء فى المسيح، هذا هو «السر» الذى خطط الله من أجله.

وتمثلت وحدة الكنيسة فى ثلاث صور:

الهيكل (٢: ١٩ -٢٢)،و **الجسد** (٤:١١-١٦)، **والعروس** (٥:٢١-٢٣)، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الوحدة لكى تكون أكثر من مجرد وحدة نظرية، فالرسول بولس يؤكد على أنه فى إطار العلاقة بين الأشخاص فإن الكنيسة عليها أن تجتهد لكى تحفظ وحدانية الروح برباط السلام (٤: ٣).

د ـ الإطار العام لرسالة أفسس

أولاً: التحية(١-٢).

ثانيا: تقديم الشكر لله (١: ٣ -١٤).

أ- سبق التعيين (١: ٣- ٦).

ب- الفداء الذى تممه الابن (١: ٧ - ١٢).

جـ- الختم بروح الموعد (١: ١٣- ١٤).

ثالثاً : الشكر والصلاة (١: ١٥ - ٢٣).

رابعاً : مناقشة أمور عقيدية (٢:١ -٣ : ٢١).

أ- فداء الأمم (٢ : ١ - ٢٢)

ب- التبشير للأمم (٣ : ١ -٢١)

خامساً: مناقشة أمور عملية (٤: ١ - ٦ :٢٠)

أ- الحض على الوحدة (٤: ١ - ١٦).

ب- التحريض على السلوك بتدقيق -(باستقامة) (٤: ١٧- ٥: ٢٠).

ج- نصائح للمجموعات التى يتكون منها أهل البيت (٥: ٢١ - ٦ : ٩) .

١- الزوجات والأزواج (٥: ٢١ - ٣٣).

٢- الأبناء والآباء (٦: ١ - ٤).

٣- السادة والعبيد (٦: ٥ - ٩).

سادساً: ختام (٦: ٢١ - ٢٤).

١١-رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي

أ- الخلفية التاريخية.
ب- زمان ومكان كتابة الرسالة.
جـ- الإطار العام لرسالة فيلبى .

رسالة وعظية كتبها القديس بولس، وكانت موجهة لكنيسة فيلبى، وهذه الرسالة مع رسائله إلى أهل كولوسى، وإلى أهل أفسس أو إلى فليمون، هى الرسائل التى كتبها وهو فى السجن.

١ ـ الخلفية التاريخية

بعدما وصل بولس وسيلا وتيموثاوس إلى فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة فى أسيا ثم مروا على ميسيا وانحدروا إلى ترواس، وهناك ظهرت لبولس رؤيا فى الليل رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول له «اعبر إلى مكدونية وأعنا»(راجع أعمال ١٦: ٦ - ٩)، فخرجوا فى الحال إلى مكدونية ليتحققوا من دعوة الرب للتبشير (١٦: ١٠).

من المؤكد أن ليديا بائعة الأرجوان من مدينة ثياتيرا Thyatira هى من أوائل من آمنوا، واستضافتهم، «فألزمتنا» (أع ١٦: ١٥) وبسبب الجارية التى بها روح عرافة، حين أمر بولس الروح باسم يسوع المسيح أن يخرج منها، فخرج فى تلك الساعة، فأمسك موالى الجارية ببولس وسيلا وأتوا بهما إلى الولاة، وانتهى الأمر بسجنهما. (راجع أعمال ١٦:١٦-٢٤)، وفى السجن حوّلاه إلى مكان صلاة وتسبيح، فحدث بغتة زلزلة عظيمة، فانفتحت أبواب السجن، وانفكت قيود الجميع، وآمن السجان وجميع أهل بيته بالله(راجع ١٦: ٢٥-٣٤) وأطلق الولاة صراحهما، وطلب بولس أن يأتى الولاة بأنفسهم ويخرجوهما لكونهما رجلان رومانيان، فجاءوا وتضرعوا إليهما وأخرجوهما، وسألوهما أن يخرجا من المدينة (راجع أعمال ١٦: ٣٥ - ٤٠).

فيلبى

يرجع اسم المدينة إلى فيليب المقدونى الذى أطلق اسمه عليها، حيث استولى عليها من التاسوسيين (المهاجرون إليها من جزيرة تاسوس Thasos)، وذلك نحو عام ٣٦٠ ق.م. وكان اسم فيلبى قبلاً «كرينيدس Crenides»، وقد دعم حدودها بقوات لحمايتها من غزوات التاسوسيين.

وكانت صناعة الذهب فى المناجم فى ذلك الوقت قد تطورت، فكانت تسك العملات الذهبية وتحمل اسم فيليب، وأصبحت شائعة ومعروفة.

وقد أصبحت فيلبى جزءاً من الإمبراطورية الرومانية بعد معركة «بيدنا» فى سنة ١٦٨ ق.م. وبعد أن قسّم إيميلوباولو فى سنة ١٦٧ ق.م. مقدونية إلى أربع مقاطعات، كانت فيلبى تتبع المقاطعة الأولى، وأصبحت جزءاً من مقدونية، وتسالونيكى عاصمة له، ويظن البعض أنها مسقط رأس لوقا البشير، وذلك لاهتمامه الواضح بها (أعمال ١٦: ١٢ - ٤٠) وفى عام ٤٢ ق.م. قامت الحرب المشهورة حيث نجح أنطونيو فى الهجوم على معسكر كاسيوس، فانتحر كاسيوس قبل أن يعرف أن قوات بروتوس انتصرت على قوات أوكتافيوس، إلا أن بروتس هُزم بعد ذلك، فانتهت الحرب. وبعد ذلك اتسعت رقعة المدينة بمجىء جنود الرومان واستيطانها، وبعد معركة أكتيوم فى سنة ٣١ ق.م. ازدادت شهرتها، فبعد انتصار أوكتافيوس مع انطونيو وكليوباترا، أجبر أنصار أنطونيو على التنازل عن ممتلكاتهم وأراضيهم بإيطاليا لأوكتافيوس، الذى سمح لهم بالانتقال إلى المدينة، حيث أطلق أوكتافيوس عليها لقب كولونية-أى مستعمرة - مما جعلها تتمتع بنوع من الاستقلالية عن باقى الولاية.

ب ـ زمان ومكان كتابة الرسالة

لقد حمل أبفرودتس إلى بولس عطايا (فيلبى٤: ١٠-

خريطة لموقع فيلبى

١٩) والإشارة إلى «بيت قيصر» (٤:٢٢) إنما تشير إلى روما وكما سبق وكتب عن دار الولاية (١:١٣) والمقصود بها القصر. ومن الواضح أن بولس كتب رسالته من روما بينما كان فى فترة السجن الأولى (قارن أعمال ٢٨:٣٠، ٣١). وعلى ذلك فإنه يرجَّح أن زمن الكتابة هو حوالى سنة ٦٠م.

جـ- الإطار العام لرسالة فيلبى

أولاً: المسيح هو مصدر فرح المؤمنين (١:١-٣٠).

أ- السلام والتحية (١: ١ و ٢).

ب- الصلاة بفرح من أجل جميع أهل فيلبى (١:٣-١٧).

جـ- الفرح بالرغم من الآلام والمدَّعين (١:١٢-١٨).

د- الفرح بالرغم من احتمالات الموت (١:١٩-٣٠).

ثانياً: المسيح مثال للمؤمنين (٢ : ١-٣٠).

أ- الدعوة للوحدة (٢: ١- ٤).

ب- الدعوة للتواضع (٢: ٥ - ١١).

ب١- اتضاع المسيح (٢: ٥ - ٨).

ب٢- سمو المسيح (٢: ٩-١١).

جـ- الدعوة من أجل حياة مسيحية إيجابية (٢:١٢-١٨).

د- وصايا بولس للعاملين معه من أجل الكنيسة (٢: ١٩ - ٣٠).

ثالثاً: المسيح رجاء المؤمنين (٣: ١- ٢١).

أ- تحذير من الناموسيين (٣: ١ - ٣).

ب- بولس يصف حياته قبل الإيمان بالمسيح وبعده (٣: ٤-١٤).

جـ- بولس مثال وقدوة (٣: ١٥ - ١٩).

د- مصير المؤمنين الحقيقيين(٣: ٢٠ و٢١).

رابعاً: المسيح كفاية المؤمنين (٤: ١- ٢٣).

أ- الدعوة للفرح (٤: ١- ٤).

ب- الحض على تسليم أمور الحياة للمسيح (٤: ٥-٧).

جـ- التفكير والسلوك المسيحى السليم (٤:٨ و٩).

د- بولس يشكر أهل فيلبى (٤:١٠- ٢٠).

هـ- البركة وكلمات ختامية (٤: ٢١ -٢٣).

إن دعوة بولس لأفودية وسنتيخى أن يفتكرا فكراً واحداً، قديشير إلى عدم الانسجام فى الكنيسة وعدم الوحدة، مما دعا بولس أن يكتب عن الوحدة من ظلال الفكر الواحد، والمحبة الواحدة، والنفس الواحدة (راجع فيلبى١: ٢٧ ، ٢: ١- ٤و١٤) وتعد هذه الرسالة إحدى أهم الرسائل التى أرسلها للأفراد ، وربما تكون تعبير عن شكر بولس للكنيسة هناك حيث أرسلت له بيد أبفردوتس بعض العطايا (٤: ١٠ - ٢٠).

لقد ساهمت هذه الرسالة فى إلقاء الضوء على بعض الأمور الهامة مثل:

(١) استخدم بولس الكلمة اليونانية Kenosis وتعنى «إخلاء النفس»، ولهذا التعبير أهميته فى تفسير «التجسد»

(راجع ٢: ٥ - ١١).

(٢) حديث القديس بولس عن حياته (راجع ٣:٤- ٩).

(٣) إن قيامة المؤمنين تعتمد على المعرفة الاختبارية فى الزمن الحاضر (٣: ١٠و ١١).

(٤) الموطن السماوى (راجع ٣: ٢٠و٢١).

(٥) المستوى المسيحى فى الفكر والسلوك الحياتى (٤: ٨ و٩).

(٦) تأكيد القديس بولس على الفرح، حيث وردت الكلمة فى مختلف الاشتقاقات نحو(١٦) مرة فى الرسالة.

١٣-رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسى

أ- الكاتب.

ب- زمان ومكان كتابة الرسول.

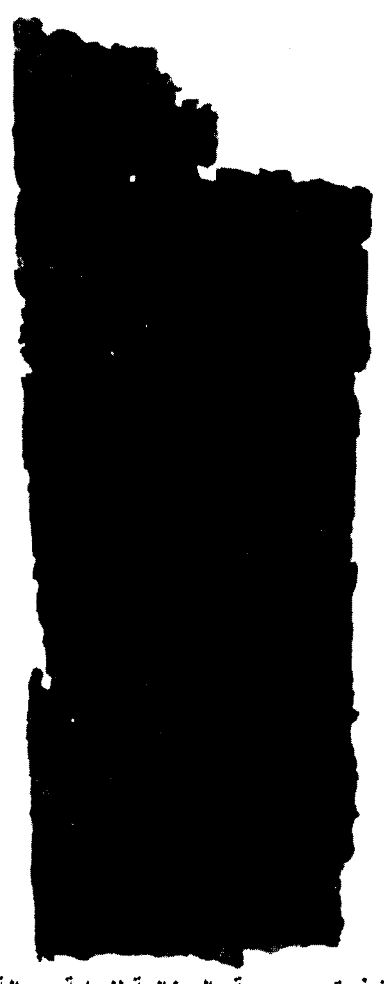
جـ- الهدف من الرسالة.

د- الأفكار الرئيسية فى الرسالة.

هـ- الإطار العام لرسالة كولوسى.

أ ـ الكاتب

لقد اتفق كل اللاهوتيين على أن القديس بولس هو كاتب هذه الرسالة ، فالكاتب قد ذكر أنه هو بولس نحو ثلاث مرات (١ : ١ ، ١: ٢٣ ، ٤: ١٨) كما أن المفاهيم التى ترددت فى الرسالة عن شخص المسيح وعمله، والموت والقيامة مع المسيح، والإنسان الجديد، كلها تعبِّر عن فكر القديس بولس. ونكرر ما سبق وقيل عن رسالة أفسس، أن الجدل حولها قام لتشابهها مع الرسالة إلى أهل كولوسى، وكما يقول هـ . س تايسين



شذرة من بردية باليونانية لنهاية رسالة بولس إلى أهل كولوسى (٤:١٦ ـ ١٨) وبداية رسالة تسالونيكى الأولى (١:١) ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادى



خريطة لموقع كولوسي

H.C. Thiesen إن هذا التشابه الظاهرى مع رسالة كولوسى هو كل ما نرغب فيه.

ب - زمان ومكان كتابة الرسالة

والرسالة إلى أهل كولوسى هى إحدى الرسائل الأربع التى يطلق عليها عادة رسائل الأسر أو السجن، وربما تتزامن كتابة هذه الرسالة مع رسالة فليمون (نحو عام ٦٠ م أو ٦١م)، وقد حملهما تيخيكس إلى من كتب بولس إليهم (راجع كولوسى٤:٧ -٩). إنه بحسب علمنا، فإن بولس لم يخدم فى كولوسى، على أنه يفترض أن تيخيكس بشّر هناك بينما كان بولس فى أفسس (راجع أعمال ١٩: ١ - ١٠)، وهذا الافتراض مرجح. فقد شعر بمسئولية شخصية تجاه الكنيسة هناك.

كولوسى

كانت المدينة تقع فى المنطقة الخاضعة للحكم الرومانى بآسيا الصغرى... حيث تقع إلى الغرب فى الجزء المعروف الآن بتركيا الأسيوية. كانت تقع فى وادى ليكيوس، وتبعد نحو خمسة عشر كيلو متراً عن لاودكية، على الطريق الرئيسى المتجه جهة الشرق. وكانت تقع علي الطريق الواصل بين ساروس وأفسس. وكانت تعد منطقة دفاعية حصينة، وكانت مدينة هامة فى عصر كل من مملكتى ليديا وفارس، إلا أنه بدأت أهميتها فى التراجع بعد نقل طريق ساردس- برغامس إلى جهة الغرب، ليمر بمدينة لاودكية التى بدأت تأخذ مكانتها. ومكانها الآن غير مأهول بالسكان، ويقع بالقرب من بلدة جوناز وتبعد ستة عشر كيلو متراً إلى الشرق من مدينة دينزيلى (Denzili).

جـ - الهدف من الرسالة

كتب بولس هذه الرسالة حيث كان تيخيكس مزمعاً أن يزور كولوسى، وقد تزامن ذلك مع الأخبار التى حملها أبفراس إلى بولس (١: ٧-٩ ، ٤:١٢) حيث أخبره بالتعاليم والممارسات الخاطئة التى بدأت تزحف إلى الكنيسة، وقد أُطلق عليها هرطقة كولوسى، وقد فُرضت تلك التعاليم الخاطئة بين بعض الأفكار اليهودية والأفكار الغنوسية، ويلخص لايتفوت (Lightfoot) ملامح تلك الهرطقة فتقول إنها كانت هرطقة عقلانية (راجع كورنثوس الثانية : ٨) طقسية (٢: ٦ ، ٢٠-٢٢) وباطنية (٢: ١٨) وتقشفية (٢: ٢٣).

كان الغرض الأساسى من كتابة هذه الرسالة هو مقاومة تلك الهرطقات، وقد قاومها بولس بكل وسيلة نبيلة من خلال استعراض الحقائق التى تدحضها.

د - الأفكار الرئيسية فى الرسالة

يركز القديس بولس الرسول فى (كولوسى١ :١٢- ٢٠) على شخص المسيح الذى فيه يحل كل الملء، الذى هو صورة الله غير المنظور. فالمسيح كائن قبل كل شىء، وهو الخالق، وهو رأس الجسد، الكنيسة. وقد وصف القديس بولس عمل المسيح أنه هو المصالحة للكل ما على الأرض وما فى السماء. وقد أصبح ذلك ممكناً من خلال موت المسيح على الصليب فحسب.



أما فى (كو ٢: ١١ - ٣: ٤) فيكتب القديس بولس عن المسيح الذى فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً، وهذا الاختبار قد وصفه بأنه أولاً: الدفن معه حيث يرمز له بالختان الروحى غير المصنوع بيد. وبالمعمودية، وثانياً: القيامة معه من الأموات (أقمتم أيضاً معه)، الحياة التى لنا فى المسيح، وذلك من خلال الإيمان بعمل الله.

وعلى هذا فإن عمل المسيح هو الأساس للخلاص الشخصى (راجع٢: ١١ - ١٥) ويتبع ذلك النتائج العملية، عن طريق رفض التعاليم الكاذبة (راجع ٢: ١٦- ٢٣)، ومن خلال الاختبار الأساسى فى المسيح والذى يعنى حياة جديدة، وطلب ما فوق، والاهتمام بما فوق (راجع ٣: ١-٤).

وفى (كو ٣: ٥ ،٤: ٦) يذكر القديس بولس بالتفصيل التعبيرات العملية للحياة الجديدة فى المسيح، إذ تم خلع الإنسان العتيق مع أعماله، ولبس الطبيعة الجديدة (راجع ٣: ٥ - ١٤) والسلام يملك فى القلوب، حيث تسكن الكلمة بغنىً، وحيث توحى النعمة بالترنيم للرب (٣: ١٥-١٧) ويجب أن يظهر السلوك الجديد فى العلاقات الأسرية، وفى الخدمة لمن هم من خارج (٣: ١٨-٤: ٦).

هـ- الإطار العام لرسالة كولوسى

١- الإنجيل وأثره الفعَّال بين أهل كولوسى(١: ١-١٤).

٢- شخص المسيح وعمله(١: ١٥-٢٣).
أ- الذى هو قبل كل شىء(١: ١٥- ٢٠).
ب- عمل المسيح هو المصالحة (١:٢١-٢٣).

٣- بولس يبشر بسر المسيح (١:٢٤-٢:٥).

٤- اختبار المسيح (٢: ٦ - ٣: ٤).
أ- الدين الزائف - عدو الحق.
ب - الاختبار الحقيقى للمسيح يجاوب على كل الأخطاء.
جـ- الاختبار المسيحى الجوهرى.
١- مدفونين مع المسيح.
٢- أقمتم أيضاً معه.
٣- الإيمان بعمل الله.
د- النتائج العملية لاختبار المسيح.

٥- الحياة فى المسيح تظهر فى الصفات الشخصية والعلاقات مع الآخرين (٣: ٥ - ٤: ٦).

٦- اهتمامات بولس الشخصية والتحيات (٤:٧-١٨).

✣ ✣ ✣ ✣

١٣-رسالتا بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى

أ- الفكر اللاهوتى فى رسالتى بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى.

ب- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى.

ج- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكى.

(أ) الفكر اللاهوتى فى رسالتى بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى

رسالتا تسالونيكى هما أقل رسائل بولس الرسول تعليماً عن العقيدة، فلا يوجد ذكر لموضوع التناقض بين الناموس والنعمة، ولم تستخدم كلمة التبرير على الإطلاق وكذلك كلمة النعمة، وهى الشعار المفضل للرسول بولس سوى مرتين فقط (تسالونيكى الثانية ١: ١٢ ، ١٢: ١٦) ويرجع ذلك إلى طبيعة الظروف التى دعته إلى كتابة هاتين الرسالتين.

ومع ذلك قُدمت بعض التعاليم العقيدية الخاصة.

أولاً: بالنسبة للتعليم عن الله، يشير بولس الرسول إلى أنه لايوجد سوى إله حقيقى واحد على النقيض من كل آلهة

الوثنيين (تسالونيكى الأولى ١: ٩، اقرأ أيضاً ٢: ٢ ، ٢ : ٤و١٠ ، ٣: ١١ ، ٥: ٢٣).

ثانياً: بالنسبة للتعليم عن المسيح يوحّد الرسول بين الابن والآب كى يشير بوضوح إلى مساواة الابن مع الآب (١:١) ، وقد وصف المسيح بأنه السيد، وكان هذا هو اللقب الشائع لله بين اليهود فى ذلكم الوقت.

ثالثاً: بالنسبة للتعليم الخاص بالروح القدس، يعلم الرسول أن الروح القدس هو الذى يجعل الرسالة فعالة فى قلوب السامعين (١: ٥، ١: ٦، ١: ٩و١٠، ٤: ٧-١٨).

رابعاً: بالنسبة لعقيدة الخلاص، يذكر الرسول التعليم العظيم الخاص بالفداء بموت المسيح مرة واحدة، وكان ذلك بطريقة عامة للغاية (٥: ١٠)، غير أنه يتعين علينا أن نتذكّر أن هذا الحق الأساسى سبق أن أعلن بالكامل، وقبله أهل تسالونيكى (٢: ١٣، ١: ١٠ ، ٤: ١٤).

خامساً: كان على الرسول بولس أن يوضح التعليم الخاص بالأخرويات فى الرسالتين (راجع ١: ٥ - ٩ ، ١: ١٠ ، ٢: ١٩، ٣: ١٣ ، ٤ :١٣- ١٨ ، ٥: ١ -١١و٢٣).

✣ ✣ ✣ ✣

ب-رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى

١- تأسيس الكنيسة فى تسالونيكى.

٢- كاتب الرسالة.

٣- زمن كتابة الرسالة .

٤- مكان كتابة الرسالة .

٥- هدف الرسالة.

٦- الإطار العام لرسالة تسالونيكى الأولى.

١ ـ تأسيس الكنيسة فى تسالونيكى

فى أثناء رحلته التبشيرية الثانية فى نحو (سنة ٤٩م) جاء بولس ورفيقاه - سيلا وتيموثاوس- من فيلبى إلى تسالونيكى وأسّس الكنيسة المسيحية بها (انظر تسالونيكى الأولى١: ١و٥-٨ ،٢: ١-٤ ،٣: ١ - ٦، فى ٤:١٦، أع ١٧:١-١٠ ،١٨:٥). وكانت أغلبية الكنيسة تتكون من مسيحيين من الأمم (إش ١: ٩ ، ٢: ١٤ ، أعمال ١٧: ٤)، على الرغم من أنه جاء بصفة خاصة ذكر أرسترخس وهو مسيحى من أصل يهودى فى (أعمال ٢٠ : ٤ ، كو ٤ : ١٠ ... إلخ).

ورواية سفر الأعمال (١٧: ٢) قد يفهم منها أن بولس أقام فى تسالونيكى مدة تتراوح ما بين ثلاثة إلى أربعة أسابيع على الرغم من أن بعض الدراسين يقولون إن هذه المدة «ثلاثة سبوت» ما كانت سوى إشارة إلى خدمته فى المجمع، ومن هذا يستخلصون خدمة شاملة فى المدينة، استغرقت مدة أطول لعلها وصلت إلى ستة أسابيع.

لقد نمت الكنيسة بسرعة سواء من الناحية العددية أو من الناحية الروحية، والواقع أن تقدمهم كان مدعاة للغبطة، حتى إن بولس وصفهم بأنهم قدوة للقديسين فى مكدونية وفى أخائية(تسالونيكى الأولى١: ٧-١٠).

رحب أهل بيرية بالرسالة وقاموا بفحص أقوال الرسول ،حسب الأسفار المقدسة، إلا أنه فيما كان الرسول يتابع رسالته، فإذ باليهود فى تسالونيكى وهم يلاحظون تقدم الرسول بولس ونجاحه فى خدمته هناك ، يسرعون بالمجىء إلى بيرية كى يثيروا الغوغاء ضد خدام الله. وكان من شأن ذلك أنه ـ فيما تُرك سيلا وتيموثاوس فى بيرية كى يساندا الكنيسة الوليدة، أرسل الإخوة بولس نفسه إلى البحر(أعمال ١٧:١٤) أما الذين صحبوه فقد أتوا به إلى أثينا(أعمال ١٧:١٥). وقد طلب بولس من سيلا وتيموثاوس أن يوافياه بأسرع ما فى

استطاعتهما (أعمال ١٧: ١٥) .

كان الرسول مهتماً اهتماماً بالغاً بحالة الكنيسة التى أقيمت حديثاً فى تسالونيكى وقد خطط مرتين لزيارتها مرة أخرى، غير أن الشيطان أعاقه فى المرتين من تحقيق رغبته هذه(تسالونيكى الأولى ١٧:٢) وكان نتيجة لذلك أن قرر أن يبقى وحده فى أثينا، وأرسل تيموثاوس ليقوى القديسين فى تسالونيكى ويشجعهم (٣: ١ - ٣).

وحال أن تسلم ما بعث له به تيموثاوس بخصوص أهل تسالونيكى، قام بالكتابة إليهم (٣: ٦)، ويبدو أنه فى ذلك الحين كان قد سافر من أثينا إلى كورنثوس حيث شرع يكرز فى المجمع حتى قابله سيلا وتيموثاوس أخيراً(١٨:١-٥).

٢ ـ كاتب الرسالة

اتفق كثيرون من الدارسين على أن بولس الرسول هو كاتب هذه الرسالة وذلك للأسباب التالية:

(أ) الرسالة مقدمة على أنها من بولس(١:١)

(ب) الرفقاء الذين جاء ذكرهم كان من المعروف أنهم صاحبوه فى رحلته التبشيرية الثانية (١:١، ٢:٣، ٣: ٦ انظر أعمال ١٥: ٤٠، ١٦:١- ٣و١٩، ١٧: ٤ و١٠و ١٤، ٥:١٨).

(جـ) الرسالة تحمل بكل وضوح طابع بولس وأسلوبه، فتكوين الرسالة وبناؤها يتطابق مع رسالة رومية، ورسالتى كورنثوس، ورسالة غلاطية - وهى رسائل نُسبت إلى بولس من قبَل معظم أولئك الذين يشككون فى أصالة الرسالة الأولى إلى تسالونيكى.

(د) الأسلوب اللغوى والفكر اللاهوتى من الواضح أنهما لبولس.

(هـ) يشهد كل من أوريجانوس وكليمندس السكندرى، وترتليان، ومارقيون وأيريناوس بطريقة أو بأخرى بصحة الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى.

٣ ـ زمن كتابة الرسالة

ثمة اتفاق عام بين الدارسين على أن هذه الرسالة كُتبت فى أوائل الخمسينات أى نحو (٥٠ أو ٥١م)، وإذا كان هذا صحيحاً، فلسوف تكون الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى أقدم رسالة من رسائل بولس، على الرغم من أن البعض ينسبون إلى رسالة غلاطية تاريخاً أسبق.

٤ ـ مكان كتابة الرسالة

كتبت بعد حضور تيموثاوس إلى أثينا بوقت قصير، والشائع بالأكثر أن الرسالة كُتبت فى كورنثوس.والرسالة موجهة إلى تسالونيكى.

تسالونيكى

تسالونيكى هى سالونيكا حالياً، والتى أسسها كاسندر Casender فى سنة (٣١٥ ق.م) وأطلق عليها أسم زوجته، أخت الإسكندر الأكبر غير الشقيقة، وكانت أكبر مدن مكدونية وأوسعها شهرة، كما كانت أيضاً عاصمة المقاطعة، وكانت تقع على طريق روما العسكرى وهو الطريق الاغناطى، الذى يربط روما بالشرق. كانت ميناءً ومركزاً تجارياً، وهى مدينة تناسب بشكل نموذجى استراتيجية بولس التبشيرية.

٥ ـ هدف الرسالة

تقرير تيموثاوس عن تسالونيكى حمل بولس على أن يكتب لهم فى موضوعات عديدة:

(أ) امتدحهم لثباتهم فى التجارب، وشجعهم بالنسبة للمتاعب التى قد تصادفهم فى المستقبل (٢: ١٤، ٣: ١- ٤).

(ب) دافع عن مسلكهم ضد أولئك الذين كانوا يسعون لايذائه (٢:١- ١٢).

(جـ) كرر الحديث عن معيار القداسة بالنسبة لهؤلاء المؤمنين المتجددين حديثاً والذين كانوا ما يزالون تحت إغراء الانحلال السائد فى ذلكم الحين (٤: ١ - ٨).

(د) أوضح بعض نواحى معينة فى التعليم القائل بعودة المسيح من أجل أعضاء الكنيسة الذين أصبحوا قلقين على مصير أحبائهم الذين رحلوا، ولقد عمل بولس على تعزية أمثال هؤلاء بواسطة المزيد من التعليم (٤:١٣- ١٨).

(هـ) وبَّخ أعضاء الكنيسة الذين أصبحوا متراخين فى تأدية أعمالهم اليومية بسبب ما ذهبوا إليه من أن المجىء الثانى للمسيح أصبح وشيكاً (٤: ١١).

(و) حث قرّاءه على احترام مرشديهم (٥:١٢).

(ز) حاول إصلاح السلوكيات الخاطئة بالنسبة للمواهب الروحية التى يبدو أن البعض حاول قمعها (٥:١٩و٢٠). والرسالة برمتها رسالة عملية، وتتضمن رسالة كُتبت لمواجهة مشاكل مجتمع الكنيسة الأولى.

(٦) الإطار العام لرسالة تسالونيكى الأولى

أ- الكنيسة الكارزة النموذجية (١:١ - ١٠).

ب- الكارز الصالح (٢: ١-٢٠).

جـ- محبة واهتمام الكارز الصالح (٣:١-١٣).

د- وصايا وتحريض للمؤمنين (٤: ١ - ١٢).

هـ- تعليم عن الراقدين فى المسيح (٤: ١٣-١٨).

و- وصايا أخرى من أجل الحياة المسيحية (٥:١-٢٢).

ز- كلمات ختامية (٥:٢٣- ٢٨).

جـ- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكى

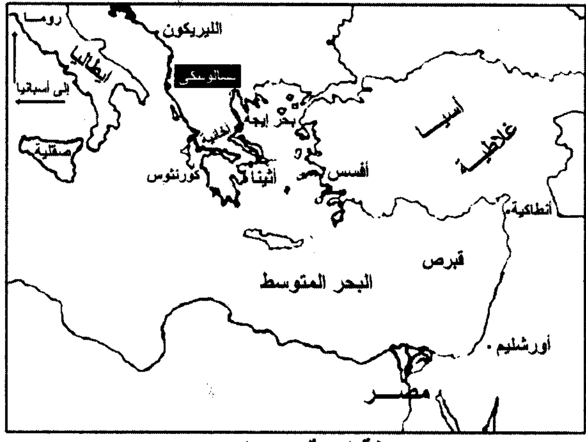
١- كاتب الرسالة.

٢- زمن كتابة الرسالة.

٣- مكان كتابة الرسالة.

٤- الهدف من كتابتها.

٥- الإطار العام لرسالة تسالونيكى الثانية.



خريطة لموقع تسالونيكى

(١) كاتب الرسالة

كما سبق أن تكلمنا- فى معرض تناولنا للرسالة الأولى فإن بولس الرسول هو نفسه كاتب الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى.

(٢) زمن كتابة الرسالة

من الواضح أن تاريخ كتابة الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى يعتمد على تقدير الفترة الزمنية بين الرسالتين الأولى والثانية، فالبعض يرى أنها لا تتعدى أياماً قلائل،

وآخرون يقدرونها بنحو سنة، إلا أن الأمر المأخوذ به هو أن المدة كانت نحو ما بين شهرين إلى ثلاثة أ شهر، وهو ما يعنى أنها تعود إلى خريف أو بداية شتاء سنة ٥٠ أو ٥١ م.

(٣) مكان كتابة الرسالة

إذا كان التاريخ هو ماذُكر آنفا، إذن تكون الرسالة الثانية قد كُتبت أيضاً من كورنثوس. وثمة دليل آخر لهذا يتمثل فى حقيقة أن بولس وسلوانس وتيموثاوس (١:١) لايظهرون ثانيةً معاً فى رواية العهد الجديد بعد رحيل بولس من كورنثوس.

(٤) الهدف من كتابتها

تلقَّى الرسول بولس معلومات عن كنيسة تسالونيكى، بعضها كان مشجعاً، وبعضها الآخر كان يحتاج إلى أن يجاوب عليها الرسول.

لذا نجد أن الرسول بولس كتب مادحاً إياهم على نموهم الروحى مشجعاً لهم على المثابرة فى مواجهة الاضطهاد، إلا أن جل اهتمامه كان يتركز على تصحيح مفهومهم الخاطىء فيما يختص بيوم الرب وتوبيخهم على استسلامهم لحياة الكسل.

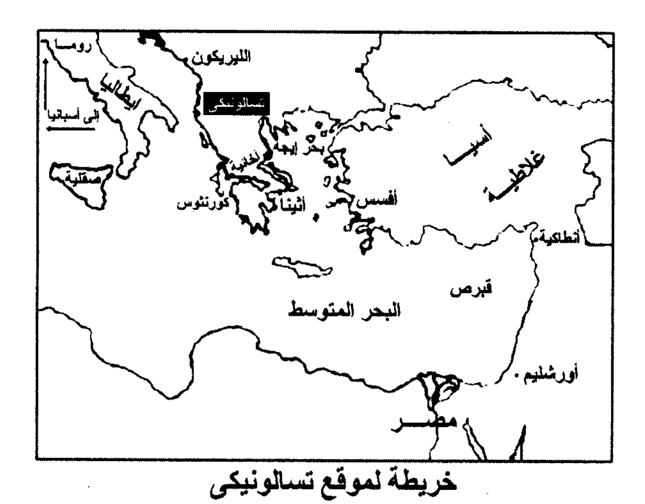
(٥) الإطار العام لرسالة تسالونيكى الثانية

أ- تعزية وصبر فى الضيقات (١:١- ١٢).

ب- يوم الرب وإنسان الخطية (٢:١-١٢).

جـ- تعليم وتحريض المؤمنين (٢: ١٣- ٣: ١٥).

د- البركة والختام (٣: ١٦- ١٨).



خريطة لموقع تسالونيكى

✣ ✣ ✣ ✣

١٤- رسالتا بولس الرسول إلى تيموثاوس

أ- براهين على أصالة الرسالتين.

ب- نقد الرسالتين.

جـ- الهدف من الرسالتين.

د- زمان الكتابة.

هـ- رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس.

و- رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس.

الرسائل الرعوية

لقد أطلق الدارسون للاهوت على رسالتى بولس الرسول إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس لقب «الرسائل الرعوية».

أ- براهين على أصالة الرسالتين

توجد براهين تاريخية كثيرة تعضد أصالة الرسالتين إلى تيموثاوس، فتشهد على ذلك نسخة بيشيتو Peshito السريانية (نُسخت بالقرن الثانى) ، والنسخة اللاتينية القديمة (القرن الثانى) والنسخة القانونية الموراتورية Muratorian(١٧٠م) التى تنسب إلى موراتورى Muratori العالم الإيطالى الذى قام بتحريرها.

وكذلك يشهد كل من ثاؤفيلس الأنطاكى(١٨٠م)، وايريناوس(١٧٨م)، وكليمندس الرومانى(٩٣ -٩٥ م) وكليمندس السكندرى(١٩٤م) وترتليانوس (٢٠٠م) وغيرهم كثيرون إن رفض الغنوسيين لهذه الكتب لايبرهن على شىء، فإن سياستهم الثابتة هى إنكار كل الكتب التى تعارض أفكارهم الخاصة، وتستبعدها من كتابات العهد الجديد.

ب - نقد الرسالتين

قام بعض الدارسين بنقد الرسالتين اللتين تنسبان إلى بولس، وكان على رأسهم شميت (Schmidt)، وشليرماخر (Schleiermacher)ثم تبعهم إشهورن (Eichhorn) ، وديويت (Dewette) وإف.س. بور (F.C. Baur)، ثم هولتزمان (Holtzmann)، وهاريسون (Harrison) ، وديبيليوس (Debelius) وتتلخص آراؤهم فيما يلى:

(١) إن الأسلوب والألفاظ تختلف فى هذين الرسالتين عنها فى الرسائل الأخرى فهما- على سبيل المثال- تحتويان على (١٦٥) كلمة كلاسيكية يونانية لم يستخدمها بولس فى الرسائل الأخرى. وهذه الحجة واهية، فلا يوجد كاتب يستخدم كل الألفاظ التى يستعين بها طوال الوقت. بل يزداد عدد الكلمات التى يستخدمها الكاتب مع مرور الوقت، فخطاب بولس الرسول إلى أهل رومية كانت الثقافة اليونانية واضحة فيه. وربما قد ازدادت معرفته بالكتابات الأدبية الكلاسيكية واتسعت. وكذلك كان الحال فى الرسائل الرعوية، حيث كان بولس يكتب باليونانية إلى أصدقاء مقربين عن شئون خاصة. وتغير الأسلوب، واختيار الكلمات ليس مفاجأة، فالأسلوب الذى يستخدمه بولس فى الرسائل الرعوية، وكذلك الكلمات، تتفق مع الرسائل الأولى التى كتبها بولس.

(٢) إن الإشارات الواردة عن الهراطقة فى الرسائل الرعوية تبرهن على أن الرسائل كُتبت فى وقت ظهرت فيه تلك الهرطقات ، وبعض الفقرات مثل (١ تيموثاوس ١: ٤ ، ٦: ٢) تشير إلى الغنوسية، ومن المعروف أن الغنوسية ظهرت مبكراً، ففى الوقت الذى كان يحمل البعض من المسيحيين اسماً يهودياً وقد انحرفوا أخلاقياً ، كانت الغنوسية تتنامى. وعندما كان بولس يحذر من التعليم الكاذب كان يتحدث من منطلق التحذير من تلك الهرطقات.

(٣) كانت مازالت كلمتا « شيخ » وأسقف» تستخدمان بالتبادل.

(٤) لايمكن أن تتفق المعلومات الواردة فى الرسائل الرعوية مع ما جاء فى سفر أعمال الرسل عن سفر بولس. إلا أن رسالة فليمون(٢٢)، ورسالة فيلبى(٢: ٢٤) تظهران أن بولس كان يتوقع أن يُطلق سراحه فى فترة سجنه الأولى فى روما، ويؤكد كليمندس الرومانى (٩٥م) وكذلك شذرات دوراتوريان (نحو ١٧١م)، وكذلك يؤكد يوسابيوس على أن هذا حدث بالفعل، والتقليد يقول أن بولس ذهب إلى أسبانيا، وأن الرسائل الرعوية أكدت على أن بولس ذهب فى رحلة إلى الشرق(راجع تيموثاوس الأولى١: ٣، وتيطس١: ٥) حيث كان يود أن يقضى الشتاء فى نيكوبوليس (تيطس ٣: ١٢)، إلا أنه بدلاً من ذلك ذهب إلى روما، ربما كسجين.

جـ- الهدف من الرسالتين

تعبِّر الرسائل الرعوية عن النصيحة الملحَّة التى أراد بولس الرسول أن يقدمها لمعاونيه فى وقت الشدة والخطر، ومن

الصعوبة بمكان التعبير عن التلامس الشخصى الذى يميز هذه الرسائل.

د ـ زمن الكتابة

تبرهن الرسائل الرعوية على أنها كُتبت فى زمن حكم نيرون، أو خلال فترة قصيرة بعدها. ويحتمل أن تكون فى الفترة ما بين ٦٢ م، ٦٥ م.

✣ ✣ ✣ ✣

هـ-رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس

الإطار العام للرسالة الأولى

١- التحية(١: ١-٢).

٢- وصية بولس لتيموثاوس(١: ٣ - ٢٠).

أ- أن يعلم التعليم الصحيح فحسب (١:٣-١١).

ب-أن يقتدى ببولس ويتخذ منه مثالاً (١:١٢-١٧).

جـ- أن يحارب المحاربة الحسنة (١: ١٨-٢٠).

٣- تقديم النصح بشأن ترتيب نظام للعبادة العامة (٢: ١ - ١٥).

أ- الصلاة لأجل جميع الناس ولأجل الحكام والمسئولين (٢ :١-٨).

ب- سلوك المرأة(٢: ٩-١٥).

٤- ما يجب أن يتوفر فى القائمين على شئون الكنيسة (٣:١- ١٣).

أ- فيما يتعلق بالشيوخ(٣: ١ -٧).

ب- فيما يتعلق بالشمامسة والشماسات(٣: ٨-١٣).

٥- السلوك الأساسى للخدمة الكنسية(٣: ١٤-٦: ١٩).

أ- الكنيسة عمود الحق وقاعدته(٣: ١٤- ١٦).

ب- التحذير من التعاليم المضلِّة(٤:١-٥).

جـ- ترويض النفس للتقوى (٤: ٦ -١٢).

د- الاهتمام بالخدمة والتعليم(٤:١٣-١٦).

هـ- تعليمات للرجال والنساء ولاسيما الأرامل (٥:١-١٦).

و- تكريم وتأديب وإقامة شيوخ(٥:١٧-٢٥).

ز- نصائح للعبيد المسيحيين(٦: ١و٢).

ح- التحذير من محبة المال(٦: ٣-١٩).

٦-الختام والنصح بالإعراض عن مخالفات(٦: ٢٠ - ٢٢) العلم الكاذب الاسم(الغنوسية).

✣ ✣ ✣ ✣

و-رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس

١- الخلفية التاريخية.

٢- الإطار العام للرسالة الثانية لتيموثاوس .

(أ) الخلفية التاريخية

كتب بولس الرسول هذه الرسالة فى روما، عندما كان سجينا هناك. وفيها يذكر أن وقت انحلاله قد حضر(٤: ٦و٧). وهو يكتب لتيموثاوس لكى يتعجله أن يكون بجانبه، لقد تعرَّض كثيرون للموت بصورة وحشية خلال الاضطهاد الذى شنَّه نيرون ضد المسيحيين، فلابد أن بولس كان يعرف شخصية نيرون، ومدى الخطر الذى قد يواجه المسيحيين من حكم ذلك الطاغية عندما كتب رسالته الأولى إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس.

تحتم الكتابة فى مثل هذه الظروف أن تكون الرسائل عاجلة ومباشرة للغاية التى كُتبت من أجلها. وبولس يدعو

تيموثاوس أن يكون جندياً صالحاً من أجل المسيح في هذا الوقت الصعب.

من خلال دراسة الرسائل الرعوية يتبين لنا أن بولس كان قد زار كريت، وميليتُس، وترواس، ومكدونيا، وكورنثوس. ومن كورنثوس إلى نيكوبوليس في رحلة قصيرة حتى قابل تيطس(تيطس٣: ١٢)، وربما ألقى القبض عليه هناك حيث تفجَّرت اضطهادات نيرون نحو عام ٦٤م .

لقد تركه (أي بولس) بعض الأصدقاء غير المُخلصِين، ولم يكن معه سوى القديس لوقا (٢تيموثاوس ٤: ١١)، وكان يشتاق إلى رفقة تيموثاوس المخلص لاسيما في أوقات الخطر واحتمال التعرُّض للموت(٢تيموثاوس٤: ٩).

ومن المعروف أن الرسول بولس مات شهيداً في روما، نحو عام ٦٥م، وكان قُبض على تيموثاوس أيضاً، إلا أنه أُطلق سراحه(عبرانيين ١٣: ٢٣) ولكن لاتوجد أي معلومات عنه بعد ذلك.

(ب) الإطار العام للرسالة الثانية لتيموثاوس

١- تحية تيموثاوس وشكر لله من أجله(١:١-٥).

٢- بولس يطلب منه ألا يخجل من الشهادة للمسيح(١:٦-١٨).

أ- موهبة الروح القدس(١: ٦و٧).

ب- بولس مثال لاحتمال المشقات(١: ٨-١٤).

جـ- ثبات أنيسيفُورس (١:١٥- ١٨).

٣- بولس يوصي تيموثاوس أن يكون قوياً(٢: ١-١٣).

أ- كمعلم(٢:٢).

ب- كجندي صالح (٢: ٣و٤).

جـ- كالرياضي(٢: ٥).

د- كالحرَّاث (٢: ٦و٧).

هـ- من أجل المسيح(٢: ٨-١٣).

٤- بولس يوصي تيموثاوس أن يواجه التعاليم الكاذبة (٢: ١٤-٣: ١٧).

أ- مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة (٢:١٤:١٥).

ب- بتجنب الإثم (٢: ١٩-٢٢).

جـ- بتجنب المباحثات الخبيثة (٢: ٢٣).

د- بأن يؤدب بالوداعة (٢: ٢٤- ٢٦).

هـ- بأن يتجنب ارتداد آخر الأيام (٣:١-٩).

و- بأن يتبع خطى بولس خلال الاضطهاد(٣:١٠-١٣).

ز- بالثبات على ما تعلمه من الكتب المقدسة (٣: ١٤- ١٧).

٥- بولس يوصي تيموثاوس بأن يكرز بالكلمة(٤: ١-٨).

أ- لأنه سيكون وقت لايحتملون فيه التعليم (٤:١-٤).

ب- لأن وقت انحلال بولس قد حضر (٤:٥-٨).

٦- تعليم شخصي لتيموثاوس والختام (٤:٩-٢٢).

✣ ✣ ✣ ✣

١٥-رسالة بولس الرسول إلى تيطس

(أ) الهدف من الرسالة.

(ب) الإطار العام لرسالة تيطس.

الرسالة إلى تيطس هي إحدى الرسائل الرعوية الثلاث لبولس، من بين كتب العهد الجديد. وكُتبت قبل الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، وقد كتب بولس له فيما يتعلق بالعمل الذي أوكله إليه ليكمله في كريت(١:٥)، حيث يذكر أن عليه أن يقيم «شيوخاً» في كل مدينة، ومن الواضح أن بولس كان يستخدم كلمة Elder(Presbyteros)وتعني شيخاً، بالتبادل مع كلمة(Episcops) بمعنى أسقف، إذ أنه وهو يشرح

الخصائص التى يجب أن تكون موجودة فى الشيخ Elder يقول لأنه يجب أن يكون الأسقف Presbyteros بلا لوم كوكيل الله(١: ٥- ٩).

وقد سبق أن قال لشيوخ أفسس:«احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة Bishops لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه(أع ٢٠: ٢٨)، ويبدو أن هذا يؤكد رأى الأسقف لايتفوت Lightfoot وهو أن هذه الألفاظ فى الكنيسة الأولى كانت مترادفة.

فكان تيطس أسقفاً فى كريت، وكذلك كان تيموثاوس فى أفسس. كان كل منهما أسقفا يقوم بإنجاز العمل الذى يعزيه بولس إلى كل واحد منهما.

أ- الهدف من الرسالة

تحتوى معظم الرسالة على تعليم شخصى موجه لتيطس، إلا أنها أيضاً تحتوى على تعليم هام لكل مسيحى. فالقديس بولس يذكر أنه على الأسقف أن يكون بلا لوم، غير معجب بنفسه، ولا غضوب، ولا ضَّراب، ولا طامع فى الربح القبيح بل مضيفاً للغرباء، محباً للخير متعقلاً باراً ورعاً، ضابطاً لنفسه. فأعمال المعلمين الكذبة تستدعى التوبيخ الحاد (راجع الأصحاح الأول).

ثم يكتب بولس بعض التعاليم لتيطس، ويطلب منه أن يقدم نفسه قدوة للأعمال الحسنة وللتعليم الصحيح (راجع الأصحاح الثانى) فيجب أن يظهر ثمر الإيمان فى السلوك الحسن والأعمال الحسنة. وعليه أن يتجنَّب المباحثات الغبية والأنساب والخصومات والمنازعات الناموسية مع الهراطقة لأنها غير نافعة وباطلة.

بل وينصحه بأن يعرض عن المبتدعين والمنحرفين(راجع ٣: ١- ١١).

ونستطيع أن نؤكد أن تيطس قد نجح فى كورنثوس كما نجح فى كريت، وقد طلب منه الرسول بولس أن يقابله فى نيكوبوليس(٣: ١٢).

ب ـ الإطار العام لرسالة تيطس

١- التحية (١:١-٤).

٢- الخصائص التى يجب أن تتوفر فى شيوخ الكنيسة (١: ٥- ١٦).

أ- صفات يجب أن يتحلى بها الشيوخ (١: ٥-٩).

ب- الحاجة إلى الشيوخ الصالحين لمقاومة المعلمين المتمردين (١: ١٠-١٦).

٣- الصفات التى يجب أن تتوفر فى العائلة المسيحية (٢: ١ - ١٥).

أ- التعليم الصحيح فى البيت (٢: ١-١٠).

ب- نعمة الله هى الأساس لكل سلوك مسيحى (٢: ١١- ١٥).

٤- العمل الصالح فى العالم(٣: ١-١١).

أ- الخضوع للرياسات والسلاطين(٣: ١- ٧).

ب- فعل كل ماهو صالح وتجنُّب المباحثات الغبية (٣: ٨ - ١١).

٥- ختام (٣: ١٢- ١٥).

١٦-رسالة بولس الرسول إلى فليمون

أ - الهدف من الرسالة.

ب- مكان وزمان كتابة الرسالة.

جـ- الإطار العام لرسالة فليمون.

د- طريقة معالجة بولس لبعض القضايا.

ا- الهدف من الرسالة

تعد هذه الرسالة أقصر رسائل بولس، وقد كتبها باختصار لسببين:

(١) هروب أُنِسيمُس Onesimus العبد من سيده فليمون، وإقامته فى كولوسى فى وادى ليكوس بآسيا الصغرى.

(٢) آمن أنسيمس بواسطة بولس، وقد كتب بولس من أجل المصالحة حتى يقبله فليمون، ويغفر له ما اقترفه وفراره منه .

ليس معروفاً على وجه الدقة إذا كان أنسيمس قد عرف بمكان بولس، عندما ترك كولوسى. وذهب عن قصد ليتقابل معه، أو أن بولس عرف بقصته أثناء وجوده فى كولوسى. وربما قصد أنسيمس بولس من أجل احتياجه للمال، أو خوفاً من افتضاح أمره، أو بوخز الضمير لما ارتكبه. وربما لذلك كان يبحث عن بولس، وقد أصبح أنسيمس إنساناً جديداً فى المسيح بواسطة بولس الرسول.

واضح من الرسالة أن بولس يذكر عائلة فليمون ، وكذلك يذكر الكنيسة التى تجتمع فى بيته(عدد ٢٠)، وبالتأكيد فإن بولس كان يريد أن يعرف كل هؤلاء ماكان مزمعاً أن يطلب من فليمون، إذ طلب بولس أن يغفر فليمون لأنسيمس ما فعله، بل وإن أمكن أن يعتقه (٢١)، وأن يأخذ قراره فى ضوء حقيقة أن الآخرين يعرفون الموقف، إن من الصعب رفض طلب بولس، وإن كان أكثر صعوبة مقاومة الإلحاح العائلى وإلحاح الأصدقاء.

ب ـ مكان وزمان كتابة رسالة فليمون

المكان المرجح لكتابة هذه الرسالة هو روما، وذلك بعد عام ٦٠م بفترة قصيرة. حيث كان يمكن زيارة بولس خلال الفترة الأولى لسجنه هناك(أعمال ٢٨: ٣٠و٣١)، وربما كان أنسيمس فى روما يشعر بأمان أكثر حيث المدينة الكبرى التى تمتلئ بالناس، عن أى مدينة صغيرة أخرى فى الشرق الأدنى. بينما يرى آخرون أن بولس كتبها فى أفسس، ولكن لايوجد برهان أكيد على سجن بولس فيها. ويرجح أن بولس أرسل أنسيمس إلى فليمون بالرسالة التى تحمل اسمه، وكذلك حمل أنسيمس معه رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسى.

جـ ـ الإطار العام للرسالة

١- التحية(١-٣).

٢- الصلاة والشكر من أجل فليمون(٤-٧).

٣- مخاطبة فليمون أن يقبل أنسيموس بعد قبوله الإيمان (٨: ٢١).

٤- الختام.

د ـ طريقة معالجة بولس لبعض القضايا

تعطينا هذه الرسالة فكرة جيدة عن موقف بولس تجاه أصدقائه المقربين. وهذه الرسالة هى مزيج ممتاز بين ثقة بولس فى فليمون. وأنه سوف يتجاوب مع طلب بولس، وطريقة تناول بولس للموضوع، وطلبه من فليمون أن يقبل أنسيمس، ورفضه أن يستغل صداقته بأن يظل فى خدمته «لكى يخدمنى عوضاً عنك فى قيود الإنجيل»(راجع١١-١٤)، بل وطلب من فليمون إن كان أنسيمس قد ظلمه أو مدين له بشىء فيحسب ذلك عليه أى(على بولس) فهو يفى عنه(راجع ١٨، ١٩) كان أنسيمس بمثابة الابن لبولس الذى ولده فى قيوده (راجع ١٠، ١٢).

كذلك تبرز الرسالة قيمة مهمة وتؤكد عليها، وهى موقف المسيحية منذ عصرها الأول من العبودية، فبينما كان من المستحيل الثورة ضد نظام الرّق والعبودية إلا أنه من الممكن محبة العبد والتعامل معه كأخ فى المسيح.

✣ ✣ ✣ ✣

١٧- الرسالة إلى العبرانيين

أ- كاتب الرسالة.

ب- زمن كتابة الرسالة.

جـ- لمن كُتبت الرسالة ؟ ولماذا ؟

د- الإطار العام للرسالة إلى العبرانيين.

أ - كاتب الرسالة

موضوع معرفة كاتب الرسالة كان يشكِّل أهمية بالغة بالنسبة للكنيسة الأولى، لأن هذا الأمر يتوقف عليه قانونية الرسالة.

آراء الأباء : نسبها القديس ترتليانوس إلى القديس برنابا ، فى حين أن العلامة أوريجانوس يقول إن كثيرين من القدماء ينسبون كتابتها إلى الرسول بولس(ذكر ذلك المؤرخ يوسابيوس القيصرى). ويؤيد هذا الرأى القديس كليمندس السكندرى، ويرى أنها كُتبت بالعبرية، ثم قام لوقا البشير بترجمتها ، ويبدو أنه تسلم هذا التقليد من سلفه بانتينوس. ويقول العلاَّمة أوريجانوس إن البعض فى أيامه نسبوها إلى كليمندس الرومانى، بينما رأى آخرون إن كاتبها هو لوقا البشير، إلا أنه شخصياً يعتقد أن الأفكار التى تحتويها الرسالة هى أفكار القديس بولس، ولكن ليست الكلمات، وهو يقول إن الله وحده هو الذى يعرف بالتأكيد من الذى كتبها. ولكن هذا التحفظ لم يأخذ به السكندريون اللاحقون، فقد تمسكوا بشدة بأن كاتبها هو الرسول بولس، وقد قُبلت على أنها سفر قانونى لا فى الشرق فحسب، بل فى الغرب أيضاً، حيث كانت الشكوك السابقة فى هذا الخصوص تتسم بالقوة. ومع ذلك، فلم تستقر قانونية الرسالة فى الغرب إلا فى أيام القديسين چيروم وأغسطينوس، ولم يواجه التقليد الذى ينسب كتابة الرسالة إلى الرسول بولس أى اعتراض بعد ذلك حتى وقت الإصلاح، حين عارض ذلك كل من إراسموس (إرازموس) ولوثر وكالڤن. وفكرة لوثر أن كاتبها هو أبلُوس لاقت استحساناً لدى كثيرين من الدارسين المعاصرين له، ولو أن أحداً لم ينظر إلى هذه الفكرة سوى أنها تقوم على التخمين فحسب. أما جروتيوس Grotius فقد أحيا الفكرة القديمة بأن لوقا البشير هو كاتبها.

وثمة تخمينات أخرى ترد فى هذا الشأن، فيقترح المؤرخ رامساى Ramsay أن فيلبس المبشر كتب الرسالة من قيصرية بعد اتصاله ببولس الرسول ثم أرسلها إلى الكنيسة فى أورشليم، أما هارناك Harnack فقال إن هذه الرسالة كُتبت بمعرفة أكيلا وبريسكلا.

ب - زمن كتابة الرسالة

على الرغم من أن المعلومات المتاحة لأغراض تحديد تاريخ الرسالة هى معلومات ضئيلة، إلا أنها كافية لإمكانية تأكيد أكثر فترة محتملة، ونظراً لأن كليمندس الرومانى ذكر هذه الرسالة فى نحو سنة ٩٥م، فلابد وأنها قُدمت فى فترة ما قبل هذا التاريخ ، ومن الأرجح أنها كُتبت قبل سنة ٧٠م، بالنظر إلى أنها لا تشير إلى سقوط أورشليم، ومن حيث أن الوضع الكنسى يتناسب مع تاريخ سابق (انظر١٣: ٧و١٧)، إلا أن الأمر يتطلب ترجيح فترة زمنية بعد تأسيس الكنيسة الموجهة إليها الرسالة، وذلك حتى يمكن أخذ عبارة « تذكروا الأيام السالفة ... » (١٣: ٣٢-٣٤) على أنها تشير إلى الماضى. وإذا كان الاضطهاد المشار إليه هو الاضطهاد الذى شنَّه نيرون، فلسوف يتطلب الأمر تاريخاً يقع فى نحو سنة ٦٧م أو ٦٨ م. ولكن قد يكون المقصود مقاومة عامة فقط، وفى تلك الحالة يمكن أن يقع التاريخ قبلَ سنة ٦٤م، وينسب بعض الدارسين تاريخ الرسالة إلى سنة تقع ما بين سنتى ٨٠م، ٩٠م على أساس استخدام الكاتب لرسائل بولس، غير أنه بالنظر إلى أن تاريخ جمع هذه الرسائل يشوبه الغموض، وبالنظر إلى أن الكاتب لم يُظهر تأثيرها كلها ، فلا يكون لهذا الدليل

إلا أهمية قليلة.

جـ ـ لمن كُتبت الرسالة؟ ولماذا؟

لم يُذكر فى الرسالة نفسها إلى من كُتبت. ولكن يمكن الاستدلال على أنهم كانوا يهوداً من ذوى الثقافة اليونانية ممن قبلوا الإنجيل، وثمة عدة قرائن تدل على أن معرفتهم كانت قوية بالعهد القديم والكهنوت اللاوى (راجع عبرانيين ١١:٧ ، ٨: ١٣ ،١٣:١٣، ١٣:١٣). وليس من السهل معرفة مكان إقامتهم ، وإن كان يرجح أنهم جماعة من اليهود كانت تعيش فى روما.

وثمة آراء -أخرى- ترى أن الرسالة عظة مكتوبة وليست رسالة مقرؤة -كما فى رسائل بولس- وإن كان البعض يرجح أنها رسالة كتبها شخص ما إلى جماعة ما يعرفها. وقد وُضعت باللغة اليونانية، فى أسلوب كلاسيكى رفيع المستوى.

وثمة رأى آخر يرى أن الرسالة كانت رداً على هرطقة غنوسية سابقة- تماثل تلك التى تمت مقاومتها فى كولوسى- إلا أنه لاتوجد أية أدلة على وجود ميول غنوسية سابقة فى الموقف الذى يشكِّل خلفية الرسالة، كذاك الذى كان قائماً فى كولوسى.

أما الرأى الذى ساد على نطاق واسع فهو أن الرسالة موجهة إلى المسيحيين من أصل يهودى تحذرهم من الارتداد لليهودية، ويستند هذا الرأى إلى النصائح التحذيرية الخطيرة الواردة فى الأصحاحين(٦ ، ١٠) والتى تفترض أن ثمة خطراً للسقوط لا يقل عن صلب ابن الله من جديد (٦: ٦) ، وتدنيس لدم العهد (١٠: ٢٩) ، وبالنظر إلى أن الكاتب يخاطب أولئك الذين ذاقوا مرة صلاح الله (٦:٤-٥) ، والذين لهذا هم معرّضون لخطر الارتداد إلى إيمانهم القديم، ومن حيث أن الرسالة أوضحت سمو المسيحية على طقوس العهد القديم، فإن من الطبيعى افتراض أن المسيحيين من اليهود كانوا فى ذهن الكاتب.

د ـ الإطار العام للرسالة إلى العبرانيين

١- وصف خلاص الله (١: ١- ٤:١٣).

أ- تدبير الخلاص : ابن الله (١: ١-٣: ٦).

١- المسيح أعظم من الملائكة (١: ١-١٤).

٢- لماذا أخذ المسيح جسداً(٢: ١-١٨).

٣- المسيح يسوع رسول ورئيس كهنة (٣:١- ٦).

ب- راحة الله (٣:٧ -٩).

١- خطورة عدم الدخول إلى راحته(٣:٧-٩).

٢- من يخيب عن الدخول إلى راحته(٤:١-١١).

٣- كلمة الله (٤: ١٢ ،١٣).

٢- رئيس الكهنة الأعظم : يسوع ابن الله (٤:١٤- ٧: ٢٨).

أ- لمحة عن رئيس الكهنة(٤: ١٤-٥: ١٠).

ب- نصائح للمُخلَّصين(٥:١١- ٦: ٢٠).

جـ- ملكى صادق: رئيس الكهنة المشبَّه بابن الله (٧: ١-١٠).

د- كمال كهنوت المسيح(٧: ١١- ٢٨).

٣- خطة الله للخلاص(٨ : ١-١٠: ١٨).

أ - العهد الجديد(٨ :١- ١٣).

ب- المسكن الأرضى والمسكن السماوى(٩: ١-١٤).

جـ- إقرار العهد الجديد(٩:١٥-١٠:١٨).

٤- الحياة بعد نوال الخلاص(١٠:١٩- ١٣: ١٦).

أ- تحريضات للسلوك المسيحى(١٠:١٩-٣٩).

ب- شهادات لحياة الإيمان من الماضى (١١: ١-٤٠).

جـ- حياة إيماننا (١٢:١ -١٣: ١٦).

٥- ختـــــام (١٣: ١٧- ٢٥).

١٨-رسالة يعقوب

أ- الرسائل العامة.

ب- الكاتب.

جـ- هدف الرسالة.

د- الأسلوب.

هـ- زمن الكتابة.

و- خصائص الرسالة.

ز- الإطار العام لرسالة يعقوب.

ح- أبرز التعاليم التى وردت فى الرسالة.

أ- الرسائل العامة

تُعد هذه الرسالة أقدم رسائل العهد الجديد، وهى الأولى بين الرسائل العامة، فقد أطلق يوسابيوس المؤرخ الكنسيُ (القرن الرابع) على كل من رسالتى يعقوب ويهوذا الرسائل العامة وذلك نظراً للمحتوى العام لكل منهما.

ب- الكاتب

تُجمع الآراء على أن يعقوب أخى الرب هو كاتب هذه الرسالة، ويطلق عليها رسالة يعقوب إلى الاثنى عشر سبطاً (يعقوب ١:١).

جـ- هدف الرسالة

تعالج الرسالة وتبرهن على أن الإيمان يكتمل بالأعمال، وقد أطلق عليها رسالة الحياة المقدسة، والمسيحية العملية، والأخلاق المسيحية، التى تغطى الحياة المسيحية كلها.

د- الأسلوب

الأسلوب جذل، وجذاب، يزخر بالحكم والأمثال حيث يعبِّر عن كثير من الأفكار بأقوال حكيمة موجزة، وقد اعتبرت هذه الرسالة بمثابة سفر الأمثال للعهد الجديد. ويستخدم القديس يعقوب اللغة المجازية المستوحاة من الطبيعة(راجع على سبيل المثال ١٦:١ ، ٢ : ١٠و١١ ، ٣ : ١٢ ، ٥: ٧).

هـ- زمن الكتابة

إن من يقبلون القديس يعقوب البار، أخو الرب، كاتباً لهذه الرسالة، فإنه لابد أن تاريخ الكتابة يقع قبل عام ٦٢م ، أى قبل العام الذى توفى فيه القديس يعقوب، (أى بين حكم كل من فستوس Festus وألبينوس Albinus. ولكن يظهر سؤال آخر هل تم كتابتها قبل مجمع أورشليم (٥٠م) أم بعده؟ وترجح الظروف المستقرة، وتوفر الأموال، كذلك الثقافة للمجتمعات المسيحية أن يكون التاريخ نحو عام٦٠م، وتعد هذه الرسالة أقدم رسائل العهد الجديد، فالرسالة لا تحتوى على أى معلومات عن المسيحيين من الأمم، وكذلك لا تتضمن أية إشارة إلى مجمع أورشليم، ومن الواضح أن يعقوب كان يتمتع بمكانة بارزة منذ البداية (راجع أع ١٧:١٢).

و- خصائص الرسالة

يبدأ يعقوب وينتهى فجأة، والرسالة تتضمن كثيراً من الأمثال على غرار أمثال السيد المسيح، وتوجد بعض أوجه الشبه لاسيما فيما يتعلق بالموعظة على الجبل، أكثر من أية رسالة فى العهد الجديد(قارن متى ٣٤:٥ - ٣٧ ، ٦: ١٩، ٧: ١) مع يعقوب ٥: ١٢ ، ٥: ٢ ، ٤: ١١و١٢) وأسلوب القديس يعقوب أكثر قرباً لأسلوب القديس بطرس منه للقديس بولس، حيث توجد بعض أوجه الشبه بالمقارنة مع الرسالة

الأولى لبطرس (قارن بطرس الأولى ١:٧ ،١:٢٤ ، ١: ٢٣، ١١:٢ ، ٥: ٥و٦ مع يعقوب ٣:١ و١١و١٨ ، ٤ :١، ٤: ٦- ١٠).

لا تحمل الرسالة أية بركات رسولية، ربما لأنها تدين غير المسيحيين بين القرّاء (٤:٤ ، ٥:١-٦). ويجد البعض أن الرسالة ينقصها بعض كلمات العهد الجديد مثل: الإنجيل، الفداء، القيامة، الصعود، وإن كانت تتكلم عن الرب يسوع المسيح (١:١ ،٢: ١)، الميلاد الجديد(١: ١٨)، والإيمان (٢: ١٤- ٢٦) وتتكلم عن المجيء الثاني للرب (٥:٧و٨)، ومن الواضح أن الرسالة موجهة إلى المسيحيين من أصل يهودي (١:١ ، ٢: ١و٢١).

ويتكلم عن معلمي الكنيسة وشيوخها(٣:١ ، ٥:١٤).

ز ـ الإطار العام لرسالة يعقوب

ليس من السهل وضع الخطوط العريضة للرسالة، لأنه ينقصها الترتيب والنظام المنطقي.

١- المؤمنون والتجارب(١:١- ١٢).

٢- المؤمنون والرغبات الداخلية(١:١٣-١٦).

٣- المؤمنون وكلمة الله(١: ١٧ - ٢٧).

٤- المؤمنون وجيرانهم(٢: ١ - ١٣).

٥- المؤمنون بين الإيمان والأعمال(٢:١٤-٢٦).

٦- لسان المؤمنين(٣: ١ - ١٢).

٧- الحكمة السماوية(٣: ١٣- ١٨).

٨- العالم والجسد والشر(٤: ١- ٧).

٩- الله والناموس(٤: ٨-١٧).

١٠- الأيام الأخيرة(٥:١ - ٨).

١١- الصبر والصلاة في التجارب(٥:١٠-٢٠).

يبدأ القديس يعقوب الرسالة وينتهي أيضاً بمناقشة التجارب والصبر والصلاة بإيمان، ويرى البعض أن جوهر رسالة يعقوب هو: «إن كان أحد لايعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً (٣:٢)، وهذا ما يعتبر أبرز أهداف الرسالة.

ح ـ أبرز التعاليم التي وردت في الرسالة

• **الصلاة:** الصلاة من أجل طلب الحكمة(١:٥ -٧)، الصلاة غير المستجابة (٤: ٢و٣)، والصلاة بإيمان (٥:١٣- ١٨).

• **الكلمة:** «شاء فولدنا بكلمة الحق» (١:١٨)، قبول الكلمة (١: ٢١)، طاعة الكلمة(١: ٢٥).

• **اختبارات ثلاثة للدين:** أن يلجم لسانه، وأن يكون محباً، وطاهراً(١: ٢٦و٢٧).

• التجارب تصيرنا كاملين في حياتنا على الأرض (١:١- ٤) كما أنها تجعلنا ننال إكليل الحياة في السماء (١:١٢).

كيف تجعل إبليس يهرب منك، وكيف تقترب من الله (٤: ٧و ٨).

• **تعريف الخطية:**(٤: ١٧).

وما يُوجه إلى يعقوب لما جاء عن الإيمان في(٢:٢٤)، وأنه يخالف ما جاء في رسالة رومية(٣:٢٨) يسقط أمام الحقيقة التي يذكرها يعقوب وفيها يشير إلى «بر الإنسان» (٢: ١٨).

بينما بولس يشير إلى «بر الله»(رو٤:٢). إن القديس يعقوب يتكلم عن الإيمان الذي قد يقول قائل إن عنده إيمان، بينما تنقصه الأعمال (٢:٢٠).

✣ ✣ ✣ ✣

١٩-رسالة بطرس الرسول الأولى

أ- الكاتب.

ب- زمن الكتابة.

ج- مكان الكتابة.

د- لمن كتب بطرس الرسالة.

هـ- هدف الرسالة.

و- الإطار العام لرسالة بطرس الرسول الأولى.

أ ـ الكاتب

لا تحمل الرسالة الأولى للقديس بطرس اسم القديس فحسب، وإنما تعكس إلى درجة ما صفاته، وخبراته أيضاً. يقول الكاتب عن نفسه «رسول يسوع المسيح» (١:١) «أنا الشيخ رفيقهم» وهو يشير إلى الرجاء الجديد الذى ناله بقيامة المسيح من الأموات (راجع ١:٣) وإلى آلام السيد المسيح (١:١١ ، ٢: ٢١ - ٢٤ ، ٣: ١٨ ، ٤: ١٣) وهو يردد ماقاله السيد المسيح: «ارعوا رعية الله»، «ارعَ غنمى» (راجع بطرس الأولى، يوحنا ٢١:١٦)، وقد اقتبس من هذه الرسالة كثيرون من آباء الكنيسة، ووردت فى كتاباتهم، فنجد اقتباسات منها فى رسالة بوليكاربوس إلى فيلبى (١٢٥م)، وفى رسالة برنابا (١٣٥م)، وفى كتابات يوستينوس الشهيد (١٥٠ م)، والرسالة الثانية للقديس بطرس تتضمن وجود الرسالة الأولى (راجع بطرس الثانية ٣:١) ربما تكون هذه هى الرسالة التى تشير إليها الرسالة الثانية. منذ عهد إيريناوس (١٧٠ م) والكنيسة تعترف بالرسالة الأولى لبطرس.

ب ـ زمن الكتابة

لأن بطرس يذكر سلوانس (٥:١٢)، ومرقس أيضاً (٥:١٣) فإنه من المحتمل أن الرسالة كُتبت بعد أن أصبح لكل واحد منهما دوره البارز فى الكنيسة. فإذا كانا هما نفس الشخصين اللذين كانا مع بولس، فإن الرسالة ترجع إلى الفترة التى ترك فيها سلوانس (سيلا) بولس، وقبل أن يذهب إليه مرقس، خلال الفترة الأولى لسجن بولس فى روما (كولوسى٤:١٠، فليمون ٢٤)، وما لم يكن مرقس قد رافق بطرس قبل الفترة الثانية لسجن بولس (٢تيموثاوس٤:١١) فإن الرسالة لا يمكن أن تكون كُتبت قبل نهاية العقد السادس، ولابعد منتصف العقد السابع من القرن الأول، حيث استشهد بطرس، وربما يكون التاريخ المرجح بين سنتى٦٣ م- ٦٤ م .

جـ ـ مكان الكتابة

أُرسلت الرسالة من بابل (٥:١٣)، ولا أحد يعرف على وجه التحديد إن كانت بابل هى التى تقع على نهر الفرات، حيث كان كثيرون من اليهود يعيشون هناك،أم بابل كانت إشارة مجازية إلى روما (رؤيا ١٧:٥ ، ١٨:١٠) ومازال هذا الأمر موضع دراسة الباحثين. والمرجح أن بطرس كان قد قابل سلوانس ومرقس فى روما ،لا فى بابل التى بين النهرين.

د ـ لمن كتب بطرس هذه الرسالة؟

كتب بطرس هذه الرسالة إلى المسيحيين على الحدود الشمالية لأسيا الصغرى حيث لم يكن بولس قد بشَّر هناك. بالرغم من أنه قد وجه الرسالة إلى المتغربين من أصل يهودى وهو يشير إلى الماضى حيث عملوا إرادة الأمم (راجع ٤: ٣)، كما لو أنه أراد أن يشير إلى أنهم- أو على الأقل بعضهم- كانوا أمميين، وهو ربما يشير إلى أن الدخلاء الذين مع اليهود قد أصبحوا مؤمنين.

هـ ـ هدف الرسالة

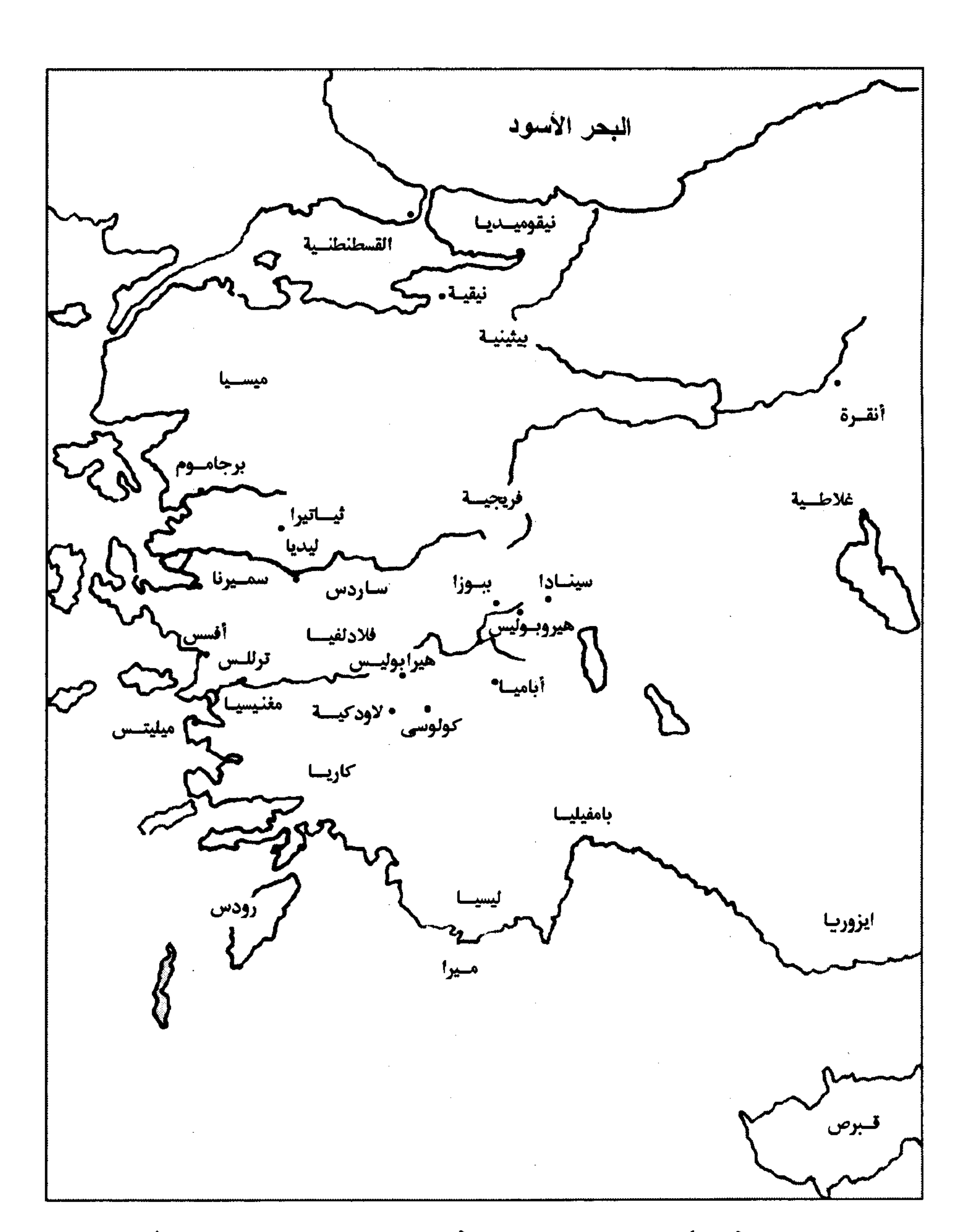
كتب القديس بطرس هذه الرسالة من أجل تشجيع الكنيسة التى تعرضت للآلام والاضطهادات (٤:١٢-١٩). والفكرة الرئيسية للرسالة هى العلاقة بين الألم والخلاص ، فالألم طريق إلى الكمال إذ يقول القديس بطرس: «بعدما تألمتم يسيراً هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم» (٥: ١٠).

و ـ الإطار العام لرسالة بطرس الرسول الأولى

١- تقديم الشكر لله من أجل إعلان محبته فى المسيح (١: ١- ١٢).

٢- يوصى بالحياة المقدسة (١:١٣ ، ٢:١٠).

٣- الأخلاقيات المسيحية فى الكنيسة (٢:١١-٣:١٢).



خريطة لأسيا الصغرى فى زمن الرسول بطرس

٤- الشهادة الصالحة فى مواجهة من يفترون عليهم (٣:١٣-٤:١١).

٥- نصائح للكنيسة(٤:١٢- ١٩).

٦- نصائح للشيوخ(٥: ١- ٩).

٧- البركة والتحيات (٥: ١٠ -١٤).

٢٠-رسالة بطرس الرسول الثانية

أ- الكاتب.

ب- زمن و مكان كتابة الرسالة.

جـ- لماذا كتب بطرس هذه الرسالة؟

د- الإطار العام لرسالة بطرس الرسول الثانية.

أ - الكاتب

إن البرهان الخارجى أو التاريخى على أن كاتب الرسالة الثانية هو القديس بطرس أقل بالمقارنة مع ماتوفر للرسالة الأولى. و ثمة إشارات عنها وردت فى راعى هرماس(١٤٠م)، وفى تعليم الرسل الاثنى عشر(١٥٠م).

وقد كتب أوريجانوس (٢٢٠ م) أن ثمة بعض الشك يحيط بكاتب رسالة بطرس الثانية. ويوسابيوس القيصرى المؤرخ الكنسى(القرن الرابع) يضعها بين الكتب موضع الجدل.

إلا أن اسم الكاتب يرد صراحة فى هذه الرسالة كما فى الرسالة الأولى، وفى هذه الرسالة إشارة إلى رسالة سابقة لنفس الكاتب، وربما تكون هى رسالة بطرس الرسول الأولى (بطرس الثانية ٣:١).

على أنه فى ضوء القبول المبكر للرسالة، فقد وُجدت مخطوطة تحتوى على رسالتى بطرس الرسول الأولى والثانية بالإضافة إلى رسالة يهوذا، وقام قبطى أرثوذكسى فى مصر بنسخها فى القرن الثالث الميلادى، وقد قام الناسخ بتزيين عنوان الرسالة الثانية بينما لم يقم بعمل نفس الشىء مع الرسالتين الأخريين. ويستنتج أ. كنج» A. King أن ثمة تقديراً كبيراً قد أحاط بالرسالة فى القرن الثالث(ملاحظات على مخطوطة بودمر Bodmer).

أما البرهان الداخلى النابع من الرسالة نفسها على أن بطرس الرسول هو الكاتب، فيعد أقوى من البرهان التاريخى. فالكاتب يقول عن نفسه إنه «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله»(١:١).

ويقول إنه شاهد «التجلى»(١:١٦و١٧) تلك الحادثة التى أخبرنا بها القديس مرقس، وكتب عن حضور القديس بطرس لها(راجع مرقس ٩:٥ - ٧) ويقول إن الرب يسوع أعلن له عن موته (١:١٤، قارن يوحنا ٢١: ١٨و١٩). وكتب عن نفسه على أنه أحد رسل الرب (٣:٢)، وفى إشارته إلى كتابات بولس كتب عنه «أخونا الحبيب بولس»، وفى ذلك يصف العلاقة بينهما فى شىء من الألفة.

إن أسلوب الكتابة والكلمات المستخدمة فى رسالة بطرس الثانية يختلف عن أسلوب الكتابة والكلمات التى جاءت فى رسالة بطرس الرسول الأولى، ولكن يجب أن نشير إلى أن سلوانس قد عاون بطرس على كتابة الرسالة الأولى. وكان سلوانس يعاون بولس أيضاً(راجع بطرس الأولى٥:١٢، تسالونيكى الأولى١:١) بينما فى أواخر عمره لم يكن معه من يعينه ، وأسلوب الكتابة فى الرسالة الثانية يختلف عن أسلوب القديس بولس فى الكتابة، ولكنه يماثل إلى حد كبير أسلوب القديس بطرس الصريح والمباشر فى التعبير.

ب - زمان ومكان كتابة الرسالة

حيث أن الرسالة الثانية لبطرس قد كُتبت فى ختام حياة

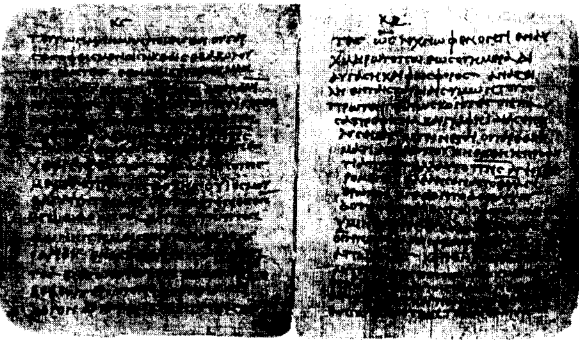
القديس بطرس، فربما يكون قد كتبها فيمابين عامى ٦٤م، ٦٨ م.

وطبقاً للتقليد فإن بطرس توفى فى روما، وربما يكون قد كتب هذه الرسالة هناك.

جـ- لماذا كتب بطرس هذه الرسالة ؟

لأن الكاتب يشير إلى الرسالة الأولى التى أرسلت إلى نفس الجماعة (٣: ١) فإنه من المرجَّح أن الرسالة الثانية لبطرس الرسول قد كتبها للكنيسة فى أسيا الصغرى (بطرس الأولى١:١).

كانت ظروف عديدة قد تغيرت فى الزمن الذى يفصل بين الرسالتين، وكان بطرس يتوقع أن المعلمين المُضلين والكذبة يُشكِّلون خطراً فى المستقبل على المؤمنين أكثر مما يشكِّل الاضطهاد، وإن فساد أخلاق المعلمين الكذبة سيؤدى إلى أن



صفحتان من رسالة بطرس الثانية أقدم مخطوطة معروفة ويرجع تاريخها إلى نحو عام ٣٠٠ م

«وسيتبع كثيرون تهلكاتهم» (بطرس الثانية ٢:٢)، وهم طمَّاعون (٢ :٣) ويذهبون وراء الجسد فى شهوة النجاسة (٢: ١٠).

«وينطقون بعظائم البُطل» (٢: ١٨)، ويعدون بالحرية المزَيَّفة (٢: ١٩)، ولهذا كتب لهم القديس بطرس محذراً من المعلمين الكذبة، ومن خطر الارتداد.

د- الإطار العام لرسالة بطرس الرسول الثانية

- **التحية** (١: ١و ٢).

١- طبيعة المعرفة الحقيقية(٣:١ - ٢١).

أ- هبة من الله (١: ٣و٤).

ب- النمو فى الاختبار (١: ٥-١١).

جـ- أساس هذه المعرفة (١: ١٢-٢١).

- **اختبار بطرس وشهادته الخاصة** (١٢:١-١٨).
- **الكلمة النبوية** (١٩:١ - ٢١).

٢- مخاطر ترك المعرفة الحقيقية (١:٢-٢٢).

أ- المعلِّمون الكذبة (٢: ١- ٣أ).

ب - حكم الله على المعلمين الكذبة (٣:٢ب - ١٠أ).

جـ- انغماس المعلِّمين الكذبة فى الخطية (٢:١٠ب - ١٧).

د- الخطر الذى يشكِّله المعلِّمون الكذبة (٢: ١٨- ٢٢).

٣- الرجاء فى المعرفة الحقيقية(١:٣- ١٨أ).

أ- مواعيد ضد ادعاءات المستهزئين (١:٣-٧).

ب- تحديات تواجه المؤمنين (٨:٣ - ١٣).

جـ- نصح المؤمنين فى ضوء الرجاء فى المستقبل (٣: ١٤- ١٨أ).

- **تمجيد الله** (٣: ١٨ب).

إن الفكرة الأساسية فى رسالة بطرس الرسول الثانية هى: **المعرفة**: فالكلمات المشتقة من «معرفة» قد ورد ذكرها

ست عشرة مرة فى الأصحاحات الثلاث، تشير فى ست مرات منها إلى معرفة المسيح، فى مقابل المعرفة الزائفة التى قدمها المرتدون، بينما يؤكد القديس بطرس على المعرفة الاختبارية التى تمنح النعمة والسلام «لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا» (١: ٢)، وتجعلهم مثمرين (١:٨)، وتحررهم (٢: ٢٠)، وتجعلهم نامين(٣:١٨).

وقد تم تقسيم الرسالة إلى أصحاحات ملائمة فى المضمون، فالأصحاح الأول يبرز كفاية إعلان الله فى المسيح يسوع وفى الكتاب المقدس، حيث المصدر الذى يحدد لنا مستوى السلوك الأخلاقى والرجاء الموضوع فى الأخرويات. والأصحاح الثانى يتضمن تحذيراً ضد الأنبياء أو المعلمين الكذبة الذين سيُهلكون الكنيسة بتعاليمهم المدمِّرة، أما الأصحاح الثالث فيكرر الوعد بمجىء الرب ثانيةً. مؤكداً للقارىء أنه «لايتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلِك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة (٣: ٩).

وربما يمكن تلخيص هذه الرسالة بكلمات القديس بطرس التى جاءت فى (١: ١٠و١١) «لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين، لأنكم إن فعلتم ذلك لن تزِلُّوا أبداً، لأنه هكذا يُقدَّم لكم بسعةٍ دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى».

٣١-رسائل الرسول يوحنا الثلاث

تنسب إلى الرسول يوحنا ثلاث رسائل موجزة، إلا أنها تتناول موضوعات عميقة ومهمة فى الطبيعة الأساسية للاختبار المسيحى.

الرسالة الأولى ليوحنا الرسول

(أ) الهدف من الرسالة الأولى.

(ب) مواجهة الهرطقات.

(جـ) الكاتب.

(د) زمان الكتابة.

(هـ) الإطار العام لرسالة يوحنا الرسول الأولى.

١ - الهدف من الرسالة الأولى

الرسالة رد بسيط إلاَّ أنه عميق على هرطقة كانت تهدد الكنيسة فى ذلكم الوقت. على أن للرسالة هدفاً آخر إيجابياً أيضاً ، فالكاتب يهدف إلى أن يُعَرِّف أولاده الحق وأن يتجاوبوا فى علاقتهم بالله الذى أُعلن فى المسيح. والهدف الإيجابى نجده أيضاً فى(٥: ٢٠):«ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق، ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح».

والفهم الواضح لطبيعة المسيح أمر بالغ الأهمية بالنسبة للكاتب. واستجابة المؤمن التى يدعو إليها أن «يولد من الله»، وأن «يثبت فيه».

وافتراض أن الرسالة كُتبت لتفنيد ادعاءات الهراطقة يتيح لنا أن ننفذ ببصيرتنا إلى عمق هويتهم. وطبقاً لما جاء فى (١٩:٢) فإن أولئك كانوا أعضاءً فى المجتمع المسيحى، ولكنهم انسحبوا الآن لكى يروجوا لمعتقداتهم.

والخطأ الأكبر الذى وقع فيه الهراطقة فى تعليمهم عن المسيح، تمثَّل فى إنكارهم لبشرية يسوع، مع ما يتضمن ذلك من أنه ليس المسيَّا. والأرواح المضَلِّلة فى العالم يمكن التعرف عليها من إنكارها ليسوع، كما تعرف روح الله ممن يعترف بيسوع المسيح: «بهذا تعرفون روح الله، كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله»(٤:٢). والآية الافتتاحية فى الرسالة تفنِّد بشدة إنكار بشرية يسوع ، وقد عُرِّف الكذاب بأنه «الذى ينكر أن يسوع هو المسيح» هذا هو ضد المسيح الذى ينكر الآب والابن»(٢:٢٢).

والناتج العملى لهذه المواقف كان متمثلاً فى انتفاء

المسئولية الأخلاقية التى تشجع على حياة الخطية واللامبالاة بالآخرين، ولذلك احتاج الرسول يوحنا أن يدعو هؤلاء المرتدين إلى الرجوع إلى حياة الأخلاق والمحبة الأخوية فى المسيح.

ب - مواجهة الهرطقات

التأكيد على المعرفة السرية يشير إلى هرطقة ذات طابع غنوسى، وإنكار بشرية يسوع يشير إلى هرطقة دوسيتية، وقد ورد ذكر اسم شخصى يدعى كيرنثوس Cerinthus.

«للمزيد من المعرفة يمكن الرجوع إلى الباب الخاص بالهرطقات»، وقد ذكر ايريناوس اسمه مرات عديدة حيث ارتبط بحركة المقاومة التى وردت فى رسالة يوحنا الأولى.

جـ - الكاتب

المقارنة الدقيقة بين الرسالة الأولى للرسول يوحنا والإنجيل الرابع تكشف لنا تشابهاً ملحوظاً فى مفردات اللغة، الأسلوب والفكر، وثمة كلمات مميزة استخدمت فى كلا السفرين أمثال: المحبة، الحياة، الحق، النور، الابن، الروح(أظهر)، الخطية، العالم، الجسد، يسكن، يعرف، يسلك، الوصايا.

وكذلك ثمة عبارات متشابهة مثل: «روح الحق»، «مولود من الله»، «أولاد الله»، «يغلب العالم»، وهى أيضاً تشير إلى أن الكاتب شخص واحد.

والموقف التقليدى فيما يتعلق بكاتب هذه الرسالة هو أن الرسول يوحنا هو كاتب الإنجيل، وكذلك كاتب الرسالة.

والكلمات الافتتاحية فى الرسالة الأولى (١:١) تؤكد على أن الكاتب كان شاهد عَيَان لتلك الأحداث. والقول بأنه شاهد عيان هو أمر يؤيد صحة الرأى الخاص بطبيعة السيد المسيح وفهمهما. وقد أشار إيريناوس (القرن الثانى) فى كتابه ضد الهرطقات، وكذلك فى القائمة الموراتورية (القرن الثانى) إلى أن كاتب رسالة يوحنا الأولى.. هو الرسول يوحنا، ويتحدث التقليد عن تقدم الرسول فى السن، وإلى أنه عَلَّم فى أفسس. وعن تأكيده على المحبة حتى نهاية حياته. وهو ما تعكسه الرسالة الأولى تماماً.

د - زمان الكتابة

تاريخ كتابة رسالة يوحنا الأولى ترجع - عادة- إلى قرب نهاية القرن الأول. وقد أكدت هذا التاريخ طبيعة الهرطقة التى أدانتها الرسالة، وكذلك الإشارات التى اختصتها فى كتابات بوليكاربوس وايريناوس، إلا أنه لا يمكن تحديد التاريخ بدقة كافية.

النص: وردت عبارة «وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (٥:٧ ، ٨) وهى موضع جدل، إذ ربما تكون أضيفت للنص فى تاريخ متأخر إلى حد ما. أما أول إشارة لها فتأتى من الهرطوقى الأسبانى بريسيليان Priscillian الذى توفى فى سنة ٣٨٥م، وفى تاريخ لاحق قُبلت هذه الإضافة فى الفولجاتا. أما إرازموس Erasmus الذى نشر أول نسخ العهد الجديد باليونانية، فقد حذف هذه العبارة على أساس عدم وجودها فى المخطوطات اليونانية. والمخطوطتان اليونانيتان الوحيدتان اللتان تحتويان على هذه العبارة ترجعان إلى ذلك التاريخ، ولهذا فإن بعض الترجمات الحديثة حذفت هذه العبارة.

هـ - الإطار العام لرسالة يوحنا الرسول الأولى

١- مقدمة (١:١-٤).

٢- شركتنا مع الله(السلوك فى النور) (١:٥ -٢: ٢٨) وتُختبر من خلال :

أ- الحياة البارة(١: ٨ - ٢:٦).

ب- محبة الأخوة بعضهم لبعض(٢:٧:١٧).

جـ- الإيمان بالمسيح الإله المتجسد (٢:١٨-٢٨).

٣- أولاد الله (٢:٢٩ - ٤: ٦) ونلمسها من خلال:

أ- البر(٢:٢٩ - ٣: ١٠ أ).

ب- المحبة (٣: ١٠ب - ٢٤).

جـ- الإيمان بالمسيح الإله المتجسد (٢:١٨-٢٨).

٤- الوصية بالمحبة المسيحية (٤:٧-٢١).

٥- ضرورة الإيمان المسيحى (٥:١-١٢).

٦- حقائق عن الحياة المسيحية (٥:١٣-٢٠).

٧- وصية ختامية (٥:٢١).

الرسالة الثانية ليوحنا الرسول

أ- الكاتب والمستهدفون.

ب- اللغة وزمان الكتابة.

جـ- الإطار العام لرسالة يوحنا الرسول الثانية.

أ ـ الكاتب والمستهدفون

كُتبت هذه الرسالة فى ظروف مماثلة للظروف التى كُتبت فيها الرسالة الأولى للرسول يوحنا، ويعرِّف الكاتب نفسه بأنه «الشيخ» ويُعرِّف من يوجه إليه الرسالة: «إلى المختارة»، وإلى أولادها». ويرى البعض أنه ربما كانت تشير إلى سيدة معينة، إلاَّ أنه من المحتمل أن تكون «المختارة» كنيسة ما، «وأولادها» هم أعضاء هذه الكنيسة. وكانت الهرطقات التى هوجمت فى رسالة يوحنا الأولى تزعج هذه الكنيسة، وقد حذرت من أن تتعامل الكنيسة مع دعاة الهرطقة، وأن تواجه تلك الهرطقات.

ب ـ اللغة وزمان الكتابة

اللغة ومفرداتها والأسلوب المستخدم فى الرسالة الثانية مماثل إلى حد كبير لتلك التى نجدها فى الرسالة الأولى ليوحنا، وثمة ثمانى آيات من الثلاث عشرة آية التى تتكون منها رسالة يوحنا الثانية تكاد تكون مطابقة لآيات فى رسالة يوحنا الأولى. وتشابه هذه الرسالة مع رسالة يوحنا الأولى يوحى بأنها كُتبت فى نفس الفترة.

جـ ـ الإطار العام للرسالة الثانية

١- إطراء من أجل الإخلاص فى الحق(١: ٣).

٢- وصية المحبة التى ينبغى السلوك بمقتضاها(٤- ٦).

٣- أهمية الثبات فى تعليم المسيح(٧-٩).

٤- عدم قبول من يأتى بتعليم آخر (١٠-١١).

٥- ختام (١٢-١٣).

الرسالة الثالثة ليوحنا الرسول

أ- هدف الرسالة الثالثة.

ب- زمن الكتابة.

جـ- الإطار العام لرسالة يوحنا الرسول الثالثة.

أ ـ هدف الرسالة الثالثة

كُتبت هذه الرسالة أيضاً فى ظروف مماثلة للرسالتين السابقتين، ومع ذلك فما دعا إلى كتابتها لم يكن التهديد الذى تشكِّله هرطقة ما. بل شخص يدعى ديوتريفس Diotrephos كان ينكر سلطة «الشيخ» «ويمنع أيضاً الذين يريدون ويطردهم من الكنيسة» (٣يوحنا: ١٠) وقد وجهت هذه الرسالة إلى «غايس» الذى كان لا يزال مخلصاً «للشيخ»، والشيخ يطلب من غايس أن يساعد المرسلين الحقيقيين الذين يعانون من الحاجة.

ب ـ زمن الكتابة

لاتتوفر لنا معلومات كافية لتحديد تاريخ هذه الرسالة. أما مفردات اللغة وأسلوب الكتابة المألوفين فيربطان بشكل وثيق بين هذه الرسالة والرسالتين الأخريين.

جـ ـ الإطار العام لرسالة يوحنا الرسول الثالثة

١- مقدمة(١-٤).

٢- مدح من أجل الأمانة تجاه الغرباء (٥-٨).

٣- إدانة ديوتريفس(٩-١١).

٤- الشهادة من أجل ديمتريوس(١٢).

٥- ختام (١٣-١٤).

٢٢- رسالة يهوذا

(أ) الكاتب.

(ب) زمن الكتابة ولمن كتبت.

(جـ) هدف الرسالة.

(د) الأفكار الرئيسية فى الرسالة.

(هـ) الإطار العام لرسالة يهوذا.

(أ) الكاتب

يهوذا هو أخو يعقوب، وربما كانا أخوا الرب (متى١٣:٥٥، مرقس ٣:٦)، وعنوان هذه الرسالة يحمل اسم كاتبها يهوذا، كما يأتى فى صدر الرسالة نفسها، وهذه الرسالة هى الرسالة الوحيدة التى تتناول بالكامل موضوع الارتداد.

ب - زمن الكتابة ولمن كتبت

إن تشابه هذه الرسالة مع الأصحاح الثانى من رسالة بطرس الرسول الثانية يطرح سؤالاً عن مدى اعتماد القديس يهوذا عليها. فالقديس يهوذا فى وقت لاحق، ربما بعد سقوط أورشليم، يشير إلى الأقوال التى قالها الرسل سابقاً(راجع عدد ١٧)، ولا يرجح أن يهوذا اعتمد على الأصحاح الثانى من الرسالة الثانية لبطرس الرسول. وإنما المرجح هو أن كلتا الرسالتين نبعتا من ظروف واحدة للكرازة ضد المعلمين الكذبة. وحيث كان يوجد حفيدين ينتميان إلى أسرة داود، فإنه ربما كان يهوذا كاتب هذه الرسالة أحدهما، لذا استدعاهما الامبراطور دوميتيان Domitian(٨١م - ٩٦ م) عندما علم بانتمائهما لأسرة داود. ولكنه صرفهما إذ وجدهما مجرد فلاحين من الفقراء، ولا يشكلان أى خطر على روما (راجع يوسابيوس تاريخ الكنيسة ٣: ١٩، ١ - ٢٠: ٦) وهذا الحدث يبين أهمية يهوذا تجاه حكم دوميتيان، ولا سيما أنه ظهرت براءة ساحته.

ويتضح أن هذه الرسالة قد كتبت بصفة خاصة للقراء المسيحيين من أصل يهودى، وهذا بخلاف رسالة بطرس الثانية. فخروج شعب بنى إسرائيل من أرض مصر،(راجع عدد ٥) والإشارات التى وردت من العهد القديم (راجع عددى ٩، ١١) قد ذكرت فى رسالة يهوذا فقط، ولم تذكر فى رسالة بطرس الرسول الثانية، وكذلك ذكر نبوة أخنوخ (راجع عددى ١٤و١٥).

جـ - هدف الرسالة

بينما يبدأ سفر أعمال الرسل بتاريخ الكنيسة على الأرض، فإن يهوذا يبدأ بالحديث عن النهاية. ففى معرض حديثه عن الارتداد يتكلم عن الدينونة، و يُعِّد القراء لما جاء عنها فى سفر الرؤيا.

والهدف من الرسالة يظهر فى العدد الثالث منها، إذ بينما كان الكاتب يرغب فى الكتابة عن الخلاص المشترك، فإنه اضطر أن يكتب لهم عوضاً عن ذلك، ضد التعاليم المنحرفة التى ظهرت فى الكنيسة، مؤكداً على الإيمان الرسولى.

د ـ الأفكار الرئيسية فى الرسالة

تحاول الإعلانات الإلهية منذ فجر الإنسانية، أن ترد الإنسان عن الخطية (١١) ويذكِّرهم بالدينونة التى سوف تحدث بالمجيء الثانى للسيد المسيح (١٥) وتحدث عن البحر والنجوم (١٣) وعن نار أبدية وظلام إلى الأبد (٧ و١٣)، كما تحدث وعلمهم عن العالم غير المنظور للملائكة وعملهم (٦و٩).

لقد أعلن يهوذا حقائق جديدة فيما يتعلق بخطية الملائكة وسقوطهم (٦)، وخصام ميخائيل رئيس الملائكة مع إبليس (٩)، ونبوة أخنوخ (١٤و١٥).

لقد اقترنت التحية فى الرسالة بالبركة، كذلك يستخدم القديس يهوذا كلمات المحبة الحانية فى استهلال رسالته وختامها. وذلك حتى لا يشعر المسيحيون أنهم بعيدون عن الحق. وموضوع العددين (٣ ،٢٣) هو الخلاص، ويؤكد على الإيمان فى عدد (٣)، بل ويطلب «أن يبنوا أنفسهم على الإيمان الأقدس»(٢٠) ويبدأ تذكيرهم بالعهد القديم فى عدد (٥). ويبدأ بالعدد (١٧) لتذكيرهم بالعهد الجديد (١٧). ويقرن بين الارتداد فى العالم السماوى(٩) والارتداد فى العالم الطبيعى (١٢و١٣).

يذكر القديس يهوذا فى عدد(١١)ثلاثة نماذج من العهد القديم للإنسان المرتد. ويذكر أنواع الارتداد فى الأعداد(٤، ١٦ ، ١٩) والتى يوضحها بمزيد من الأمثلة فى الأعداد(٥-٧).

لقد كتب القديس يهوذا يوصى المسيحيين أن يبنوا أنفسهم مصلين، ويحفظوا أنفسهم فى محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح (راجع ٢٠ ،٢١) ويحثهم على معاونة غير المؤمنين لينالوا الخلاص وذلك فى عددى (٢٢ ، ٢٣).

ويختم رسالته بالبركة مصلياً أن تنتقل الكنيسة من الحالة التى كانت عليها إلى أن تقف أمام الله بلا عيب فى الابتهاج، وبلا عثرة بمعونة المخلص.

هـ- الإطار العام لرسالة يهوذا

١- التحية (١و٢).

٢- المناسبة والهدف من الرسالة. وحثهم على الدفاع عن الإيمان(٣و٤).

٣- توضيح ضرورة الدفاع عن الإيمان (٥-١٦).

أ- ثلاثة نماذج من التاريخ تدين من ارتدوا(٥-٧).

ب- ثلاثة نماذج من التاريخ تصف التعاليم الخاطئة(٨-١٦).

٤- مسئولية المسيحيين الحقيقيين.

كيف يدافعون عن الإيمان(١٧- ٢٣).

٥- الختام وتمجيد الله(٢٤و٢٥).

٢٣- رؤيا يوحنا

(أ) الكاتب وزمن الكتابة.

(ب) خصائص السفر.

(جـ) التفاسير المختلفة لسفر الرؤيا.

(د) الإطار العام لرؤيا يوحنا.

يأتى سفر رؤيا يوحنا فى ختام ترتيب أسفار العهد الجديد، ويعلن النصر النهائى والتام لملك الملوك ورب الأرباب، ويكشف عن مدى جماله ومجد الموطن السماوى، وهذا السفر يعد ختام الإعلانات الإلهية.

أ- الكاتب وزمان الكتابة

أجمعت الكنيسة الأولى على أن كاتب سفر الرؤيا هو الرسول يوحنا، وهو أيضاً كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه، وقد ذكر القديس يوحنا اسمه صراحةً أربع مرات فى هذا السفر (راجع١:١و٤ و٩ ، ٢٢: ٨) وأغلب الدارسين المحافظين من المعاصرين يقبلون أن القديس يوحنا كتب هذا السفر فى جزيرة بطموسPatmos حيث نفى عقاباً أوقعه به الأمبراطور دوميتيان Domitian (٨١م -٩٦ م) .

ب ـ خصائص السفر

ربما يكون من المشوق معرفة أن ثمة (٩١٦) كلمة مختلفة استخدمت فى الكتابة وُجدت فى النص اليونانى لسفر الرؤيا، وقد وُجدت (٤١٦) كلمة منها فى إنجيل يوحنا، بينما لم تُستخدم(١٠٨) كلمة منها فى العهد الجديد، وتُقدَّر الآيات الواردة فى سفر الرؤيا بـ(٢٦٥) آية تحمل إشارات واقتباسات من العهد القديم تُقدَّر بـ(٥٥٠) اقتباساً، منها (٧٩) اقتباساً من سفر إشعياء،ويرى البعض أن السفر نفسه يعد امتداداً للنبوات التى وردت فى سفر دانيال (راجع موسوعة ويكلف Wycliffe).

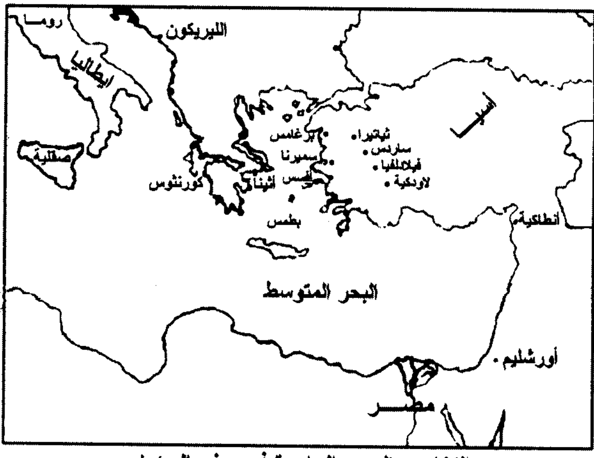
رؤيا

رؤيا Revelation مشتقة من الكلمة اللاتينية Revelare وتعنى(يبوح أو يكشف عن شيء كان مخفياً)، وكانت الڤولجاتا اللاتينية والترجمة الإنجليزية تحملان نفس العنوان للسفر. والعنوان اليونانى Apocaliypse مأخوذ من الكلمة اليونانية Apocalypsis بمعنى **يكشف**، وقد أُستخدم الفعل فى عدة مواضع فى العهد الجديد، ولاسيما فى الإشارة إلى استعلان الرب يسوع للإنسان(راجع لوقا ١٧: ٣٠، رومية ١٨:٨، تسالونيكى الثانية ٧:١، بطرس الأولى ٧:١و١٣).

تشير الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر الرؤيا إلى الكنائس السبع التى تأسست فى أسيا فى نهاية القرن الميلادى الأول. ويقدم فى الأصحاحين الرابع والخامس مشهداً لما رآه فى السماء وفيهما لايذكر أى تحديد للزمن، على أنه بدءاً من الأصحاح السادس فإن الأحداث التى ذُكرت لاتقع على الأرض بعد، وأياً كانت التفاسير المختلفة لها فى محاولة فى تفسير الجراد الذى خرج من الدخان الذى خرج من بئر الهاوية فى الأصحاح التاسع، فإن مثل هذه الكارثة التى يذكر أن عدد جيوش الفرسان مئتا ألف ألف لم تقع بعد (٩:١٦)، وفى الأصحاح الثالث عشر فإن ضد المسيح لم يتحدد فى أيٍ من الأحداث التى وقعت فى الماضى.

وسفر الرؤيا من بين أسفار العهد الجديد هو سفر العالم الواحد، وقد ذُكرت بعض الألفاظ مثل شعوب وأمم وألسنة وملوك وقبائل (١٠:١١، ٩:١١، ١٧، ١٥:١٧). ويذكر الملوك فى مرات عديدة على أنهم ملوك العالم وكل المسكونة (راجع ١٤:١٦، ١٢:١٧و١٨، ٩:١٨، ١٩:١٩).

يذكر السفر أربع عشرة ترنيمة أُنشدت فى السماء (راجع ٤: ٨، ١١ :٤، ٥: ٩و١٠، ١٢:٥، ١٣:٥، ٧ : ١٠، ١٢:٧ ، ١١: ١٥ ، ١١: ١٦و ١٧ ، ١٤: ٣ ، ١٥: ٣و٤، ١:٩و٢ ، ١٩: ٣ - ٥ ، ١٩: ٦-٨)، وقد أنشدتها جماعات



الكنائس السبع الواردة فى سفر الرؤيا

مختلفة لأغراض متعددة، فأحياناً كانت موجهة للآب، وأحياناً أخرى للسيد المسيح، وأحياناً لكليهما.

جـ التفاسير المختلفة لسفر الرؤيا

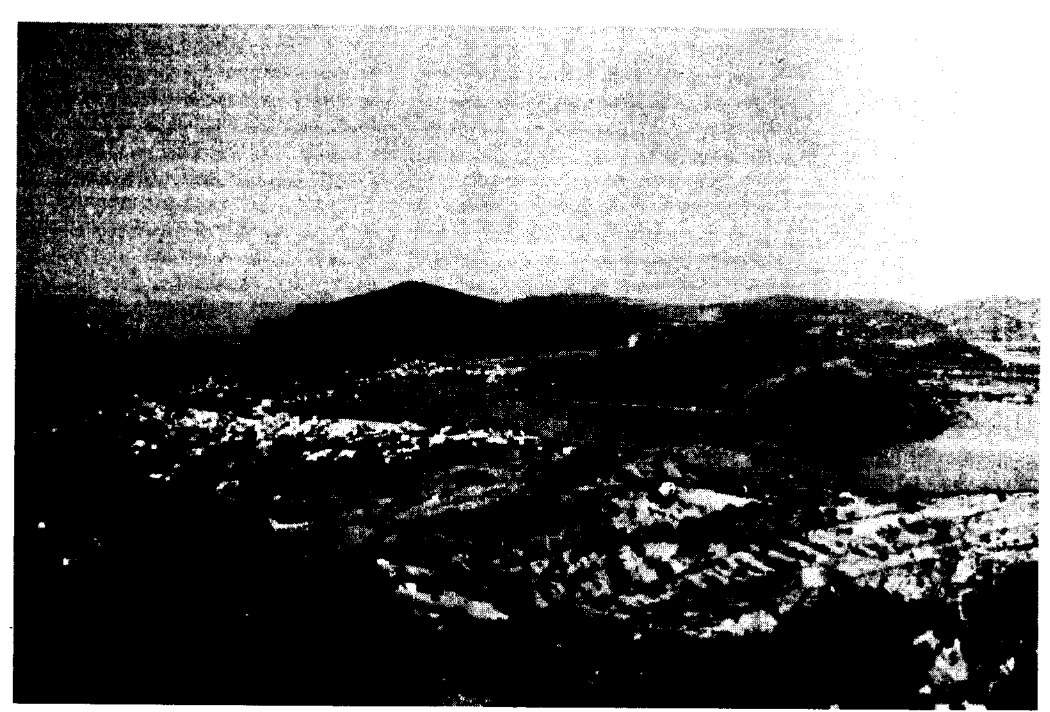
بخلاف أى سفر من أسفار العهد الجديد، فإن سفر الرؤيا يتيمز بأن ثمة تفاسير عديدة قد تناولته، وتوجد أربعة اتجاهات رئيسية للتفاسير، ونتناولها هنا ونترك للقارىء أن يختار ما يناسب اتجاهه وأفكاره فى ضوء الحق الكتابى.

التفسير الأول

ظهر منذ أيام القديس أغسطينوس- وحتى الآن- اتجاه يقول إن ليس غرض الكتاب أن يعلّم عن أحداث سوف تقع فى المستقبل، بل بالأحرى أن يشجع المسيحيين على السلوك بمقتضى أسس روحية، ولاسيما التعليم عن قوة الله، والانتصار الأبدى للمسيح.

التفسير الثانى

أما التفسير الثانى فيرى أن الأحداث التى ذكرت فى الكتاب المقدس، أحداث وقعت فى الماضى، حيث كان الكاتب يكتب عن أحداث معاصرة له وقعت فى إطار الامبراطورية الرومانية وقد قال بذلك كل من موفات Moffat، وسيمكوكس Simcox ...وغيرهما، وهم يرون أن الوحش الذى جُرحه للموت



منظر لجزيرة بطمس يبين البرزخ الضيق الذى يربط بين نصفى الجزيرة فى ميناء فورا وتسمى حالياً لاسكالا



صـــورة أطلال أفسس

أفسس: (فى تركيا بين الطريق الأركادى الذى يقود إلى مسرح المدينة. تأسس خلال الفترة الهيلينية (فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد) ولكنه تغير أثناء حكم كل من كلوديوى (٤١م - ٥٤م) ونيرون (٥٤م - ٦٨م) وتراجان (٩٨م - ١١٧م). وكان يسع نحو ٢٤,٠٠٠ مقعد).

يشير إلى نيرون Nero، وأن الوحش المذكور فى أصحاح (١٣) يشير إلى دوميتيان Domitian.

التفسير الثالث

ويعرف هذا الاتجاه بأنه الاتجاه التاريخى فى التفسير، ولا سيما فيما يتعلق بالختوم السبعة، فالكتاب يتنبأ بأحداث معينة سوف تقع فى الكنيسة، اعتباراً من القرن الأول وحتى العصور الحديثة، ويرى البعض تفسيراً للزلزلة التى حدثت فى (٩:١١) أنها تشير إلى الثورة الفرنسية ... إلخ.

وهذه الطريقة فى التفسير تسمح لمن يعتنقونها بأن يحددوا الحدث الذى يريدون أن يجدوا تفسيراً له ثم يحاولون أن يجدوا له من سفر الرؤيا ما يرون أن يفسره.

التفسير الرابع

هذا الاتجاه فى التفسير يعرف بالتفسير المستقبلى، حيث يؤمن أصحاب هذا الاتجاه فى التفسير بأن الرؤى الواردة فى هذا السفر، من الأصحاح السادس وحتى ظهور المدينة المقدسة تشير إلى أحداث سوف تقع فى المستقبل. ومن بين أتباع هذه المدرسة فى التفسير كل من: يوسف سيس Joseph seiss، ووليام كيلىWilliam Kelly، ونثنائيل وست Nathaniel West، وهنرى ألفورد Henry Alford ، وولتر سكوت Walter Scot.

د ـ الإطار العام لرؤيا يوحنا

فى محاولة لوضع تحليل لسفر الرؤيا توجد عدة اقتراحات، وسوف نضع فيما يلى الموضوعات الرئيسية بحسب ذكرها فى السفر.

• **التقديم**(١ - ٨).

١- **الرؤيا الخاصة بالمسيح المجد ورسائله للكنائس السبع التى فى أسيا**(١:٩ -٣: ٢٢).

٢- **فتح السفر وفك ختومه السبعة وإعلان الأحداث التى تقع على الأرض**(٤:١ - ١٧:٦).

٣- **أحوال القديسين على الأرض وفى السماء ، والأحداث التى تعلنها الملائكة السبعة الذين معهم السبعة الأبواق** (٧: ١-٩:٢١).

٤- **حكم ضد المسيح والأحداث الصعبة** (١٠ : ١ - ١٨:١٣).

٥- **الملائكة السبعة تسكب الجامات على الأرض وحرب هرمجدون**(١:١٤ - ١٦ :٢١).

٦- **سقوط بابل** (١:١٧ - ١٩ :٢١).

٧- **أورشليم الجديدة والدينونة الأخيرة، والأبدية** (١:٢١- ٥:٢٢).

• **الختام** (٦:٢٢ - ٢١).

✣ ✣ ✣ ✣

الباب الثالث

المسيحية والمفاهيم الاجتماعية

فى العصور الأولى

(أ) تمهيد.

(ب) مفهوم الإقامة المؤقتة.

(جـ) الأخوة والمساواة.

(د) الرق والعبودية.

(هـ) النسك والتقشف.

(و) المسيحية ومفهوم الأسرة.

(ز) المسيحية ومفهوم الزواج.

(ح) المسيحية والمرأة.

(ط) احترام العمل اليدوى.

(ى) الرجاء والبشاشة والمرح.

(ك) المسيحية و السياسة.

(ا) تمهيد

المسيحية العملية هى مظهر الحياة الجديدة، والحياة الروحية، والحياة الفائقة للطبيعة، الحياة التى تتسم بالقداسة والسلام. حياة الشركة والوحدة مع الله الآب والابن والروح القدس. وقد بدأت هذه الحياة فى ذروة حدث القيامة، وهى تقع فى أعماق شخصية الإنسان، فتحرره من سلطان الخطية، وتأتى به إلى علاقة جوهرية مع الله فى المسيح. وهذه الحياة هى التى تقدس الإنسان وتسمو به وتعطيه قوة فى كل صفاته البشرية من مشاعر وإرادة وفكر، وهذه الحياة هى التى تجعل الجسد هيكلاً للروح القدس.

لقد بلغت المسيحية مستوىً رفيعاً نظرياً وعملياً فى الفضائل والتقوى، ففى تعاليم المسيحية نجد درجة سامية من

الحب تجاه الله والناس، هذا ليس مجرد تعاليم تجريدى، أو هدف للرجاء والجهد. ولكنه حقيقة حية تمثلت فى شخص الرب يسوع الذى نجد فى شخصه «النموذج» وفى حياته «الأثر» القوى والفعّال أكثر من كل أثر تركه الحكماء والفلاسفة والمشرعين. فالأعمال أعلى صوتاً من الأقوال. فأفضل النظريات الفلسفية والنظم الأخلاقية لم تقدر أن تنتصر على العالم وتغلبه. ولكن استطاع إنجيل المسيح أن يفعل ذلك، بل ويفعل ذلك على الدوام. فأحكم الرجال فى اليونان وروما أسروا العبيد، وأخذوا لهم محظيات وقهروا الناس، وانتقموا منهم، بل وقتلوا الأطفال. وبذلك أعطوا بسلوكهم مثالاً سيئاً عما كانت عليه أخلاقهم، ومقدار ما وصلوا إليه من تدنى فى القيم.

الحياة المسيحية هى الاقتداء بحياة السيد المسيح الحية والفاعلة فى الكنيسة. فالحياة المسيحية هى التيار القوى الدافق بالفداء والقداسة والمجد، حيث يفيض على الأفراد والعائلات والشعوب إلى أن يقبل العالم دعوة المسيح ويصبح الله هو الكل فى الكل.

إن أحد أقوى البراهين على العنصر الفائق للطبيعة المسيحية هو تساميها فوق مستوى الثقافة والأخلاق السائدة لمعلميها الأوائل. فإن التعاليم الكاملة، والحياة التى عاشها صيادو السمك غير المتعلمين، حيث قضوا حياتهم فى الجليل، ولم يبرحوا فلسطين، وبالكاد كانوا يقدرون أن يقرأوا ويكتبوا، وقد قاموا بتعليم أسرار ملكوت السموات، والتجسد والفداء، والقيامة لجماهير من الفقراء، والبسطاء وغير المتعلمين، للعبيد، وللأحرار.

وكما قال القديس بولس: « **ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله جُهّال العالم ليخزى الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه، ومن أنتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء حتى كما هو مكتوب من افتخر فليفتخر بالرب** » (كورنثوس الأولى ١:٢٦-٣١).

إذا ما قارنا بين البيئة الأخلاقية للكنائس التى أسسها الرسل، والواقع المحيط بكل من اليهودية والوثنية فإننا نجد التباين الشديد، كما لو قارنا بين واحة غنّاء وصحراء جرداء، فاليهودية فى أعلى درجات عدلها أخذت قرار ارتكاب جريمة الجرائم وهى الحكم بصلب مخلص العالم.

أما الوثنية فقد كان يمثلها بعض الأباطرة مثل طيباريوس (Tibarius) وكاليجولا (Caligula)، ونيرون (Nero) ودوميتيان (Domitian) وكانوا مثالاً للفساد، كما ظهرت فى الصورة التى رسمها لنا القديس بولس، وبل وفيما كتبه الفيلسوف سينيكا أحد المعاصرين له من الفلاسفة الرواقيين، وضحية نيرون الطاغية.

✣ ✣ ✣ ✣

ب ـ مفهوم الإقامة المؤقتة

لقد سجل لنا قلم كاتب مجهول فى رسالته إلى ديوجنيتوس Diognetus وصفاً واضحاً يعبر عما كانت عليه الحياة المسيحية فى القرن الثانى فيقول: «كان المسيحيون متميزين عن الآخرين، لم يكن ذلك التميز بسبب اللغة أو طريقتهم فى ارتداء ملابسهم أو بسبب الأعياد التى يحتفلون بها. وقد ضربوا لنا نموذجاً رائعاً فى الحياة، فقد كانوا يعيشون فى بلادهم، كما لو كانوا يحلون فيها حلولاً مؤقتاً. وكانت البلاد التى يولدون فيها، يعتبرونها بلاد غربة، وكانت بلاد الغربة بمثابة بلادهم التى وُلدوا بها» (شيلدون Sheldon: الجزء الأول).

«وكمواطنين، كانوا يشاركون مواطنيهم فى كل شىء،

ويتحملون كل شيء، كما لو كانوا غرباء، كانوا فى الجسد، ولكنهم لم يعيشوا بحسب الجسد، كانوا يطيعون القوانين الوضعية ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يتسامون بحياتهم إلى ما وراء القوانين، كانوا يحبون الجميع، الا أنهم كانوا مضطهدين من الجميع، كانوا يواجهون الازدراء والاحتقار بالمحبة والاحترام، كانوا يفعلون الخير، إلا أنهم كانوا يُعاقبون كما لو كانوا يقترفون الشر» (شاف: الجزء الأول). ويمكننا أن نلخص فى عبارة واحدة ما كان عليه المسيحيون فى القرون الأولى: «كما الروح من الجسد، هكذا المسيحيون من العالم».

كان يسيطرعلى المسيحيين فى ذلك الوقت النموذج المثالى للحياة، إلا أن ثمة عناصر كانت تنتقص من ذلك. فمنذ نشأة الكنيسة وُجد أعضاء غير جديرين بها، وفى الفترات التى كان يحل فيها الهدوء بين فترات الاضطهادات كان يعتنق المسيحية بعض المسيحيين الدنيويين (شاف - الجزء الأول). وقد مهد جهل العديد منهم لنمو وانتشار الخرافات فيما بينهم، ولكن كان المناخ العام للحياة المسيحية فى العصور الأولى مناخاً روحياً، فقد كانوا فى العالم ولكنهم لم يكونوا من العالم، كانوا يعيشون فى العالم الوثنى، إلا أنهم كانوا يمثلون الخليقة الجديدة، بما يحملون من مبادىء جديدة لمجتمع جديد.

كان المسيحيون يتميزون بأنهم لم يشاركوا فى المتع التى كان يمارسها الوثنيون إلا أن العلاَّمة ترتليانوس كتب كما لو كان ثمة مسيحيون يرغبون فى المشاركة فيها، فالكنيسة ترى - لا سيما فى فترات الاضطهادات والحروب والصراعات- أن المشاركة فى اللهو هو ضرب من ضروب الفساد. وامتد ذلك ليشمل لا المشاهدة فى المدرجات فحسب وإنما مشاهدة ألعاب السيرك والمسرحيات. إذ كان يُنظر إليها على أنها لا تتفق والدعوة المسيحية. أما من كان يحترف مثل تلك الألعاب أو المسرحيات، فكان ذلك كافياً لمنع إقامة أى علاقة معه.

(جـ) الأخوة والمساواة

تمسك المسيحيون فى القرون الأولى بالفضائل الإنسانية، فقدّموا مثالاً لأعمال الخير ومفهوم الأخوة، وهو مالم يكن معروفاً للعالم فى ذلك الوقت، وإن كنا - فى الواقع- نجد بين الرواقيين إشارات إلى الأخوة العالمية، غير أن الرابطة الحقيقية التى تربط تلك الأخوة لم تكن قد عرفت أو كانت نموذجاً لذلك سواء فى الرواقية أو أى مدرسة أخرى فى العالم القديم.

المحبة من وجهة النظر المسيحية هى دافع قلبى قوى، تحمل المودة عبر كل الروابط على كل المستويات والطبقات الاجتماعية، وهى بهذا المعنى كانت مفهوماً جديداً فى ذلك الوقت.

لقد أضافت المسيحية قيمة جديدة للإنسان، فكسرت بذلك القاعدة القديمة التى تقول بأن قيمة الفرد ترجع إلى مكانته فى المجتمع والدولة، فكانت تعاليم الكنيسة تنادى بأن قيمة الفرد إنما هى مقدرة فى عين الله الخالق الذى فداه.

لقد بدأ المسيحيون فى تطبيق مبدأ مساواة كل البشر فى عينيّ الله. وقد وضع لاكتانتيوس تعبيراً عن هذا المبدأ الذى تكرر ذكره كثيراً عندما كتب «هل يجب أن نسأل أيوجد بينكم فقراء وأغنياء عبيد وسادة، وفروق بين الأفراد؟ كلا إننا ندعو أنفسنا إخوة لا لسبب آخر غير أننا متساوون، لأنه حيث أن محك كل ماهو إنسانى، لابمظهره الخارجى، وإنما بقيمته الجوهرية، بالرغم من الاختلاف فى العلاقات الظاهرة». وبنفس هذا المعنى كتب كليمندس السكندرى أيضاً.

لم تقم المسيحية فى العصور الأولى بشن الحرب مباشرة على «الرق» وإلا كان عليها أن تقوم بثورة اجتماعية وسياسية، ولكنها سلكت طريقاً عملياً للقضاء عليه. ولايُذكر قبل عصر قسطنطين سوى مرات قليلة جداً أن أُعتق فيها الأرقاء(راجع بندً - الرق والعبودية فى هذا الفصل).

من خلال ممارسة مبدأ المساواة، فإن كل الطبقات الاجتماعية قد شملتها المحبة الأخوية، وقد نظمت كل كنيسة لقاءً أسبوعياً للتقدمات التى تقدم للفقراء من شعبها. وتقديم هذه العطاءات -كما يرى إيريناوس- كان يتطلب شروطاً صعبة، كعطاء وبذل حر للدعوة المقدسة السامية. ويضيف قائلاً: «إن اليهود يعشرون كل شىء لإلههم، ولكن أولئك الذين قد نالوا الخلاص والحرية فإنهم يجعلون كل أملاكهم فى خدمة السيد الرب، فهم يقدمونها بفرح وحرية حيث أنهم يترجون ماهو أفضل».

لقد كتب ترتليانوس عن واجبات الضيافة فكتب يقول: «إذا جاء أخ من بلد آخر، فماهى الضيافة التى تقدم له فى بلد غريب؟» وأضاف هرماس أن أحد الأسباب التى تدعو للصوم، هو توفير ما يمكن أن يوزع سواء للأرامل أو اليتامى أو أى شخص فى احتياج. وكما يقول كليمندس الاسكندرى: «إنه لأمر بغيض أن يعيش شخص فى رفاهية بينما آخرون فى احتياج، وهل تجد مجداً أكثر من أن تصنع الخير لكثيرين من أن تعيش وحدك فى ترف! هل توجد حكمة أكثر من أن تنفق على الإنسان بأكثر مما تنفق على الذهب والجواهر! وكم هو أنفع أن تكسب أصدقاءً من أن تنفق على جواهر جامدة» (شاف-الجزء الأول).

إن أحد أوجه الاختلاف الشديد بين المسيحيين والوثنيين هو فى المكانة التى تبلغها المحبة الأخوية عند كل منهما. وقد ظهرت المحبة جلياً على أثر ما أحدثه وباء الطاعون القاتل الذى انتشر فى قرطاجنة والاسكندرية. وقد عبَّر كبريانوس فى بساطة عن المحبة الأخوية وكيف تخطت المحبة حدود الكنيسة. وذلك عندما وعظ شعبه بأن يشملوا الجيران الوثنيين بخدمتهم، مذكراً إياهم أنهم كشعب الله عليهم أن يشابهوا أباهم السماوى فى الرحمة التى يمنحها للصالحين والطالحين.

د-الرق والعبودية

١- خلفية تاريخية.

٢- معالجة المسيحية للرق.

ا - خلفية تاريخية

العبد هو الإنسان الذى يمتلكه إنسان آخر. وكانت العبودية منتشرة على مدى واسع فى الشرق الأوسط قديماً على الرغم من أن النظام الاقتصادى فى الشرق لم يكن يعتمد على الرق كقوة للعمل، على عكس ما كان عليه الحال فى أوربا حيث كانت العبودية منتشرة على نحو كبير فى زمن الإمبراطورية الرومانية، إذ كان يوجد عبد من بين كل اثنين من أفراد الشعب، أى كان لكل سيد عبد، وكان الأسر فى الحرب هو أحد المصادر الرئيسية للعبودية (انظر تكوين ١٤: ٢١، العدد ٣١ : ٩، وتثنية ٢٠:١٤، قضاة ٥: ٣٠، صموئيل الأول ٤:٩، ملوك الثانى ٥:٢، أخبار الأيام الثانى ٢٨: ٨) (موسوعة بيكر للكتاب المقدس).

كان يمكن أن يُشترى العبد محلياً من مالك آخر، أو عندما يعرضه التاجر الأجنبى جنباً إلى جنب مع الملابس، والفضة، والذهب، والبضائع الأخرى، وهو يتنقل من مكان إلى آخر مثلما حدث مع يوسف فى مصر عندما باعه المديانيون لفوطيفار خصى فرعون رئيس الشُرط(تكوين ٣٧: ٣٦ ، ٣٩:١).

كما كانت الديون هى السبب الرئيسى لعبودية العائلات، حيث تصبح العائلة بأكملها من العبيد (ملوك الثانى٤ :١، ونحميا ٥: ٥-٨).

وكان من المكروه جداً أن يختطِف إنساناً نفساً ليبيعها كما حدث مع إخوة يوسف حين اختطفوه وباعوه (راجع٣٧: ٢٧و٢٨). وكان يحكم على المختطِف بالموت(راجع تثنية ٢٤:٧) كما كان نفس الحكم يُطبقَ فى شريعة حمورابى

(قسم١٤).

كانت شريعة حمورابى تحدد مدة العبودية بثلاث سنوات على الأكثر(قسم ١١٧) فى مقابل ست سنوات فى الشريعة اليهودية (تثنية ١٥:١٨) ثم يطلق العبد بعدها حراً.

دافع أعظم الفلاسفة فى العالم القديس عن نظام العبودية على أنه نظام طبيعى وضرورى، فقد أعلن أرسطو أن كل البرابرة عبيد بالميلاد، لا يصلحون لشىء سوى الطاعة (شاف: الجزء الأول).

وطبقاً للقانون الرومانى فإن العبيد لا مكانة لهم فى الدولة، ولا اسم ولا لقب، ولا سجل، ولا حق لهم فى الزواج، ولا حماية لهم من الزمن. ويمكن أن يباعوا ويشتروا أو يوهبوا لآخرين باعتبارهم ملكية خاصة، وكان للسيد الحق فى الحكم بالموت على عبيده بدون قيد، وقد وصف أحد كُتَّاب تلك الفترة حالة العبيد فى الإمبراورية الرومانية فقال: «كانوا فى حالة أسوأ من حالة أى حيوان».

وقد فقأ هادريان-أحد أكثر الأباطرة إنسانية- عين أحد عبيده عن عمد. وثمة العديد من القصص عن مدى القسوة والطريقة اللاإنسانية فى معاملة العبيد فى تلك الفترة.

فى المجتمع السومرى كان للعبيد حقوق مشروعة مثل اقتراض المال، أو القيام بأعمال تجارية. وكان يحدو العبد دائماً الرجاء فى أن يجمع المال اللازم لشراء حريته. كان العبيد يؤدون الأعمال الشاقة والمثيرة للضجر والملل، سواء فى المزارع أو فى البيوت إلا أن بعض الموهوبين منهم كانوا يقومون بأعمال تنفيذية فى البيوت. وفى اليهودية كان العبد الذى يختار العبودية طواعية، يُطلق حراً فى سنة اليوبيل (لاويين ٢٥: ٣٩-٤٢) فنظرياً لم يكن ثمة عبد يظل مدى الحياة عبداً فى إسرائيل(خروج ٢١:٢، لاويين ٢٥: ١٠و١٣، تثنية ١٥:١٢-١٤).

كان الناموس يحكم بإطلاق العبد الذى يصيبه سيده إصابة بالغة (عاهة) (خروج ٢١:٢٦و٢٧).

كانت تتوفر للعبيد الحماية المعقولة، وذلك بالمقارنة بمن تهددهم الفاقة والجوع ممن يملكون حريتهم.

كانت الزوجة التى لا نسل لها وتريد أن يكون لها بنون تجعل رجلها يدخل على جاريتها، لعلها ترزق منها بنسل، وهو ماحدث مع سارة وزوجها أبرام وجاريتها هاجر التى أنجبت له إسماعيل(راجع تكوين ١٦:١-٤).

كان من بين المقبول شرعاً أن يتزوج الرجل بأمته، أو يتزوج بها ابنه، أو أن تكون محظيته، فإذا حدث بعد ذلك أن نُبذت فإنه يُطلقها حرة (راجع خروج٢١: ٧-١١).

وكان على الشعب المهزوم أن يقوم بأعمال سخرة للشعب المنتصر(صموئيل الثانى١٢:٣١) وكذلك سخَّر سليمان الملك من شعب إسرائيل ثلاثين ألف رجل أرسلهم إلى لبنان وذلك لجلب الخشب اللازم لبناء بيت الرب (ملوك الأول ٥:١٣-١٨).

كان من بين العبيد الذين استخدموهم جبعونيون ومديانيون (يشوع ٩:٢٣-٢٥، عدد ٣١:٢٨ و٣٠ و٤٠)واستمرت هذه الممارسات حتى عهد داود وسليمان (عزرا٢:٥٨ ، ٨: ٢٠) وقد سجل نحميا فى كتابه أن عبيداً أجنبيين قد ساهموا فى بناء أسوار أورشليم(نحميا ٣:٢٦و٣١).

وفى وقت سيادة الحضارة اليونانية والإمبراطورية الرومانية تلقى العبيد معاملة طيبة حيث كان عددهم يزداد بشكل ملحوظ، وأصبح العديدون منهم محل ثقة سادتهم، حتى أن بعضهم كان مديراً لأعمال أسيادهم.

٢ـ معالجة المسيحية للعبودية

يشير موقف العهد الجديد من العبودية إلى أن حالة العبد كانت أشبه ما يكون بالخادم، وأن نظام العبودية بعامة كان

فى طريقه إلى الزوال. لم تكن ثمة معارضة قوية للعبودية والرق أقوى من معارضة السيد المسيح والرسل. غير أن بولس الرسول يطلب من العبيد أن يطيعوا سادتهم حسب الجسد بخوف، وأن يخدموهم بأمانة، وأنه يجب على السادة أن يقدموا للعبيد العدل والمساواة (أفسس ٦:٩، كولوسى ٤:١، تيموثاوس الأولى٦:٢٢، فليمون ١٦). ولما أصبح فيما بعد السادة والعبيد مسيحيين (أعمال ١٦: ٣١و٣٢) عملوا معاً من أجل الرب (أفسس ٦:٥-٨، كولوسى ٣:٢٢)(موسوعة بيكر للكتاب المقدس).

العبيد فى اليونان وروما قديما

يذكر شاف عن أعداد العبيد وظروفهم فى اليونان وروما أنه فى أتيكا كان عدد العبيد- طبقاً لتيسيكليس- فى أثناء حكم(دمتريوس Demetrius) (٣٠٩ ق.م)نحو ٤٠٠,٠٠٠ عبد، ١٠,٠٠٠ أجنبى، ٢١,٠٠٠ مواطن حر فحسب. وفى أسبرطة كان التباين أكبر.

أما فى الإمبراطورية الرومانية، فإن (جبون Gibbon) يقدر عدد العبيد تحت حكم كلوديوس(Claudius) ليس أقل من نصف العدد الكلى للسكان، وكان نحو ٦٠ مليوناً.أما طبقاً (لروبرتسون Robertson) فكان عدد العبيد ضعف عدد المواطنين الأحرار غير أن(بلير Blair) يقدر عدد العبيد بنحو ثلاثة أضعاف عدد المواطنين الأحرار وذلك فى الفترة بين انتصار اليونان(١٤٦ ق.م.) وحُكم (اسكندر ساويرس Alexander Severus) (٢٢٢ - ٢٣٥ ق.م.)، أما (ماركارت Marquerdt) فيفترض أن نسبة العبيد إلى المواطنين الأحرار فى روما كانت ثلاثة إلى اثنين، أما (فريدلاندر Fried lander) فيرى أنه من الصعوبة تقدير ذلك مادمنا لا نعرف على نحو دقيق عدد العائلات الغنية، غير أننا نعرف أنه فى عام٢٤م كانت روما ترتعد فرائصها خوفاً من قيام العبيد بتمرد. و يقتبس(جبون) من أثيناوس (Athenaeous) تأكيده أن ثمة عديدين من الرومانيين، كانوا يملكون عشرة آلاف بل وعشرين ألفاً من العبيد لا بغرض الاستخدام بل بغرض التفاخر والتباهى.

كانت معاملة العبيد تتوقف على صفات السيد، وكقاعدة فإن معاملتهم كانت قاسية وعنيفة. كانت المشاهدات الدموية التى تحدث فى مدرجات المسارح الكبيرة تخدِّر المشاعر الرقيقة حتى عند النساء ويصف(چوفينال Juvenal) سيدة رومانية تأمر الإماء الخاضعين لها بألا يترأفوا بل أن يكونوا قساة فى الضرب حتى يتعبن. وكان قبل هادريان (Hadrian) يمكن للسيدة أن تحكم بموت العبد مصلوباً بدون إبداء الأسباب، وكان أمثال سينيكا وبلاتينى وبلوتارك فى القرنين الأول والثانى يحملون وجهات نظر أكثر اعتدالاً تجاه معاملة العبيد بأكثر من غيرهم من الفلاسفة، وأوصوا بمعاملة إنسانية للعبيد. أما أنطونينس فقد حَسَّن من ظروفهم إلى حد ما، وقد قصر السلطان بالحكم على العبيد بالموت على الحكام فحسب. إلاَّ أن المبادىء المسيحية، والمحبة التى تنادى بها كانت قد انتشرت فى ربوع الإمبراطورية الرومانية فى ذلك الوقت، فأحدثت تأثيراً صامتاً فى نفوس المثقفين من الوثنيين. وقد امتد هذا الأثر بفعل جهود المسيحيين، ليشمل العالم المحيط، والذى لولا تلك الجهود لكان فى حالة أكثر سوءاً مما كانت عليه.

ويظهر موقف الإنجيل من الظلم والانحلال الأخلاقى، تترك من خلال روح العهد الجديد والموقف الكتابى العام، أكثر مما يظهر فى قانون خاص. فلا توجد إشارة إلى اتجاه ثورى، كان يمكن أن يؤدى إلى نتائج إيجابية فى تلك الأوقات، فإن ذلك كان لابد أن يؤدى إلى نتائج سيئة فضلاً عن أنه لافائدة من ورائه. فرسالة العهد الجديد تحمل شفاءً جذرياً للنفوس، حيث يهتم العهد الجديد فى الأساس بخلاص الإنسان، وبعلاج الشر والإثم، وما يترتب على ذلك من آثار تؤدى فى النهاية إلى إبطال الاسترقاق. فالمسيحية تهدف قبل كل شىء إلى

خلاص الإنسان من تلك الرابطة السيئة المتسمة بالإثم والشر، ولتعطيه الحرية الروحية الحقيقية.

والمسيحية تؤكد على الوحدة الروحية لكل الناس، فهم يشتركون جميعاً فى أنهم على صورة الله ومثاله، وتعلّم بالفداء المقدم للجميع.. فالجميع متساوون أمام الله فى المسيح، والسيد المسيح قد جاء لتكون لنا حياة وليكون لنا أفضل (يوحنا ١٠-١٠) فدعوة السيد المسيح هى دعوة للحرية والخلاص من العبودية، ونستطيع أن ندرك رسالته من اختياره لسفر إشعياء النبى عندما دخل إلى المجمع فى الناصرة «ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه روح الرب علىَّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة» (لوقا ٤:١٦-١٩) (إشعياء٦١: ١و٢).

لقد أعاد الرسول بولس أنسيمس العبد الهارب إلى سيده الأرضى فليمون. وقد أصبح أنسيمس خادماً للإنجيل ومعاوناً لبولس الرسول فى كرازته. وكان أنسيمس قد هرب من سيده فليمون، ربما لدين كان عليه أو ربما لأنه سرق منه بعض المال (راجع رسالة فليمون فى موضعها من هذا المجلد). وقد طلب بولس الرسول من فليمون أن يقبل أنسيمس ويتعامل معه منذ ذلك الوقت فصاعداً لا كعبد بل أفضل من عبيد كما كتب بولس أنه إن كان أنسيمس قد ظلمه بشيء أو عليه دين لفليمون «أنا أوفى» (فليمون ١٩) وهكذا يعالج الرسول بولس قضية من القضايا الاجتماعية الشائكة التى واجهته فى عمله الكرازى، وقد عالجها فى ضوء المبادىء المسيحية كالمساواة والإخوَّة. ولعل من المستحيل أن نتصور علاجاً جذرياً لهذا الشر فى تلك الأوقات وفى إطار القوانين المستقرة والعرف السائد. إنه لم يذكر فى الأدب القديم مايسمو إلى تلك الرسالة القصيرة إلى فليمون فى طرح أفكار جديدة فى العلاقة بين السيد والعبد، ومن أجل التعاطف مع العبيد الفقراء.

إن روح المسيحية فى المحبة، والإنسانية، والعدالة والحرية كما هى واضحة فى كل أسفار العهد الجديد، قد أبطلت العبودية كنظام أساسى فى المجتمع فى كل الأمم المتحضرة تقريباً حيث تتحقق الحرية والأخوة التى دعت إليها المسيحية.

(هـ) النسك والتقشف

وقد ظهرت حركة من النسك والتقشف والتى بلغت ذروتها فى الأديرة. ومن المعروف تاريخياً أن الأديرة التى تبنت أسلوب النسك والتقشف أسلوباً للحياة، قد بدأت فى مصر، ومنها انتشرت إلى مختلف بقاع العالم. (انظر كنيسة الاسكندرية- مصر- الجزء الثانى من الموسوعة).

✣ ✣ ✣ ✣

و ـ المسيحية ومفهوم الأسرة

١- خلفية تاريخية.

٢- الأسرة فى المسيحية.

ا - خلفية تاريخية

كانت الأسرة فى زمن الكتاب المقدس تتألف من الأبوين والأبناء، كما كانت تشمل بعض الأنسباء والمحظيات، بل العبيد والإماء أيضاً، وكذلك المسافرين العابرين والغرباء. وكان رب الأسرة هو الذى يكفل حمايتهم وعلى سبيل المثال كانت أسرة يعقوب تشمل ثلاثة أجيال (تكوين ٤٦:٨- ٢٦).

تشير أحياناً كلمة «أسرة» أو «عائلة» كتابياً إلى السكنى المستقلة أو إلى تأسيس أسرة. وفى المعنى الأشمل فإن كلمة بيت قد تعنى «شعب إسرائيل». وقد وصل عدد أعضاء بعض العائلات العائدة من الأسر البابلى إلى أكثر من مائة شخص (راجع عزرا ٨:١- ١٤). وكانت الأسرة هى الوحدة الأصغر التى تتألف منها العشيرة والقبيلة.

كان أعضاء العشيرة يعرفون أن عليهم أن يعملوا من

أجل عشيرتهم، فكانوا يقومون بالدفاع عنها ومد يد المعونة فى وقت الحاجة إلى ذلك.

فى فترات الاستقرار، عاشت العائلات فى قرى تحيط بها حقول نباتات القمح والشعير والكتان وأراضٍ ترعى فيها الماشية، وكانت ثمة قرى يعتمد بعضها على بعض فى الغذاء والزواج مثل عشيرة الدانيين من صرعة ومن أشتأول (قضاة ١٨: ١). وكانت الحياة الصعبة آنذاك تتطلب المشاركة فى العمل، والتعاون المخلص من كل أفراد العائلة من أجل البقاء على قيد الحياة.

كان يتعين على الأبناء تعلم المهارات التى يجيدها آباؤهم (راجع أخبار الأيام الأول٤: ١٤، نحميا١١: ٣٥). وأصبحت ثمة تخصصات فى الصناعات اليدوية، والتجارة. على أن أولئك الذين يقومون بالأعمال اليدوية كان لديهم إحساس أقل بتحقيق الذات لاعتمادهم على نحو كبير على الفلاحين من أجل الغذاء، وعلى قرى أخرى من زارعى الكتان لاستخدامه فى صناعة ملابسهم(أخبار الأيام الأول ٤: ٢١).

ثم بالانتقال للحياة فى المدن تفتتت العائلة الكبيرة، ونتيجة لضعف الروابط التى كانت تربط العائلة الكبيرة، أصبحت الأسرة الصغيرة تتألف من الزوج والزوجة وأولادهما، يعيشون معاً فى بيت واحد.

كانت الديانة اليهودية تهتم باشتراك الأسرة فى مناسبات معينة، والتى من شأنها تعزيز الأسرة الصغيرة، فعلى سبيل المثال كان الفصح يُمارس فى البيوت على أنه وجبة شكر عائلية(راجع خروج١٢: ٣ و٤و٤٦).

الأب

كان الأب فى الأسرة فى العهد القديم رمز الحماية وكان هو السيد المطلق الذى له الحق فى الحكم بالموت على أفراد أسرته.

الأم وبناتها

كانت ممتلكات الأب تمتد لتشمل زوجته ،والعبيد، والإماء والحيوانات(خروج ٢٠: ٣، عدد ٥: ٢١) وفى الحقيقة فإن كلمة «يتزوج بامراة» تأتى فى العبرية أصلاً بمعنى «أن يصبح سيداً لامرأة» فكان الرجل سيداً لزوجته كما كان سيداً على بيته أو حقوله، وبالتالى كانت الزوجة تعبر له عن ذلك (تكوين ١٨: ١٢، قضاة ١٩: ٢٦)، وهذه المكانة المتدنية أمتدت لتشمل البنات فى تلك العصور، فكانت الأنثى دائماً تحت سلطان أقربائها من الذكور: أولاً الأب، ثم الزوج، وإذا أصبحت أرملة تصير زوجة لأقرب رجل من أقرباء زوجها.

الفتاة المخطوبة

كانت الفتاة المخطوبة تعتبر من خاصة خطيبها، كما لو كانت متزوجة به فعلاً(تثنية ٢٢: ٢٣ -٢٧) وكانت المرأة بالزواج تترك بيت أبيها، لتنتقل وتعيش وتصبح عضواً جديداً فى بيت عائلة زوجها.

الأم

على الرغم من الحالة المتدنية التى كانت عليها «الأم» فى العائلة اليهودية إلا أن حياتها لم تكن على هذا القدر من السوء كما نظن، بل كانت تأخذ دوراً قوياً كمشير لزوجها فى شئون العائلة، وكانت وظيفتها المهمة إلى جانب إنجاب الأطفال هى أن تنظم شئون البيت، فكانت هى المديرة الفعلية لشئون بيتها.

غير أنه إذا كانت مكانة الزوجة غير راسخة، كان لزوجها أن يطلقها لأتفه الأسباب فيقول «إنها لم تعد زوجتى، ولا أنا زوجها»، ربما كان ذلك بسبب خطأ بسيط فى إعدادها للطعام، أو ربما لأنه يضع عينيه على امرأة أخرى، على أن المرأة تحصل على قدر من الحماية بكتاب الطلاق، حيث كانت تستعيد حريتها رسمياً. ولم يكن التقليد اليهودى يسمح للمرأة أن

تطلق زوجها.

الزواج فى شريعة حمورابى وشريعة اشور

فى حضارة ما بين النهرين قديماً، وطبقاً لقانون حمورابى، يُقدِّم العريس هدية لعروسه، فإذا ما انتهى الزواج بالطلاق، فإنه يجب على عائلة العروس أن تعيد ضعف قيمة الهدية التى أخذوها.

وطبقاً للقانون الأشورى فإن كلاً من العروس ووالديها يأخذون هدايا، على أنه معظم- إن لم يكن كل تلك الهدايا- يجب أن تعاد للعروس لاستخدامها الشخصى.

لم يكن ثمة ما يشبه المهر، غير أن المرأة البابلية كانت تأخذ هدايا من زوجها عند الزواج، وكان يمكن للزوج استخدامها، حتى وإن لم تكن تخصه، وكانت ملكيتها تتبع الزوجة، حتى إذا ما أصبحت أرملة يمكن أن تستفيد بها.

كان قانون حمورابى يسمح للرجل أن يطلق زوجته بإعلانها بصيغة محددة، إلا أنه بالرغم من ذلك، كان مسئولاً عن دفع تعويض لها. كما كان للمرأة أيضاً الحصول على الطلاق إذا ما حصلت على حكم بإدانة زوجها. وفى شريعة أشور لم يكن ثمة تعويض يدفع للمرأة التى يستغنى عنها زوجها، ولم يكن لها الحق فى الطلاق إطلاقاً.

لم يكن مسموحاً للمرأة العبرية أن تظهر لضيوف زوجها، وكانت المرأة تضع برقعاً عندما تكون خارج بيتها (تكوين ٢٤: ٦٥ ،٣٨: ١٤،أشعياء ٤٧: ٢).

وفى تشبيه قاسٍ، يشبِّه سفر الأمثال المرأة المخاصمة «بالوكف المتتابع»(أمثال ١٩: ١٣ ،٢٧: ١٥) إلاَّ أنه يذكر أيضاً صفات المرأة الفاضلة (راجع أمثال٣١: ١٠ -٣١).

كانت الأم هى التى تقوم بالتعليم المبكر للأولاد والبنات (أمثال ١: ٨ ، ٦: ٢٠) فكانت تعلمهم الصلوات والأغانى الروحية عند بداية ظهور قدرتهم على التكلم، حيث يبدأ الأب فى الاضطلاع بمسئولية تعليم أبنائه، بينما تستمر الأم فى تعليم بناتها فتعلمهن كيف يغزلن وينسجن، وكيف يطبخن، وينظفن البيت... ألخ . فكانت الأم تعلمهن وتدربهن ليكن قادرات على أداء كل الواجبات العائلية (أمثال ٣١: ١٣- ٣١).

حقوق الأبناء

ميزت طبيعة العهد القديم بين الذكور والإناث من الأطفال، وكانت الابنة يمكن أن تُباع كأمة أو تكون محظية لرجل، وكان يمكن أن تُباع مرة أخرى (خروج ٢١: ٧-١١) فكانت منزلتها أقل من منزلة الابن، على أنه فى وقت آباء العهد القديم كان يجوز- للأب - الحكم على الابنة أو الابن بالموت لعدم طاعتهما له.

وقد تطورت حقوق الأطفال فى الشريعة الموسوية، فلم يكن مسموحاً للأب أن يحكم بالموت على ابنه المعاند أو المارد دون أن يعرض الأمر أولاً على شيوخ مدينته(تثنية ٢١: ١٨-٢١). وكان هذا الأمر ينسحب على الابنة كما على الابن، حيث كان يعرض كل منهما على الشيوخ. فإذا اقتنع الشيوخ فإنهم كانوا يحكمون بالرجم بالحجارة. وسلطة الأب المطلقة كانت تعتمد لتشمل حتى ابنه المتزوج وأسرته إذا كانوا يعيشون معه فى نفس البيت. كذلك منع الناموس قتل الأبناء نتيجة لجريمة اقترفها الآباء(تثنية ٢٤: ١٦) وفى زمن الملك داود كان من حق أحد الأفراد، إذا ما أدانته العشيرة أن يستأنف لدى الملك(صموئيل الثانى ١٤: ٤ - ١١).

كان الوالدان فى العائلات العبرية يتمتعان بالاحترام والإكرام، فكان إكرامهما واجباً بحسب الوصية (خروج٢٠: ١٢).بل كان الناموس يدين من يخطىء فى أى من والديه(خروج ٢١: ١٧،لاويين٢٠: ٩،تثنية ٢١: ١٨،تثنية ٢٧: ١٦).

الأمان

كان الأمان يتحقق للزوجة عندما تضع مولودها الأول، وبخاصة إذا كان ولداً، وكان واجب المرأة الأساسى هو الإنسان (تكوين١:٢٨ ،١:٩) وكانت الزوجة تعيش فى خوف حتى تضع مولودها الأول خشية أن يتزوج رجلها بأخرى، أو يتخذ محظية له، وتعدد الزوجات كان موجوداً وإن كان قليلاً على أية حال، لا سيما فى العائلات الموسرة.

وإذا نذرت المرأة، فإن نذرها يكون ثابتاً فحسب متى سكت أبوها أو زوجها، ومتى أصبحت أرملة فإنه يظل سارياً، وربما يُستخدم ضدها (عدد ٣٠: ٤-١٥).

كانت المرأة فى العهد القديم دائماً تحت حماية الذكور، سواء كان والدها، جدها، جدها الأكبر، أخوها، زوجها، أو أى رجل آخر فى عائلة زوجها. كانت للمرأة العبرية بعض الحقوق الشرعية، هذا على النقيض من التقاليد البابلية، إذ لم يكن للمرأة هناك الحق فى أن ترث زوجها عند وفاته.

كانت الأرامل تُصنف مع الأيتام، ويعاملن على أنهن فقيرات يستحققن الشفقة، كان يمكن للأرملة التى ليس لها نسل أن تعود إلى بيت أبيها (تكوين ٣٨: ١١ ،لاويين٢٢: ١٣، راعوث١: ٨)، وهكذا تصبح مرة أخرى تحت سلطان أبيها.

وكان يمكن للأرملة العبرية أن تبقى مع عائلة زوجها الراحل، وهكذا تظل فى حماية «الولى»، أى الذكر الذى عليه أن يتحمل مسئوليتين تجاهها، حيث كان التقليد أنه متى مات الزوج وكانت أرملته بلا نسل، كانت مسئولية أخيه أن يتزوج بها. وكان الابن الأول الذى يأتى ثمرة هذا الزواج يعتبر الوريث للزوج الأول (المتوفى) ويحمل اسمه.

وكان يعد أمراً عادياً أن يستجيب الأخ لمثل هذا الزواج الإجبارى، وكان يمكن رفض الزواج نظراً لعدة اعتبارات، ولكن هذا الرفض كان يعتبر خيانة، حيث كان من واجبات الأخ أن يخلد اسم أخيه، وأن يحفظ ثروة عائلته.

مكانة الأبناء

كان الأطفال موضع محبة والديهم بصفة عامة، غير أن فترة الطفولة كانت قصيرة. وكان ينظر إلى الأطفال على أنهم هم الذين يقومون بالعمل فى الحقل، وفى البيت، وطبقاً لشريعة البكورية، كان للابن الأكبر نصيب اثنين.

وكانت الابنة فى الأسرة التى ليس لها ذكور هى التى ترث أبيها (عدد ٢٧: ٨)، وكان الزواج بمثابة عقد أو اتحاد بين عائلتين. وكثيراً ما لم يكن يؤخذ رأى الأبناء والبنات، وكان قليلاً الزواج المبنى على الحب. وعلى الرغم من أنه قد يحدث أن يتزوج الابن على غير رغبة والديه كما فعل عيسو (تكوين ٢٦: ٣٤و٣٥) وعلى الرغم من أن الشباب كان نادراً ما يعبر عن عواطفه بطريقة صريحة، إلا أن ميكال ابنة شاول، كان حبها لداود معروفاً آنذاك(صموئيل الأول ١٨: ٢٠) وغير معروف بالتحديد ماهو العمر السائد للزواج فى زمن الكتاب المقدس(موسوعة زوندرڤان).

٢- الأسرة فى المسيحية

كان للتغيير الذى أحدثته المسيحية باستعادتها للمرأة مكانتها .أثره العظيم على الأسرة كلها. فقد منعت المسيحية تعدد الزوجات، وجعلت الزواج بامرأة واحدة هو الشكل الوحيد للزواج. والمسيحية تدين التسرى بالمحظيات، وكل أشكال عدم الطهارة(موسوعة الكنيسة الأولى).

والمسيحية تضع الواجبات المتبادلة بين الزوج والزوجة وبين الآباء والأبناء، فالمسيحية تستعرض الزواج على أنه صورة للاتحاد السرى بين المسيح وعروسه، التى هى الكنيسة، وهكذا تمنح المسيحية الزواج صفة مقدسة وغاية سماوية(راجع أفسس ٥: ٢٢و٢٣ ، ٦: ١-٩،كولوسى٣: ١٨-٢٥).

وقد أصبحت الأسرة- الكنيسة المصغرة- هى القائمة

والراعية لأنبل القيم وأسماها حيث يقوم الأب بدور الراعى الذى يقود رعيته إلى المراعى، التى هى الكلمة السماوية. وهم جميعاً يصلّون معاً من أجل احتياجاتهم المشتركة، كما يصلّون من أجل بعضهم البعض، ويشتركون فى التسبيح وتقديم الشكر لله.

ويوجد أيضاً إلى جانب من يتزوجون أولئك العازبون وهم استثناء للقاعدة. فقد كرّسوا أنفسهم لخدمة ملكوت الله، ونرى ذلك جلياً فى حالة كل من بولس وبرنابا (راجع متى ١٩: ١٠-١٢، وكورنثوس الأولى ٧:٧ ومابعده رؤيا ١٤: ٤).

ويرى شاف أن الحماس للعزوبة والذى كان سائداً فى الكنيسة الأولى، ينبغى النظر إليه على أنه أمر طبيعى، وربما يكون رد فعل مفيد ضد حالة الفساد والتعاسة التى كانت عليها حياة الأسرة بين الوثنيين(شاف: الجزء الثانى). وربما كان ذلك أيضاً بسبب توقع سرعة مجىء السيد المسيح ثانيةً).

وكانوا فى زمن العهد الجديد، فى أورشليم، يكسرون الخبز فى البيوت (أعمال ٢: ٤٦) فكانت الاجتماعات تعقد فى بيوت المؤمنين بسبب معارضة السلطات. ويتضمن سفر أعمال الرسل نماذج لعائلات بأكملها تعتنق المسيحية (أعمال ١٠: ٢٤و٤٤-٤٨ ، ١٦: ١٥و٣١ و٣٢).وتعلم تيموثاوس تلميذ الرسول بولس الإنجيلى من جدته لوئيس وأمه أفنيكى (تيموثاوس الثانية ١: ٥) وفى ساحة الصلب ومن على الصليب أوصى السيد المسيح تلميذه يوحنا بأمه مريم (يوحنا ١٩: ٢٧).

ز- المسيحية ومفهوم الزواج

لقد أثر نمو وتطوير مفهوم النسك والزهد على مفهوم الزواج.ودارت مناقشات عديدة ضد موضوع الزواج الثانى. قبل نهاية القرن الثانى، وربما يرجع هذا للوهلة الأولى إلى التركيز على تقديس العلاقة الزوجية، أكثر من أى دوافع أخرى، وقد طبقت على العلمانيين نفس القيود التى فرضت على رجال الإكليروس فيما يتعلق بتفسير(تيموثاوس الأولى٣: ٢) حيث جرى التفسير فى ذلك الوقت بتحريم الزواج الثانى.

ومن هذا الاعتراض على تجديد العلاقة الزوجية، مضى البعض فى الانتقاص من قدر الزواج، حتى الزواج الأول نفسه، على الأقل باعتباره فضيلة سامية لحالة العذراوية.

لقد استنكر(أثيناغوراس Athenagoras) الزواج الثانى فيعتبر إنه زنى مقنَّع فى حين أنه أطرى وأثنى على من يختارون حالة عدم الزواج كوسيلة للعيش فى شركة مع الله. كذلك رأى- فيما بعد- كل من ترتليانوس وكبريانوس وأوريجانوس فيما يتعلق بالعذراوية. وتفضيلهم النظرى لهذا الأمر يجب ألا يبالغ فيه. وهم لم يشككوا فى مسألة الزواج وقد تركت هذه المسألة المتطرفة للهراطقة. وقد ناقش مجمع إلفيرا(Elvira) تلك المسألة، ووضع لها قيوداً وكان هذا المجمع مجرد مجمع إقليمى.

ولم يوجد فى ذلك الوقت رأى راديكالى، كذلك الرأى الذى عبَّر عنه ترتليانوس فيما يتعلق بالزواج إذ قال: «لايوجد مكان على الإطلاق لما نقرأ عن تحريم الزواج..... فعدم الزواج حسن جداً أما الزواج فهو حسن، وقد تعلمنا هذا من الرسول بولس الذى سمح بالزواج، ولكنه أبدى تفضيله لعدم الزواج»، وحتى هذا التفضيل الشديد لم يكن قد أصبح فكراً سائداً فى أواخر القرن الثانى، فإننا نجد مثلاً القديس كليمندس الاسكندرى يفضل الرجل الذى يتزوج وتكون له أسرة وهو يقول عن الغنوسى الحقيقى أو المسيحى المثالى:«إنه يأكل ويشرب أو يتزوج لا باعتبار أن هذه الأمور هى غايات الوجود، ولكن لأنها ضرورية».

إننا يجب أن نشير أيضاً إلى من يرفعون من شأن العذراوية عن الزواج إنما يميلون بهذا الرأى لا الحط من شأن المرأة ومكانتها، ولكن الأساس لهذا التفضيل يرجع إلى أن العذوبة

هى الحالة التى فيها يكون الشخص بمنأى عن النزاعات العائلية والاهتمامات الدنيوية التى قد تصرفه عن الله.

بينما كانت الاتجاهات الرهبانية تشجع وتمتدح العذراوية فإنه وُجدت أفكار سامية عن الزواج رفعته إلى حد أن اعتبرته أحد الأسرار المقدسة.

لقد رفعت المسيحية من شأن المرأة فأعطتهامكانة متقدمة، إذ رفعت مكانتها إلى درجة التبجيل والاحترام، فأصبحت على قدر المساواة مع الرجل. ومن المعروف آنذاك مقدار ما وصلت إليه مكانة المرأة من الانحطاط وصلت إلى حد العبودية.

كان ثمة إحدى الصياغات التى تدافع عن رسامة المرأة خادمة أو شماسة وهى «إن الابن الوحيد لم يحتقر وجوب ولادته من امرأة». وهو ما يعد تحولاً كبيراً ورائداً فى تقدير مركز المرأة.

لقد كتب القديس كليمندس السكندرى قائلاً: «للمرأة أن تشارك الرجل فى الكمال على قدم المساواة»، ويردف قائلاً «يجب أن نعتبر أن تاج المرأة هو الرجل، وتاج الرجل هو الزواج، وأن زهور الزواج هم الأبناء، وأن مجد الأبناء هم آباؤهم، وأن مجدنا هو أب الجميع، وتاج الكنيسة كلها.. المسيح»، أما ترتليانوس فيقول «إنه لاتوجد كلمات يمكن أن تعبر بوضوح عن أن السعادة فى الزواج هى بمثابة الملاط للكنيسة والتأكيد بالسرور وعلامة البركة» ويضيف ترتليانوس قائلا: «ياله من رباط واحد ذاك الذى يجمع بين اثنين مؤمنين برجاء واحد واشتياقات واحدة، وتعاليم واحدة، فيصليان ويصومان معاً، ويعظ ويشدد أحدهما الآخر».

(ح) المسيحية والمرأة

١- خلفية تاريخية.
٢- موقف السيد المسيح من المرأة.
٣- المرأة فى الكنيسة الأولى.
٤- المرأة فى فكر الآباء.

١- خلفية تاريخية

(راجع مادة: جـ- الأسرة: المادة السابقة، وكذلك مادة: هـ - مفهوم الزواج، فى موضعهما من هذا الفصل فهما جزءان أساسيان).

لقد رفعت المسيحية مكانة المرأة من مستوى العبودية المتدنى الذى كانت قد وصلت إليه لاسيما عند الشعوب الوثنية، وردَّت إليها احترامها وقدرها، فالنساء يرثن الخلاص كالرجال تماماً. «كذلكم أيها الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائى كالأضعف معطين إيّاهن كرامةً كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة» (بطرس الأولى ٣:٧).

تعتبر السيدة العذراء نقطة مرجعية فى تاريخ المرأة. وهى كأم ليسوع، آدم الأخير، فإنها تشبه حواء، وهى بالمعنى الروحى أم كل حى «ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حى» (تكوين ٣ : ٢٠). وقد تباركت كل النساء بمباركتها «مباركة أنت فى النساء»(لوقا ١:٢٨). وهى كانت فى احتياج للخلاص، كابنة لآدم، وللتقديس من خلال المسيح، فقد قالت هى عن نفسها «تبتهج روحى بالله مخلصى»(لوقا ١:٤٧). فلم تعد المرأة أمَة للرجل، وأداة لإشباع شهواته، بل أصبحت سبباً من أسباب سعادة زوجها وفرحه(شاف: الجزء الأول).

المرأة

تذكر موسوعة (وكلف) أن الكلمة العبرية «إشَّا» أى «امرأة أو زوجة» يرجح إنها من الكلمة العبرية «إنش» وتعنى «لتكون ناعمة، ورقيقة».

وحيث أنها تشبه الكلمة العبرية «إش» أى رجل، لذا فإن التضاد فى المعنى يبدو واضحاً حيث أن كلمة «إش» العبرية يبدو أنها من أصل كلمة «يش» وتعنى «ليكون قوياً»أما الكلمة العبرية «نيكيبا» أى أنثى فمشتقة من الصفة الجنسية من كلمة «نيكاب» والتى تعنى يثقب.

إنه من الضرورى أن ندرك أن الله عندما خلق الإنسان (وبالعبرية: آدم)، خلقه على صورته ومثاله، لقد خلقهم ذكراً وأنثى(تكوين ١:٢٧ ،٥: ١و٢، متى ١٩:٤). إن صورة الله تظهر على نحو متساوٍ فى كل من الرجل والأنثى.

إن نفس كلمة «إشًا» العبرية، قد تعنى ما خصَّ الله به المرأة من حساسية ومشاعر.

لأن المرأة أُخذت من آدم (تكوين ٢: ٢١-٢٣) وخلقها الله من أجله، لذا فإن الكتاب يجعل الرجل هو الرأس (كورنثوس الأولى ١١:٣-٩). فالترتيب الإلهى يجعل الرجل رأس المرأة على أساس أسبقية الخلق لا على أساس أن الرجل أسمى أو أعلى من المرأة (١تيموثاوس ٢:١٢و١٣).

لقد خلق الله المرأة لتكون شريكاً للرجل، لتكون «معيناً نظيره»(تكوين ٢: ١٨و ٢٠)، وتعنى حرفياً معيناً مماثلاً له، وهكذا فإنها مكملة له، ضرورية لكمال وجوده.

إن الرجل والمرأة متساويان، ويكمل أحدهما الآخر. إن سيادة الرجل على المرأة ترجع إلى السقوط لا إلى الخليقة (راجع تكوين٣: ١٦،تيموثاوس الأولى٢:١٤).

٢ ـ موقف السيد المسيح من المرأة

يتضح من مواقف السيد المسيح التى تتصل بالمرأة والتى ذكرتها لنا الأناجيل أن السيد المسيح قد ردَّ للمرأة مكانتها التى فقدتها، ورأبَ الصدع القائم فى علاقة الرجل بالمرأة، كما صحّح نظرة المجتمع تجاهها. وفى دراسة للدكتور القس صموئيل حبيب يمكن أن نكتشف المبادىء والقيم التى أراد السيد المسيح أن يرسيها من خلال تعاليمه فى هذا الشأن، ونوجزها فيمايلى:

(أ) المرأة إنسان

لم تشهد حياة السيد المسيح أى مواقف تقلل من شأن المرأة أو تقلل من إنسانيتها، بل إن السيد المسيح تحدث مع السامرية عند البئر (يوحنا ٤:٢٧) وكان هذا الأمر غير متعارف عليه، فكان يقلل من شأن الرجل أن يتحدث مع امرأة. وقد عامل السيد المسيح المرأة كما عامل الرجل بمساواة كاملة دون فرق.

(ب) حرَّر المرأة من سلطان الرجل الظالم

وضع السيد المسيح ضوابط للطلاق، فقد كان الطلاق يتم لأتفه الأسباب، فلم يسمح السيد المسيح بأن يُطلّق الرجل امرأته إلاَّ لعلة واحدة فقط وهى الزنا «وبذلك حرر السيد المسيح المرأة من سلطان الرجل الذى كان يطلقها لأتفه الأسباب، وكان قول المسيح بعدم الطلاق حمايةً للمرأة من عبث الرجل، واستقراراً للأسرة» (متى٥: ٢٧و٣٢)، بهذا أراد السيد المسيح أن يثبت قيم الأسرة، وعلاقة العهد التى تربط الاثنين.

لقد أراد السيد المسيح أن يعيد العلاقة إلى ماكانت عليه قبل دخول الخطية، رجل واحد وامرأة واحدة، متساويين فى المكانة، متعاونين فى الرسالة والعمل، يحرصان على الحياة الزوجية كل العمر.

وقد وجَّه السيد المسيح تهمة «الشهوة» للرجل بنفس القدر الذى توّجه به التهمة للمرأة (متى ٥:٢٧و ٢٨).

(جـ) سمح السيد المسيح بتعليم المرأة

سمح السيد المسيح للمرأة بحضور تعاليمه، فقد اختارت مريم النصيب الصالح بجلوسها عند قدمىّ المعلم، والتتلمذ على يديه (لوقا ١٠:٣٨-٤٢).

وأعطى الله النساء وزنات كالرجال (متى ٢٥:١٤- ٣٠) سمح السيد المسيح للمرأة بأن تأخذ دورها بالكامل كالرجل، لقد قدَّر المسيح قدرة المرأة الإنسانية والعقلية.

(د) المستوى الروحى للنسوة

تسجل لنا الأناجيل صوراً رائعة عن نساء بلغن القمة الروحية، فالعذراء مريم، أم المسيح، ظهر لها الملاك

(متى١:١٦)، وكانت مريم مباركة فى النساء(لوقا ١:٢٨) وفى الأناجيل سجِّل لكثيرات من النساء اللاتى أخذن رسالة الإنجيل من المُعلم: السامرية، مريم أخت مرثا ولعازر، وغيرهن كثيرات(راجع لوقا ٨: ٢، لوقا ٨: ٤٧، متى ٩: ٢٠-٢٢) وكثيرات منهن كن يخدمن من أموالهن(لوقا ٨:٣).

(هـ) قبِل المسيح اتّباع المرأة له

بالرغم من أن العادة لم تكن تسمح لربى يهودى أن يسمح لامرأة باتِّباعه، إلا أن السيد المسيح سمح لهن لا بالاستماع إلى تعاليمه فحسب، بل ليكن تلميذات أيضاً. وقد رافقته النسوة فى سفراته، متزوجات كن أو عازبات(لوقا ٨: ١-٣).

(و) قبِل المسيح خدمة المرأة

كثيرات كن يخدمنه من أموالهن (لوقا ٨: ٢و ٣) والنسوة تبعنه عند الصليب (متى٢٧: ٥٥و ٥٦) وكن أول من ذهب إلى القبر فى فجر القيامة.

(ز) تلاميذ المسيح ورسله

اختار السيد المسيح، رسله الاثنى عشر كلهم من الرجال وكذلك الرسل، وذلك لأن المجتمع اليهودى يرفض شهادة المرأة، فقد كان على التلاميذ أن يشهدوا لقيامة المسيح لذلك اختار الرجل فى الوظائف الرسمية، حتى لاتعاق الخدمة فى مجتمعات اليهود واليونان والرومان. وإن كان السيد المسيح قبِل شهادة المرأة، وكانت السامرية نموذجاً واضحاً على ذلك.

(د.ق صموئيل حبيب: المرأة فى الكنيسة والمجتمع ص٥٤-٦١).

(٣) المرأة فى الكنيسة الأولى

إن ما يذكره البشير لوقا بعد صعود السيد المسيح عن اجتماع نحو ١٢٠ شخصاً «كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطِلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته»(أعمال ١:١٤) يدلنا على وجود المرأة وحضورها فى الاجتماعات التى عُقدت فى الكنيسة الأولى، وكانت ليديا أول من آمن بالمسيح فى كنيسة فيلبى(أعمال ١٦:١٤و ٤٠) ويسجل تاريخ الآباء أن الكنيسة كانت مجتمعة للصلاة فى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس من أجل بطرس الذى كان فى السجن (أعمال ١٢: ٦-١٧)، ويمكننا أن ندرك أهمية بريسكلا حيث يذكر اسمها دائماً مقترناً باسم زوجها أكيلا(راجع أعمال ١٨: ٢و١٨و٢٦، رومية ١٦:٣، وكورنثوس الأولى ١٦:١٩، تيموثاوس الثانية ٤:١٩). ويذكر د.م.ليك D.M. Lake فى دراسة له عن المرأة أن تعليم كل من القديس بولس والقديس بطرس عن خضوع المرأة وصمتها فى الكنيسة يؤخذ على أن كلا القديسين كانا من أصحاب المواقف المتشددة ضد المرأة (راجع كورنثوس الأولى١٤: ٣٣ - ٣٦،تيموثاوس الأولى٢:١١و١٢، بطرس الأولى ٣:١). غير أن ملاحظة السلام الختامى فى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية فى الأصحاح السادس عشر حيث يذكر نحو تسع سيدات مسيحيات وهن (فيبى، بريسكلا، مريم، تريفنيا، تريفوسه، برسيس، أم روفس، چوليا، وأخت نيريوس)(رومية ١٦: ١و ٣و ٦و ١٢و ١٣و ١٥) يدلنا على تقدير بولس لهن. كما كان للوئيس جدة تيموثاوس وأمه أفنيكى تقدير رفيع عند الرسول بولس (راجع تيموثاوس الثانية ١:٥ ، ٣: ١٤و١٥) كما أن الرسول بولس فى تعليمه يشبه الكنيسة بالعروس أو الزوجة، والكنيسة- بدون شك- تقع فى مركز الفكر اللاهوتى عند بولس(أفسس ٤: ٢١- ٣٢، رؤيا ١٩:١-١٠).

ويذكر سفر أعمال الرسل أن فيلبس المبشر كان له أربع بنات عذارى كن يتنبأن (أعمال الرسل٢١: ٨ و٩)، ويذكر الرسول بولس عن فيبى إنها خادمة الكنيسة التى فى كنخريا، ويقول عنها أيضاً أنها: «صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضاً ..»(رومية ١٦:١ و٢).

وعن كلمة «تكتتب» التى كتبها الرسول بولس فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس توجد ثمة بعض الآراء تحملها الكلمة، فالكلمة تعنى «سجل أو قائمة الأرامل»، وربما يعنى ذلك أن ثمة ترتيباً أو تنظيماً محدداً كان فى الكنيسة، وقد عرف العديدون من الآباء مثل هذه الخدمات ومنهم القديس ترتليانوس والقديس يوحنا ذهبى الفم، هذا فضلاً عن واجبات منتظمة مثل الصلاة، والصوم، وزيارة المرضى، وتعليم السيدات، المساعدة فى المعمودية، والمعاونة فى الإعداد للعشاء الربانى(**راجع موسوعة زوندرڤان**).

(٤) المرأة فى فكر الآباء

إن وضع المرأة فى المسيحية ينبعث من بعض الأولويات التى نسبها إليها كُتَّاب العهد الجديد، ومن أهمها: أنها كانت أول من تلقى إعلان قيامة السيد المسيح (وقد ذكر ذلك كل من أوريجانوس، چيروم، امبروزيوس وأغسطينوس) والمرأة مساوية للرجل-روحياً- وقد جاء ذلك فى كتابات كليمندس السكندرى وترتليانوس، إلا أنه لا يُعترف دائماً بهذه المساواة، فبعد أن اعترف القديس يوحنا ذهبى الفم بهذه المساواة يبدو أنه أنكرها فى موضع آخر، ذلك إنها خُلقت لتكون مُعيناً (تكوين٢:١٨)، إلا أنها فقدت تلك الكرامة بسبب الخطية (بحسب ما قاله ذهبى الفم)، والخطيئة الأصلية تنسب دائماً للمرأة، والتى لهذا السبب،أُعتبرت سبب الخطية (يذكر ذلك كل من إيريناوس، ترتليانوس، كيرلس الأورشليمى.... وغيرهم): وكل امرأة تحمل حواء فى نفسها، ومن ثم عليها أن تتحمل العقوبة(ترتليانوس). ودَينْها قِبَل الرجل، والذى نشأ بطبيعة كونها أنثى عند خلقها، قد سدَّدته مريم العذراء التى ولدت السيد المسيح ميلاداً عذراوياً (كيرلس الأورشليمى)، وقد صُحِّح وضع المرأة من خلال علاقة السيدة العذراء والسيد المسيح.

ونجد أن بعض الآباء ينظرون للمرأة تلك النظرة المزدوجة فى تفاسيرهم المجازية: فهى قيمة إيجابية، حينما تفسر على أنها صورة الكنيسة (ونجد ذلك فى كتابات كل من القديسين چيروم ويوحنا ذهبى الفم)، وهى قيمة سلبية، أو على الأقل خاضعة للرجل، وذلك حين يُنظر إليها كالنفس، فى الوقت الذى يُنظر فيه إلى الرجل على أنه الروح (كما يرى أوريجانوس)، وكالجسد الذى يتعين عليه أن يتبع الروح (أوريجانوس أيضاً). وكالحواس، فى حين أن الرجل هو العقل (امبروزيوس)، كما يُنظر إليهاكمرادف للضعف (فى رأى غريغوريوس الكبير). وقد اعترف للمرأة فى إطار الكنيسة بالوظيفة النبوية (راجع كورنثوس الأولى١١: ٤ و٥).

وثمة دلائل كافية على وجود شماسات (راجع تيموثاوس الأولى٣:١١، ورومية ١٦:١) وكذلك فى كتابات كل من بلينى وكليمندس وأوريجانوس وغيرهم، إلا أنه ليس واضحاً ما إذا كانت قد أجريت للشماسات المراسيم الخاصة بالرسامة لكى تؤهلها للخدمة بصفة رسمية.

وبحسب ما ذُكر فى مجمع نيقية فإن الشماسات تنتمين إلى طائفة العلمانيين، نظراً لأنه لم توضع عليهن الأيادى، غير أن تعاليم الرسل تذكر الطقس الخاص بسيامة الشماسات، والذى تم من خلاله وضع الأيادى بمعرفة الأسقف (راجع موسوعة الكنيسة الأولى).

✣ ✣ ✣ ✣

ط ـ احترام العمل اليدوى

كذلك أرست المسيحية مبدأً جديداً، فقد نحَّت جانباً النظرية القديمة التى تنادى بأن العمل اليدوى غير جدير بالرجل الحر. وكانت تلك خطوة عظيمة للأمام، فالمبدأ الذى وضعه الرسول بولس هو: «أنه إن كان أحد لايريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً»(تسالونيكى الثانية ٣: ١٠). يعتبر حجر الزاوية للحضارة الجديدة، وقد ساهم هذا المبدأ فى إرساء مبدأ آخر

هو مبدأ الديمقراطية المسيحية. وقد وجد ذلك المبدأ صداه عند المسيحيين، وذلك بتوقير العمل اليدوى، فقد قدموا الاحترام لكل من يعمل بإخلاص، وفى قوانين الرسل يشيرون إلى نموذج الرسل حيث عملوا صيادين للسمك وخيَّامين، وقد وجَّهوا نصيحة لمن لا يعمل قائلين «إن الرب إلهنا يكره الكسلان».

✣ ✣ ✣ ✣

ى - الرجاء والبشاشة والمرح

وأخيراً نذكر أن من بين الصفات التى ميزت المسيحيين فى العصور الأولى- فى حياتهم العملية، صفات الرجاء والبشاشة والمرح. وقد بدأ الوجه يكتسى بمسحة من الصرامة مع بداية تأسيس الرهبنة، حيث بدأت تنتشر فى الكنيسة، وبعد ذلك بدأ النزوع إلى الانتقاص من النظام الطبيعى للأمور، وكان فرض الصيام من بين تلك المظاهر، ولكن مما لطَّف من عنصر الصرامة ما كان وراء النسك من حماسة وغيرة.

الصوم والصلاة

قال (بريزينسى Pressense): كانت الكنيسة فى وقت ترتليانوس تستخدم حرية كبيرة فيما يتعلق بالصيام. فلم يكن الصيام فرضاً، باستثناء أسبوع الآلام الذى يسبق القيامة، وعشية الاحتفال بذكرى دفن المسيح. وقد بدأت تتعدد قواعد الصوم. وعادة الصيام والصلاة يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع كذكر للفصح، وشيئاً فشيئاً أصبحت قاعدة عامة.

وإذا نظرنا إلى الحياة المسيحية نظرة عامة خلال القرون الثلاثة الأولى، فإننا نجد أن من بين أهم ما كان يميزها روح الرجاء، المرح، والابتهاج. كان يسود الشعور بالغنى فى المسيح وتوقع السعادة الأبدية، مما جعلها تتغلب على المحبة والشدائد التى واجهتها. وقد استطاع كثيرون من الوثنيين ممن اعتنقوا المسيحية الانتقال من الظلمة والضياع، واختبار ما قاله القديس كليمندس الاسكندرى: «لقد حوَّل الرب يسوع الغروب إلى شروق، ومن خلال الصليب جعل الموت حياة، وقد أنقذ الإنسان من الهلاك، وسما به إلى مرتبة عالية، لقد حوَّل الرب يسوع الفناء إلى خلود».

إن الفرح ليس حق نكتسبه بالميلاد فحسب، وإنما هو امتياز لكل المسيحيين. وكما قال راعى هرماس «انزعوا الحزن من قلوبكم، حتى لا يحزن الروح القدس الساكن فيكم، لأن روح الله الممنوح لنا ليسكن فى هذا الجسد لا يحتمل الحزن، لذلك تحلوا بالبشاشة والمرح، فهما دائماً مقبولان عند الله».

لقد تأمل المسيحيون فى العصور الأولى فى نظام الله الفائق للطبيعة. إلا أنهم لم يكونوا على الإطلاق منصرفين عن إعلانات الله فى الطبيعة، وها نحن نجد كليمندس الرومانى يسهب فى شرح التناغم الإلهى والعطايا المطبوعة فى الطبيعة. كما أن العبادة المنتظمة للجماعات المسيحية تمجد وتسبح الله لأنه إله الطبيعة. وكما يقول (بريزينسى Pressense): «إن صلاة الأفخارستيا دائماً تُرفع لتشكر فى آن واحد على هبات الله الطبيعية والفائقة للطبيعة وعنايته الوافرة التى تنضج الحصاد، ومن أجل غفرانه الواسع الذى يقبل الضال مرة أخرى».

✣ ✣ ✣ ✣

ك - المسيحية والسياسة

لا تتحدث المسيحية فى أى موضع عن أى شكل من أشكال الحكم، وكذلك لا تتدخل فى الشئون السياسية والدنيوية للمجتمعات والدول التى انتشرت فيها، فالمسيحية تتكيف مع النظم الملكية كما مع النظم الجمهورية، وكذلك يمكنها أن تزدهر فى فترات الاضطهادات التى تقوم بها الدولة، وهذا ما يوضحه تاريخ الكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى.

فالكنيسة تقوم بدور تعليمى تجاه الحكام والرعية، إذ تعلِّم كل طرف الواجبات التى عليه أن يؤديها نحو المجتمع.

إن المسيحية تقف فى وجه الفوضى السياسية والاستبداد.

فالمسيحية تهدف من وراء أى شكل من أشكال الحكم أن يسود النظام والعدل، والإنسانية، والسلام، واللياقة.

فالمسيحية تعاون الحكام على إدراك معنى مسئولية الحكم تجاه القاضى والملك الأعظم، وكذلك تساعد الشعب على التمسك بالفضيلة والإخلاص والتقوى، من أجل أن تسود القيم النبيلة فى المجتمع، ليصبح المجتمع فاضلاً ومتماسكاً.

لقد أعادت المسيحية تشكيل العلاقات الدولية، وذلك بإزالة حواجز البغضة والأذى بين مختلف شعوب العالم وأجناسه، فروح المسيحية هى روح عالمية جامعة حقاً، وترتفع فوق كل المعوقات والحواجز- حتى فى إطار البلد الواحد. فمثلاً نجد أنه فى أورشليم فى عصر الرسل «كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة»(أعمال ٤:٣٢). حقاً لقد حدثت بعض المشاكل العارضة والوقتية بين بطرس وبولس، وبين المسيحيين من التهوديين والأمميين، وبدلاً من أن نندهش لوقوع مثل هذه الأمور، علينا أن نُقدِّر روح الانتصار الدائمة للمحبة التى تغلبت على القوى المتبقية من الطبيعة العتيقة، والحالة السابقة التى كانوا عليها.

وكما رأينا- من قبل- فإن المسيحيين من الأمميين الفقراء فى كنيسة اليونان التى أسسها الرسول بولس قد أرسلت مساعدة مالية لجماعة التهوديين (الفقراء) فى أورشليم بفلسطين، «ولكن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين. لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين فى أورشليم» (رومية ١٥: ٢٥ و٢٦). «إذ هم باختبار هذه الخدمة يمجدون الله على طاعة اعترافكم بإنجيل المسيح وسخاء التوزيع لهم والجميع» (كورنثوس الثانية ٩:١٣). وهكذا فإنهم اعتبروا هذه العطية المقدسة فرصة لحفظ وحدانية الروح برباط السلام. (أفسس٤: ٣).

بينما كان اليهود يفتخرون بجنسهم، ازدروا وأبغضوا الأمم، واحتقر اليونانيون باقى الشعوب لأنهم «برابرة» وأنصاف بشر. والرومانيون برغم كل قوتهم لم يقدروا أن يفعلوا أكثر من أن يجمعوا الشعوب التى هزموها، لتكون جسداً ضخماً بلا روح، أما المسيحية فقد أسست مؤسسة روحية عالمية، ومجتمع القديسين. وما زالت إلى يومنا هذا تقوم برسالتها لتجمع كل الأمم على الأرض أعضاءً أحياءً بها، وتصالح الجميع مع الله.

الباب الرابع

الفصل الأول

التعليم فى الكنيسة الأولى

(أ) نشأة التعليم فى الكنيسة الأولى

* تمهيـــد

يمكننا القول إن المسيحية ديانة تاريخية. فقد أسست كل رؤاها على العالم ومصير الإنسان فيما وراء الأحداث التاريخية المعينة.

وثمة أحداث فى التاريخ أكثر أهمية من أحداث أخرى. فهناك حقائق فريدة وهامة يجب استخدامها فى تقييم وشرح الحقائق الأخرى. وهى حقائق سامية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، هذه الحقائق هى حياة وشخص وتعليم وموت السيد المسيح، وفوق كل ذلك قيامته، وإليها يجب أن نضيف الكنيسة التى هى جسده.

لكى نفهم طبيعة التعليم المسيحى، علينا من البداية أن نلاحظ أنها ترتبط بحقائق تاريخية هامة لها مغزاها، فتعليم الرسل، على سبيل المثال، قد تركز على الحقائق التاريخية.

إن الحقائق المتعلقة بشخص يسوع المسيح التاريخية هى ألف باء الفكر اللاهوتى، فالفكر اللاهوتى هو محاولة لشرحها

أو لتفسير معناها ومغزاها للحياة والفكر البشرى.

إن الهدف الأسمى للإيمان المسيحى هو شخص المسيح نفسه، فلا يجب أن نوحد أو نربط بين التعليم المسيحى أو أى فكر لاهوتى خاص بشخص من المفكرين اللاهوتيين والمسيحية.

فالمسيحية التاريخية (ويقصد بها الاتجاه الرئيسى لتطور الفكر المسيحى منذ القرن الأول حتى القرن الجارى) ليست نسقاً من الأفكار، ولكنها الموقف تجاه شخص تاريخى محدد. فالمسيحية مؤسسة على شخص المسيح نفسه، لا على عقيدة أو تعليم عنه. فالمسيحية هى أن تحيا حياة المسيح، وقبول المسيحية كديانة شخصية لا يعنى مجرد الموافقة أو التصديق على مسألة عقلية، ولكن هو التجاوب الحى لكل كياننا مع حقيقة المسيح.

إن الإدراك الواضح لجوهر المسيحية يوضح شيئين:

أولاً: يوضح لماذا يوجد دائماً ذلك الاحتكاك بين الفكر اللاهوتى من ناحية، والدين من ناحية أخرى، فالفكر اللاهوتى قد يكون فكراً جامداً، وقد يكون أكاديمياً. إلاَّ أنه من ناحية أخرى، الدين بدون فكر لاهوتى كالجسد بدون هيكل عظمى: فإنه يفتقد إلى ما يجعله ثابتاً و يصبح ضعيفاً ورخواً. فالدين بدون فكر لاهوتى يصبح ضعيفاً وهلامياً ومجرد عواطف ومشاعر. وبذلك يميل الدين إلى الجنوح ناحية الخرافات أو إلى أحلام اليقظة. الحقيقة إن الدين بدون فكر لاهوتى هو أمر ناقص لايُتصور، مثله مثل الفكر اللاهوتى بدون دين: فالاثنان هما كوجهى العملة الواحدة لا يمكن فصلهما، فكلاهما يكمل الآخر كالنظرية والتطبيق.

ثانياً: إن إدراك أن جوهر المسيحية هو الاعتقاد فى شخص المسيح أكثر منه فى تعليم أو فى نسق من الأفكار يوضح لماذا يجب على التعليم أن تعاد صياغته فى كل جيل.

فيجب على كل عصر أن يعيد شرح الحقائق الجوهرية الهامة للتاريخ من خلال نظرته ورؤيته الخاصة. فالمسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد، فحقائق التاريخ لاتتغير.

إن دراسة الفلسفة أو الفكر اللاهوتى تختلف عن دراسة العلوم الأخرى. فربما لايدرى الطالب المتوسط للعلوم الفيزيقية عن تاريخ العلوم، وعن تاريخ نيوتن أو ما قبل نيوتن، وربما لا يكون ضرورياً دراسة ذلك، حيث يمكن إحراز تقدم فى العلوم بدون فهم تاريخها أولاً. ولكن الأمر يختلف فى حالة الفكر اللاهوتى، فالنتائج والتاريخ لا يمكن الفصل بينهما هكذا. فلا يمكن إحراز تقدم فى العلوم الإنسانية أو اللاهوتية بدون فهم تاريخها فهماً كاملاً. فلا نستطيع أن نفهم أنساق الأفكار الحديثة مالم نفهم أولاً القديمة منها. إننا قد لانتفق مع كل تلك الآراء، ولكننا لا نستطيع أن نتجنب الأخطاء التى وقع فيها الأولون، ما لم ندرس تعاليمهم. وإنه كذلك يكون ضرباً من الكبرياء أو الغرور أن نظن أننا يمكن أن ننسى الماضى برُمته، ونبدأ نحن بدايتنا الخاصة. فيجب ألا ننظر إلى الماضى باستعلاء نتيجة ما وصلنا إليه من إنجازات، فكتابات المفكرين العظماء الأوائل قد تكون مفيدة من جهة ما تحتويه من تعليم أو تحذير لنا. فأن نتجاهل حكمتهم، هذا يعنى أننا بذلك نفتح الباب للخرافات والافتراضات، وهذا أمر حقيقى، وبخاصة فيما يتعلق بتعليم الكنيسة، التى يمكن فهمها من خلال أولئك الذين تجشموا عناء دراسة الخلفية التاريخية، إلا أن النقد غير المؤسس على معرفة تاريخية لازمة هو أمر غير نافع وغير حكيم.

إن كل التعليم المسيحى جاء ثمرة الاختبار، وقد ساد الاعتقاد أن عقيدة الرسل قد تمت من خلال مجمع اجتمع فيه الرسل الاثنا عشر، وقد أسهم كل واحد منهم فى صياغته. وكان يؤمن بذلك العلامة أمبروزيوس أسقف ميلانو (توفى سنة ٣٩٧م) إلا أن ذلك الأمر ليس حقيقياً كما يرى (ألان ريتشاردسون Alan Richardson) فكل تعليم كان محاولة لتجسيد الخبرة الحية وللمحافظة عليها.

فالتعليم لم تتم صياغته مطلقاً فى القرن الأول الميلادى وحسب، فمثل تلك الصياغات الأولية للتعليم كما ظهرت فى العصر الأول من تاريخ الكنيسة كانت بصفة عامة فى شكل رسائل كتبها شخص ما كان يود أن ينقل خبرته بالديانة الجديدة إلى مؤمنين آخرين ربما فى مناطق أخرى من العالم. وربما نجد نموذجاً لذلك فى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، أو فى الرسالة إلى المسيحيين من أصل يهودى، وهم غير معروفين على وجه التحديد، وذلك فى الرسالة المعروفة باسم: «الرسالة إلى العبرانيين». فليست كل الرسائل التى كُتبت فى العهد الجديد كتبت بغرض محاولة صياغة تعاليم وعقائد. فبعض تلك الرسائل كُتبت كرسائل وعظ عملى أو أخلاقى مثل رسالة يعقوب. على الرغم أنها قامت بالضرورة على افتراضات تعليمية محددة، وأحياناً كانت الرسائل لمعالجة مسائل عقيدية، وسلوكية كانت الكنائس المحلية قد وقعت فى حيرة منها. وهذا واضح مثلاً فى كنيسة كورنثوس، حيث كتب المؤمنون فيها لبولس ليسألوا إرشاده فى بعض الأمور مثل الطلاق والزواج الثانى، وعشاء الرب أو عن قيامة الأموات. ولذلك فإن الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس والموجودة بين أسفار العهد الجديد، هى إجابة على تلك المسائل التى كانت موضع تساؤلاتهم.

التهذيب

يرتبط التهذيب- التأديب(Discipline) بكل الشرائع والأعراف أو المفاهيم العامة، وكانت تشمل قديماً كل ما يمكن للتلميذ أن يحصل عليه من معلمه. وبهذا المعنى فإنها أشارت إلى التلاميذ فى علاقتهم المباشرة بالسيد المسيح. وقد أطلقها ترتليانوس، على ما نقله الرسل من تعليم الكنائس التى أسسوها. ولذلك فإنه ليس للكلمة صلة بالشرائع، وإنما تشير فى مجملها إلى ما سلّمه السيد المسيح للرسل ثم قاموا هم بدورهم بنقله إلى الكنائس(موسوعة آباء الكنيسة الجزء الأول)

وعلى ذلك فإننا يجب أن نفهم بوضوح أن بداية التعليم المسيحى كان ثمرة خبرة حية مباشرة، وأن الصياغات الأولى للتعليم كانت مجرد محاولة لإخبار آخرين عن هذه الخبرة، وحتى يمكنهم أيضاً فهم وإدراك ذلك. لم تكن التعاليم إذن فكراً لاهوتياً جامداً، ولكنها كانت محاولة جريئة لشرح بعض حقائق الإيمان السامية، ولشرح طبيعة الخبرة الدينية الجديدة. حتى يمكن لآخرين أن يؤمنوا بها، ولذلك كان هدف الرسل هوتسجيل الحقائق لاعرض فكر غامض. «الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا»(١يوحنا ١:٣).

فى السنوات التى رافق فيها التلاميذ يسوع فى أثناء خدمته على الأرض، شعر التلاميذ أن يسوع له قدرات روحية غير عادية، وحتى قبل أن يُصلب يسوع، كان يعامل باحترام عميق، يصل إلى حد العبادة (راجع مرقس ٥:٦). ويضع دارسو العهد الجديد أهمية كبيرة على اعتراف بطرس الرسول فى قيصرية فيلبس بأن يسوع هو المسيح ابن الله (متى ١٦: ١٦).

المسيحية ليست ديانة الماضى فحسب، ولكنها ديانة خبرة الحاضر والرجاء فى المستقبل أيضاً، وبدون قوة الإيمان بقيامة المسيح ماكانت المسيحية، فالتبشير والوعظ فى الكنيسة الأولى- وكما يتضح من سفر أعمال الرسل ورسائل العهد الجديد - كانت تركز أساساً على قيامة السيد المسيح من بين الأموات.

كان تبشير بطرس واستفانوس- كما هو مسجل فى سفر أعمال الرسل - يرتكز أساساً على الأخبار المجيدة أن يسوع قد قام من بين الأموات، «وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم» (أعمال الرسل ٣٣:٤). كما أن اعتراف بطرس (السابق ذكره) إنما هو إشارة إلى أن يسوع هو «المسيا» كما جاء فى نبوات العهد القديم، وحسب انتظارات الشعب، وقيامة المسيح من بين الأموات، هذا الفعل المذهل إنما يعنى أن الله افتقد شعبه

وافتداه «إله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة «أعمال الرسل ٥ : ٣٠» ، وقد دعا التلاميذ أنفسهم شهود القيامة (انظر أعمال الرسل ٣:١٥).

لقد تأسست المسيحية تاريخياً على أساس الإيمان بالقيامة، فاختبار القيامة كان بداية المسيحية. وعلى هذا الأساس نشأ التعليم فى الكنيسة، كما كانت القيامة جوهر الدفاع عن المسيحية وكان ذلك حجر الأساس للفكر اللاهوتى عند بولس الرسول. «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات. وصار باكورة الراقدين »(كورنثوس الأولى ١٥:١٧و٢٠)، «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله»(كورنثوس الأولى ١٥: ١٤و١٥).

لقد كانت القيامة فى خبرة بولس الرسول وفى خبرات المؤمنين حقيقة مؤكدة. وقد ذكر بولس قائمة بالمرات التى ظهرفيها الرب يسوع بعد القيامة «فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفن وقام فى اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهر لصفا- بطرس- ثم للإثنى عشر. وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باقٍ إلى الآن، ولكن بعضهم قد رقدوا، وبعد ذلك ظهر لى أنا »(كورنثوس الأولى ١٥: ٣-٨).

إننا لانستطيع أن ندرك تطور التعليم المسيحى، مالم نضع أيدينا على تلك الحقائق، التى من أجلها جُعل التعليم لشرحها وتفسيرها، وجوهر تلك الحقائق كانت خبرة الرسل عن قيامة المسيح. فبدون هذه الخبرة ما كان للتعليم المسيحى أى معنى.

يستعرض إنجيل القديس مرقس كيف أن التلاميذ لم يدركوا تعليم الرب يسوع أنه ينبغى أن يتألم ويموت، وكان الطريق الوحيد أمام الرب يسوع ليحمل رسالته إلى الجميع هو طريق الآلام. ولكن تلاميذه لم يدركوا لماذا كان ذاهباً إلى أورشليم، فكانوا خائفين إلا أن الأمل كان لا يزال يراودهم أن مجد المسيا ينتظرهم فى المدينة المقدسة. لذلك كانوا يسألون من هو الأعظم(راجع متى ١٨: ١، ومرقس ٩:٣٤، ولوقا ٩: ٤٦). وعلى ذلك فإنهم هربوا بينما كان يسوع فى طريقه للآلام لأنهم ظنوا أن كل شىء قد انتهى. إلاَّ أنه بعد أسابيع قليلة نجد أنهم يبرهنون من الكتاب المقدس أن المسيَّا يجب أن يتألم، نفس ذلك التعليم الذى لم يستطيعوا أن يدركوه فى أثناء حياة المُعلم، إذ أنهم أصبحوا فيما بعد يحاجون بذلك الأمر على الملأ فى شجاعة أمام الناس وأمام السنهدريم. ويبدو أن معجزة قد حدثت فى حياتهم، فالجبناء الذين هربوا حتى فى وجود المسيح على الأرض أصبحوا بعد صلب مُعَلِّمهم يواجهون ذوى النفوذ ممن حكموا على السيد بالموت بدون خوف. وتحول الشك إلى اليقين، والحذر والخوف إلى الجرأة والإقدام وعدم الاهتمام بالنتائج، لقد أعلن الرب يسوع خلال سنى حياته فى الجسد عن تلك الآلام ولكنَّ شيئاً من ذلك التغيير لم يحدث آنذاك، ولابد أن ثمة سبباً عظيماً قد أدَّى لذلك التغيير الكبير، ولابد أن معجزة القيامة كانت هى السبب وراء ذلك.

وهكذا فإن التعليم فى الكنيسة الأولى كان ثمرة محاولة شرح وتفسير خبرة الرسل الأوائل عن المسيح المُقام.

ب ـ الوحدة فى تعليم الرسل

المسيحية ليست مجرد تعليم، وإنما هى حياة، وإبداع أخلاق جديدة فى ضوء الحقائق الجديدة التى أتت بها، والتحديات الجديدة التى نشأت عن ذلك. لقد تجسد الحق فى المسيح المُخلِّص، الكلمة المتجسد، الله- الإنسان، لكى يؤمن به كل إنسان.

المسيحية حياة جديدة، متجددة ومُتغيِّرة ومقدسة، وهى اختبار جديد خلاَّق، فهى تسمو بالإنسان كله وبكل خصاله

وصفاته وطاقاته، وتحرره من الشعور بالخطية ومن سلطان الخطية، وتصالحه مع الله وتجدد الانسجام والسلام مع النفس، وفى النهاية تمجد الجسد نفسه. وهكذا فإن حياة المسيح تنعكس في أتباعه، وتظهر شيئاً فشيئاً من خلال حياة الإيمان والمحبة، وحتى تبلغ كمالها فى القيامة.

وبدون شك فإن للحياة الجديدة عناصر تعليمية، أو معرفة بالحق، لقد قال السيد المسيح عن نفسه «أنا هوالطريق والحق والحياة» (يوحنا ١٤: ٦). فالمسيح نفسه هو الإعلان الشخصى للحق المُخلِّص، إلا أن هذه العناصر التعليمية لاتظهر فى العهد الجديد فى شكل نظرى مجرد، وانتاج عقلى، وعلم مؤسس على براهين رياضية أو منطقية. ولكنها مؤسسة على التعبير المباشر للحياة الإلهية، الفائقة السمو، والقوة المانحة للحياة، عملياً ونظرياً. إن معرفة الله من خلال المسيح، هى فى نفس الوقت الحياة الأبدية. ويجب ألاّ نخلط بين الحق والعقيدة، فالحق جوهر إلهى، أما العقيدة فهى فهم وإدراك بشرى للحق الإلهى والتعبير عنه. فالحق قوة حية تعطى حياة، أما العقيدة فهى صياغة منطقية له. الحق لانهائى ولايتغير وأبدى، أما العقيدة فقابلة للتغيير والتعديل (من خلال ما يحدث من تغيير فى إدراك الحق الإلهى أو فى التعبير عنه).

وهكذا فإن الكتاب المقدس ليس أساساً كتاباً تثقيفياً علمياً، ولكنه كتاب الحياة لكل شخص، رسالة مكتوبة بالروح القدس للجنس البشرى، ففى أقوال السيد المسيح وتلاميذه نجد أسمى وأقدس قوة روحية، فهى صوت الله المحيى. «لأن كلمة الله حية وفعّالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته» (عبرانيين ٤: ١٢).

إن جوهر كل تعليم الرسل هو شهادة المسيح، والإنجيل، والرسالة الواضحة لذلك الحب الإلهى الذى أدى إلى موت المسيح ليخلص البشرية أعلن فى شخص المسيح وقد أدرك شيئاً فشيئاً فى ملكوت الله على الأرض، وسوف يصل إلى كمال مجده فى المجىء الثانى للمسيح.

إن العهد الجديد إن هو إلا كتاب واحد، فالتعليم الذى يتضمنه إنما هو صادر عن شخص واحد هو المسيح، فقد أعطى لتلاميذه كلمات الحياة التى أعطاها له الآب.

وقد أوحى لهم روح الحق لإعلان مجده لهم، فكان ذلك سبباً فى تلك الوحدة والانسجام للأسفار السبعة والعشرين التى تكوِّن العهد الجديد، ومن أجل استخدامها للأبد، وإلى أن تتحقق الكلمة المكتوبة عندما يجىء الكلمة الحى فى ذلك المشهد البهيج مع القديسين.

جـ- التنوع فى التعليم الرسولى

يظهر التعليم المسيحى فى العهد الجديد فى أشكال عديدة، وذلك طبقاً للخواص الشخصية والثقافية والبيئية التى نشأ عليها الكاتبون الملهمون. فالحق نفسه فى الكتاب المقدس لا نهائى ولاحدود له، ويمكن أن يكيف نفسه مع كل صنوف البشر، ومع أى أنواع من المواهب والأمزجة. مثل ضوء الشمس الذى يتحلل إلى ألوان طبقاً لطبيعة الأجسام التى يسقط عليها الضوء ومثل الأحجار الكريمة حيث تبعث إشعاعاً جديداً مع كل ضوء يسقط عليها فى المقابل.

يتحدث القديس إيريناوس عن الأناجيل الأربعة. ولعله يربط بينها وبين تعاليم أربعة من الرسل. فرسالة يعقوب تهدف إلى ما يهدف إليه إنجيل متى. وكذلك رسالتا بطرس مع إنجيل القديس مرقس، ورسائل بولس مع إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل ورسائل يوحنا مع إنجيل يوحنا.

إن لدينا نوعين من المعلمين: رسل لليهود أى أهل الختان، ورسل للأمم أى الغُلف، وهذا التمييز يمتد إلى أبعد من مجرد الكرازة، فيصل إلى كل مناحى التعليم والحياة العملية للفريقين.

أما الاختلاف فكان نسبياً ومؤقتاً، كالذى حدث بين بولس وبطرس فى أنطاكية (غلاطية ٢: ١١- ٢١) لأن لهذين الشكلين من المسيحية أصل واحد فى ملء حياة المسيح، المخلص لكل من الأمم واليهود، وقد نميا معاً شيئاً فشيئاً إلى وحدانية الكنيسة الجامعة، فبطرس يمثل الكنيسة التى كان أعضاؤها من اليهود، وبولس يمثل الكنيسة التى كان أعضاؤها من الأمم، ويوحنا يمثل الوحدة بينهما فى ختام العصر الرسولى.

ومع هذه الاختلافات فى وجهات النظر تقترن الاختلافات الثانوية فى الأسلوب والشكل، فقد تميز يعقوب بأنه رسول الأعمال، كما بطرس بأنه رسول الرجاء، وبولس بأنه رسول الإيمان، ويوحنا بأنه رسول المحبة.

د ـ الفكر اللاهوتى للمسيحيين من أصل يهودى

يعقوب وإنجيل الناموس

ثمة بعض الأسفار كُتبت على وجه الخصوص لكى تخاطب المسيحيين من أصل يهودى مثل رسائل يعقوب وبطرس ويهوذا وإنجيل متى، على الرغم من أنها ليست قاصرة عليهم، وهذه الكتابات قائمة على التأكيد وتوضيح الفكرة الأساسية فى الموعظة على الجبل التى قالها السيد المسيح وهى «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل» (متى ٥:١٧). لقد أوضحت الأناجيل - لاسيما إنجيل متى- تاريخياً أن يسوع هو المسيا الذى أعطى الناموس، وهو النبى، والكاهن والملك.

وعلى هذا الأساس التاريخى بنى كل من الرسولين يعقوب وبطرس تعليمهما ووعظهما، على أن يعقوب يبين توافق الإنجيل مع الناموس، وبطرس يوضح توافق الإنجيل مع الأنبياء.

إن يعقوب أخا الرب يتمسك بالديانة الموسوية، ويعتبر الإنجيل نفسه ناموساً، ولكنه «الناموس الكامل ناموس الحرية» (يعقوب ١-٢٥). وهنا يوجد الاختلاف وكذلك الوحدة بينهما، فكلمة «الناموس» هنا تشير إلى التوافق، وكلمتا «الكامل» و«الحرية» تشيران إلى سمو المسيحية، وتلمحان بأن اليهودية لم تكن كاملة، وأن الناموس كان قيداً وقد حررنا المسيح منه. أما بولس فقد وصف الإنجيل بأنه محرر من الناموس الذى هو «نير عبودية» (غلاطية ٥:١) ولكنه أعاد الناموس على أساس من الحرية، وقد رأى أن الحياة المسيحية تتم فى ناموس المحبة لله وللقريب (راجع غلاطية ٦:٢، رومية ١٣: ٨ - ١٠، ٣:٢٢، ٨:٢).

ويلتقى يعقوب مع بولس ولكن من طريق آخر، فيعقوب يركز كثيراً على الأعمال الصالحة التى يطلبها الناموس، ولكنه يطلب الأعمال، التى هى ثمرة الإيمان الذى فى المؤمن، هذا الإيمان هو نتاج الميلاد الجديد «شاء فولدنا بكلمة الحق» (يعقوب ١: ١٨).

إلاً أن بولس كان يركز على الإيمان الحى، وأن التبرير بالإيمان وحده، أما الأعمال الصالحة فهى تتبع الإيمان لتبرهن على وجوده. إن الاختلاف بين فكر كلٍ من بولس ويعقوب هو اختلاف لفظى وليس اختلافاً فى المنطق، وهو ما يفسح المجال للمصالحة التى هى بمثابة الرابطة التى لاتنفصم بين الإيمان الحى والأعمال الصالحة أو الرابطة بين التبرير والتقديس، حتى إن كلاً منهما يكمل ويؤكد الآخر. فالأول يضع الأساس الحقيقى، والآخر يحث الإنسان على إظهاره عملياً.

لقد استخدم كل من بولس ويعقوب نفس الكلمات التالية «التبرير»، «الإيمان»، و«الأعمال» ولكن كتب كل منهما من وجهة نظر مختلفة. وبذلك قدما رؤيتين متميزتين لنفس الحقيقة، فإذ قال يعقوب: «إيمان بدون أعمال ميت» (٢: ٢٠) فإن بولس يقول: «إن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس» (رومية ٣: ٢٨). فأحدهما يؤكد على الإيمان العامل، والآخر يؤكد على التبرير بالأعمال، والحقيقة إن كلاً

منهما على صواب، فيعقوب يعارض الإيمان اليهودى الميت وبولس ينكر التبرير الذاتى، إن يعقوب لم يطلب أعمالاً بدون إيمان، ولكنها الأعمال التى يدفع إليها الإيمان، بينما بولس - من ناحية أخرى- يوضح أن الإيمان بدون محبة لا قيمة له، وحتى وإن كان ينقل الجبال (كورنثوس الأولى١٣: ٢٠). كما أن يعقوب لا يعزو قوة التبرير لمجرد الإيمان بوجود الله، لأن الشياطين يؤمنون ويقشعرون (١٩:٢).

إن يعقوب ينظر بالتحديد إلى الثمر، بينما بولس إلى الأصل. فالأول يهتم بالدليل أو الاختبار العملى، بينما الآخر يهتم بالأساس ويدخل إلى الأعماق التى ينبع منها العمل، ولكنه يصل إلى نفس النتيجة: حياة المحبة، الحياة المقدسة، وطاعة الله كدليل ضرورى على الإيمان الحقيقى، وبولس يوجز ذلك فى قوله: «الإيمان العامل بالمحبة» (غلاطية ٥: ٦).

إن رسالة يعقوب تأتى على رأس الرسائل التى تسمى «الرسائل الجامعة» وهى تمثل المرحلة الأولى للمعرفة المسيحية.

إن الارتباط بين رسالة يعقوب وإنجيل متى يأتى طبيعياً من الأصل المسيحى اليهودى، والفلسطينى كما يقول شاف (مرجع سابق جـ١ ص ٥٢١).

هـ - بطرس الرسول وإنجيل الرجاء

يأتى الاعتراف العظيم لبطرس بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى (متى١٦: ١٦) فى قلب التعليم. إنه اعتراف فى عبارة قصيرة، ولكنه تعليم جوهرى وأساسى وشامل، ويعتبر حجر الأساس للكنيسة المسيحية. إن أقوال بطرس فى سفر أعمال الرسل وفى رسالتيه زاخرة بالخبرات من تعاملاته مع السيد المسيح التى أضافت إليه الحماسة والنبل إلى جانب طبيعته القيادية. إن المسيحية هى تحقيق لكل النبوات المسيانية، وإن كانت هى نفسها فى ذات الوقت نبوة عن المجىء الثانى المجيد، وهذا المستقبل المجيد مسبوق هنا بالفرح والرجاء الحى الذى يحرضنا لكى نحيا الحياة المقدسة استعداداً لذلكم المستقبل المجيد، حتى أن بطرس الرسول قد أُطلق عليه - عن استحقاق -«رسول الرجاء».

لقد بدأ الرسول بطرس شهادته بإعلان حقائق تاريخية عن قيامة المسيح وحلول الروح القدس. وهذه الحقائق إنما هى تأكيد إلهى على مسيانيته، وذلك طبقاً لأنبياء العهد القديم. حيث شهدوا له أن كل من يؤمن به ينال غفران الخطايا. وهو المسيح الذى أقامه الله من بين الأموات، ورفعه ليجلس عن يمين الآب، وهو المخلص الذى يأتى مرة أخرى. إنه لايوجد خلاص بعيداً عن الرب يسوع المسيح، وشرط الخلاص هو الاعتراف بمسيانيته، فيتغير الفكر والسلوك من خدمة الخطية إلى القداسة.

إننا لايمكن أن نتصور كيف استطاع الرسول بطرس أن يعظ بفاعلية فى هذا الوقت المبكر من تاريخ المسيحية. ويجب ألاّ نندهش من تجديد ثلاثة آلاف نفس بعد عظته. وقد استنار بإعلان خاص فى المسألة التى تتعلق «بالختان»، إذ وصل إلى القناعة بأن «فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده»(أعمال الرسل ١٠: ٣٥) وأن اليهود والأمم قد نالوا الخلاص بنعمة المسيح من خلال الإيمان، بدون حمل نير الناموس الطقسى (راجع أعمال الرسل ١٥: ٧-١١).

لقد قبل من آمنوا، تعليم بطرس الرسول والذى ورد فى سفر أعمال الرسل وجوهره أن فى المسيح قد تحققت النبوات المسيانية والرجاء المسيحى. إن الفكر اللاهوتى للرسول بطرس عن شخص المسيح إنما ينبع من شخص المسيح التاريخى، المسيح المُقام. فالرسول بطرس يؤكد فى رسالته الأولى- كما فى سفر أعمال الرسل - على قيامة المسيح «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى من أجل رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات. لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم»، «ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى» (بطرس الأولى ١: ٣-٥ ، ٥: ٤).

أما فى الرسالة الثانية فيشير مباشرة إلى «سموات جديدة وأرض جديدة يسكن فيها البر»(بطرس الثانية ٣: ١٣) وهو يربط بين قيامة السيد المسيح والتحقيق النهائى للعهد، وبالإضافة إلى القيامة فإنه يوضح فاعلية كفارة ذبيحة المسيح وموته أيضاً بنفس القوة التى شرحها بولس «فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله»(بطرس الأولى٣: ١٨)، الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر»(بطرس الأولى٢: ٢٤)، الذى فدانا «بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح»(بطرس الأولى ١: ١٩) فالمسيح هو المُخَلِّص الوحيد، رئيس الحياة الذى يحكم على العالم. ويتكلم عن الوجود السابق للمسيح فيقول «معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكنه قد أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم»(بطرس الأولى ١: ٢٠)..

ويشير الرسول بطرس إلى أن السيد قد «كرز للأرواح التى فى السجن «فى الفترة بين الصلب»، «القيامة» (بطرس الأولى ٣: ١٩ ،٤: ٦) وكذلك كتب بولس الرسول عن هذا فى رسالته إلى أفسس (٤: ٩و١٠).

لقد قدَّم بطرس الرسول المسيحية التى تؤمن بالمسيح التاريخى، الذى هو الرجاء المحيى، والذى سيجىء فى مجده وهو ما يجعل المسيحيين يفرحون فى قلب التجارب والضيقات.

فإن المسيح أيضاً قد تألم من أجلنا تاركاً لنا مثالاً لكى نتبع خطواته.

و ـ بولس الرسول وإنجيل الإيمان

لقد جسدت كتابات بولس الرسول ولوقا البشير الفكر المسيحى الذى يخاطب الأمم، ويتضح الفكر اللاهوتى لبولس فى سفر الأعمال (لا سيما فى أريوباغوس) كما فى سائر رسائله.

بولس الرسول هو الوحيد الذى تلقى تعليمه على يد الربيين، وكان معروفاً بمهارته فى الجدل والمنطق. إن تعليمه ينبع من القلب كما من العقل، وكان ذلك ثمرة إيمانه بالمسيح. وتعليمه مفعم بمحبة المسيح، ويفيض بالحرارة والعمق، وقد امتزجت العناصر الدينية والأدبية والعقيدية والأخلاقية فى شخصيته لتثمر كلا منسجماً فريداً.

أثار الرسول بولس فكرة التبرير بأعمال الناموس، ومن ثم إدراك البر الإلهى، فبولس يرى أن البر بالإيمان بالمسيح. تمسك بولس بشعار: «الإنجيل، والإيمان»، فالإنجيل الذى يؤكد عليه بولس هو الإنجيل الذى يقود إلى الخلاص، إنجيل الحرية « فإنكم إنما دعيتم للحرية » (راجع غلاطية ٥: ١٣)، الإنجيل الذى للعالم أجمع، الذى يقدم عمل المسيح والذى يشترط الاتحاد به، وبولس لم يعزم أن يعرف شيئاً إلاَّ يسوع المسيح وإياه مصلوباً (كورنثوس الأولى٢: ٢)، وهذا يمثل جوهر رسالة التعليم اللاهوتى لبولس الرسول، فالمسيح الذى مات هو المسيح الذى قام ثانيةً، وهو الإله الحى والمخلص «الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسةً وفداءً، فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم»(كورنثوس الأولى ١٥: ١٣و١٤). وبولس يضع حقيقة موت السيد المسيح وقيامته معاً فى عبارة واحدة، الذى أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم من أجل تبريرنا (رومية ٤:٢٥).

إن بولس الرسول يُعَلِّم باحتياج العالم للخلاص، ولكن الخلاص الفعلى لكل إنسان يعتمد على الإيمان أو القبول الشخصى والتكريس للمسيح، إن الخطية وحكم الموت قائمان بدون خلاص المسيح، أما البر والحياة فبالمسيح، ورسالة بولس الرسول إلى أهل رومية تتضمن الملامح الرئيسية لتعليمه اللاهوتى، والتعليم الرئيسى هو:

«إن إنجيل المسيح هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن

لليهودى أولاً ثم لليونانى»(راجع رو ١: ١٦).

الإيمان هبة مجانية من الله، وهو فى ذات الوقت أسمى ما يمكن أن يحصل عليه الإنسان، الإيمان هو الثقة المطلقة فى الله، والذى من خلاله يمكننا أن نعرفه بل ونتحد به.

ز - يوحنا البشير وإنجيل المحبة

يلتقى الفكر اللاهوتى المسيحى - اليهودى، والمسيحى - الأممى فى كتابات القديس يوحنا، والرسول يوحنا يخبرنا عن حق الإنجيل وعالميته فيقول: «لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق بيسوع المسيح صارا»(يوحنا ١: ١٧) والفكر اللاهوتى عند الرسول يوحنا هو أوج المعرفة الإلهية فى العصر الرسولى، وتتضح شخصية الرسول يوحنا من خلال الإنجيل ورسائله الثلاث، وأقواله عن الآخرويات. إنه يتكلم من واقع اختبار شخصى ويشهد لما رأته عيناه «ورأينا مجده كما لوحيد من الآب» (يوحنا ١: ٤، اقرأ أيضاً رسالة يوحنا الرسول الأولى ١:١-٣).

المحبة والحياة هما محور المسيحية كما يراها الرسول يوحنا، وهو يلخص لنا عقيدته فى عبارة «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (يوحنا الأولى ٤: ١٩) «ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً»(يوحنا الأولى٤: ٢١)، لذا لقب الرسول يوحنا «رسول المحبة». ويجب ألا نفهم المحبة بالمعنى العاطفى فحسب وإنما أن نفهمها فى أسمى درجات التعاون والأخلاق. والرسول يوحنا تقترن عنده المعرفة الفائقة بالمحبة السامية، فكلاهما يؤسس الحياة الأبدية، التى هى ملء السعادة « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته»(يوحنا ١٧:٣ واقرأ أيضاً يوحنا ١١:١٥، ١٦: ٢٤، ١يو ١: ٤).

إن الرسول يوحنا يجعل تجسد الكلمة الأزلى فى أسمى إعلانات الله التى تبين محبة الله للعالم، والذى ينكر هذه الحقيقة فإنه يعتبر ضد المسيح(يوحنا الأولى ٤: ١-٣).



الباب الرابع

الفصل الثانى

العبادة فى الكنيسة الأولى

١- العبادة المسيحية فى القرنين الأول والثانى.

٢- العبادة المسيحية فى القرنين الثالث والرابع.

١ - العبادة المسيحية فى القرنين الأول والثانى

أ- خلفية تاريخية.

ب- عناصر العبادة فى المجتمع.

ج - عناصر العبادة فى العصر الرسولى.

العبادة المسيحية هى العبادة لله فى اسم المسيح، وهو احتفال جماعة المؤمنين فى شركة بينهم ورأس الكنيسة المسيح، لتمجيد الرب، ولتسبيحه وشكره، وكذلك للفرح والنمو فى الحياة الروحية، فالعبادة تهدف فى الأساس إلى انشغال النفس بالله ذاته. وكان هذا هو الحال فى يوم الخمسين.

أ ـ خلفية تاريخية

بدأ المجتمع المسيحى فى أورشليم كجماعة فى إطار الإيمان اليهودى السلفى-على الأقل يبدو ذلك ظاهرياً- فمثلاً ترتُلُس قد أشار إلى بولس فى سخرية على أنه مقدام شيعة الناصريين (ارجع إلى أعمال الرسل ٢٤:١-٥) وفى سفر الأعمال يؤكد كاتب السفر على أن الكنيسة الأولى كانت تبدو كما لو أنها إحدى الشيع اليهودية، وذلك فى عيون اليهود.

وكلمة «شيعة» فى أعمال (٢٤:٥) هى نفس الكلمة المستخدمة فى أعمال (٢٢:٢٨) والمترجمة مذهب، وتعنى شيعة فى أعمال (١٤:٢٤) وهو تعبير مألوف عن الطائفة فى اليهودية، كما تأتى فى أعمال (١٧:٥)، تعبيراً عن شيعة الصدوقيين، وفى أعمال (٥:١٥ ، ٥:٢٦) عن مذهب الفريسيين.

وللوهلة الأولى لا يبدو أن ثمة شيئاً يدعو للعجب لاجتماع اليهود المثقفين فى الرأى من طائفة الناصريين معاً.

إلا أن ثمة ما يميزهم عن الطوائف اليهودية الأخرى، وذلك لاعتقادهم بأن «المسيا» قد جاء، وإنه هو يسوع الناصرى، أى الذى جاء من الناصرة (أعمال ٢:٢٢، متى ٢: ٢٣) إلا أن فى الأيام الأولى من حياة الكنيسة، يبدو أنه لم يكن ثمة رغبة فى ترك ديانة الآباء- على الأقل على قدر الاهتمام بالممارسات الظاهرية للإيمان. وقد واظب أتباع الرب المقام على الصلوات والطلبات (أعمال ١: ١٤) وهذا العدد يتضمن أن المؤمنين كانوا يجتمعون من أجل الصلاة، والكلمة اليونانية المستخدمة فى ذلك هى نفس الكلمة المستخدمة فى أعمال (١٦:١٣- ١٦) والتى تشير إلى الاجتماع للصلاة فى المجمع، حيث أن المشنا كانت تسمح لعدد عشرة رجال من اليهود أن يؤسسوا مجمعاً أينما كانوا، والوصف الذى جاء فى أعمال الرسل (٢: ٤٢- ٤٧) يفترض استمرار الخدمات فى الهيكل (انظر لوقا ٢٤: ٥٢و٥٣، أعمال ٣:١). وكان الهيكل يستخدم فى الصلوات فى اسم المسيح (أعمال الرسل ٢: ٤٢ و ٤٦، ٤: ٢٤ - ٣٠).

وبنمو الكنيسة واتساع حدودها خارج أورشليم، أقبل إليها المتدينون ممن تأثرت خلفيتهم الثقافية بالمجمع.

ونذكر ما كتبه (ت.و مانسون T.W. Manson): «كان التلاميذ الأوائل يهوداً بالمولد والنشأة، ومن المحتمل أنهم أرادوا فى البداية أن يُدخلوا إلى المجتمع الجديد على الأقل بعضاً من الاستخدامات الدينية التى اعتادوا عليها. وخلفية العبادة فى الكنيسة الأولى لابد أن ننظر إليها فى ضوء الهيكل والمجمع اليهوديين»(رالف پ. مارتن : العبادة فى الكنيسة الأولى).

(أ) مكانة الهيكل

فى أثناء خدمة السيد المسيح، كان مهتماً بقداسة هيكل الله، ويرى بعض المفسرين فى العبارة الواردة فى إنجيل لوقا (٢: ٤٩) «ينبغى أن أكون فى ما لأبى» أنها تعنى «ينبغى أن أكون فى بيت أبى»، إذ كان آنذاك جالساً فى الهيكل (انظر لوقا ٢:٤١- ٤٩) وكذلك ما ذكره البشير مرقس (١٣:١) فقد حضر السيد المسيح إلى الهيكل بغرض العبادة فى مناسبات عديدة (راجع يوحنا ٢: ١٣-١٦ ، ١٠: ٢٢-٢٤)، هذا فضلاً عن ما ذُكر عند دخوله الأخير للمدينة المقدسة، وفى الفصح الأخير، وكان للهيكل تقدير كبير عند السيد المسيح (يوحنا٤: ٢٢).

إنه لأمر لا يقبل الجدل أن السيد المسيح لم يقدم ذبيحة فى الهيكل.

كان اهتمام السيد المسيح عظيماً بحماية بيت الرب، وقال عنه إنه بيت صلاة لجميع الأمم»(مرقس ١١: ١٧) لذلك صنع سوطاً وطرد الباعة والصيارفة وباعة الحمام (مرقس ١١: ١٥و١٦).

ويرى (إرنست لوميير Ernest Lohmeyer) إن ثمة سبباً قوياً لطرد السيد المسيح الباعة والصيارفة من الهيكل، فالسيد المسيح قد زار المدينة من أجل تحقيق نبوة العهد القديم (مرقس ١١: ١-١١) وكان جانب من ذلك هو إعداد الهيكل لنفسه، وهكذا أعلن نفسه السيد العادل على مقدس الله. وبدخول السيد المسيح إلى أورشليم وإلى الهيكل أعلن بذلك أن النبوات التى سبق أن أعلنها إشعياء النبى أصبحت الآن حقيقة. وهذا ما نجده فى متى (١٢: ٦): «ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل» وفى ذلك إشارة إلى الملكوت الذى تحقق فى شخصه بوجوده بين الناس (مرقس ١: ١٥، لوقا ١١: ٢٠). وذلك ينبع من تلك الحقيقة التى أعلنها بنفسه أنه هو الإله الحقيقى للهيكل الذى كانت العبادة فيه يقترب موعد انتهائها. حيث أُبطلت العبادة فيه فى العهد الجديد. ويتكلم الرب يسوع عن الممارسة التى حدثت فى تقليد إيمان السابقين وأشكال العبادة (راجع مرقس ١٣:٢ ، ١٤:٥٧- ٥٩).

وقد لاحظ السيد المسيح أن أساليب التدين الظاهرى

يمكن أن تكون فخاً وخطراً روحياً داهماً (راجع إرميا ٧ فكل الأصحاح يحذر من الثقة العمياء فى ممارسة الطقوس الدينية).

٢- موقف السيد المسيح

كان السيد المسيح يقدر الهيكل أساساً على أنه المكان الذى كان يتيح للناس الشركة مع الله، ومن أجل الصلاة والعبادة. إلاَّ أن السيد المسيح وضع نظاماً جديداً يحل محل فكرة المكان المقدس(ارجع إلى يوحنا ٤:٢١-٢٤)، وملخص تعليم الرب يسوع هو إن العبادة الحقيقية والداخلية متاحة لكل من يسجد «بالروح والحق» فى أى مكان، وكان تعليم السيد المسيح مخالفاً للتعاليم اليهودية فى تلك الأيام.

إن مقارنة لوقا (١٥: ١و٢) ومتى (٢٣: ١- ٢٨) ومتى (٩: ١٣ ،١٢: ٧) حيث اتّكأ يسوع مع عشارين وخطاة كثيرين (الذين كان يحتقرهم الفريسيون)، وتعليم الرب يسوع الخاص بيوم السبت يتفق مع نبوة هوشع: «أريد رحمة لا ذبيحة» (هوشع ٦: ٦ انظر أيضاً صموئيل الأول ١٥: ٢٢، عاموس ٥: ٢١- ٢٤).

وقد اتبع تلاميذ السيد المسيح خطى سيدهم، فالرسولان بطرس ويوحنا ذهبا للهيكل فى ساعة الصلاة (أعمال ٣:١) غير أنه لم يذكر أنهما ذهبا ليذبحا ذبيحة. والشهيد استفانوس يعلن حقيقة الهيكل الجديد (ارجع إلى أعمال ٦:١٤ إلى ٧:٥٠).

(٣) العبادة فى المجمع

إن خدمة السيد المسيح فى الجليل تمت فى الخلاء،وكذلك فى المجمع فى المنطقة التى زارها. فقد علّم فى المجامع حيث اعتاد أن يعبد هناك فى أيام السبت (مرقس ١: ٢١- ٢٨، ٣ : ١-٦ ، ٦:٢، متى ٤:٢٣، لوقا ٤:١٥و١٦-٣٠ و ٣١ وما بعده، ٤٤ ، ٥: ٦ ، ١٣: ١٠، وما بعده، ويوحنا ٦:٥٩، ١٨ : ٢٠) والرسول بولس فى رحلته التبشيرية استخدم المجمع اليهودى، لليهود خارج أورشليم (المشتتين) وما سجل فى سفر أعمال الرسل يستند إلى هذه النقطة (ارجع إلى أعمال ١٣: ٥ ، ١٤:١و١٠و ١٧ ، ١٨: ٤ و ١٩).

ولم يكن الرسول بولس وحده هو الذى مارس الكرازة والعبادة فى المجامع واعتبرها نقطة الإنطلاق لرسالة الإنجيل لخلاص إسرائيل، وحتى تصل الرسالة أولئك اليهود ممن يجتمعون فى المجمع للعبادة، فقد فعل أبُلوس هذا الأمر فى أفسس (أعمال ١٨: ٢٦)، إنه من الواضح أن المجمع اليهودى كان جسراً مهماً فى نشر الأخبار السارة.

ب- عناصر العبادة فى المجمع

يعاوننا الدارسون على رسم صورة للعبادة فى المجمع اليهودى، وثمة عناصر ثلاثة رئيسية فى العبادة:

١- الشكر والتسبيح.

٢- الصلوات.

٣- التعليم.

١ ـ الشكر والتسبيح

تبدأ خدمة العبادة بالشكر الجماعى، وهذا ما يتفق مع ما جاء فى التلمود: «على الإنسان أن يبدأ على الدوام بالشكر أولاً، ثم بعد ذلك الصلاة».

وما جاء فى كورنثوس الأول (١٤: ٢٦) ربما يؤكد إتباعهم نفس الترتيب، حيث تأتى وصية بولس بالترنم بمزمور على رأس القائمة التى يذكرها عن العبادة المسيحية المشتركة.

٢ ـ الصلوات

تنقسم الصلوات فى العبادة اليهودية إلى قسمين غير منفصلين: **القسم الأول** منها يشتمل على عبارتين جميلتين: عبارة (يوتزر) وتعنى «هو الخالق» وترفع شعار الله كخالق

لكل شىء،(والأهاباه) وتعنى «محبة» وتعنى أن محبة الله هى لشعبه، والضمان بمحبتهم له فى المقابل، وفى النهاية تأتى عبارة «مبارك أنت يا سيدنا، لأنك اخترت شعبك إسرائيل بالمحبة».

ثم بعد ذلك مباشرة تأتى «شيما» وهى اعتراف بالإيمان وبالبركة المفرحة فى نفس الوقت، و«شيما» مشتقة من الكلمات الافتتاحية الواردة فى تثنية (٦:٤) «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» لأن «شيما» تذكر بطريقة تجاوبية، ويردف الخادم الذى يقود الصلاة فى هتاف مفرح قائلاً: «مبارك اسم مجد ملكوته إلى أبد الآبدين». إن كلمة «واحد» تؤكد وحدة الله، وتأتى دائماً فى مركز الاعتراف اليهودى. وقد أعطيت مكانة واضحة فى الصلوات، «وشيما» بالكامل تتكون من تثنية (٦: ٤-٩) وعدد (١٥: ٣٧-٤١).

والقسم الثانى من الصلاة فى العبادة الواحدة هو ذكر لصلوات معروفة مثل «حقيقى وراسخ»(وهى كلمة شيما اسمع لنا إلى الأبد) وهى تذكرهم بأن وعود الله أكيدة وتتوقف على شعبه، وهنا يطلب الخادم من أحد المصلين أن يقود «الصلاة المعروفة» والتى تحتوى على الأدعية الثمانية عشر، ويأخذ الخادم خطوات نحو تابوت الرب، ووجهه ناحيته، ويقود الصلوات التى يرددونها والتى يختمونها بقولهم «آمين».

والأدعية الثمانية عشر تغطى كثيراً من الموضوعات، فبعضها يعبر عن الشكر، والتوسل من أجل أمور روحية ومادية، والتضرع من أجل المحتاجين، ومن أجل القضاة، والمشيرين والمختارين.

ويمكننا أن ندرك شيئاً من تلك الصلوات، بقراءة الصلاة الأخيرة «امنح السلام لإسرائيل شعبك ومدينتك، وميراثك، وباركنا جميعاً(كفرد واحد) مبارك أنت ياسيدنا، صانع السلام».

٣ـ التعليم

وبتلاوة الصلوات فإن الخدمة كانت تأخذ شكلاً مميزاً، حيث تعطى للمجمع صفته التى تميزه. وفى الواقع، أطلق اليهود أنفسهم على المجمع «دار التعليم» إذ كان التعليم مبنياً على قراءة العهد القديم وتفسيره، والتعليم كان مبنياً على عنصرين: **الأول** الناموس، والأنبياء التى كان يقرأها المصلون حيث يجتمعون معاً ويشتركون فى قراءتها (وذلك حسب طول الجزء موضوع القراءة) وحيث أن اللغة التى كتب بها العهد القديم، لم يكن يفهمها كل الشعب الحاضر للعبادة لذا كان يقوم المترجم بالترجمة إلى اللغة التى يفهمها كل الشعب، وكانت هى اللغة الأرامية عادة.

ثم تأتى العظة وهى مبنية على الأجزاء التى قرئت، وكان يمكن أن يدعى أى شخص يعتبر مناسباً لإلقاء «العظة»- وذلك كما حدث مع السيد المسيح عندما كان فى مجمع الناصرة (لوقا ٤: ٢١، وما بعده) وفى أنطاكية (أعمال ١٣:١٥ وما بعده) وتختتم الخدمة بالبركة ويرد الشعب قائلاً آمين.

وكانت تحدث بعض تعديلات على النموذج الأساسى، باختلاف أيام الأسبوع والوقت من السنة (حيث كانت القراءة فى فصول العهد القديم قصيرة فى أيام انعقاد الأسواق فى يومى الاثنين والثلاثاء) غير أن العناصر الرئيسية فى العبادة، وهى الشكر والصلاة والتعليم كانت موجودة فى كل الأوقات.

العبادة

الكلمة المستخدمة للتعبير عن العبادة فى العهد القديم، وهى الكلمة العبرية «هيشاوه» وتعنى «ينحنى»، تؤكد على الطريقة التى كان يفكر بها اليهودى عند وجوده فى حضرة الله القدوس، فكان اليهودى ينحنى فى تواضع واحترام، وكذلك استخدمت الكلمة بمعايير أخرى(انظر تك ٢٧:١٩، صموئيل الأول ٢٥:٣٥، صموئيل الثانى ١٦:٣٣ ، ٢٦:٢٠) إلا أن المغزى الكامل للكلمة يتضح فى الاقتراب إلى الله السيد والملك العظيم (انظر تك ٢٤:٥٢ ، ٢ أخ ٧ :٣ ، ٢٩ :٢٩)

والكلمة اليونانية «بروسكونيان Proskunein» التى استخدمت فى الترجمة السبعينية لترجمة الكلمة العبرية «شاها» لها نفس المعنى الذى يشير إلى الخضوع فى تواضع، والاحترام العميق.

أما الكلمة العبرية «عَبده» إذ كان اليهودى عندما يصلى لله يعتبر نفسه «عَبوده» فقد تُرجمت أيضاً «عبد» أو «خادم» إذا كان اليهودي عندما يصلي لله يعتبر نفسه «عبد» ويكون سعيداً عندما ينعت نفسه فى تسبيحه أو صلاته بذلك «أنا عبدك» (راجع مز ١١٦: ١٦). وعلى عكس ذلك المفهوم يأتى مفهوم العبد فى الفكر اليونانى حيث يحمل معه معنى الذل والاحتقار بينما عند اليهودى فإنه يحمل معنى علاقة العبد بالسيد الطيب (انظر خروج ٢١: ١- ٦) ولذلك فإن أعظم القادة دعوا عبيد الرب، لاسيما داود (انظر مزمور ٨٩: ٣و ٢٠). والكلمة اليونانية المناظرة لها هى (Latereia) ترجمت «عبادة» أو «خدمة». وفى ضوء خلفية العهد القديم فإن بولس قد استخدم نفس الكلمة اليونانية فى رسالته إلى رومية (راجع رومية ١:٩، ١٥: ١٦، وكذلك فى إشارته لعبادة إسرائيل انظر رومية ٩:٤). ونجد نماذج للصلاة والعبادة فى المزامير (مزامير ٤٢، ٤٣، ٦٥، ٨٤، ١٢٢، وغيرها). حيث يعبر صاحب المزمور عن شكره لله وعن فرحه وسعادته لدخوله إلى مقادس الرب.

جـ ـ عناصر العبادة فى العصر الرسولى

تألفت العبادة فى العصر الرسولى من عدة عناصر وهى كالتالى :

١ ـ الكرازة بالإنجيل

فى بداية العصر الرسولى تظهر الكرازة بالإنجيل فى شكل خدمة موجهة لغير المؤمنين، وهى ببساطة تقديم حقائق الإيمان والتركيز على حياة السيد المسيح مع الحث على الندم والتجديد، وكان موت السيد المسيح وقيامته هما جوهر البشارة. وكانت الكرازة بالإنجيل قد وجدت صداها فى نفوس سامعيها.

كانت بعض الاجتماعات تُعقد للجميع بغرض الكرازة بالإنجيل والوعظ (كورنثوس الأولى ١٤:٢٣ - ٢٥). وتوجد العديد من العظات لكل من بطرس وبولس كنماذج لذلك فى سفر أعمال الرسل. وقد دعت الحاجة إلى التعليم إلى ضرورة وجود خدمة الكلمة (أع ٦:٤) متضمنة فى العبادة فى بادىء الأمر، كما كان يجب على الأسقف أن يكون صالحاً للتعليم (١تى ٣:٢) وقد تضمنت الكرازة بالإنجيل عدة أمور تتعلق بالعبادة مثل إعلان عمل الله، والاعتراف بالإيمان، والصلاة التى هى قمة تسبيح الله وتمجيده، وقد انتقلت إلى المسيحيين من الأمم المعلومات والتعليم وحقائق الإيمان عن المسيحية من خلال الكرازة بالإنجيل ليكونوا على نفس المستوى الذى كان عليه المسيحيون من اليهود من حيث المعلومات والتعليم وحقائق الإيمان عن المسيحية.

ويرى المؤرخ «شاف» أن بعض الرسائل التى ينظر إليها على أنها رسائل وعظية أُرسلت للمؤمنين لتشديدهم وتشجيعهم أو لكى تعاونهم على النمو فى الحياة الروحية.

٢ ـ قراءة اجزاء من أسفار الكتاب المقدس

كانت القراءة فى العهد القديم جزءاً من العبادة اليهودية، ومنها انتقلت إلى الكنيسة المسيحية (قارن أع ١٣:١٥، ١٥: ٢١) فكانت رسائل بولس الرسول تقرأ فى أثناء الاجتماعات (تسالونيكى الأولى ٥:٢٧) وربما يكون ذلك هو الأساس لقراءات العهد الجديد التى ظهر فيما بعد. وقد أصبحت كتابات الرسل بعد وفاتهم على قدر كبير من الأهمية إذ استخدمت كتاباتهم كنوع من التعويض عن عظاتهم الشفوية، وقد استخدمت على مدى واسع.

ويرى البعض أن الاقتباسات المتعددة من كتب العهد القديم فى رسائل العهد الجديد يجعل من المستحيل عدم وجود قراءات من العهد القديم فى العبادة الجماعية فى كنيسة

العهد الجديد. وكانت العظات التى ألقاها بولس وبطرس تهدف أيضاً إلى إظهار اكتمال العهد القديم فى المسيح، إلاَّ أن تقدير أسفار الكتاب المقدس يعتبر موضوعاً آخر (تيموثاوس الثانية ٣: ١٥). وكانت القراءة فى كلمة الله المكتوبة،أولاً فى العهد القديم، ثم فى العهد الجديد تشكل جانباً من اجتماعات العبادة فى الكنيسة الأولى فى بداية تكوينها، حيث بدأت فى كل من الهيكل والمجمع، ثم مرة أخرى فى الكنيسة فى القرن الثانى الميلادى.

٣ـ الصلاة

لم يذكر العهد الجديد معلومات مفصلة عن نظام العبادة والصلوات، إلا أن الصلاة أخذت عدة أشكال من الطلبات والشكر. وهى تشبه الصلوات اليهودية، إلا أنها كانت ترفع فى ثقة الأطفال للآب الذى تم الصلح معه فى اسم المسيح، وكانت الصلاة من أجل كل الناس فى كل المستويات والظروف وحتى من أجل الأعداء والمضطهدين. وقد قرن المسيحيون الأوائل كل عمل هام، سواء فى حياتهم الخاصة أو حياتهم الجماعية بهذه العادة المقدسة، ويعظ بولس قائلاً: «صلوا بلا انقطاع» (تسالونيكى الأولى ٥: ١٧). كذلك فى الظروف الجادة قرنوا أيضاً الصوم بالصلاة، طبقاً لاحتياجاتهم وظروفهم الخاصة لتساعد فى العبادة، وكانت صلواتهم نابعة من القلب وبحرية، مقودين بالروح القدس.

وكما يقول المؤرخ «شاف» فإنه لا يوجد أثر لصلوات بعينها أو نظام محدد للعبادة، فذلك يتعارض مع الحرية التى كانت تتمتع بها الكنيسة آنذاك، ولكن فى نفس الوقت كانت هناك عدة صور للصلوات باستخدام المزامير، وصور قصيرة من الصلوات، مثل الصلاة الربانية، ربما يستدل من ذلك على عادات يهودية، من توجيهات الرب بالنسبة لنموذج الصلاة الذى قدمه (مت ٦: ٩، لو ١١: ١و٢). وأقدم صلوات مسجلة هى تلك التى ذُكرت فى كتاب «الدسقولية» أو تعاليم الرسل. وكذلك كان ثمة صلوات من أجل الحكام وهى صلوات رائعة تخالف ولا تتفق مع قساوة وعداوة كل من نيرون ودوميتيان كما جاءت فى الرسالة الأولى لكليمندس.

الحقيقة إنه لاأحد يستطيع أن يخبرنا على وجه اليقين كيف كانت الكنيسة الأولى تصلى.

لقد اكتسبت كلمة (آمين)معنًى جديداً عميقاً عندما استخدمها الرب يسوع المسيح بنفسه (انظر أيضاً كورنثوس الثانيه ١: ٢٠). واستخدمت فى العهد الجديد مرات عديدة، وربما تكون إجابة الشعب فى الصلاة، وكما كانت العبادة فى المجمع.

٤ ـ التسبيح

التسبيح أو الترنيم هو أقرب أجزاء العبادة للصلاة، حيث الاعتراف بأعمال الله وبطبيعته، إن الصلاة فى صورة شكر لله هى فى حد ذاتها تسبيح، ومعظم الصلوات التى ذُكرت فى العهد الجديد تحمل معها عنصر التسبيح. والتسبيح لله ظلت له مكانته الخاصة فى العهد الجديد. والترانيم هى شعر بهيج نُظم فى أسلوب بديع بإرشاد الروح القدس، يرتفع بالشعب إلى أعلى درجة من درجات العبادة، وقد ارتبطت هذه الترانيم مع مزامير العهد القديم، الزاخرة بالخبرة الروحية، وقد انتقلت من المجامع اليهودية إلى الكنائس المسيحية، وقد ذكر فى إنجيلى متى ومرقس أن الرب يسوع المسيح «اتكأ مع الاثنى عشر»، وبعد أن تناولوا عشاء الرب سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون »(راجع متى ٢٦: ٢٠ - ٣٠، مر ١٤: ١٧- ٢٦).

وكذلك أوصى الرسول بولس باستخدام الترانيم والتسابيح واعتبرها وسيلة للبنيان قائلاً: «مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانٍ روحية مرنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب (راجع أفسس ٥: ١٩، كورنثوس ٣: ٦).

وتوجد أيضاً فى رسائل العهد الجديد وسفر الرؤيا بعض الأجزاء التى يرى بعض الدارسين أنها إشارات إلى مقتطفات مختصرة لترانيم وتسابيح استخدمت فى العبادة(راجع أف

١٤:٥، تسالونيكى الأولى ٣: ١٦، تيموثاوس الثانية ٢: ١١-١٣، رؤ ١: ٥-٨، ٣: ٧و١٤، ٥: ٩و ١٢و١٣، ١١: ١٥و١٧و١٩، ١٥: ٤، ١٩: ٦-٨ وغيرها).

وربما كان كتاب سفر المزامير (مع الموسيقى) هو كتاب الترنيم فى الكنيسة الأولى، ولكن إذا كانت إشارة بلينى (Pliny) فى رسالته إلى تراجان (١٠: ٩٦) عن ترانيم تدور حول شخص السيد المسيح، فإنه يبدو من ذلك أن ترانيم جديدة كثيرة قد كُتبت للتسبيح.

٥ـ الاعتراف بالخطية

يأتى الاعتراف بالخطية فى قلب العبادة المسيحية، إذ أن الله السامى والمرتفع يستحق أن نعترف له بخطايانا.

إن صلوات ومزامير العهد القديم زاخرة بالاعتراف وعودة الإنسان إلى الحالة التى كان عليها قبل اقترافه الخطية، وذلك مع التسبيح والشكر لله على رحمته وغفرانه.

إن كتاب العهد الجديد، هو كلمة الله أى البشارة المفرحة للخطاة، وكانت إرسالية ومعمودية يوحنا المعمدان ومناداته بالتوبة هى التمهيد للعهد الجديد. كانت دعوة السيد المسيح هى أنه جاء ليدعو خطاة إلى التوبة، وهكذا فعل تلاميذه ورسله من بعده، وقد اعترف بطرس فى مواجهة الرب يسوع المسيح قائلاً: «إنى رجل خاطىء» (لوقا ٥ :٨) يتضح من المثل الذى ذكره الرب يسوع المسيح (أن فريسياً وعشاراً صعدا إلى الهيكل، واستجاب الله صلاة العشار الذى طلب الرحمة لأنه خاطىء، بينما لم تستجب صلاة الفريسى الذى لم يعترف بخطيته، بل مدح نفسه، لوقا ١٨: ٩-١٤).

وقد كان الاعتراف الجهارى باقتراف خطايا معينة أمراً مطلوباً لعودة الشخص بعد حرمه، وربما يتضح ذلك فى (يوحنا الأولى ١: ٨، وما بعده) وهذا الاعتراف بالخطية فى حضرة الله سواء الفردى أو فى جماعة كان أمراً مستمراً فى حياة المؤمنين. وبولس يشير مرات عديدة فى رسائله إلى اعتماده الكامل على رحمة الله، ولا يوجد دليل على صلوات بعينها للاعتراف فى عبادة العهد الجديد، وهذا الأمر يجب أن يكون مفترضاً كأساس لكل صلوات العهد الجديد، فالصلاة نفسها ينبغى أن تكون فى اسم المسيح (راجع دور المسيح ككاهن إلى الأبد وشفيع فى عبرانيين ٧).

٦ ـ الاعتراف بالإيمان (المعمودية)

فى العهد القديم بالرغم أن كلمة «شيما» استخدمت فى الأساس بمعنى «وصية»، إلا أنه استخدمت أيضاً بمعنى الاعتراف بالايمان: «الرب إلهنا رب واحد» ولهذا استخدمت العبادة فى المجمع، ولم يستخدم الاعتراف بالايمان كما هو فى المجمع بل فى الكنيسة الأولى حيث استخدموا الاعتراف بالإيمان المسيحى المتميز فى العبادة وهو «المسيح رب». فإيمان الكنيسة الأولى هو إيمان بالمسيح كمخلص وإله. وكان بطرس هو أول من أكد على تلك الحقيقة (راجع متى ١٦: ١٦). ويتكرر ذلك الأمر مرة أخرى فى اعتراف توما «ربى وإلهى» (راجع يو ٢٠ :٢٨) وقد كتب إنجيل يوحنا لهذا الغرض «لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو ٢٠: ٣١). ولهذا فإن عمل الروح القدس فى المسيحيين هو التأكيد على أن «يسوع المسيح هو رب» (فى ٢ :١١) وعلى هذا الاعتقاد تأسس الاعتراف بالإله المثلث الأقانيم (مت ٢٨: ١٩).

ويتم الاعتراف فى الكنيسة بالتحديد عند العماد، حيث يتم العماد على اسم يسوع المسيح (أع ٢: ٣٨) وقد اعترف الخصى الحبشى بالرب (راجع أع ٨: ٣٧) وكرنيليوس اعتمد باسم الرب (أع ١٠: ٤٨) وكذلك اعتمد حافظ السجن فى فيلبى بعدما آمن واعترف بالرب يسوع المسيح (أع ١٦: ٣-٣٤)، وتوجد دلائل من عصور تالية فى الكنيسة تؤكد على نفس الممارسة (يوستينوس. والدفاع ١، ٦١ وغيرها) فالاعتراف قبل العماد كان دائماً يتم فى صورة استفهامية، ثم كان العماد فى اسم الله المثلث الأقانيم، وسواء كان ثمة

اعتراف محدد للإيمان فى العبادة المعتادة أم لا فإن الأمر مازال محلاً للنقاش، والعهد الجديد لا يقدم مثالاً على ذلك. كانت المعمودية نفسها جزءاً عادياً من أجزاء العبادة إذ كانت سائدة منذ عهد يوحنا المعمدان، وأوصى بها يسوع، وكانت مطلوبة من أجل اعتراف الشخص أمام الكنيسة، فكانت تتضمن فى جوهرها الاعتراف بالإيمان والتوبة، وقد مورس الاعتراف بالإيمان فى مختلف الظروف وبتعبيرات كثيرة متنوعة، وقد اكتسب معالمه من تلك الظروف المتغيرة. كانت معمودية المتجددين هى محل اهتمام شعب الكنيسة كله. فالاعتراف الجوهرى للمعمودية هو اعتراف بعمل الله الخلاصي فى موت المسيح وقيامته إلا أنها كانت تعد فرصة أيضاً لتأكيد الإيمان لشعب الكنيسة كله من المؤمنين الحاضرين.

٧ ـ عشاء الرب

إذا كانت المعمودية إضافة للعبادة فى المجمع وإن كانت لا تخلو من تشابه مع معمودية الدخلاء، فهذا ما ينطبق أيضاً على عشاء الرب، فإن الدلائل الكتابية ومن تاريخ الآباء تؤكد أن عشاء الرب كان جزءاً أساسيا من العبادة الأسبوعية منذ البداية.

وفى عصر يوستينوس لم يكن ثمة فصل بين خدمة الكلمة وخدمة عشاء الرب، والأمثلة فى ترواس وكورنثوس تفترض ذلك، مع الاختلاف فى الزمن والبناء، ونفس التطبيقات فى العهد الجديد أيضاً، وما يجعل الشعب يلتف ويجتمع معا لا للصلاة والتسبيح والقراءة فى الكتاب المقدس والوعظ فحسب، بل أيضاً من أجل الوليمة المقدسة، والتى كانت على الأرجح قد اقترنت بالبركات (انظر تعاليم الرسل : ٩-١٠).

وكما كان الفصح، هكذا حدث عشاء الرب، وفى الحقيقة لا الفصح فحسب وإنما تقدمة القرابين فى الهيكل أيضاً، ولذلك نجد أن لغة الذبيحة والتقدمة قد استخدمت فيما يتعلق بذلك (ملا١:١١). إلا أن ذلك لا يعد استبدالاً أو إحلالاً كاملاً. إن عشاء الرب يظهر الذبيحة الواحدة التى رُفعت من أجل الخطايا مرة واحدة وإلى الأبد، فالمسيح ككاهن قد رفع من شأن الخدمة المقدسة. فالنقطة الجوهرية هى إعلان موت السيد المسيح وقيامته من أجل الجنس البشرى، وهذا هو أساس الشركة التى يتمتع بها المؤمنون مع الله. وفى النهاية، فإن عشاء الرب مؤسس على شخص الرب يسوع وبالحرى عن المفهوم الضيق للعبادة فى العهد القديم. إن لعشاء الرب مكانته ومغزاه فى العبادة الكنسية تتركز دائماً بأن العبادة ممكنة فقط على أساس الكفارة التى قدمها الله بواسطة ابنه.

٨ ـ جمع العطايا

توجد إشارة إلى جمع العطاء أسبوعياً فى(كورنثوس الأولى ١٦) كما فى (فى ٤: ١٨) وقد ذكر الآباء فى كتاباتهم أيضاً عن العطاء والتقدمة، مما يوضح كيف أن ذلك شكل عنصراً أساسياً فى العبادة الكنسية. ولكن تعترضنا هنا بعض المشاكل، لأن بولس لم يكن يتكلم عن «عطاء الكنيسة» عندما تحدث عن جمع الصدقات لإرسالها إلى أورشليم فربما يكون ذلك مجرد مشروع خاص (لكنه لقى نجاحاً سريعاً بإعانة كثيرين من الفقراء) إلا أن ترتليانوس يشير إلى صندوق لجمع العطايا فحسب (الدفاع ٣٩:١-٦) ولكن بعض الباحثين يرون أن ترتليانوس كان يشير إلى تقدمات الخبز والخمر من أجل عشاء الرب، إلا أن هذا الأمر ليس واضحاً فى الكنيسة الأولى، ولكن من ناحية أخرى، يجب أن نراعى أن العطايا والتقدمات كان لها تاريخ طويل فى العهد القديم. وأهمية السخاء كجزء من خدمة الله.

٩ـ خدمات المناسبات

إنه لأمر معروف أنه لم تُذكر خدمات خاصة بحفل الزواج أو الصلاة على الموتى فى العهد الجديد، على أنه يجب أن نتذكر أن مثل هذه الخدمات هى تطبيق فقط للعناصر الرئيسية التى تتألف منها العبادة وهى: الصلاة، والتسبيح، والقراءة

فى الكتاب المقدس، والتفسير والوعظ، وعشاء الرب متى كان مناسباً. وقد ذكر العهد الجديد مناسبات معينة، حددها الرسل كما يشير الكتاب «أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب» (يعقوب ٥ : ١٤) وقد استخدمت فى تلك المناسبات عناصر ليتورجية، وهذا لا يعنى أن هناك خدمات متطورة لتثبيت المؤمنين، إلا أنها تبين- ببساطة أنه كان ثمة تواؤم وتكيف سريع مع الحاجات الأساسية، أحياناً مع علامة خاصة، كما حدث فى أنطاكية، عند إفراز برنابا وشاول للخدمة الكرازية (راجع أع ١٣ : ٢ و٣).

✣ ✣ ✣ ✣

٢- العبادة المسيحية فى القرنين الثالث والرابع

كانت العبادة المسيحية بسيطة فى القرنين الثالث والرابع إذ يتوقع ذلك من الظروف التى كانت قائمة فى فترة الاضطهاد، وهذا على عكس ما كان عليه المجتمع اليونانى، والمجتمع الرومانى، من مظاهر الترف والأبهة فى تلك الفترة. إلا أن المجتمع المسيحى كان مجتمعاً تقوياً.

أماكن العبادة

حتى نهاية القرن الثانى كان المسيحيون يعقدون اجتماعات للعبادة فى بيوتهم الخاصة، أو فى الأماكن المهجورة، أو فى مدافن الشهداء، أو فى سراديب المدافن تحت الأرض. وكان ذلك يرجع إما لفقرهم، أو لاضطهادهم، ومطاردتهم أو لحبهم للخلود إلى السكينة والعزلة. هذا فضلاً عن مقتهم الشديد لكل أشكال العبادة الوثنية التى كانت تتم فى هياكل. مما جعل بعض الآباء المدافعين يؤكدون مرات عديدة على أنه ليس لاجتماعات الإخوة هياكل أو مذابح (بما تحمله هذه الكلمات من دلالات وثنية) وأن عبادتهم روحية ومستقلة فى الأماكن، كما فى نظام العبادة، وقد ألقى بعض الوثنيين باللائمة عليهم، ومنهم سلسوس(أو كلسوس) Celsus الذى قال: «إن ذلك أمر يرجع إليهم» إلا أن القديس أوريجانوس أجاب عليهم فى حصافة قائلا: «إن البشر خليقة المسيح هم أسمى هيكل وأفضل صورة جميلة لله، وأن المسيحيين الحقيقيين هم هياكل حية للروح القدس. وهم لا يمكن مقارنتهم بجوبيتر أو زيوس». وكذلك قال يوستينوس الشهيد للوالى الرومانى: «إن المسيحيين يجتمعون فى أى مكان ملائم لأن إلههم ليس مثل سائر آلهة الوثنيين مقيداً بمكان، فالله فى المسيحية موجود فى كل مكان، ولكننا لانراه بالعين» وقد واجه القديس كليمندس الاسكندرى خرافة أن الديانة لابد أن ترتبط بمبنى (شاف: الجزء الثانى).

كانت إحدى حجرات البيت تُعَدُّ إعداداً جيداً للعبادة، ولوليمة المحبة، وكانت الحجرات مستطيلة الشكل وهو ما لم يكن معروفاً عند الرومانيين أو اليونانيين. وكان يوجد بها غالباً مشكاة غير نافذة على شكل نصف دائرة، وكان يستخدم كرسى مرتفع (أى دَرَج) لقراءة الكتاب المقدس وإلقاء العظة كما كانت توجد منضدة بسيطة للعشاء الربانى، ونفس هذه الإعدادات فى القبور، كانت تأخذ شكل كنيسة تحت الأرض.

تخصيص أماكن للعبادة

وفى عهد ترتليانوس توجد أول آثار لتخصيص بيوت للعبادة، حيث كان يتكلم عن الذهاب إلى الكنيسة، وفى نحو عامى ٢٣٠م أعطى الكسندر ساويرس ALexander Severus الحق فى تخصيص مكان للعبادة فى روما و ذلك ضد المعترضين من أصحاب الحانات، وذلك لأنه رأى أن عبادة الله فى أى شكل كانت أفضل من الذهاب إلى الحانات.

وفى منتصف القرن الثالث، أصبح بناء الكنائس يتم بجدية كبيرة بعد نحو أربعين سنة من الهدوء النسبي (٢٦٠-٣٠٣) ويفترض أنه مع بداية القرن الرابع كان يوجد نحو أكثر من أربعين كنيسة، ولكننا لانعرف شيئاً عن تنظيمها. لقد بدأ عصر العمارة الكنسية فى عصر قسطنطين الكبير، وأول

نموذج لها هو الكنائس ذات الشكل المستطيل، وقد وضع الإمبراطور بنفسه النموذج الخاص بها، وبنى كنائس ضخمة فى كل من أورشليم، وبيت لحم، والقسطنطينية والتى خضعت لتغييرات كثيرة (راجع فن العمارة الكنسية فى موضعها من هذا المجلد)، وقد أعطانا يوسابيوس المؤرخ والمعاصر له أول فكرة عن الكنائس الضخمة التى بناها بولينوس Paulinus فى مدينة صور فيما بين سنتى٣١٣ - ٣٢٢ م، حيث اشتملت على رواق متسع عند المدخل الخارجى المربع الشكل، تحيط به صفوف من الأعمدة، ويوجد فى منتصف ذلك المدخل نافورة، وذلك حيث جرت العادة لغسل الأيدى والأرجل قبل دخول الكنيسة، ثم رواق داخلى وصحن الكنيسة، مع مقصورات تعلو الممرات الجانبية، ومغطاة بسقف من أرز لبنان، ثم المذبح المقدس، كذلك يذكر سابيوس العروش للأساقفة، والشيوخ، وأرائك ومقاعد. كانت الكنيسة محاطة بردهات تحيطها الأسوار التى يمكن تتبع آثار لها فى مدينة صور المتهدمة، حيث توجد بقايا لخمسة أعمدة من الجرانيت لهذا البناء.

لقد ذكر فى تعاليم الرسل وصف لتنظيم الكنيسة على النحو التالى:

«إن رجال الإكليروس يشغلون أقصى الطرف الشرقى من الكنيسة» (فى وسط جوقة التسبيح)، والشعب يشغلون صحن الكنيسة، ولكنه لايذكر أى حواجز بينهما، إذ ظهرت تلك الحواجز مع بداية القرن الرابع حيث مُنع العلمانيون من دخول المنطقة المحيطة بالمذبح.



الباب الرابع

الفصل الثالث

الممارسات فى الكنيسة الأولى

العقائد الرئيسية فى المسيحية فى العصور الأولى

ا- العشاء الربانى(الافخارستيا) فى فكر الآباء.

ب- المعمودية عند الآباء.

جـ- يوم الرب.

د- الصوم والعطاء(الصدقة).

(ا) العشاء الربانى (الافخارستيا) فى فكر الآباء

يقول شاف(Shaf) عن العشاء الربانى «إن الرب يسوع المسيح نفسه قد أسسه فى ظروف بالغة الصعوبة، وذلك عندما اقترب موعد تقديم نفسه ذبيحة لخلاص العالم»(شاف-الجزء الأول).إنه المناسبة التى فيها نقدم الشكر لله- فالكلمة اليونانية افخارستيا تعنى الشكر- متذكرين موته الكفارى، وهى المناسبة التى يتم فيها الاتحاد الحى للمؤمنين معه، والشركة بين المؤمنين بعضهم وبعض. وكما كان يشير الفصح إلى الذكرى الحية للخلاص المعجزى من أرض العبودية، وفى نفس الوقت إلى حمل الله. وأعمق سر فى المسيحية يتجسد دائما أمامنا فى العشاء الربانى حيث تُرسم قصة الصليب أمامنا. ومع أن المسيح جالس عن يمين الله فى الأعالى، لكنه حاضر فعلاً فى كنيسته إلى نهاية العالم، فهو الخبز النازل من السماء، لكل من يمتحن نفسه بتدقيق، ويتقدم معترفاً بجوعه وعطشه للوليمة السماوية. ولذلك فإن شركة العشاء الربانى تأتى دائما فى أعمق مكان من العبادة المسيحية. وثمة تعبير مسيحى آخر وهو «كسر الخبز» «Fraction Panis» وقد استخدمه القديس لوقا فى وصفه للعشاء الأخير الذى أقامه الرب يسوع المسيح (لوقا٢٢:١٩، أعمال الرسل ٢: ٤٢ و٤٦).

ويعتقد شاف أنه فى العصر الرسولى كان يتم الاحتفال يومياً بالعشاء الربانى، وكان يُقدم مع وليمة محبة(Agape)

بسيطة تعبر عن المحبة الأخوية والتى من خلالها ينسى المسيحيون فى شركتهم مع فاديهم كل الفروق التى بين المؤمنين بعضهم، ومن مكانة اجتماعية أو جاه أو غنى أو ثقافة، ويشعر كل واحد منهم أنه عضو فى عائلة الله. ولكن أصبحت وليمة المحبة البسيطة، التى تعبر عن الوحدة بين الإخوة، أمراً صعباً مع نمو الكنيسة وازدياد عدد أعضائها. حيث أن هناك من أساءوا استخدامها. يرتبط العشاء الربانى بيوم الأحد. «الصلة وثيقة بين الأفخارستيا ويوم الرب-يوم الأحد هذا يوم قيامة المسيح من الموت، وإعلانه عن الحياة الجديدة. فصار هذا فى الكنيسة يوم الافخارستيا». (د. وليم سليمان قلادة: تعاليم الرسل-الدسقولية). ولارتباط العشاء الربانى بيوم الأحد يستنتج بعض الباحثين أن ممارسة العشاء الربانى كانت تتم فى يوم الأحد فحسب، فى الكنيسة الأولى.

إن يوم السبت هو يوم الراحة الذى يذكرنا بخلق الله للعالم، والخلود إلى الراحة يعنى الانتهاء من الخلق واكتماله. وقيامة الرب يسوع المسيح من بين الأموات فى يوم الأحد لها دلالة هامة، إذ تأتى قيامته بعد انقضاء أيام الأسبوع، فيوم الأحد إذن هو اليوم الثامن، أى اليوم الأول فى الدهر الجديد. حيث أكمل السيد المسيح عمله الخلاصى بموته على الصليب ثم بقيامته. «من هنا فإن اليوم الثامن يوضع فى مقابل الأسبوع. ويكون الأسبوع جزءاً من الزمن الحاضر. أما اليوم الثامن فهو خارجه. الأسبوع يتكون من تعاقب الأيام، أما اليوم الثامن فليس من يوم يأتى بعده. إنه اليوم الأخير» (د. وليم سليمان قلادة: تعاليم الرسل-الدسقولية).

إن الرسول بولس يطلب أن يعد المسيحيون أنفسهم للعشاء الربانى بأن يمتحن الإنسان نفسه (راجع كورنثوس الأولى ١١:٢٨). أى أنه كان على المؤمنين أن يفحصوا أنفسهم فحصاً دقيقاً، وفيما يتعلق بالإيمان والتوبة، حتى بدلاً من أن ينالوا بركة من المسيح، يأخذون دينونة (راجع كورنثوس الأولى ١١:٢٩). وهذا التحذير هو السبب فى الممارسات الكنسية التى تتم استعداداً للعشاء الربانى.

ومع مرور الوقت أصبحت وليمة المحبة-التى تسبق دائما العشاء الربانى- محل اعتراض شديد، لذا انفصلت شيئاً فشيئاً عن العشاء الربانى، وقد اختفت تماماً خلال القرنين الثانى والثالث.

ويذكر آ. هامان (A.Hamman) فى موسوعة تاريخ الكنيسة أن القديس اغناطيوس يستخدم عبارة «العشاء الربانى» كتعبير فى كتاباته(Eph.13,1 ; phil.4 ; Smyrn.7,1 ; 8 ,1) ولعله يستخدم أيضا عبارة «وليمة محبة» مقترنة بالمعمودية (Smynn8,2). أما القديس يوستينوس(يوستين) فيستخدم عبارة «العشاء الربانى» بمعنى صلاة، ويستخدمها أيضاً بمعنى طعام، وكذلك يستخدم تعبير «للذكرى»(Dial 41,1; 70, 4; 117, 3) وكذلك يكررها أحيانا القديس يوحنا ذهبى الفم.

وقد استخدمت الكنيسة اليونانية فى القرن الرابع تعبير الأسرار(Mysteyion) بصيغة الجمع ولا سيما عبارة الأسرار المقدسة وباللاتينية «Mysteria» وترجمت أيضا (Sacramenta) واستخدمها كل من كبريانوس وترتليانس وأمبروزيوس، وأغسطينوس.

فى القرون الأولى للمسيحية كان «كسر الخبز» جزءاً أساسياً من العبادة- كما سبق القول- فكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات»(أعمال الرسل ٢:٤٢). ويبدو أن كسر الخبز ارتبط بالوجبة التى تناولها المسيح المقام حيث أخذ خبزاً وبارك وكسر(لوقا٢٤: ٣٠). وارتبط كسر الخبز بالعشاء الأخير للمسيح مع تلاميذه، بالفرح بقيامته، حتى أن القديس بولس قال عن هذه المناسبة «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ»(كورنثوس الأولى١١:٢٦).

يأخذ موضوع «العشاء الربانى» مكاناً رئيسياً فى رسائل

القديس اغناطيوس، حيث يرتبط العشاء الربانى بالصلاة. (Eph.5,2;b13,1;20,2;Magn.7,1-2;phil;1-4;Smyrn.7,1; 8,1-2)

أما القديس يوستينوس فيقدم لنا أول شرح للعشاء الربانى فى علاقته بالمعمودية وبيوم الأحد(1Apol.65 and 67) «تُقرأ الفصول التى كتبها الرسل والأنبياء»، ومن يقوم بالصلاة يلقى العظة، ويحضر الخبز والخمر المزوجة بالمياه، ثم يصلى صلاة الشكر التى للتكريس. ويجيب كل المصلين: آمين. ويتم توزيع العشاء الربانى بدون نسيان من لم يحضروا. إن عشاء الرب الذى يقدم الأحد هو ذكر لكل التاريخ، منذ الخلق وحتى إتمام الخلاص.

أما بالنسبة للقديس إيريناوس(توفى سنة ٢٠٠م) فيأتى العشاء الربانى فى قلب رؤيته للعالم والتاريخ، مناقضاً النظريات الغنوسية، بديناميكية ما يحمله العشاء الربانى من أسرار. فالخبز والخمر لم يخلُصا ،بل يُخلِّصا أيضا، وهى دائرة من نعمة المسيح وجسده ودمه. أو بالحرى، سر كل تاريخ الخلاص، أو كما يعبر عنها ايريناوس «التدبير». فالعشاء الربانى هو تحقيق لكل التاريخ الطويل لكل العطايا الروحية التى قدمت على الأرض فى المسيح(Adv. haer.iv,17-18). وقد تكرر الحديث عن مكانة العشاء الربانى فى «أعمال الشهداء»، وذلك لإبراز أن الاستشهاد هو طريق الآلام المؤدى إلى المجد، وقد كتب ذلك كل من أغناطيوس وبوليكاربوس (Ignatius,poly carp,martyrs of Lyons).

وقدم قدم القديس كبريانوس أول تعليق واضح عن العشاء الربانى. فقد ربط بين العشاء الربانى وآلام المسيح وقيامته بالإضافة إلى النشوة الروحية والفرح الروحى. وهو يرى أن كل ذلك متضمن فى المسيح، فيرى فى ذلك درساً للوحدة. وذلك من خلال الرمز، كما جاء فى الدسقولية. حيث تتحد حَبَّات القمح معاً لتكوِّن خبزاً واحداً.

العصر الذهبى للآبائيات هو عصر الليتورجيات العظيمة، فى الشرق وفى الغرب. حيث نشأت الليتورجيات وتطورت فى كل من كنائس أنطاكية وإسكندرية والقسطنطينية. وشيئاً فشيئاً أصبحت لكل كنيسة الليتورجية الخاصة بها.

فقد قدمت الكنيسة فى الشرق «السر» فى القرن الرابع. فالليتورجية السريانية(والبيزنطية التى نبعت منها، قد أكدتا على الصلاة من أجل حلول الروح القدس، والصلاة من أجل طلب حلول الروح القدس والشفاعة، قد تغيرت من عائلة لأخرى من الكنائس. أما فى الغرب قد نزعوا إلى عدم الربط بين الجزء الخاص بالوعظ وصلاة الشكر وتمجيد الله فى العشاء الربانى والعقيدة، وكما تتضمن الكلمة فإنها تعنى أنه تم تنظيمها مرة واحدة ولكل الكنائس.

إن معلوماتنا عن تعاليم الآباء والخاصة «بالأسرار» تأتى من التعليم الخاص بالمعمودية بالأحرى عن كوننا نعرفها من خلال الاعتراضات التى واجهتها (والتى هى فعلياً غير موجودة).

إن الآباء يشرحون مختلف الطقوس المرتبطة بالعشاء الربانى، من صلوات وإعداد للشركة المقدسة، شركة العشاء الربانى وصلاة الشكر. وهم يؤمنون أن العشاء الربانى هو الفداء. السر الذى يتضمن تدبير لكل عمل الفداء والخلاص والذى أتمه المسيح، من الموت وحتى القيامة.إن بعض آباء كنيسة أنطاكية مثل ثيودورس الموبسوستى- لا يهتمون بالرموز الكتابية.

ويرى القديس يوحنا ذهبى الفم والقديس أغسطينوس أن سر الافخارستيا قد تأسس مع مذبح الرب، إنه السر الذى تسلمتوه والذى تجيبون عليه «بآمين»(Aug.,Serm.272) ويوضح ذهبى الفم النتائج الاجتماعية والملموسة لعشاء الرب فيقول: «إن المذبح قائم على أعضاء المسيح وخاصته، وجسد الرب هو لكم أساس الذبيحة»(John Chrys.,in2

.(cor.hom20,3)

ويذكر شاف النظريات المختلفة والتى تعرّف العشاء الربانى على أنه:

١- ذكر لذبيحة المسيح الكفارية على الصليب.

٢- وليمة اتحاد حى بين المؤمنين والمخلص وبواسطتها يقبلون المسيح روحياً وبالإيمان، ويتغذون بحياته إلى الحياة الأبدية.

٣- شركة المؤمنين بعضهم وبعض كأعضاء فى جسد المسيح السرى الواحد.

٤- ذبيحة شكر نقدمها ونخدم بها المسيح الذى مات من أجلنا، وحيث ينبغى أن نعيش من أجله.

إنه لمن نعمة الله أن بركة العشاء الربانى لا تتوقف على فهمنا وتفسيراتنا المختلفة للعبارات التى أسس بها الرب يسوع المسيح العشاء الربانى.

بل على وعد الرب يسوع وعلى الإيمان الذى يشبه إيمان الأطفال. وعلى ذلك فإن المسيحيين من مختلف الطوائف، ومختلف الآراء يمكنهم أن يجتمعوا حول مائدة إلههم ومخلصهم ويشعرون بالوحدة معه وفيه.

(ب) المعمودية عند الآباء

١- معمودية الكبار.
٢- الاعتراضات على إعادة المعمودية.
٣- المعمودية بالرش.
٤- معمودية الأطفال.

(أ) معمودية الكبار

لم يكن منشأ المعمودية فى المسيحية، فقد عُرفت المعمودية ومارستها جماعات عديدة قبل زمن السيد المسيح، فمارسها اليهود لقبول الدخلاء. ويذكر أ.هامان (A.Hamman) أن المعمودية عند الآباء كانت تتم بالتغطيس. وباختصارفإن المعمودية فى المسيحية تشير إلى المراحل التى كانت تتم لطالب المعمودية. حيث كان يقطع كل صلته بالخطية، وينتقل - من خلال الإيمان - إلى علاقة جديدة. بالله المثلث الأقانيم. (موسوعة الكنيسة الأولى).

إن أول معلومات محددة عن المعمودية نجدها فى سفر أعمال الرسل(٨:٣٧)، وفى تعاليم الرسل(Didache)، وفى كتابات يوستينوس الشهيد(ضد الهرطقات١:٦٣)، وهى المرة الأولى التى يذكر فيها طقس المعمودية (الطقس الآبائى٢١ وقد أكدت ذلك مخطوطة ڤيرونا). ولكن بعض الآباء الأولين مثل ايريناوس وأوريجانوس تناولوا موضوع المعمودية لاهوتياً بالحرى بأكثر مما تناولوه طقسياً.

ويبدو أن طقس المعمودية قد أصبح معترفاً به من الجميع بحلول القرن الرابع الميلادى. ومعظم الآباء مثل القديسين، كيرلس الأورشليمى، يوحنا ذهبى الفم، أمبروزيوس، أغسطينوس، وتيودوروس الموبسوستى يقدمون لنا تعليماً عقائدياً وطقسياً معاً. ويرى هامان أن هذا يساعدنا على أن نصف تطورها وتوضيح ما هو عادى أو غير عادى للطقوس العديدة فى العصر الذهبى للآبائيات .وأول كل شئ يجب أن نوضحه هو أن المعمودية ليست عملاً سحرياً.

فالإيمان شرط لفاعليتها وتأثيرها وتبدأ فعالية المعمودية بجحد الشيطان والاعتراف بالإيمان المسيحى(موسوعة الكنيسة الأولى).

ويقوم طالب المعمودية بالإجابة عن ثلاثة أسئلة عن (الشيطان والغواية والأعمال. ترتليانوس). وهذا غير مذكور فى النسخة اللاتينية، بل يبدو أنه انعكاس لتقليد شرقى. ويبدو أن الصياغة المستخدمة للمفرد تدل على الممارسة الفردية.

كان القديسان كيرلس وايزيدور يمهدان للمعمودية بالمسح بالزيت. فكانا يقومان بمسح كل أجزاء الجسد بالزيت (وقد كان القدماء يغطون أجسادهم بالزيت قبل الاغتسال لحمايتها). وكان يبارك الزيتَ الأسقفُ-إذا كان موجوداً-أو الكاهن. كما يذكر القديس امبروزيوس ذلك. وكان المسح بالزيت لتشجيع طالب المعمودية فى حربه ضد العدو(الشيطان). وجدير بالملاحظة أن الكنيسة السريانية لم تعرف المسح بالزيت قبل المعمودية قبل القرن الخامس.

كانت المعمودية فى **الغرب** تتم بأن طالب المعمودية ينزل إلى جرن المعمودية حتى خصره. وكان الماء يسكب عليه.

ويأتى ذكر سكب الماء فى الدسقولية أو تعاليم الرسل(١:٧) ثم يأتى الاعتراف بالآب والابن والروح القدس(ويذكر ذلك كل من ترتليانوس وهيبوليتس) كما يذكر ثيودورس فى كتابه(Hom.Cat.14,16) الصياغة (N) حيث تتم المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس، وهذا ما يذكره أيضا القديس ذهبى الفم فى كتاب: (Catech bab. 2:26) ،وكذلك الطقوس السريانية المتأخرة.

والتفاصيل الطقسية للمعمودية توضح أنه فى الكنيسة السريانية كان التأكيد على الدور الأساسى الذى كان يتم فى المعمودية تشبهاً بالسيد المسيح. فالمعمودية هى موت وقيامة، وهى بذلك تعنى المشاركة فى الفصح، من الآلام وحتى القيامة. إنه الخروج الجديد، عبور البحر الأحمر والأردن ودخول أرض الموعد. فمياه المعمودية هى بمثابة القبر أو رحم الأم كما يقول القديس كيرلس(Cat 20,4).

فالانغمار فى المياه يذكِّر بأمومة الكنيسة. وهذا الكلام يرد فى التعليم عن المعمودية كما قال زينون(Zeno) الذى مسقط رأسه فيرونا بإيطاليا: «الكنيسة هى حواء الجديدة، التى أصبحت أم كل حى».

ويميز القديس ترتليانوس بين المسح بالزيت، ورسم علامة الصليب على جبهة الرأس، ووضع اليد أو الأيادى. والنصوص اللاتينية لا تذكر ما يساعدنا على معرفة موضوع التثبيت.

والقديس ثيودورس يتكلم عن نوعين من رسم إشارة الصليب؛ قبل المعمودية وبعدها. ولكن لا يذكر شيئاً عن الزيت العطرى(Hom.14,27).

ويبدو أن القديس أغسطينوس يفرق بين المسح بالزيت ووضع اليد. وهنا تظهر مسألة الميرون، أى المسح بالزيت المقدس، فهل يتم المسح بالزيت في اسم الروح القدس أم فى اسم الثالوث (Cyril:cat.21,3 Theodore:Catech bap 3,8.).

وفى الشرق، منذ القرن الرابع، فإن الميرون يصلى عليه الأسقف ويقول: «ختم هبة الروح القدس»، ويفهم منه أنه يعنى هبة الروح القدس(Cyril:Cat 21)

وبعد المعمودية يرتدى المبتدئ فى الإيمان رداءً أبيض، وإن كان يبدو أن هيبولتيس لا يعرف عنه شيئا.

وقد أصبح ذلك الرداء الأبيض شائعاً فى الشرق والغرب خلال القرن الرابع(Cyril : cat 22,8). وذلك الرداء الأبيض يرمز إلى نقاوة القلب، وعدم فساد الجسد. ويرى الآباء فى ذلك استرداداً للحالة التى كان عليها الإنسان فى جنة عدن(ويقول بذلك كل من امبروزيوس وغريغوريوس). والتشبه بالمسيح المتجلى يعد علامة أخروية (ثيودورس) (Theodore: Catech. 14,26) وقد أضاف إليه الغرب «النور» فى القرن الخامس، كما أضاف الشرق «التاج»، وربما يرجع ذلك إلى تقليد يهودى-مسيحى.

٣- الاعتراضات على إعادة المعمودية

إن الانقسام الذى أحدثه نوڤاتيان(Novatian) (وتذكره بعض المراجع نوڤاتوس/أونوڤاتيانوس) أبرز سؤالا هاماً، وهو هل يعيد من اعتمدوا على يد نوڤاتيان المعمودية مرة أخرى

إذا عادوا إلى الكنيسة مرة أخرى(يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ٦:٤٣). وكانت هذه بداية الاعتراضات على المعمودية(٢٥٥م-٢٥٧م). إذ قام أتباع نوفاتيان بإعادة المعمودية لكل من انتقل إليهم من الكنيسة(يوسابيوس المرجع السابق٨:٨، وكبريانوس (Ep. 4:32). وقد سأل شخص يدعى ماجنوس(Magnus) القديس كبريانوس عمَّا إذا كان الأشخاص الذين رجعوا من أتباع نوفاتيان يجب أن يعتمدوا مرة أخرى فى الكنيسة. وقد أجاب القديس كبريانوس على ذلك فى الرسالة رقم (٦٩) إلى ماجنوس(سنة٢٥٥م) قائلاً: «**حيث أن الهراطقة لا سلطة لهم لأن يقوموا بالتعميد، فإن تعميد من تحولوا عن الهرطقة لا تعتبر المعمودية الثانية بالنسبة لهم، بل المعمودية الأولى**». وهذا الرأى مبنى على أساس أن المعمودية غير موجودة فى ذاتها حيث أنه لا تعتبر أى معمودية خارج الكنيسة(راجع كبريانوس الوحدة ١١، ضد نوفاتيان). ويرى دوسيمون(De simone)أن كبريانوس ارتكب خطأً عندما ربط بين صحة الطقس واستقامة من يقوم بممارسته. وقد أرسل كبريانوس سؤالاً مشابهاً إلى ثمانية عشر أسقفاً من نوميديا (Numidia) المشاركين فى المجمع الخامس المنعقد بقرطاجنة(وهو المجمع الأول الذى ناقش أموراً خاصة بالمعمودية (PL3,1035-1044) وذلك فى ربيع سنة(٢٥٥م) (كبريانوس الرسالة رقم٧٠) وجاء فيها:

"لا أحد يمكن أن يعتمد خارج الكنيسة. (المرجع السابق١). ولم يوافق الأسقف كونتوس (Quintos) ممثل موريتانيا على ذلك، وقال لكبريانوس إنه وزملاءه كانوا على علم بصحة المعمودية التى كان يقوم بها الهراطقة. وقد رد كبريانوس على كونتوس قائلاً:

«يجب ألا يحتكم المرء إلى العُرف بل إلى العقل للتغلب على المشاكل» وقد احتكم إلى سلفه على كرسى أغريبيوس(Agrippinus)، وإلى مجمع قرطاجنة الأول (وكان قد عُقد فى سنة ٢٢٠م) الذى قرر أن معمودية الهراطقة غير صحيحة (كبريانوس الرسالة رقم ٢٤:١٧) الرسالة رقم ٣:٧٢).

وفى ربيع عام (٢٥٦م) اجتمع الأساقفة ممثلو أفريقيا ونوميديا فى المجمع السادس بقرطاجنة(المجمع الثانى الذى ناقش ما يختص بالمعمودية). (P13,1044-1050) والذى أكد على ما سبق أن قرره المجمع الخامس. وقد وصل الأمر إلى البابا استفانوس عن طريق رسالة كتبها القديس كبريانوس وأرسلها المجمع إلى البابا(الرسالة رقم ٧٢ إلى استفانوس سنة ٢٥٦). وقد جاء فيها: «إننا لا نرغب فى سَن أى قانون، لأن كل أسقف مسئول أمام الله عن أعماله» (المرجع السابق٣) فى حين فُقدت رسالة البابا، ويبدو أنه هددً بالحرم(كبريانوس رسالة رقم ٢٤:٧٥، من فرمليانوس (Firmilian) إلى كبريانوس، سنة ٢٥٦م).

لقد رفض البابا أن يستقبل وفداً من قِبَل البابا فى أفريقيا (المرجع السابق٢٥). وفى الرسالة رقم ٧٣ إلى يوبايانوس(Jubaianus) فى سنة ٢٥٦م ذكر أن كبريانوس رأى أن ممارسة أتباع نوفاتيان لإعادة المعمودية لاعلاقة لها بالمعمودية الجديدة فى الكنيسة، لأن نوفاتيان ربط بين أن يعتمد الشخص معمودية واحدة وأن يقوم هو بها (أو أتباعه)، وهو فى ذلك إنما يقوم بمحاكاة ما فعلته الكنيسة(المرجع السابق-٢).

وفى(١سبتمبر سنة ٢٥٦م) نجح كبريانوس فى ضم كل الأساقفة من الأفارقة إلى صفه: وقد حصل على رضى الأساقفة بالإجماع فى المجمع السابع والذى عقد بقرطاجنة. (وهو المجمع الثالث الذى يناقش موضوع المعمودية (P1 3: 1051-1078) وقد صرح البابا استفانوس: «إنه يجب وضع الأيادى فحسب- علامة على التوبة- على رأس من يرجع عن الهرطقة (كبريانوس رسالة رقم ١:٧٤). ولم يقتصر ما فعله البابا

استفانوس- فيما يتعلق بالمعمودية التى يقوم بها الهراطقة- على شمالى أفريقيا. فقد كتب للكنائس فى أسيا الصغرى، أى كنائس كيليكية وكبادوكية وغلاطية وإلى المناطق المجاورة. طالباً منهم التخلص من ممارسة إعادة المعمودية وهدد بالحرم (رسالة رقم٧٥: ١٨، ويوسابيوس تاريخ الكنيسة ٧: ٥: ٤-٥). وقد أيّد فرمليانوس أسقف قيصرية فى كبادوكية رأى القديس كبريانوس وألقى باللوم على البابا استفانوس للتفرقة بين روما والشرق (كبريانوس رسالة ٧٠). وقد احتكم البابا استفانوس بإنجيل متى (١٦: ١٨). فانتهى الأمر على نحو غير متوقع، وذلك بموت البابا استفانوس وذلك فى سنة ٢٥٧م، واستشهاد القديس كبريانوس فى ١٤ سبتمبر ٢٥٨م.

وقد عمل القديس ديونسيوس السكندرى على استرضاء الأطراف المتصارعة (راجع يوسابيوس- مرجع سابق ٧ : ٣-٦، ٧: ٩: ١و٦). وقد بحث مجمع أريس (Aries) فى سنة (٣١٤م) موضوع المعمودية التى يجريها الهراطقة وأجازها (قانون٩و٨) ويونسيوس١٢٣). وقد تناقص إجراء إعادة المعمودية فى أفريقيا والفضل فى ذلك يرجع إلى القديس أغسطينوس وموقفه ضد أتباع دوناتيان.

٣- المعمودية بالرش

يذكر شاف (Schaff) أن المعمودية بالرش أو سكب الماء كانت تتم فى الكنيسة الأولى فى حالتين وهما:

١-للمرض.

٢-من كانوا على فراش الموت.

وفى هاتين الحالتين لم يكن الغمر الكامل أو الجزئى فى المياه أمراً عملياً. ويرى بعض الباحثين أن هذا الأمر ينطبق أيضا على حالة معمودية الآلاف الثلاثة فى الكنيسة الأولى فى يوم الخمسين، لأن أورشليم لم يكن بها مصادر للمياه، وقدرون مكان جاف فى الصيف، وكان يوجد بها العديد من البرك. ولكن لا يتفق مع روح الإنجيل أن نحد من عمل الروح القدس بكمية المياه، وفيرة أو قليلة، دافئة أم باردة، عذبة أم مالحة، سواء من نهر أو نبع مياه، فهى أمر نسبى، ولا يمكن أن يؤثر على صحة الطقس الممارسة. فالماء ضرورى جداً لعملية المعمودية، كرمز مناسب للتطهير والتجديد الذى يحدثه الروح القدس.

٤- معمودية الأطفال

لقد أنكر بعض علماء اللاهوت - وكذلك بعض ممارسى الطقس- معمودية الأطفال. أو يؤكدون على أن معمودية الأطفال لاتتفق مع فكرة الطقس نفسه. فالمعمودية تتطلب من الراغب فى المعمودية التوبة والإيمان والكرازة بالإنجيل. والأطفال لا يمكنهم أن يدركوا معانيها وأبعادها. وإنما هى موضوعات مهمة لراغبى التجديد من الراشدين. صحيح، أنه لا يوجد فى العهد الجديد أى وصية تشير إلى معمودية الأطفال، وكما يرى شاف، فإن مثل هذه الوصية لا تتفق مع روح حرية الإنجيل. ولم يكن ثمة إلزام أو تعميد للأطفال بعامة قبل أن تتحد الكنيسة والدولة. وقد أجل قسطنطين، أول امبراطور مسيحى، اعتماده حتى توفى. وقد كان هناك معلمون بارزون أمثال غريغوريوس النزيانزى، وأغسطينوس، ويوحنا ذهبى الفم، لم يعتمدوا قبل أن يؤمنوا فى شبابهم، بالرغم من أن أمهاتهم كن مسيحيات.

وفى نفس الوقت فإنه ليس فى العهد الجديد أمر صريح يمنع معمودية الأطفال. بل يعتقد أنه فى ضوء المفهوم العام لليهود، وهو السماح للأطفال من خلال الختان فى اليوم الثامن بعد الولادة للدخول فى العهد (القديم). فمن المتوقع أنه يسمح بمعمودية الأطفال على غرار المفهوم العام اليهودى. وتوجد آراء إيجابية وافتراضات ترجع إلى عصر الآباء فيما يتعلق بتعميد الأطفال. كالعلامة التى تربط الآباء المسيحيين بأبنائهم، فى ضوء طبيعة العهد الجديد، حيث أنه أكثر شمولاً من

العهد القديم. فالمسيح - له المجد - يفدى ويخلص كل الأجناس والأعمار والمستويات الاجتماعية. ويتضح ذلك جلياً فى دعوته للأطفال، حيث قال: «دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات»(مت١٩: ١٤). وهو بالتأكيد لن يتركهم بدون علامة أو ختم الشركة، ليكونوا أعضاءً فى الجسد الذى هو الكنيسة.

ويرى البعض أن النظرة المسيحية هى نظرة واضحة، فهى تتجه لكل المسيحيين، لا لأفراد فحسب، بل لكل الأمم، وهذا يتضمن الأطفال، بدون شك. لقد عبَّر بطرس الرسول فى الممارسة الأولى للمعمودية، أن المعمودية هى وعد بغفران الخطايا، والوعد بالروح القدس هو لليهود «ولأولادهم».

وتوجد خمسة أمثلة فى العهد الجديد عن معمودية كل العائلات، حيث أن وجود أطفال فى تلك العائلات أمر محتمل إلى حدٍ بعيد، عن غيابهم فى كل العائلات. وأخيراً فإن الممارسة العامة للكنيسة الأولى، ضد الاعتراض الوحيد الذى وصلنا من ترتليانوس. وهذا الاعتراض يتفق مع الأفكار المونتانية. إلاّ أن اعتراض ترتليانوس يتضمن أن معمودية الأطفال كانت منتشرة وشائعة فى ذلك الوقت.

وكان ترتليانوس ينصح بتأجيل المعمودية كنوع من الحكمة، خشية أن يعود من اعتمد ويخطئ مرة أخرى، وربما للأبد. مما يُفقد الطقس مزاياه. ولكن لا موضع - فيما عدا ذلك - لإنكار النشأة الرسولية لمعمودية الأطفال.

على أنه يجب أن نضيف أن معمودية الأطفال لا معنى لها، وتعتبر تقليلاً من الطقس، ما لم يكن الأبوان مسيحيين ويعتنيان بطفلهما ويعلمانه التعليم المسيحى.

وهكذا تكتمل المعمودية بالتكريس الشخصى، إلى أن يؤمن الطفل بالمسيح عن حرية بعد أن يحصل على القدر المناسب من تعليم الإنجيل. أما عن التثبيت فتوجد آثار مبكرة عن الممارسة الرسولية للتثبيت وتمثل ذلك فى وضع الأيادى.

✣ ✣ ✣ ✣

(جـ) يوم الرب

(١) سبب الاحتفال بيوم الأحد.
(٢) أقدم صياغة للاحتفال بالأحد.
(٣) الأسماء التى أطلقت على يوم الأحد.

(١) سبب الاحتفال بيوم الأحد

يرجع الاحتفال بيوم الرب - كذكرى بقيامة السيد المسيح من بين الأموات - إلى العصر الرسولى. وقد تأكد هذا التقليد من خلال شهادات الكُتَّاب الأوائل إبان العصر الرسولى. فالاحتفال بيوم الأحد كان معروفاً فى الكنيسة الأولى، وقد ذكر للمرة الأولى فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس(١٦: ٢). ولم يكن الاحتفال بيوم الأحد يقام فى الصباح، بل فى المساء(أعمال ٢٠: ٧).

ومن ناحية أخرى فإنه حتى القرن الثانى لم تكن قيامة السيد المسيح تذكر باعتبارها سبب احتفال الأحد إلاّ بصفة عابرة. ومن ثم فقد طرحت فى هذا الصدد نظريتان وهما:

(أ) كان المسيحيون يجتمعون فى البداية فى أيام السبت (كما يقول هـ.ريسنفيلد(H.Riesenfeld)، (ر. ستاتس R.Staats) حيث كان من الطبيعى أن يجتمعوا «لكسر الخبز» بالارتباط مع السبت اليهودى(الذى كان المسيحيون الأوائل لا يزالون يحتفلون به).

ولم ينتقل الاحتفال إلى صباح الأحد كذكرى لقيامة السيد المسيح إلا فى القرن الثانى.

(ب) يفترض أن المسيحيين الأوائل كانوا يجتمعون من أجل «العشاء الربانى» مساء الأحد(أعمال الرسل ٢٠: ٧،

بلينى الأصغر: رسالة عيد الفصح، يوحنا ٢٠:١٩). وعلى أساس أن المسيح المقام تناول الطعام مع تلاميذه (لوقا ٢٤: ٣٠، ٤١-٤٣، أعمال الرسل١: ٣-٢٦). وهذا ما ذكره كل من كولويرت Callewaert، وكولمان (Cullmann)، د.روردورف (Rordorf)، ودومايـن(Domaine)، على سبيل المثال.

(٢) اقدم صياغة للاحتفال بالأحد

أقدم صيغة لاحتفال الأحد، يمكن الاستدلال عليها من الدسقولية، ورسالة بلينى Pliny، ومما كتبه يوستينوس وهيبوليتس تحت عنوان «التقليد الرسولى».

(أ) فى البداية، كان يحتفل بالأفخارستيا فى المساء مع وجبة كاملة (كورنثوس الأولى١١: ٢٥) وكان لهذا الاحتفال طابع أخروى، إلا أنه لم يقتصر على معنى انتظار نهاية العالم، بقدر ما تمثل فى حقيقة أنهم كانوا مدركين لحقيقة حضور الرب الممجد، ومن أجل هذا كانوا يولون اهتماماً بالشركة المقدسة.

ولهذا السبب أخضعوا أنفسهم لفحص شديد لضمائرهم قبل التناول من الشركة المقدسة، وكانوا يغفرون بعضهم لبعض زلاتهم (كورنثوس الأولى١١: ٢٨-٣٤، الدسقولية ١٠: ١٦، ١٤: ١و٢) (وذلك تطبيقاً لما جاء فى متى ٥: ٢٣-٢٦، وما ذكره ترتليانوس الدفاعيات: ٣٩)

(ب) كما يذكر و.رودورف (Rordorf) أن ثمة احتفالاً مسيحياً فى الصباح الباكر قبل الفجر، وبعد ذلك كان فى فترة مبكرة من تاريخ الكنيسة وكان بلينى أول من ذكر هذا. ويشير البعض إلى أن لذلك علاقة بالمعمودية وبعد إلغاء الاحتفال المسائى فى نفس الفترة (يذكر بلينى أن السبب فى ذلك هو منع تردد بنات الليل). وبذلك أصبحت الليتورجية قاصرة على وقت مبكر من صباح الأحد.

(٣) والأسماء التى اطلقت على يوم الأحد هى

أ- يوم الرب: هذا هو الاسم المسيحى الجديد لهذا اليوم، وأول ذكر جاء فى سفر الرؤيا (١: ١٠) ثم فى الدسقولية، وفى كتابات ديونيسيوس الذى من كورنثوس (وهو يماثل ما ذكره يوسابيوس القيصرى وآخرون من أن «يوم الرب» يعد صيغة مماثلة لعبارة «عشاء الرب» (كورنثوس الأولى١: ٢٠). ويوم الأحد هو اليوم الذى يذكرنا بالرب يسوع المسيح، وذلك يرجع لأنه احتفل فيه «بعشاء الرب». وقد شهد ايريناوس، ومسقط رأسه ليون، نحو عام ١٧٠م بالاحتفال بيوم الرب. أما ترتليانوس فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث فيرى «إن يوم الرب هو صورة رمزية للراحة من الخطية، وهو ما يماثل تماماً الراحة الأبدية للإنسان». ويضيف قائلاً: «إننا لدينا احتفالاتنا الدينية الخاصة مثل يوم الرب، وعيد حلول الروح القدس». وكان يظن أنه من الخطأ الصوم فى يوم الرب، أو الصلاة بسجود فى ذلك اليوم «إننا يجب أن نعرف يوم الرب فى فرح». وكذلك رأى أنه من الواجب المسيحى أن لا نعمل أو نهتم اهتمامات دنيوية فى يوم الرب، خشية أن نفسح مكاناً لابليس. وكذلك كان ترتليانوس هو أول من تحدث عن التوقف عن العمل فى يوم الأحد بين المسيحيين. وكذلك أشار ترتليانوس إلى عادة الوقوف للصلاة فى يوم الرب كأمر ضرورى ومهم كتعبير عن الفرح والبهجة الذى يتصف به ذلك اليوم، والتى كان المجمع المسكونى قد وافق عليها، إلا أن الكنيسة فى الغرب رفضت ذلك الاقتراح.

ب- اليوم الثامن: ذكره كبريانوس وباسيليوس، وامبروزيوس، كما جاء ذكره فى الدسقولية.. وغيرها). وكما يقول روردورف فإن ذلك يعبر عن حقيقة أن يوم الأحد «يسمو» على بقية أيام الأسبوع، ويمثل نافذة مفتوحة على الأبدية. إن يوم الأحد هو اليوم الأول فى الدهر الجديد (راجع مادة العشاء الربانى).

جـ- أول الأسبوع: هكذا أطلق على يوم الأحد فى التقليد اليهودى، وفى الأناجيل (راجع مرقس ١٦: ٢، ويوحنا ٢٠: ١٩).

وعلى ذلك يبدأ الأسبوع المسيحى بيوم الأحد. وطبقاً للتقليد الكتابى، هذا هو يوم خلق النور(تك١ :٣). وهذه الحقيقة تجعل المسيحيين أن يتبنوا ذلك اليوم دونما حرج حتى وإن تسمى باسم وثنى هو يوم الشمس، والذى انتشر فى اللغات الجرمانية. ثم أن المسيح أيضا شُبِّه بالشمس(وقد ذكر ذلك كل من اغناطيوس الأنطاكى ويوستينوس، وأوريجانوس، أثناسيوس، وچيروم). ومن المؤكد أن هذا الأمر ترك خطر التوفيق بين الأديان. وكان القديس إغناطيوس هو أول من قارن يوم الأحد مع السبت فى التقليد اليهودى والذى كان قد أهمل. وقال يوستينوس فى مجادلة بينه وأحد اليهود: «إن اختيار اليوم الأول من الأسبوع للعبادة المسيحية إنما يرجع إلى أن الله فى مثل هذا اليوم بدد الظلمة والفوضى، ولأن المسيح قام من بين الأموات وظهر لتلاميذه المجتمعين» إلا أنه لم يشر إلى الوصية الرابعة (شاف: الجزء الثانى).

وقد أقدم قسطنطين الكبير على اعتبار أن يوم الأحد يوم راحة (عطلة) عامة فى الإمبراطورية الرومانية وكان ذلك فى سنة٣٢١م، على اعتبار أن الأحد هو يوم «سبت مسيحى»

(وكان المسيحيون قبل ذلك التاريخ يواصلون العمل فيه، كما ذكرچيروم فى (EP.108,20,3 وغيره) وترسخت فكرة مساواة يوم الأحد بالسبت بشكل تام فى القرن السادس.

ويرى شاف أن الكنيسة فى فترة ما قبل نيقية قد ميزت بين يوم الأحد فى المسيحية، ويوم السبت اليهودى. وقد جعلته مستقلاً تماما وأسسته على أساس مسيحى. لقد اعتبرت الكنيسة أن يوم الأحد يوم مقدس، لأنه يوم الرب، كذكر أسبوعى لقيامة المسيح، وهو من ثم يوم للفرح المقدس، والشكر، ليحتفل به قبل بزوغ الشمس بالصلاة والتسبيح، والشركة مع المسيح المخلص المقام.

وتميز **الكنيسة الشرقية** اليوم السابع من الأسبوع بعدم الصيام فيه(فيما عدا السبت السابق لعيد القيامة) وكذلك بالوقوف أثناء الصلاة. بينما كنيسة اللاتينى - فى تعارض مباشر مع اليهودية - جعلت يوم السبت يوماً للصوم. وقد بدأت هذه المسألة تكون محل خلاف فى أواخر القرن الثانى. (شاف: الجزء الثانى).

✣ ✣ ✣ ✣

(ء) الصوم والعطاء(الصدقة).

١- الخلفية التاريخية.

٢- الصوم فى العهد القديم.

٣- الصوم فى العهد الجديد.

٤- الصوم فى فكر الآباء.

٥- العطاء (الصدقة).

الفعل العبرى «صَّم» بمعنى يغطى الفم أو يغلقه. والفعل اليونانىsesteuo يعنى«يمتنع»(موسوعة بيكر).

ا - الخلفية التاريخية

«كان القدماء على قناعة بأن «الأكل» هو الطريق المفضى إلى الموت: لذا فالآلهة تشتم الطيب من الأريج لكى تحافظ على خلودها. والصوم هو الطقس الذى يمنع قوى الموت- التى تتركز فى الطعام- من التغلغل والنفاذ فى الإنسان. »(موسوعة الكنيسة الأولى).

فى العصور القديمة كان الإنسان يعتمد على إنتاج الأرض من مزروعات، وكذلك على الصيد، وحيث أنه لم يكن ثمة ما يؤكد حصوله على الطعام، فمن ثم كان صومه حتمياً. وكانت الخرافات والجهل تلعب دوراً فى ذلك، إذ كان يمكن تفسير ذلك على أنه إرادة الآلهة. وهكذا كانت تعتبر الصوم على أنه واجب دينى. فكانوا يؤمنون أن الآلهة تغار من سعادة الإنسان، وأن الامتناع عن الطعام يسترضيهم.

وبدراسة الأمر فإننا نجد أن الصوم كواجب دينى أمر شائع فى كل الأديان(قاموس أنجر unger الكتابى الجديد).

٢- الصوم فى العهد القديم

لم ترد الكلمة العبرية «صُم» والتى تدل على الصوم فى أسفار موسى الخمسة، وإنما وردت كثيراً فى الأسفار التاريخية (ارجع إلى: صموئيل الثانى١٢:١٦، ملوك الأول ٢١:٩-١٢، عزرا ٨:٢١)، وفى الأنبياء (إشعياء ٥٨:٣-٥، يوئيل١:١٤ ،٢:١٥، زكريا ٨:١٩وغيرها).وتعبير إذلال النفس الذى ورد بالناموس(لاويين ١٦:٢٩-٣١ ،٢٣:٢٧، عدد ٣٠:١٣) يتضمن أن يضحى الإنسان بإرادته الشخصية، ليعطى للصوم كل قيمته.

يتسم الصوم عند اليهود باقترانه بكثير من التشديد. وعندما كانت مدة الصوم يوماً واحداً، كان يُمتنع عن كل أنواع الطعام من المساء إلى مساء اليوم التالى. وبينما فى حالة الصوم الخاص، والذى يمتد لفترة أطول، كان يُمتنع فقط عن الطعام العادى. وذلك بغرض إذلال النفس أمام الله، والندم، وكبح الشهوات وعقاب الشخص لنفسه على ما اقترفه من آثام. ولم يكن ارتداء الخيش والمسوح أمراً غير عادى، وتمزيق الملابس وذر الرماد فوق الرؤوس (صموئيل الثانى ١٣:١٩، ملوك الأول ٢١:٢٧، مكابيين الأول ٣:٤٧، مراثى إرميا ٢:١٠، يونان ٣:٥-٨). ويذكر فى سفر صموئيل الأول: «واستقوا ماءً وسكبوه أمام الرب وصاموا فى ذلك اليوم وقالوا هناك قد أخطأنا إلى الرب». (صموئيل الأول ٧:٦)كما يذكر فى مراثى إرميا «اسكبى كمياه قلبك قُبالة وجه السيد.» (مر إر٢:١٩). ويبدو ذلك للإشارة إلى إنهاء حالة البؤس الألم الداخلية للإنسان. واقترانها بالصوم ربما يكون ذلك للتعبير عن الاعتراف العملى بالبؤس، وفعل صادر من الإنسان قبالة الله.

ويأتى وصف مناسبة عامة فى ناموس موسى للصوم بالتحديد مرة السنة فى يوم الكفارة فى الشهر السابع فى عاشر الشهر «تذللون نفوسكم» (لاويين ١٦:٢٩ ، ٢٣:٢٧).

وقد اعتاد العبرانيون الصوم فى وقت مبكر من تاريخهم، متى واجهوا ظروفاً صعبة (صموئيل الأول ١:٧ ، ٢٠:٣٤ ، ٣١:١٣، صموئيل الثانى ١:١٢). أو فى حالة اقتراف إحدى الخطايا الشنيعة (عزرا ١٠:٦).

أو من أجل تفادى كارثة (استير ٤:١و٣ و١٦). والصيامات غير المعتادة كانت تتم بأمر السلطة الثيوقراطية فى الظروف الصعبة الى تمر بها الأمة وذلك حتى يتواضع الشعب أمام الله بسبب خطاياهم، وذلك تجنباً لغضب الله، حتى ينظر إليهم الرب مرة أخرى (قضاة ٢٠:٢٦، صموئيل الأول ٧:٦، أخبار الأيام الثانى ٢٠:٣، يوئيل ١:١٤، مكابيين ١٣:١٢). فيما عدا ذلك جاءت بعض الصيامات التى ارتبطت بذكر لحوادث معينة بعد السبى. (ارجع إلى إرميا ٥٢:٦ و٧، زكريا ٨:١٩، ملوك الثانى٢٥:٨ و٩، زكريا ٧:٣ ، ٨:١٩، إرميا ٤١:٤، وزكريا ٧:٥ ، ٨:١٩).

وأصبح الصوم يتكرر كثيراً..فقد اعتبروه شكلاً من أشكال ممارسة التقوى المألوفة، حتى أن الفريسيين كانوا يصومون بانتظام فى اليومين الثانى والخامس من كل أسبوع .(متى ٩:١٤ ،لوقا١٨:١٢). مع أن طوائف أخرى مثل طائفة الأسينيين قد أسست كل عبادتها على الصوم.

٣- الصوم فى العهد الجديد

يرد ذكر الصوم عند اليهود فى العهد الجديد فى سفر أعمال الرسل(٢٧:٩) ويفهم منه أن مناسبة الصوم كانت عيد الكفارة. وكذلك الإشارة إلى الصوم الأسبوعى كما جاء فى الأناجيل: متى(٩:١٤)، ومت (٢:١٨)، لوقا(٥:٣٣، ١٨:١٢). وقد تأسست هذه الأصوام فى وقت ما بعد السبى، وكان الصوم يتم فى اليومين الثانى والخامس من كل أسبوع، حيث يشار إليهما على أنهما يومان للصوم العام (إذ يفترض

أن موسى صعد الجبل ليتلقى لوحى الشريعة من الرب مرة أخرى فى يوم الخميس وعاد فى يوم الاثنين). وقد تم اختيارهما من أجل الصوم الاختيارى.

وقد وبَّخ بشدة السيد المسيح الفريسيين من أجل ريائهم لأنهم يغيرون وجوههم ليظهروا للناس صائمين(متى ٦:١٦-١٨). وقد امتنع السيد المسيح عن تحديد أى أصوام للمسيحية (ارجع إلى متى ٩:١٤و١٥ ، ١١:١٨و١٩) وقد ذكرت الصلاة مقترنة بالصوم فى إنجيل متى(١٧:٢١) وإنجيل مرقس (٩:٢٩) على أنهما وسيلتان لنمو الإيمان، وعملان صالحان.

وقد ورد ذكر الصوم أيضا فى كنيسة الآباء(أعمال ١٣:٣، ١٤:٢٣، كورنثوس الثانية ٦:٥). ويقدم الرسول بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس موضوع الصوم على أنه اختيارى، كما يميز بين «الصوم» «والجوع والعطش»(٢كو ١١:٢٧).

ارتبط الصوم بالصلاة، حتى لا ينشغل العقل بالأمور الدنيوية، وليكرس الصائم نفسه للتأمل فى الأمورالإلهية. وكما صام الفريسيون يومى الاثنين والخميس هكذا حدد المسيحيون يومى الأربعاء ولا سيما الجمعة للانقطاع عن الطعام وأكل اللحم. وذلك ذكرى لآلام وصلب السيد المسيح. عملاً بقول السيد: «ولكن ستأتى أيام حُين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون» (متى ٩:١٥).

وفى القرن الثانى ظهر تقليد الصوم قبل عيد القيامة، وقد اختلفت مدة الصوم باختلاف البلدان. فقد اقتصرت أحيانا على أربعين ساعة، بينما فى أحيان أخرى امتدت أربعين يوماً أو لعدة أسابيع على الأقل.

ويرجح أن الصوم كان جزءاً أساسياً فى الصلوات الصباحية والصلوات المسائية قبل الأعياد متبعين فى ذلك السيد ورسله. وفى ظروف خاصة كان يحدد الأساقفة صيامات خاصة، ويوجهون الأموال التى ادخروها من شراء الطعام، للأعمال الخيرية، وهكذا أصبح هذا الأمر بركة للفقراء.

٤- الصوم فى فكر الآباء:

يرى الآباء أن ثمة نوعين من الصوم الأول: روحى: بطاعة الوصايا وعدم الوقوع فى الخطيئة. **والآخر**: بالامتناع عن الطعام: ويعتبرونه فرصة لكبح شهوات الجسد ليعيش فى شركة مع المسيح وفرصة لتوفير نفقاته، ومساعدة الإخوة فى احتياجاتهم إذ كانوا يرون فى ذلك تطبيقاً عملياً للإيمان المسيحى.

«أما الصوم الروحى المسيحى فهو الامتناع عن اقتراف الشر» (راعى هرماس) وطاعة الوصايا والإيمان بالله، وخدمته بقلب نقى، إلا أن الصوم بالامتناع عن الطعام فهو يخدم الفقراء. «فى يوم الصوم، تناول طعامك من خبز وماء وقدم ما وفرته من تكلفة لشراء الطعام، لأرملة، أو يتيم أو لشخص فى احتياج (المرجع السابق) ولكى تشترك كل الأسرة فى هذا: «اتبع ذلك مع أطفالك وكل أهل بيتك، وهكذا تكون سعيداً(المرجع السابق). ويرى القديس كلميندس أن الامتناع عن الطعام هو صوم جزئى، لا سيما عن اللحم والخمر اللذين يسمحان لنا بالحياة، ومن ثم من الصوم مرة أخرى.(Clem. Al. Paed ,II,1ff).

وثمة بعض الشيع الهرطوقية (للمزيد من المعرفة يمكن الرجوع للباب الخاص بدراسة الهرطقة) قد امتنعت عن أنواع محددة أساسية من الطعام) ومن تلك الشيع (الأبيونيون، أتباع مارقيون، والمانويون، والمتنعون: وسموا كذلك لامتناعهم عن اللحم والخمر والزواج).

وقد ادعى البعض أن القديس بطرس كان طعام الخبز والزيتون والأعشاب»(Ps. Clem. rec. VII 6,4)

«طوبى للجياع» دعوة للصوم وذلك للتجرد من الأرضيات ليعيش على الضروريات: إن إرادة الآب هى الطعام الحقيقى

الذى يقود إلى القيامة»: Ieiun 15,6-17,7 Orat.6,2-3;Novat.,cib.b;Aug.,util. leiun.1,1) ويوصى القديس كلميندس السكندرى بالاعتدال والاقتصاد لكى يتحرر الإنسان من الأشياء (Paed. II1,1-2 , 34 ; III 12,90).

أما العلامة أوريجانوس فيرى أن الصوم اختبار للحرية، وليس الإجبار، كما فى التناسخ الفيثاغورسى(Cels. 5,49 8,30). وإماتة الجسد بكبح شهواته تجعل الإنسان فى شركة مع المسيح، الذى رفعه من الوجود الإنسانى إلى الوجود الإلهى (Lev. 10,1-2; cf. Ambr. in ps 40,1;Greg. Nyss.,Beat. iv; Aug., util.ieiun.1,1).

والقديس باسيليوس يرى أن الصوم يكفل السلام فى العالم وفى العائلات لأنه يحرر من الأنانية (Basil, ieiun. Hom. 2,5; cf. Chrom.,Serm. 35,4 Mt.29).

والقديس امبروزيوس يرى أنه من خلال الصوم نحيا الحياة الملائكية التى تقودنا مرة أخرى إلى الفردوس، حيث دخلت الخطية من خلال «الطعام» فيقول «وأولئك الذين لا يؤمنون بالحياة بعد الموت يسرفون فى الطعام والشراب». (Ambr. Hel. 3,4;4,7;Ep 63,17)

وقد رفعت شيعة المونتانية الهرطوقية- ارجع إلى الباب الخاص بالهرطقات- من شأن الصوم إلى حد غير معقول.

ويذكر البابا أثناسيوس فى كتابه عن الأنبا أنطونيوس أنه كان يأكل الخبز والماء والملح.(Artan.,Ant. 7,6) وكان الأنبا باخوم، يصوم إلا أنه لم يكن يريد أن يقلل أتباعه الرهبان من طعامهم.(vita pach.25)

أما چيروم فإنه يرى أن على الراهب أن يظل على الدوام جائعاً بعض الشئ: «فإذا أردت أن تكون كاملاً، فعليك أن تغذى النفس بأكثر مما الجسد.(Jov. 2,6;Ep.54,105)

وقد أوصى كل من باسيليوس وكاسيان بالاعتدال، بأن يتبع كل شخص صوماً يتفق وظروفه(Basil, leiun.1&2;Cass., Coll.21, 13ff. & inst.coen. 5,5ff; cf. Hipp., trad. ap. 25; Epiph., Haer.3; Exp. fid.23; Theodor. Haer. fab. 5,29). (ميلونى- سيمون: موسوعة الكنيسة الأولى)

وبحلول القرن السادس الميلاد أصبح الصوم اجبارياً على أثر مجمع أورليانز الثانى فى(٥٤١م) وقد تقرر أن من لا يطيع الصوم فى الوقت المحدد يعامل أنه خاطئ (موسوعة أنجر الكتابية الجديدة).

❖ ❖ ❖ ❖

(هـ)- العطاء(الصدقة)

ارتبط الصوم والصلاة والصدقة معاً فى العهدين القديم والجديد. وقد وردت فى تعليم الرب يسوع فى الموعظة على الجبل(متى٦). والمقصود بالصدقة أو العطاء العطف على الفقير بطريقة عملية. ويؤكد الرب يسوع على أهمية العطاء بقوله:«مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ»(أعمال ٢٠:٣٥). وقد استشهد كثيرون من الآباء بقول السيد المسيح ومن بينهم كلميندس السكندرى.(1 Clem. 2,1).

وكان موضوع العطاء أيضاً من بين «تعاليم الرسل» وأوصوا أن يكون بسخاء.ويسهب راعى هرماس فى الحديث عن حقيقة الصدقات دون أن يستخدم الكلمة نفسها. وهو يشبه العلاقة بين الفقراء والأغنياء بتلك التى بين الكرمة والأغصان.(vis 3,9,2; Sim. 1,8 & sim 2).

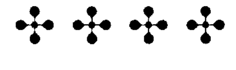
والعطاء فى العهد الجديد تعبير حر عن المحبة، وليس عملاً جامداً كما كان فى العهد القديم. ويعتبر القديس كبريانوس من كنيسة شمالى أفريقيا (يمكن الرجوع إلى المادة الخاصة بكنيسة شمالى أفريقيا بالجزء الثانى للمزيد من المعرفة من أكثر وأعظم من وعظوا عن العطاء إذ كَرّس لذلك رسالة كاملة.(De opere et eleemosy nis)

أما فى القرن الرابع فكان من شأن نمو المجتمع أن أصبحت أشكال المساعدة - البدائية التى كانت متبعة فى القرون الأولى غير كافية- وتدهور الظروف الاجتماعية والاقتصادية حمل الآباء من اليونانيين واللاتين على استنهاض الضمير المسيحى للاهتمام بواجب المشاركة. وقد نظر إلى موضوع العطاء كل من القديسين باسيليوس ويوحنا ذهبى الفم، وأمبروزيوس فى ضوء الفكر اللاهوتى: فالصدقات تنظيم عطايا الله، وواجب تقتضيه العدالة. ويقول القديس امبروزيوس: «الأرض قد أعطيت للجميع، للأغنياء والفقراء على حد سواء» (Ambrose , De. Nab, 1).

ويرى أغسطينوس أن الفقر يعتبر إهانة لسخاء الرب.

والعطاء يعد انتصاراً على الفقر، الذى هو أصل لكل الشرور، وهو يغفر الخطايا (اغسطينوس)، ويعمل على تقدم الحياة الروحية (باسيليوس، وغريغوريوس النيصى) والعطاء يجعل القاضى ميالاً إلى الرحمة (يوحنا ذهبى الفم) ويتكرر موضوع العطاء كثيراً فى عظات القديس أغسطينوس (PL 46, 272-274)

ويقول القديس ليو (leo) إن الصدقات واجب عام حتى الفقير عليه أن يصوم لكى يكون بمقدوره أن يعطى. بل وحتى الرهبان ملزمون بممارسة العطاء: فعليهم أن يعملوا من أجل توفير احتياجاتهم وتقديم العطايا التى يحصلون عليها للفقراء (هامَّان موسوعة الكنيسة الأولى).



الباب الرابع

الفصل الرابع

القوانين الكنسية

القانون الكنسى هو قاعدة شرعية تصدر عن سلطة كنسية معترف بها، لتقرير أمر من الأمور، أو لتنظيم حياة الأفراد أو الجماعات أو الكنيسة العامة. (القمص صليب سوريال: دراسات فى القوانين الكنسية الكتاب الأول).

● والسلطة الكنسية التى تصدر القوانين هى:

١- الآباء الرسل.

٢- المجامع المسكونية المقدسة.

٣- المجامع المكانية أو الإقليمية.

٤- آباء الكنيسة المعترف بسلطانهم.

● ومجموعات القوانين التى تعترف بها الكنيسة (الأرثوذكسية) هى:

١- قوانين الرسل.

٢- قوانين المجامع المسكونية وهى:

أ- مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥م.

ب- مجمع القسطنطينية فى سنة ٣٨١م.

جـ- مجمع أفسس فى سنة ٤٣١م.

٣- قوانين المجامع الإقليمية

أ- مجمع أنقرا فى سنة ٣١٤م.

ب- مجمع قيسارية (قيصرية) الجديدة فى سنة٣١٥م.

ج- مجمع قرطاجنة فى سنة ٢٥٧م.

د- مجمع غنغرا.

هـ- مجمع أنطاكية.

و- مجمع لاودكية.

ز- مجمع قرطاجنة فى سنة ٤١٩م.

٤- قوانين آباء الكنيسة الكبار.

٥- مجموعات قانونية فى الأجيال المتأخرة.

(المرجع السابق ٧-١٠).

القوانين الرسولية

لقد وصلت إلينا من القرون الأولى تعاليم كنسية عديدة عن العبادة العامة بمختلف اللغات. وكلها تدَّعى بطريق مباشر أو غير مباشر السلطة الرسولية، ولكنها استُبعدت من الأسفار القانونية. وقد أعطتنا معلومات مهمة عن القوانين والأخلاق

والطقوس الكنسية قبل عصر نيقية، ويغلب عليها الأسلوب الأدبي في الكتابة. (شاف: الجزء الثاني).

أ- تعليم الرسل الاثنى عشر

يعتبر أقدم وأكثر التعاليم سهولة للمسيحيين من أصل يهودى (فلسطيين أو سريان) وترجع إلى نهاية القرن الأول.

واكتشفت حديثا، ونشرها برينيوس (Bryennios) فى سنة ١٨٨٣م باليونانية وتقع فى ستة عشر فصلاً، وتحتوى على تعليم أخلاقى مؤسس على الوصايا العشر، والوصية الذهبية عن محبة الله والناس (متى٧:١٢). وكذلك تعليم عن المعمودية والافخارستيا ووليمة المحبة. وتعليم عن المعلمين والأنبياء والأساقفة والشمامسة.

وتدعو للسهر فى انتظار المجئ الثانى للرب، وقيامة القديسين. وهو كتاب متميز جداً، ومادة الكتاب ترد فى الكتاب السادس من قوانين الرسل. (المرجع السابق).

ب- القوانين الكنسية لنظام الكنيسة الرسولية

وترجع أصولها إلى مصر نحو القرن الثالث. وهى عبارة عن حوار خيالى أدبى مع الرسل. قام بيكل (Bickell) بنشرها فى اليونانية أولاً، ففى سنة ١٨٤٣م ثم بعد ذلك نُشرت فى القبطية والسريانية. وهى تعاليم عن الأخلاق والعبادة والأحكام الكنسية (التأديبية) (المرجع السابق).

جـ- قوانين كليمندس

وتعتبر من أهم وأكثر التعاليم الكنسية اكتمالاً. فمن جهة الشكل مكتوبة بأسلوب أدبى. وقد انتقلت عن طريق الأسقف كليمندس الرومانى أو كُتبت له (شاف).. وذكر فى أول هذه القوانين أن الرسل دفعوها على يد اكليمندس الذى أرسلوه. (القمص صليب سوريال: مرجع سابق) وتبدأ قوانين كليمندس هكذا: «من الرسل والشيوخ إلى كل من يؤمن بالرب يسوع المسيح فى أنحاء الأمم، لتكن معكم نعمة الله وسلامه»، وهى تقع في ثمانية كتب وتحتوى على مجموعة من النصائح الأخلاقية، والقوانين الكنسية.

وتحتوى على صياغات ليتورجية، حيث ظهرت شيئاً فشيئاً فى العديد من الكنائس فى ختام القرن الأول وهى كنائس أورشليم، أنطاكية،الإسكندرية،وروما. (المرجع السابق).

يغلب على الكتب الستة الأولى طابع المسيحيين التهوديين، باستثناء بعض الشروحات التى أضيفت إليها فى نهاية القرن الثالث، فى سوريا. والكتاب السابع هو كتاب «تعاليم الرسل الاثنى عشر»(Didache) أما الكتاب الثامن فيحتوى على ليتورجية وملحق الكتاب يحتوى على قوانين الرسل. وهذه الأجزاء الثلاثة قد يكون من جمعها فى كتاب واحد هو من جمع الكتاب الثامن، وهو بدون شك من الكنيسة الشرقية. وكان الهدف منها هو نشر الحياة الكنسية للعلمانيين والإكليروس. وكانت هذه القوانين أكثر شأنا من أى عمل آخر من أعمال الآباء فى الشرق، حيث استخدمتها واسترشدت بها الكنيسة الشرقية. واستخدمتها فى الأحكام الكنسية كما استخدمت الكتاب المقدس فى التعليم. وقد رفضها مجمع ترولان الثانى (Trtullan) فى سنة ٦٩٢م لأجل الإضافات الهرطوقية التى أضيفت إليها بينما اعترف بمجموعة القوانين الخمسة والثمانين (شاف: الجزء الثانى).

و«القوانين الكنسية» تحتوى على ملخص لقواعد كنسية. فى بعض النسخ تتألف من خمسة وثمانين قانوناً، بينما فى بعض النسخ الأخرى تتألف من خمسين قانونا، ويبدو أنها تنتسب لأصل رسولى، حيث أن كليمندس الرومانى قام بترتيب موادها بإرشاد الرسل. الذين يتحدثون فى مواضع عديدة بصيغة «المتكلم» وقد اشتركوا فى وضع القوانين كملحق للكتاب الثامن. وقد وُجدت نسخ بلغات يونانية، وسريانية، أثيوبية، وعربية. والمحتويات مقتبس بعضها من الكتاب

المقدس وبخاصة الرسائل الرعوية وبعضها من التقليد، وغيرها من التوجيهات والقرارات الصادرة عن مجامع أنطاكية، وقيصرية (قيسارية) الجديدة، ونيقية، ولاودكية. وبناء على ذلك فإنه من الواضح النمو التدريجي، وأنه تم جمعها إما نحو منتصف القرن الرابع، أو نحو النصف الأخير من القرن الخامس. ولكن ليس معروفاً من قام بجمعها.

وكتبت بغرض وضع نظام كامل لرجال الدين. أما عن العلمانيين فلا تكاد توجد كلمة. (شاف: مرجع سابق).

لقد التزمت الكنيسة اليونانية بالقوانين الخمس والثمانين التي أقرها مجمع ترولان(Trullan) في سنة ٦٩٢ م . وقد وضعها يوحنا الدمشقي في منزلة مرتفعة حتى إنه وضعها في نفس درجة رسائل القديس بولس. وهذا يوضح أنه لم تكن لديه قدرة على تمييز السمو الفائق للكتابات المكتوبة بوحي روح الله. وقد رفضتها الكنيسة اللاتينية في البداية، إلا أنها فيما بعد أقرت المجموعة الأصغر التي تحتوى على خمسين قانونا. والتي كان ديونيسيوس اكسيجينوس ترجمها في نحو عام ٥٠٠م من مخطوطة يونانية (شاف).

د- قوانين الرسل التي تعترف بها الكنيسة القبطية

١٢٧ قانوناً للرسل وتقع في كتابين يضم **الأول** ٧١ قانونا، و**الثاني** ٥٦ قانوناً والكتاب الثاني يوجد عند الروم في مجموعة تتراوح بين ٨١ ،٨٣ قانوناً، وهي تقريباً نفس القوانين القبطية ولكن مع اختلاف في ترقيمها. وتُسمى قوانين الرسل أحياناً قوانين كليمندس الروماني (راجع البند السابق).

ويأتي ذكر لبعض قوانين الرسل ١٢٧ قانوناً في بعض المخطوطات، وهي خاصة بموضوعات معينة ولذلك تأخذ عناوين مثل: «قوانين سمعان القانوي»، «قوانين بطرس وبولس». إلا أن ثمة قوانين أخرى مزوَّرة منسوبة إلى الرسل مثل مجموعة تتألف من ٣٠ قانوناً تسمى قوانين «علية صهيون».

هـ- قوانين هيبوليتوس

اعتمدت هذه القوانين بدرجة كبيرة على قوانين الرسل، وفي بعض القوانين تكاد تتطابق معها، وفي بعضها الآخر تتفق في روح النصوص، ولا تختلف إلا في الألفاظ. وهي تتألف من (٣٨) ثمانية وثلاثين قانوناً. وقد ذُكرت قائمة بعناوينها في «مصباح الظلمة» بالكتاب الخامس لابن كبر، واعتمد عليها ابن العسال في كتابه «المجموع الصفوي» كما جاءت في مجموعة الآباء السابقين لنيقية في الجزء التاسع.

وتركز معظم قوانين هيبوليتوس(أبوليدس أسقف روما على موضوع رسامات الإكليروس. غير أن القانون الأول هو قانون للإيمان، والقانون الأخير عظة في الفضائل (القمص صليب سوريال: دراسات في القوانين الكنسية : الكتاب الأول).



الباب الرابع

الفصل الخامس

قوانين الإيمان

يتضمن العهد الجديد كثيراً من الصيغ المتعلقة بالعقيدة سواء المحلية منها أو ما كان أكثر انتشاراً (راجع رومية ١: ٣ و٤ ، ٤: ٢٤- ٢٥، كورنثوس الأولى ٨: ٦، تيموثاوس الأولى ٢: ٥ ، ٣: ١٦ ،تيموثاوس الثانية٢: ٨، بطرس الأولى ٣: ١٨) وكذلك فى الكتابات المسيحية الأولى (على سبيل المثال كتابات أغناطيوس وبوليكاريوس. ونجد فى الكنيسة الأولى صيغتين واضحتين فى موضوع العقيدة. **الأولى** هى صيغة عقيدة الثالوث القدوس القائمة على ما جاء فى (متى ٢٨: ٢٩) أو مأخوذة منه مباشرة، وهى مرتبطة بالمعمودية، كما يستشف من النص. والواقع أنه ليس ثمة دليل على أنها استخدمت بمعزل عن ممارسة المعمودية، وبمقدورنا أن نتبع تطورها التدريجى من حيث المدة والمضمون رجوعاً إلى القرنين الأولين، وذلك من خلال أمثلة وردت فى كتابات الآباء يوستينوس، وإيريناوس، وترتليانوس، وقد جاءت فى صيغة استفهامية بمعنى أنها كانت تقدم للمرشحين للمعمودية فى صورة سلسلة من الأسئلة.

أما الصياغة الثانية لقانون الإيمان فهى اعتراف قائم على تعليم كامل عن السيد المسيح، أو الكرازة الأولى، وليس من شك فى أنها مأخوذة من الاعتراف القديم جداً، «يسوع رب» (كورنثوس الأولى١٢: ٣) أما فى عهد يوستينوس (١٥٠م) فقد تطور التعليم عن شخص الرب يسوع المسيح، فكان التعليم موجزاً عن حياة السيد المسيح قبل التجسد، وكذلك عن حياته على الأرض بالجسد. ويمكننا أن نجد صيغة من هذه النوعية فى كتابات إيريناوس وترتليانوس، وقد ظن بعض الدارسين (مثل كيلى) أن هذه الصيغة لم يكن لها فى الأصل علاقة بالمعمودية، إلاَّ أن الدليل المستمد من التقليد الغربى فى المخطوطات (مخطوطة روما) (انظر أعمال٨: ٣٧) حيث اعتراف الخصى لفيلبس: «أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله»، وما يذكره البابا استفانوس(فى منتصف القرن الثالث الميلادى) أنه يعرف صيغة معمودية باسم المسيح وحده، وقبلت باعتبارها صحيحة،(كبريانوس رسالة ٧٣ ،٤: ١ ، ١٦: ١و٢) ويشير بكل تأكيد إلى أن هذا الاعتراف الخاص بشخص السيد المسيح ربما كان مرتبطاً أيضاً بالمعمودية، على الرغم من أنه من المحتمل أنه كان يستخدم أيضاً فى مناسبات أخرى.

وهذا الاعتراف المتطور بشخص السيد المسيح تضمنته أبسط صيغة (قديمة) خاصة بالثالوث القدوس، وتُعرف الآن باسم قانون الإيمان الرسولى، على الرغم من أن ثمة صياغات أخرى تختلف بين كنيسة وأخرى. ثم إننا نجد أن كلاً من هيبوليتس وكليمندس السكندرى وأوريجانوس وكبريانوس

قد توسعوا فى كتاباتهم فيما يتعلق بشأن عقيدة المعمودية، وقد ظهرت صيغة لقانون الإيمان فى منتصف القرن الثانى الميلادى تقريباً، وقد وجدت الفكرة والمصطلحات الخاصة بها لأول مرة فى كتابات ايريناوس (١٦٠- ٢٠٠م تقريباً). غير أننا نجدها أيضاً فى كتابات ترتليانوس أو هيبوليتس، وتعاليم الرسل (بالسريانية)، وأوريجانوس، وكبريانوس، وديونيسيوس السكندرى و(ڤيكتورينوس البوطيومى Victorinues of petovium). كما يمكننا أن نجد مراجع أخرى وهى تتضمن موجزاً عاماً للإيمان المسيحى كما يُعلَّم ويُكرز به فى كنائس الكُتَّاب الذين يتكلمون عنه، حيث لُخِّص فى عبارات مختلفة اختلافاً طفيفاً طبقاً لاتجاهات وميول الكاتب، ولكنها فى كل مكان تتضمن نفس قانون الإيمان الأساسى. ويميل كل من ايريناوس وترتليانوس إلى التأكيد على أن لها مصدراً مستقلاً عن الكتاب المقدس لأنها مأخوذة بصفة مباشرة من الرسل، إلا أن من الواضح أنهم يعتقدون أن المضمون العقيدى للقانون مطابق لذاك الخاص بالكتاب المقدس، وأن ميلهم لإيجاد تعارض بين القانون والكتاب المقدس لم يتخذ شكلاً جدياً أو ثابتاً.

ولم يكتف أوريجانوس بذكر الموضوعات التى لم ترد فى قانون الإيمان(وبذلك يكون قابلاً للتطور) بل يشجع تلاميذه المتقدمين على بحثها واستقصائها (على سبيل المثال، ما يتعلق بقيامة الجسد).

وينظر كل الكُتاب القدامى إلى قانون الإيمان على أنه دليل على الفكر المستقيم، وأنه صمام أمن ضد التعاليم الخاطئة والهرطقات، فى حين أن قانون الإيمان الخاص بالمعمودية والذى ذكره كثيرون منهم، يُنظر إليه كنموذج مبسط أو موجز، أو كخلاصة (كما يقول ايريناوس) أما النقاط الرئيسية والأكثر أهمية، فهى ملخص، أو بذار مقدسة (أوريجانوس) ولا يتوفر لنا دليل واضح أنه فى تلك الأزمنة المبكرة كان قانون الإيمان الخاص بالمعمودية يستخدم كمعيار للعقيدة الصحيحة، ولقد استخدمت بعض الشيع الغنوسية قانوناً خاصاً بها.

وفى الجيل الثانى من القرن الثالث، وطبقاً لما يقوله «كيلى» بدأ التقليد يُمارس على نطاق واسع فى الكنيسة، وكان قانون الإيمان يقدم لطالب العماد فى وقت ما من بداية تعليمهم. وكانوا يكررونه فى وقت لاحق أثناء فترة تعليمهم، وكذلك أثناء الطقس الفعلى الخاص بالمعمودية، وليس معروفاً على وجه الدقة السبب الذى دعا الغرب إلى استخدام كلمة Symbolum (بمعنى رمز أو علامة) بالنسبة لقانون الإيمان، ولكن هذه الممارسة قدتكون دليلاً على أنه فى وقت تبنّيها، لابد وأنه كان هناك نمطان مختلفان لقانون الإيمان: «النمط الاستجوابى»، يوَّجه للشخص بعد تعميده، و«النمط التصريحى» وهو إقرار مستمر للإيمان من قِبَل الشخص نفسه، ومن المؤكد أن النمط التصريحى «لقانون الإيمان قد صيغ على أساس قانون الإيمان الخاص بالمعمودية وذلك من حيث المضمون.

أما فى الغرب فإن صيغته التى تم التوصل إليها فى نحو عام ٣٣٠ م فى كنيسة روما (قانون الإيمان الرومانى القديم المعروف للعلماء بحرف R) لابد وأنه صيغ أساساً فى وقت مبكر من القرن الثانى، وأصبحت الصيغة اليونانية هى نمط كل قوانين الإيمان الغربية المماثلة. وقوانين الإيمان الشرقية الخاصة بالمعمودية تختلف اختلافاً بيّناً طبقاً للمكان الذى نشأت فيه، وما قانون الإيمان الرسولى الذى نعرفه الآن سوى نسخة موسعة ومعدلة بشكل ضعيف من R (ويشار إليه بالحرفT) والذى جاء من سبتيمانيا Septimania جنوبى غرب فرنسا، وانتشر فى أوربا الغربية بشكل واسع النطاق قبل أن تقبله كنيسة روما المحافظة فيما بعد، وكان ذلك فى فترة ما بين سنتى ٨٠٠ - ١٠٠٠م. أما الأسطورة التى تقول بأن كل رسول صاغ مادة واحدة من قانون الإيمان هذا فقد انتشرت بشكل واسع مع نهاية القرن الرابع الميلادى.

أما فى القرن الثالث تقريباً فبوسعنا أن نتتبع مثالين لاستخدام صيغة عقيدية صحيحة كدليل على إيمان صحيح: الصيغة التى اقترحها الأسقف (هيراقليدسHeraclides) فى مناقشته مع أوريجانوس فى نحو سنة ٢٤٦ م لاثبات استقامة رأيه، وما يسمى رسالة هيميناوس (Hymenaeus)، والتى من المحتمل أنها قُدمت لبولس الساموساطى (Samosta Paul of) فى وقت ما بين سنتى ٢٦٤ ، ٢٦٨ م، إلاً أن أول مثال أكيد لقانون الإيمان التصريحى والذى استخدم كدليل على تعليم مستقيم الرأى نجده فى الرسالة التى كتبها يوسابيوس القيصرى المؤرخ، لكنيسته بعد مجمع نيقية الذى عقد فى سنة ٣٢٥م. والذى يقول بأنه قانون الإيمان الذى قام هو بدراسته أثناء فترة تعليمه، والسابق على عماده. ولكى ما نتجنب سوء فهم معين كان فى الماضى، علينا أن نوضح أنه ما من كاتب مسيحى فى القرنين الرابع والخامس اتبع مستويات معاصرة من الدقة الأدبية عند استعراضه أو تقديمه لقوانين الإيمان. ذلك أن القدماء كانوا يركزون على المضمون الأساسى، لا على التعبيرات الدقيقة لصيغ الإيمان الخاصة بهم (انظر رسالة غريغوريوس النزيانزى أو (النزينزى) رسالة ٥٨: ٩-١١، وغريغوريوس النيصى) ويقول يوسابيوس: إن قانون الإيمان الخاص بالعماد مطابق للقانون الذى تم التوصل إليه - حديثاً - بمعرفة المجمع الذى حضره مؤخراً، وقانون الإيمان هذا هو المعروف بقانون نيقية فى سنة ٣٢٥م، كان من عمل مجمع للأساقفة دعا إليه الإمبراطور قسطنطين فى مدينة نيقية Nicaea فى بيثينية، لفض النزاع حول لاهوت المسيح، وهو النزاع الذى قام بين اسكندر أسقف الاسكندرية وأريوس، وهو من أحد القسوس التابعين له، الأمر الذى كان يهدد بانقسام الكنيسة التى كان الإمبراطور قد حررها مؤخراً من خطر الاضطهاد، وساندها بدعمه لها. وكانت هذه هى المرة الأولى التى يُعقد فيها مجمع عام، أو يصدر فيها قانون الإيمان قُصد به أن يكون معياراً يأخذ به جميع المؤمنين كأساس لاستقامة الرأى. ومن المؤكد أن صيغته الأصلية ليست هى الصيغة المستخدمة فى الكنيسة التى يتبعها يوسابيوس القيصرى، وقد استخدم أساقفة نيقية فى قانون الإيمان هذا عبارات معينة قصد بها تفادى التفسيرات الأريوسية للعبارات التى استخدموها، على سبيل المثال الكلمات المستخدمة عن الابن «المولود من جوهر الآب»،مولود غير مخلوق، وفوق كل هذا «مساوٍ للآب فى الجوهر». وسلسلة الإدانات والرفض لبعض العقائد التى جاء بها أريوس، مثل «كان ثمة وقت لم يكن فيه»، و«خُلق من العدم»، ومشتق من «أقنوم مختلف» أو جوهر«غير الآب»، وهو «قابل للتغيير» وهذا القانون المهم أطلق عليه العلماء اسم (N).

والواقع أن هذه الصياغة التاريخية لقانون إيمان مسكونى صادر عن مجمع، لم تخدم بصفة مباشرة الهدف التى صدرت من أجله،

ذلك أنها لم تُنشر فى الغرب على نطاق واسع، كما أنها بعد مجمع نيقية سرعان ما اختفت فى الواقع من المجادلات التى ظلت مستعرة مدة ست وخمسين سنة أخرى، ومع ذلك فإن قانون الإيمان N أضاء الطريق لصياغات أخرى، وشهدت الفترة الواقعة بين سنتى٣٤١م ،٣٦٢م سلسلة من المحاولات محل الاختلافات فى الآراء، فى الشرق والغرب. وذلك عن طريق صياغة قانون للإيمان يمكن أن يقبله جميع الأطراف، أو يعبر عن معتقد الأغلبية على الأقل، وقرب نهاية هذه الفترة نجد أنه حتى الامبراطور نفسه قام بدور فى هذه الجهود.

وأكثر النماذج أهمية لقوانين الإيمان المكتوبة هذه، والتى ترجع إلى هذه الفترة هى: «قانون التكريس»أو «قانون الإيمان الأنطاكى الثانى» الذى وضعه مجمع أنطاكية فى سنة ٣٤١م. وقد حذف كلمة «Homoousios من ذات الجوهر»، ووصف أقانيم الثالوث بأنهم «ثلاثة أقانيم»، ولكنهم واحد فى الجوهر، والابن بأنه «صورة الآب» دون اختلاف فى الجوهر، وحرَّمت

كثيراً من الآراء الأريوسية ، وكان هناك احتمال كبير لفترة ما (حتى نحو سنة ٣٧٠م) بأن قانون الإيمان هذا سيكون بديلاً للقانون (N). أما نسبته إلى لوقيان Lucian الأنطاكى العالم اللاهوتى والشهيد الذى عاش إبان السنوات الأولى من القرن الرابع، فهذا أمر موضع جدل.

أما «قانون الإيمان الأنطاكى الرابع (فى سنة ٣٤١م أيضاً) فقد أرسله الأساقفة الشرقيون إلى الإمبراطور قسطنطيين فى الغرب، فى محاولة للتوفيق مع الرأى الغربى دون الرجوع إلى القانون (N) والذى قام بحذف كلمة Homoousios أيضاً وتعنى (من ذات الجوهر) وحرَّم بعض الاقتراحات الأريوسية.

لكنه بكل بساطة قال عن المسيح إنه «إله من إله» وعلى الرغم من أن قانون الإيمان هذا قليل الأهمية فى حد ذاته، إلا أنه أصبح أساس وجوهر قوانين عديدة أخرى، مثل ذلك الذى أصدره الأساقفة الشرقيون فى مدينة فيليبوبوليس Philippopolis(٣٤٣م)، أو قانون الإيمان الأنطاكى الخامس، الذى وُضع فى أنطاكية سنة ٣٤٤م، والذى تضمن ملحقاً مطولاً يدين فيه سلسلة كبيرة من الآراء الهرطوقية، ولاسيما تلك التى تميل إلى الأقوال السابليانية(رفض وجود أى اختلافات بين الأقانيم) ولاسيما أقوال(مارسيليوس Marcellus Ancyra) الذى من أنقرة (عاصمة غلاطية فى نهاية القرن الرابع. وقانون الإيمان الأول الذى وضعه مجمع سيرميوم الثانى(٣٥١م)، يهدف بالدرجة الأولى إلى معارضة مارسيليوس وتلميذه(فونتينوس Phontinus).

وثمة اتجاه جديد تماماً اتخذ فى سنة ٣٥٧م مع ظهور«قانون الإيمان السيرميومى الثانى». وهنا، وللمرة الأولى ظهر ما يشبه الفكر اللاهوتى الأريوسى الثابت، وقد عارض أى استخدام لكلمة «جوهر» كتعبير يحدد علاقة الابن بالآب، حيث رفض هذا التعبير، بكل تزمت وإصرار أخضع الابن للآب، وكذلك الحال بالنسبة للخليقة كلها. وقد أثار هذا القانون رد فعل بين عدد من اللاهوتيين الشرقيين، الأمر الذى أدى إلى ظهور«قانون الإيمان» السيرميومى الثالث» وذلك فى مجمع سيرميوم الرابع(فى سنة ٣٥٨م) ورُفض البديل الأريوسى لسنة ٣٥٧م. وقد وُضع قانون إيمان وسيط وهو المعروف باسم «قانون الإيمان القديم» والذى أصدره مجمع سيرميوم الخامس فى مايو ٣٥٩م، تمهيداً لمجمع عام منقسم (الشرقيون فى سلوكية فى كيليكية، والغربيون فى رمينى Rimini بإيطاليا)، وقد رفض هذا القانون استخدام كلمة «جوهر» ومشتقاتها ولكنه وصف الابن بأنه «مشابه للآب فى كل شىء. وقانون الإيمان الذى نجم عن هذا المجمع العام بعد صراعات لاهوتية لم يكن سوى نسخة مخففة من «قانون الإيمان القديم»، ووُصف الابن أنه «مشابه لما جاء عنه فى الكتاب المقدس» الأمر الذى ترك مجالاً كبيراً للتفسير الأريوسى. ومنذ ذلك التاريخ، وحتى مجمع القسطنطينية (٣٨١م) الذى وضع نهاية للجدال الأريوسى كانت قوانين الإيمان التى صدرت قليلة الأهمية، ولعل ذلك يرجع إلى أن كل واحد كان يدرك أن إجراء وضع القوانين لم يهدىء من حدة الخلاف فقد استهدف معارضو الأريوسية - فى ذلك الوقت -إعادة قانون الإيمان(N) تحت قيادة أثناسيوس السكندرى(٢٩٦-٣٧٣م تقريباً) والذى كان قد قاد منذ فترة طويلة النضال ضد الأريوسية وما يماثلها. وكان مجمع القسطنطينية(٣٨١م) يمثل انتصار قانون الإيمان الذى أصدره، وذلك الذى أصدره الكبدوكيون الثلاثة العظماء باسيليوس القيصرى(٣٣٠- ٣٧٩م تقريباً) وغريغوريوس النزيانزى (٣٢٩ -٣٨٩م) وباسيليوس أخو غريغوريوس النيصى(٣٣٠- ٣٩٥م تقريباً) وإلى مجمع القسطنطينية ينسب التقليد أشهر وأهم قانون للإيمان فى تاريخ المسيحية والذى يعرف عادة باسم قانون الإيمان النيقوى أو النيقوى- القسطنطينى(ويطلق عليه العلماء C).

وثمة جدل حول ما إذا كان مجمع سنة ٣٨١م قام بالفعل

بوضع قانون الإيمان هذا، فلا توجد فى الواقع قبل سنة ٤٥١م أية شهادة معاصرة أو لاحقة عن قانون إيمان وضع فى ظل تلك الظروف، أما أول دليل واضح عن وجود القانون النيقوى(C) فقد جاء فى الإعلان الأخير لمجمع خلقيدونية (٤٥١م)، والذى يقوم فى واقع الأمر بذكر قانون الإيمان(C) بالحرف الواحد، وعلى وجه العموم يبدو أنه من الأفضل أن نوافق على ما ذهب إليه كيلىKelly، من ناحية أن قانون الإيمان هذا وضعه المجمع المنعقد فى سنة ٣٨١م، فى محاولة عقيمة للوصول إلى اتفاق مع المعارضين المعتدلين حول الاعتراف الكامل بلاهوت الروح القدس، غير أن أغلبية اللاهوتيين ظلوا ينظرون إلى هذه المحاولة على اعتبار أنها ليست أكثر من الرجوع إلى قانون الإيمان الذى رمز إليه بالحرف (N)، ولقد تم تجاهله فى الغرب بصفة خاصة ولمدة طويلة، على اعتبار أنه صادر عن مجمع مضت مدة طويلة حتى اعترفوا به على مضض بأنه مسكونى.

أما قانون الإيمان الذى كان أساساً للعقيدة (C) فلم يكن (N) بل لعله قانون الإيمان الذى كانت تعتنقه كنيسة أورشليم، والتى أعادت استخدام كلمة Homoousios(من ذات الجوهر)، وتم التأكيد على ولادة الابن الأزلية، وأنه غير مخلوق. وثمة عبارة قصيرة هى «ولا يكون لملكه نهاية»، وقد وُضعت هذه العبارة لتناقض تعليم مارسيليوس(يكاد يكون ليس له وجود الآن)، وتم التوسع بدرجة كبيرة فى الإشارة إلى الروح القدس، والتى جاءت موجزة فى قانون الإيمان (N)، بحيث جاءت تعبيراً عن أنه رب الحياة ومعطى الحياة، باعتباره منبثقاً من الآب،«والمسجود له مع الآب والابن» وذلك طبقاً لتعليم الكبدوكيين ولاسيما باسيليوس.

ومع مرور الوقت أصبح قانون الإيمان (C) محوراً للعقيدة المسيحية. وقد تم الاعتراف به على نطاق واسع كما هو عليه الحال فى أيامنا هذه(موسوعة الكنيسة الأولى).



الباب الخامس

الثالوث القدوس فى فكر الآباء قبل نيقية

١- إله واحد- الخالق.

٢- الآباء والثالوث.

٣- الآباء والكلمة (اللوجوس).

٤- الآباء والروح القدس.

١- إله واحد- الخالق

تستهل العقائد المسيحية التقليدية بإعلان الإيمان بإله واحد، خالق السماء والأرض. وفكرة التوحيد المتأصلة فى العهد القديم، تتردد بشكل كبير فى أقوال الآباء الأولين، فقد كانوا يدركون تماماً أنها تمثل الخط الفاصل بين الكنيسة والوثنية. وطبقاً لما ذكره راعى هرماس «فالوصية الأولى هى أن تؤمن بأن الله واحد، هو الذى خلق كل الأشياء من العدم. فالله هو الذى بقوته غير المنظورة وحكمته العظيمة خلق الكون، وبقصده المجيد كسا خليقته بالجمال، وبكلمته القوية ثبت السموات، وأسس الأرض فوق المياة». وبالنسبة للقديس كليمندس(Clement) الله هو «الآب، خالق **الكون كله**»، أما القديس برنابا(Barnabas)- فى تعليم الرسل- فيقرر أن «الله هو خالقنا» وقدرته على كل شئ، وسيادته الشاملة، أمور معترف بها، لأنه «الرب القدير»، «الرب الذى يسيطر على الكون كله»، «وسيد كل الأشياء». ولسوف يلاحظ القارئ أنه فى هذه الفترة، كانت صفة «القدير» تعنى سيطرة الله وسيادته الشاملة على الكون مثلما تشير صفة «الآب» بشكل أساسى إلى دوره كخالق وموجد كل الأشياء.

وهذه الأفكار مأخوذة على وجه الحصر من الكتاب المقدس، ونادراً ما كانت تُنسب إلى الفلسفة المعاصرة، ومع ذلك فإننا نجد صدى رواقية متأخرة فى إشارات كلميندس إلى تنظيم الله للكون. وحين ننتقل إلى أقوال الآباء المدافعين نلمس مدى اطلاعهم على الفكر السائد والثقافة المعاصرة.

ونجد على سبيل المثال أن أرستيدس(Aristides) من

أثينا يستهل رسالته «الدفاعية» التى وجهها إلى الامبراطور(هادريان (Hadrian) ١١٧-١٣٨م)- ومن المحتمل أيضا إلى الامبراطور أنطونينو بيوس (Antoninus pius) -١٣٨-١٦١م) -بعرض موجز لوجود الله قائم على الحجج التى استمدها أرسطو من الحركة. ذلك أن تأمله فى نظام الكون وجماله، قادة إلى الإيمان بكائن أسمى، هو المحرك الأول، والذى ظل هو نفسه غير منظور، ولكنه سكن فى خليقته. وحقيقة وجود الكون تتطلب وجود إله فنان ينظمه. وبصفته السيد والرب، فقد خُلق كل شئ للإنسان. فالكون قد خلق من لا شئ بناءً على أمره، وهو غير قابل للفساد أو التغيير، كما أنه غير منظور. وهو نفسه غير مخلوق، ليست له بداية ولا نهاية، وليس له شكل أو حدود أو جنس، والسموات لا تسعه (ونلمس هنا نقداً لما يقول به الرواقيون من وحدة الوجود أى أن الله والطبيعة شئ واحد) وعلى النقيض من ذلك، فهو يسعهم كما يسع كل شئ منظور وغير منظور. ومن هنا يعترف المسيحيون بالله باعتبار أنه الخالق الذى خلق كل الأشياء.. ولا يعبدون أى إله سواه.

ووحدة الله فى كتابات يوستينوس (يوستين)(Justin) (القرن الثانى)، وكذلك سموه ودوره كخالق، أكدها بلغة صبغها بقوة بالرواقية الأفلاطيونية السائدة. ومن الواضح أنه كان يعتقد مخلصاً بأن المفكرين اليونانيين كانوا مطلعين على كتابات موسى. والله أبدى يجل عن الوصف، لا اسم له، ولا يتغير، ومنزه عن الألم، وغير مولود (تعبير يشدد على إبراز أنه لا بداية له وذلك على النقيض من المخلوقات)، ثم أنه «خالق الكون، خالق وأب كل شئ، هو نفسه فوق الوجود، وهو علة كل وجود. ولقد كان مارقيون(ماركيون أو ماريكون) على خطأ لتمييزه بين الله وبين خالق الكون المادى (Demiurge). ويقول مارقيون: «لقد تعلمنا أنه إذ هو صالح، فقد خلق كل الأشياء فى البداية من مادة لا شكل لها». وكان هذا تعليم أفلاطون فى كتابه (Timaeus)، والذى اعتقد يوستنيوس أنه قريب الشبه بما جاء فى سفر التكوين وأنه استعار منه. ومن الطبيعى عند أفلاطون أن المادة سابقة الوجود كانت أزلية، لكن من غير المحتمل أن يكون يوستنيوس قد سلم بنظرية الثنائية التى ألمح إليها. وما يبدو واضحاً أن اعتبر السموات والأرض -والتى طبقاً لما ذكره موسى- خُلقت أولاً، ومن مادتهما خلق الله الكون. وثمة نقطة مهمة أخرى عرض لها، وهى أنه بخلقه الكون ورعايته له استخدم الله كلمته أو اللوجوس كأداة للخلق.

أما الآباء المدافعون الآخرون فكانوا على نفس ما ذهب إليه يوستينوس، على الرغم من أن البعض -وبشكل محدد تماماً- أيدوا الخلق من العدم. وكما أوضح تاتيان(طاطيان،Tatian):

«المادة التى خلق منها الكون، خلقت هى نفسها بواسطة الفنان الوحيد الذى خلق الكون»، وأنه خلقها عن طريق كلمته. أما ثاؤفيلس(ثيؤفيلس Theophilus) الأنطاكى فقال: «من العدم خلق الله كل ما شاء وبالشكل الذى أراده».

ومع ذلك ينظر أثيناغوارس (Athenagoras) إلى العناية الإلهية على أنها شكلت المادة سابقة الوجود. إلا أن الكل أجمعوا على تأكيد «سمو الله» ولقد قال أثيناغوارس مندهشاً: «أليس من الحماقة أن توجه تهمة إنكار وجود الله إلينا نحن، الذين فرّقنا بين الله والمادة، ونعلم بأن الله والمادة تفصل بينهما هوة عظيمة؟ لأن اللاهوت ليس له بداية وهو أزلى، ومن ثم لا يمكن إدراكه بالفهم والمنطق وحدهما. فى حين أن المادة لها بداية ومصيرها الهلاك».

وبالنسبة لثاؤفيلس(القرن الثانى) فإنه يرى أنه لم تكن بداية لله لأنه غير مخلوق، وهو غير قابل للتغيرلأنه خالد. وهو الرب، لأنه سيد كل الأشياء، وهو الآب، لأنه السابق

على كل شئ، وهو العلى لأنه يسمو على كل الأشياء، كما أنه «القدير» لأنه يمسك بكل الأمور، فعُلو السموات وأعماق الهاوية، وأطراف العالم كلها فى يديه، وكان ثاؤفيلس ينتقد بصفة خاصة-الفكرة الأفلاطونية القائلة بخلود المادة، قائلاً إنه إذا كان ذلك صحيحاً، فلا يمكن أن يكون الله هو خالق كل الأشياء، وعلى هذا فإن سيادته المطلقة أى باعتباره العلة الأولى الوحيد، لا أساس لها. وبحسب تعبيره: «قوة الله ظاهرة فى أنه من العدم يخلق ما يشاء» أما بالنسبة لايريناؤس(ايرينيئوس) Irenaeus (القرن الثانى) فإن التأكيد على أن الله واحد، وأنه الخالق، له مكانة خاصة فى كتاباته، ومهمته تختلف عن مهمة الآباء المدافعين إذ كان عليه أن يرد بالحجة والبينة على نظرية الدهور أو الفترات أو الأيونات (Aeons) المنبثقة من إله سامٍ لا سبيل إلى معرفته، أو خالق الكون المادى. وموقفه من ذلك واضح إذ كتب يقول: «إنه لأمر صحيح أنه يجب علينا أن نبدأ بالموضوع الأول ذى الأهمية القصوى، أى، الله الخالق. الذى خلق السموات والأرض وكل ما فيهما، الإله الذى وصفوه (أى الغنوسيون أو الغنوصيون)- بكل تجديف- كأنه نتاج ناقص النمو، وأنه من واجبنا أن نبين أن لاشئ قبله أو بعده..لأنه هو وحده الله، وهو وحده الرب، الخالق الوحيد، والآب الوحيد، وهو وحده حامل كل الأشياء، وهو الذى يمنحها الوجود». وأوضح أن أول بند فى إيماننا هو: «الله الآب، غير المخلوق، وغير المولود، وغير المنظور، الإله الواحد والوحيد، خالق الكون» وأقوال المسيح ذاتها تدل على أن العالم ليس له إلا خالق واحد، وأنه هو نفسه الإله الذى أعلنه الناموس والأنبياء. وقد علم بأن الله قد خلق الكون بواسطة كلمته وحكمته أو «الروح». وكان يؤمن إيمانا راسخاً بالخلق من العدم، مشيراً إلى أن الناس فى الواقع لا يستطيعون عمل شئ من لا شىء، بل من مادة موجودة بالفعل لديهم، ولكن الله يسمو على الإنسان. بهذه السمة الأساسية، وهى أنه هو نفسه الذى أوجد المادة التى خَلَقَ منها الكون، والتى لم يكن لها وجود من قبل.

ولكى يرسخ هذه المبادئ، استشهد ايريناوس- فضلا عن الكتاب المقدس -بالمنطق الطبيعى «الأشياء المخلوقة لابد وأن تنشأ عن علة أولى، والله هو بداية الكل، فهو لم يأت من أحد، بل كل الأشياء جاءت منه... ومن بين هذه الأشياء يوجد ما نسميه العالم،وفى العالم نجد الإنسان، وعلى هذا فإن هذا العالم أيضاً خلقه الله. وهنا أيضا نجده يبتهج إذ يكشف التناقض الموجود فى افتراض سلسلة من الانبثاقات فى تسلسل متدرج من الآلهة، وكذلك المنطق الذى يحاول جاهداً إثبات أنه يوجد ملء اللاهوت فوق خالق السموات والأرض، وأنه يوجد آخر فوقه، وفوق بيثوس (الإله الأسمى) مجمع آخر من الآلهة.

وهكذا فإن هذا التعليم ينتج عنه وجود آلهة كثيرين لا نهاية لعددهم، ويستلزم دائما القول بوجود أكثر من «ملءلاهوت»، «وآباء أسمى» آخرين. وعلى أية حال، إن كل انبثاق ثانوى لابد أن يشارك فى طبيعة الأصل الذى انبثق منه، غير أن مبدأ الألوهية نفسه يستبعد تعدد الآلهة. فإما أنه لابد وأن يكون ثمة إله واحد حامل كل الأشياء، وأنه خلق كل المخلوقات بحسب إرادته، وإما أنه يوجد عدد غير محدود من الآلهة ومن الخالقين كل منهم يبدأ أو ينتهى فى مكانه من هذه السلسلة.. إلا أننا لابد وأن نعترف فى هذه الحالة أنه ليس من بينهم من هو إله حقاً، لأن كل واحد منهم.. سيكون ناقصاً بمقارنته بالباقين، ولقب «القدير» لن يكون له معنى. وخالق الكون المادى الذى تقول به الغنوسية (الغنوصية) لا يمكن أن يكون الله، لأنه يوجد آخر أسمى منه.

كان التعليم بالإله الواحد، الآب والخالق، يشكل خلفية إيمان الكنيسة، فكان موروثها الإيمانى من اليهودية هو حصنها ضد تعدد الآلهة عند الوثنيين. وضد الانبثاقات الغنوسية، وثنائية مارقيون.. والمشكلة التى كانت تواجه الفكر

اللاهوتى. آنذاك - تتمثل فى دمج هذا التعليم مع المعطيات الجديدة التى جاء بها الإعلان الإلهى المسيحى الواضح. وقد بُسِّطت إلى أقصى حد، حيث كانت هذه هى القناعات، بأن الله أعلن ذاته فى شخص يسوع المسيح، الذى أقامه من بين الأموات، وقدّم للناس الخلاص بواسطته، وأنه سكب من روحه القدوس على الكنيسة. وحتى فى مرحلة العهد الجديد فإن الأفكار الخاصة بالوجود السابق للمسيح، ودوره فى عملية الخلق بدأت تأخذ مكانها، وبدأ يظهر إدراك عميق- ولو أنه كثيراً ما كان غير واضح- بعمل الروح القدس فى الكنيسة. ومع ذلك لم تتخذ أية خطوات، لنظم كل هذه العناصر ككل متماسك.

وقد اضطرت الكنيسة إلى الانتظار مدة تزيد عن ثلاثمائة سنة لتصل إلى الصيغة النهائية، لأنه لم تعتمد بصفة رسمية، حتى مجمع القسطنطينية فى سنة ٣٨١م، حيث الصيغة القائلة بإله واحد فى ثلاثة أقانيم متساوية. ومع ذلك فإنه توجد نظريات، بعضها مقبول، والبعض الآخر أقل قبولاً، امتزجت فى القرون السابقة، وسوف نستعرض حركة الفكر المسيحى حتى مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥م.

قبل استعراض الكاتبين الرسميين، على القارئ أن يلاحظ كيف انطبع مفهوم الأقانيم بعمق فى التقليد الرسولى والإيمان الشعبى. وعلى الرغم من أن أسفار العهد الجديد لم يكن قد اعترف رسمياً بقانونيتها بعد، إلا أن ذلك المفهوم قد فرض تأثيره القوى. ويتضح ذلك من تلك اللمحات التى يمكن الحصول عليها من ليتورجية الكنسية وممارستها التعليمية اليومية. ولم تكن ثمة عقائد فى الفترة الأولى من تلك النوعية التى أصبحت بعد ذلك شائعة. إلا أنه من الواضح أنه كما كان الحال فى العصر الرسولى، فإن الموضوع الرئيسى فى رسالة الكنيسة، كما فى عبادتها هو أن الله أرسل ابنه يسوع المسيح، الذى مات وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وسوف يأتى أيضا فى مجده ليدين الأحياء والأموات.

ويُفهم من كتابات اغناطيوس ويوستينوس أن هذا الفكر بدأ يستقر فى وقت مبكر جداً فى الصيغ الدينية شبه الثابتة للكاتبين. وكثيراً ما تتضمن هذه إشارة إلى الروح القدس، ملهم أنبياء العهد القديم، والعطية الذى أُعطى للمؤمنين فى هذه الأيام الأخيرة.

وباقتراب القرن الثانى، نجد ذكراً «لقانون الإيمان» (راجع مادة قوانين الإيمان فى موضعها فى هذا المجلد). وأصبح ذكر الثالوث الذى يؤكد الإيمان بالآب الذى خلق الكون، وبابنه يسوع المسيح، وبالروح القدس، أصبح شيئاً فشيئاً أمراً عادياً. ويمكن أن نقتبس من رسالة لإيريناوس يقدم لنا بها صورة جلية لتعليم كنسى وُجدت فى تلك الفترة «هذا إذاً هو ترتيب قانون إيماننا.. الله الآب غير مخلوق غير ملموس، غير منظور، الله واحد، خالق كل شئ. هذه هى النقطة **الأولى** من إيماننا. أما النقطة **الثانية** فهى: كلمة الله، ابن الله، يسوع المسيح ربنا، الذى أُعلن للأنبياء، بحسب تدبير الآب، والذى به (أى الكلمة) خُلقت كل الأشياء والذى أيضا فى ملء الزمان، ولكى يكمل ويجمع كل الأشياء، جاء فى الهيئة كإنسان، وظهر بين الناس، مرئياً وملموساً، وذلك لكى يُبطل الموت، ويمنح الحياة، ويحقق المصالحة الكاملة بين الله والإنسان. أما النقطة الثالثة فهى:

«الروح القدس، الذى به تنبأ الأنبياء، وبه تعلّم الآباء الأمور الخاصة بالله، وبه اهتدى الأبرار إلى طريق البر، والذى فى آخر الدهر سُكب بطريقة جديدة على البشر، من مختلف أقطار الأرض، حيث أعاد الإنسان إلى الله».

سواء كانت المعمودية تجرى باسم الرب يسوع المسيح أم لا فى العصر الرسولى، كما يُفهم من كثير من نصوص العهد

الجديد، إلا أن النموذج الذى يتم باسم الثالوث لم ينقطع، ولاشك أن ذلك جاء نتيجة لأمر الرب الوارد فى (متى ١٩:٢٨) (راجع مادة التعليم فى الكنيسة الأولى: المعمودية).

كذلك وصفت تعاليم الرسل ممارسة المعمودية باسم الثالوث. ويذكر يوستينوس أن أولئك الذين كانوا سيعَمَّدون، كنا نقودهم إلى مكان تتوفر فيه المياه، وهناك وبنفس الطريقة التى تعمدنا بها نحن، تعمدوا هم أيضا بها، باسم الله الآب وسيد كل الأشياء، ومخلصنا يسوع المسيح. وفى وقت لاحق يضيف يوستينوس أن المعمودية «باسم الله الآب سيد كل الأشياء، ويسوع المسيح الذى صُلب على عهد بيلاطس البنطى، والروح القدس الذى نطق فى الأنبياء بكل قصة يسوع».

وكذلك كتب ايريناوس يقول: «لقد قبلنا المعمودية لمغفرة الخطايا باسم الله الآب، وباسم يسوع المسيح ابن الله، الذى صُلب ومات وقام ثانية من بين الأموات، وباسم روح الله القدوس.

٣- الآباء والثالوث

الكُتَّاب الأوائل، الذين يتحتم أن نعرض لهم، أى الكتبة الرسوليون، هم شهود على الإيمان التقليدى لا مفسرين يجاهدون لفهمه. ومع ذلك فإن آراءهم - التى عادة ما تأتى فى قصاصات أو شذرات وغالباً ما تكون بسيطة- تمدنا برؤية مفيدة عن الخطوط التى ينبنى عليها الفكر اللاهوتى للكنيسة. وهذه الرؤية لها قيمتها الكبرى لأنهم وإن لم يكونوا جماعة متجانسة، إلا أنهم كانوا المتحدثين عن اتجاهات جماعة إلى حدٍ كبير (كيلى: التعليم فى الكنيسة الأولى).

يعد كليمندس الرومانى (نهاية القرن الأول) من أوائل الكتاب المسيحيين، إلا أن ما يمكن جمعه من كتاباته قليل. وقد نظم «الثالوث» فى قسم واحد:

«حى هو الله، وحى هو الرب يسوع المسيح، وحى هو الروح القدس». بل وكذلك فى التساؤل «أليس لنا إله واحد، ومسيح واحد، وسُكب علينا روح نعمة واحد؟». وهو يأخذ الوجود السابق للسيد المسيح قبل التجسد أمراً مسلماً به، لأنه هو الذى تكلم بواسطة الروح القدس فى المزامير، وهو صولجان العظمة، أى الأداة الذى كان الله دائماً يمارس من خلاله سيادته. كما أنه الطريق الذى بواسطته وجدنا الخلاص، وهو رئيس الكهنة الذى يرفع تقدماتنا، وبواسطته ننظر إلى أعالى السموات. ويؤمن كليمندس أن الروح القدس هو الذى يلهم أنبياء الله فى كل العصور، كما ألهم كُتَّاب العهد القديم، وكذلك كُتَّاب العهد الجديد. ولكنه لم يلتفت إلى مسألة العلاقة بين الأقانيم الثلاثة.

إلا أن «كليمندس» و «برنابا» كان لكل واحد منهما اتجاهاته الخاصة. **فالأول** يستهل كتاباته بنصح قرائه أن «ينظروا إلى المسيح يسوع باعتباره الله، وديان الأحياء والأموات. فهو مخلصنا، وبواسطته عرفنا الآب حقيقة. ويكشف فى فصل لاحق عن مفهومه الأساسى لعلاقة المسيح بالآب، قائلاً: لأنه أول كل الأرواح. فالمسيح الرب، الذى خلصنا، صار جسداً، وبذلك دعانا» كما أنه يعترف بالأقانيم الثلاثة، الله الآب، والمسيح الذى كان روحاً وصار جسداً، والروح القدس. .أما برنابا فأحياناً نجده يشير- بطريقة تقليدية- إلى الروح القدس باعتبار أنه يلهم الأنبياء، وأنه الذى يُعِد مقدَّماً أولئك الذين يدعوهم الله.

وكان الاهتمام الرئيسى للفكر اللاهوتى لبرنابا هو أنه يعطى مكانة بارزة للوجود السابق للمسيح قبل التجسد. فالمسيح هو الذى عمل مع الله الآب فى الخلق و(وعبارة: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» كانت موجهة من الآب للمسيح).

أما إغناطيوس (Ignatius) الأنطاكى (نهاية القرن الأول) فكان أكثر إلهاماً، على الرغم من أن توجهه كان مختلفاً

بشكل ملحوظ. فمحور تفكير اغناطيوس هو المسيح. كما أنه أعطى مكاناً لائقاً فى كتاباته للروح القدس. فبالروح القدس حدث حمل الرب العذراوى، وبواسطته أقام المسيح خدام الكنيسة وثبَّتهم وكان هو العطية الذى أرسله المخلص، وقد وردت صيغة الثالوث ثلاث مرات على الأقل فى كتاباته، وكثيراً ما يتكلم عن الله الآب، ويسوع المسيح، معلناً أنه لا يوجد سوى إله واحد، الذى أعلن عن ذاته فى ابنه يسوع المسيح، الذى هو حكمته، وكلمته الناطقة. والمسيح هو فكر الآب: الفم الذى لا يكذب، والذى أعلن الآب الحق. بل إن إغناطيوس الأنطاكى أعلن أن المسيح هو «إلهنا»، ووصفه بأنه «الله المتجسد»، الله الذى ظهر فى الهيئة كإنسان، وهو «فى الجوهر واحد مع الآب». وفى وجوده السابق للتجسد كان «غير مولود»، لا يحده زمن، وغير منظور، وغير محسوس، ومنزه عن الألم، ولكنه من أجلنا دخل الزمن، وأصبح منظوراً، ومحسوساً، وخاضعاً للألم. ويذكر إغناطيوس أن المسيح» كان مع الآب قبل كل الدهور» وجاء من عند الآب..كان معه، وعاد إليه..»

٣- الآباء والكلمة (اللوجوس)

كان بطرس الرسول أول من اعترف بأن يسوع هو المسيا ابن الله الحى. وذلك بصفته شاهد عيان لمجده الإلهى البادى فى أعماله. وذلك عندما شهد له قائلاً: أنت هو المسيح ابن الله الحى» (متى ١٦:١٦).

لقد كان الفكر اللاهوتى - فى فترة ما قبل نيقية- مركّزاً على التعليم بأن المسيح هو الله المتجسد، والفادى للعالم. وكان هذا التعليم هو الأساس لكل العقائد المتعلقة بالتجديد بالمعمودية. بل وكان مطبوعاً على الحياة العامة، فكان دستور عبادة الكنيسة الأولى. فلم يكن الأمر مجرد تأكيد الآباء على ألوهية السيد المسيح فى مواجهة الهراطقة، ولكن كما يقول «شاف» المؤرخ الكنسى كان هذا الإيمان يُعلن فى العبادة اليومية والأسبوعية، وفى الاحتفال بالعماد، وفى العشاء الربانى، وفى الأعياد السنوية، ولا سيما عيد القيامة. وقد وجد هذا الإيمان مكانه فى الصلوات والتسابيح.بل نجده فى شهادة وثنى، إذ كتب بلينى (Pliny) الصغير إلى الامبراطور تراجان (Trajan) رسالة تفيد أن المسيحيين فى أسيا «اعتادوا أن يرنموا للمسيح كإله لهم». ويقتبس يوسابيوس من أحد الكُتَّاب، ربما يكون هيبوليتس، حيث يشير إلى كتابات يوستينوس، وتاتيان وكليمندس، وآخرين فى شهاداتهم لألوهية السيد المسيح ضد هرطقة أرتيمون (Artemon). وكانت الترانيم التى يكتبها الأخوة تشهد بأن المسيح هو «كلمة الله»، وكانوا يؤكدون على ألوهيته.وقد دفع كثيرون من المؤمنين حياتهم ثمناً لشهادتهم بأن المسيح هو ابن الله (ارجع إلى تاريخ الكنيسة المسيحية لشاف جـ٢) فكانوا جميعاً يؤمنون بإله واحد، ويصممون على ألا يتهاونوا فى هذا الحق الجوهرى مهما كلفهم الأمر (كيلى: التعليم فى الكنيسة الأولى).

كان الإيمان بألوهية السيد المسيح، وألوهية الروح القدس عقيدة راسخة لا تتزعزع، فى عقل الكنيسة المسيحية وقلبها، وكان ذلك هو جوهر إيمانها. فهم يرون أن المسيح سابق للوجود، فقد كان هو فكر الآب أو عقله الناطق. ولشرح هذا التعليم استعانوا بالتشبيه المجازى للكلمة الإلهى (اللوجوس) الأمر الذى كان معروفاً لليهود فيما بين العهدين وللرواقيين أيضاً حيث أصبح أمراً شائعاً نتيجة تأثير «فيلو» كما يقول كيلى(المرجع السابق).

ففى الإنجيل بحسب يوحنا على سبيل المثال نقرأ أنه «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.. والكلمة صار جسداً»(يوحنا ١: ١و١٤).

أما إغناطيوس فإنه يقول: «إنه المسيح المصلوب هو الإله المتجسد» كما يقول «إن المسيح هو فكر الآب، الفكر الناطق

الذى قطع الصمت» (كيلى: مرجع سابق). وكما سبق القول فأن الغنوسية (الغنوصية) كانت منتشرة فى ذلك الوقت وقد هاجمها الرسول يوحنا. وكان إغناطيوس يشدد على حقيقة أن المسيح صار جسداً وحلَّ بيننا، وأن المسيح هو الله.

وهو بهذا يحارب عقيدة الأبيونيين (راجع الباب الخاص بالهرطقات فى هذا المجلد) وعقيدة الإبيونيين لم تكن تعترف بلاهوت المسيح. كما يرفض عقيدة الغنوسيين أيضاً (راجع الباب الخاص بالهرطقات فى موضعه من هذا المجلد).

وكانت طائفة الغنوسيين ترفض ناسوت المسيح.

وقد استطاع إغناطيوس أن يتكلم عن ناسوت المسيح وعن لاهوته دون أن يمزجهما مزجاً كلياً أو أن يفصلهما فصلاً تاماً، الواحد عن الآخر. ويقول إغناطيوس: «إن الكلمة صار جسداً» فهذا الاتحاد الذى تم فى المسيح بين اللوجوس والساركس، بين الكلمة والجسد، كان واضحاً فى تصرفات المسيح. فقد كان يتعب ويأكل ويشرب لأنه كان إنساناً. وكان يعمل المعجزات لأنه كان الله. كان هناك توافق واتحاد بين اللوجوس والساركس. ويقول أيضا إن الجسد الذى وُلد من مريم العذراء يربط يسوع بالبشرية. ولكن الكلمة الذى صار جسداً أى اللوجوس، هو من الله،بل هو الله نفسه، وهو الذى يربط المسيح بالله الآب.

لقد استخلص الآباء المدافعون المضامين الأخرى لفكرة اللوجوس لتوضيح الحقيقة المزدوجة المتعلقة بوحدة المسيح مع الآب قبل الزمن واستعلانه فى المكان والزمان. وهم إذ فعلوا هذا فيما كانوا يستخدمون شواهد من العهد القديم مثل «بكلمة الرب صنعت السموات» (مزمور ٣٣:٦)، لم يترددوا فى أن يمزجوا معها التفريق الرواقى بين «الكلمة» أو الفكر الداخلى، «والكلمة» أو الفكر المنطوق أو المعبر عنه بالكلام. (كيلى: مرجع سابق).

(د. حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى جـ١).

وتعليم الآباء فى هذه المسألة يبدو واضحاً تماماً فى كتابات يوستينوس، وبرغم أن فكره اللاهوتى لم يكن نظامياً (كيلى: المرجع السابق) إلا أن تطور الفكر اللاهوتى عن شخص السيد المسيح يبدأ بيوستينوس، ليصل إلى قمته عند أووريجانوس كما يقول شاف (ارجع إلى تاريخ المسيحية لشاف جـ٢).

كانت نقطة البداية عند يوستينوس هى أن العقل هو الذى وحَّد الناس بالله، وأعطاهم معرفته. وقبل مجئ المسيح كان الناس يملكون «بذار» اللوجوس، فهو يرى أن الكلمة الإلهى كالبذور نُثرت بين البشر من يهود ووثنيين، وبذلك أعطوا القدرة على الوصول إلى أوجه جزئية من الحق. وعلى هذا فإن الوثنيين الذين كانوا يعيشون فى ظل العقل، كانوا من ناحية ما مسيحيين، حتى قبل المسيحية. ومع ذلك، فقد أخذ اللوجوس شكلاً، وجاء فى الهيئة كإنسان فى يسوع المسيح. وقد فُهم اللوجوس هنا على أنه عقل الآب، أو فكره المنطقى. لكن يوستينوس يقول إن اللوجوس ليس متميزاً عن الآب من ناحية الاسم فقط، مثل تميز الضوء عن الشمس، وإنما عددياً أيضا (كيلى: مرجع سابق، شاف مرجع سابق) فالقديس يوستينوس يرى أن اللوجوس يتمتع بوجوده الذاتى والمتميز عن الله الآب، ويعتقد البعض أن يوستينوس كان يحارب بطريقة خفيفة لكن بثبات ووضوح، بعض المسيحيين الذين كانوا يتمسكون بفكرة إغناطيوس التى ترفض فصل أى شئ عن لاهوت الآب. (د.ق حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى جـ١). واعتبر أن ظهورات الله فى العهد القديم هى ظهورات اللوجوس. (كيلى: مرجع سابق، أو شاف: مرجع سابق). ويرى أن السيد المسيح هو علة العلل. وهو التجسد الأزلى، والمطلق للعقل، وهو الهدف الحقيقى للعبادة.

كما يرى يوستينوس أن ما جاء فى (تك ١:٢٦) نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا هو حوار يقدم لنا الله كمن يتكلم مع آخر (اللوجوس). وكذلك ما جاء فى (أم ٨: ٢٢-٣١) الرب قنانى أول طريقه» فكان الآب يحادثه (أى يحادث

الابن) ثم إنه إله: «فلكونه الكلمة فهو أيضاً الله» وعلى ذلك فهو يستحق العبادة لأنه الله. ثم إننا نعبد اللوجوس ونحبه لأنه الله غير المخلوق الذى يجل عن الوصف، لأنه تجسد من أجلنا (كيلى مرجع سابق).

وعن انبثاق الابن من الآب يرى يوستينوس أن ذلك لا يعنى أن اللوجوس جرَّد الآب من لاهوته، أو نزعه عنه، فالإنسان يفكر فى الكلمة التى ينطق بها قبل أن يخرج لفظ الكلمة من المتكلم، فالكلمة التى ينطق بها لا تجرد الإنسان الذى نطق بها من جوهره كإنسان أو تقلل أو تنقص من كيانه ووجوده. إن انبثاق الابن من الآب يشبه أيضا توليد النار من النار، وهذه العملية لا تنقص من كمية أو قوة النار الوالدة ولا تجددها من قوتها وكيانها. وقد عبَّر عن انبثاق الابن من الآب بأنه انبثاق داخلى فى الله ذاته. ويتفق أيضا وقول الرسول يوحنا: «كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان» (يو ١ :٣). فالقديس يوستينوس يرى أن اللوجوس الابن هو العامل فى الخلق.

وعندما تعرض القديس يوستينوس لشرح علاقة الآب بالابن لم يستطع أن يتجنب السقوط فى مشكلة التابعية أو الخضوع (Subordinatianisme) أى تابعية الابن للآب أو خضوع الابن للآب، لأن الآب أعظم وأسمى منه، فقد كتب يقول: «إن اللوغوس أصبح ابناً إلهياً، ولكن خاضع للآب» (حوار٦١). (راجع د.ق. حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى جـ١ صفحة ٤٥١).

وبالرغم أن يوستينوس يعتبر أحد الآباء المدافعين ممن ساهموا فى الدفاع عن الحق الإلهى، بل وعاش ومات لأجل المسيح، إلا أن بعض تعاليمه قد تعرضت للنقد حيث أنه تأثر بالأفكار الأفلاطونية تأثراً واضحاً، وقد بدا ذلك فى تعليمه عن اللوجوس وعن انبثاقه، فإن خروج اللوجوس من الآب يشبه إلى حد ما خروج اللوجوس (بعض الأرواح) من الإله الأسمى فى المفهوم الوثنى الغنوسى (راجع ذلك فى الباب الخاص بالهرطقات)، كما أن يوستينوس كان يعتقد بأن الابن أدنى من الآب، وأن الروح القدس أدنى من الابن) (راجع د.ق حنا جرجس الخضرى جـ١صـ٤٥٢، ٤٥٣).

وقد سار تعليم ثاؤفيلس الأنطاكى من كُتَّاب النصف الأخير من القرن الثانى على نهج مماثل لما سار عليه يوستينوس وأثيناغوراس على الرغم من أنه استخدم بصراحة التعبيرات الرواقية لتوضيح أفكاره. وكان هو أول من استخدم كلمة الثالوث. وقد استخدم هذا المصطلح فى صيغة غير مألوفة هى «ثالوث الله». كذلك يرى كل من كواستين وشاف أن ثاؤفيلس هو أول من كتب مميزاً بين اللوجوس فى الداخل (Internal) واللوجوس فى الخارج أو منطوقاً (uttered). ويشرح ثاؤفيلس ذلك قائلاً: «إن الكلمة كان عند الله، فى حضن الله، الكلمة فى الداخل وقد ولده مع حكمته قبل الكون، والكلمة أى هو الذى خلق كل شئ. وعندما نطق الله هذا الكلمة، أى اللوجوس، خارجا عنه كان هذا هو الكلمة المنطوق خارج الله. ويدعوه أيضاً المصدر والسيد لكل الأشياء التى خلقها» وكيلى مرجع سابق وشاف مرجع سابق- ود. ق حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى كما يرى ثاؤفيلس أن اللوجوس المنطوق هو الذى كان يتحدث مع آدم فى الجنة. ولكن يُوَجَّه إلى نظرية اللوجوس فى داخل الله، واللوجوس فى خارج الله نقداً عن أبدية اللوجوس! وكذلك عن تابعية الابن وخضوعه (د. ق حنا جرجس الخضرى-المرجع السابق).

وعلى غرار يوستينوس، اعتبر ثاؤفيلس ظهورات العهد القديم على أنها فى الواقع ظهورات اللوجوس (كيلى- المرجع السابق).

أما ترتليانوس (القرن الثانى الميلادى). فيؤكد على أن ميلاد المسيح حقيقة واقعية لا شك فيها. ويعتمد ترتليانوس أن اللوجوس ظهر بالتدريج، وهو يصف اللوجوس بالحكمة

والكلمة.

ويميز بين الميلاد الأول لأقنوم الحكمة قبل الخليقة، والميلاد الكامل عندما نطق الله باللوجوس وصار الكلمة، حيث أنه فى تلك اللحظة صار منظوراً وكاملاً. فالكلمة انبثق من الله، لكى يعمل مع الله فى خلق العالم(أم ٨:٢٢-٢٧).

ويسمى ترتليانوس تلك الحالة - بعد التجسد- حالة مزدوجة، ففى المسيح توجد الطبيعة الإلهية، والطبيعة البشرية، أى اتحاد الإلهى بالبشرى، وهو بذلك وجود طبيعتين فى شخص المسيح. فالابن يتميز عن الآب، وكذلك يتميز عن جسده. فالروح والجسد هما إذن متميزان وغير مختلفين وغير ممتزجين، مع أنهما متحدان، فاللوجوس كان يعمل المعجزات، من شفاء مرضى وإقامة الأموات ..إلخ، وخصائص الجسد كانت ظاهرة فى الجوع والعطش والآلام والاضطراب والحزن والبكاء...إلخ (راجع شاف مرجع سابق-ود.ق حنا جرجس الخضرى مرجع سابق).

أما إيريناوس القرن الثانى الميلادى فأخلص من يمثل مدرسة الرسول يوحنا. فهو يحافظ على استخدام الكلمات والمفاهيم فى الإطار الذى وردت فيه بالإنجيل. وهو يقترب بوجه عام فى إيمانه من الإيمان النيقوى. ويفضل استخدام التعبيرين «الكلمة» و« ابن الله»، ويستخدمهما بالتبادل.

لقد رفض إيريناوس كل فكرة تحاول أن تشرح العلاقة بين الابن والآب، حيث قال إنها أسرار لا تسبر أغوارها (راجع شاف جـ٢ تاريخ الكنيسة المسيحية صـ٥٥٣) **ويحتج بشدة كذلك، على اللاهوتيين الذين يقدمون شروحات مطولة ومتصلة عن أصل ومنبع ابن الله ووجوده كما لو أنهم كانوا حاضرين فى يوم ميلاده. ثم يقول إن هذه الأمور لا يمكن وصفها لأنها تفوق كل وصف، والإنسان لا يمكن أن يفهمها ويشرحها، ولا أحد يعرف سر ميلاد ابن الله إلا الآب والابن.** (راجع د. حنا جرجس الخضرى الفكر المسيحى جـ١ صـ٤٣٤).

ولكن حين حاول إيريناوس أن يشرح ذلك فإنه قام بالتمييز بين الآب والابن قائلاً: إن الآب هو« الله الذى يعلن نفسه» أما الابن فهو «الله المعلَن»، أى أن الله «الآب هو أساس الإعلان»، أما الابن فهو «الإعلان الظاهر نفسه» ولذلك فهو يدعو الآب «الابن غير المنظور»، والابن «الآب المنظور» كما يتفق إيريناوس مع يوستينوس فى الرأى عن ظهورات الله فى العهد القديم، فالابن هو الكلمة الذى فيه كلَّم الله الآباء. فالكلمة المتجسد الذى لم يكن حتى ذلك الحين منظوراً للبشر، صار -بعد التجسد- منظوراً. وأعلن للمرة الأولى صورة الله التى على صورتها خلق الله الإنسان الأول. (كيلى- التعاليم المسيحية الأولى- صـ١٠٧).

ويميز إيريناوس بوضوح بين مفهومى الولادة «والخليقة». فالابن بالرغم من أنه مولود من الآب، لكنه على مثاله، مميز عن العالم المخلوق، فهو غير مخلوق، لا بداية له، أى أنه أزلى، وأبدى. وهو يقترب كثيراً من عقيدة نيقية فى مسألة «تطابق الابن والآب فى الطبيعية» وأن تعبير «أبى أعظم منى» «ينطبق على المسيح التاريخى فقط، وهو مثل يوستينوس وأوريجانوس، يشير أيضاً إلى المسيح الأبدى.

وكما يقول شاف: فإنه «بغض النظر عن عدم دقته فى التعبير فى أحيان كثيرة، فإنه بوجه عام، ينحو نحو التعبيرات الكتابية والكنسية، ويؤكد الوحدة الجوهرية والتميز الشخصى الأزلى للآب والابن.

وقد ركّز ايريناوس على ما يختص بقضية الخلاص، فكان يؤكد بشدة على الخلاص، الذى تم فى شخص المسيح، إذ كان الغنوسيون يعلّمون أن السيد المسيح هو واحد من الأيونات (Aeons) (العوالم أو الدهور أو الآلهة)، التى صدرت عن الإله الأسمى، ونزل لكى يخلص الإنسان أو ليحرره من الشرارات الإلهية السجينة فى الإنسان. والخلاص عند الغنوسيين هو رجوع الشرارات أو الذرات الإلهية التى سقطت

من فوق، إلى اللاهوت. وهذه العودة لا تتم إلا عن طريق، المعرفة وهى التى تمنح الخلاص. ودور المسيح هو أن يساعد الإنسان على الوصول إلى هذه المعرفة. هذا هو الخلاص عند الغنوسيين.

كما قال الغنوسيون إن المسيح جاء من فوق ولا يمكن أن يلتصق بالمادة لأنها شر وخطية. لذلك قال إيريناوس إن المسيح جاء فعلاً للخلاص، ولكن هذا المسيح الذى يتكلم عنه الغنوسيون ليس هو نفس المسيح بحسب الإنجيل. فالمسيح بحسب الإنجيل هو مسيح واحد فريد جاء لفداء الإنسان، وقد جاء وصار جسداً.

فالمسيح إن لم يكن إنساناً حقاً وإلهاً حقا، لأصبح خلاصنا مستحيلاً. ولذلك فإنه أكد بشدة على أنه كان من الضرورى بل من اللازم لاتمام عملية الفداء، ووجود مخلص، وأن يكون هذا المخلص مشتركاً فى اللاهوت ومشتركاً أيضاً فى الناسوت. أى كان لابد وأن يكون إلهاً وإنساناً فى نفس الوقت، حتى يستطيع أن يصالح الإنسان والله. فقد كان المسيح إذاً هو الوسيط المؤهل للقيام بهذه العملية، عملية الوساطة بين الله الذى لا يمكن أن يُدنى منه، وبين الإنسان الخاطئ (بتصرف د.ق حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى ج١).

لقد رفض القديس إيريناوس كل عقيدة تؤدى إلى الفصل أو التقسيم فى الله أو اللوجوس. فهو يرى الوحدة الكاملة والجوهرية بين الله الآب والله الابن. ومع ذلك فإنه اضطر مراراً كثيرة إلى أن ينسب ما هو للجسد للجسد، وما هو للطبيعة الإلهية. وذلك لأن الكتاب المقدس نفسه استخدم هذا الأسلوب فى الكلام عن المسيح، فإنه الله الذى ظهر فى الجسد لم يلاشِ ما فى الجسد الذى ظهر فيه، من صفات مختصة به. كذلك الجسد الذى ظهر فيه الله لم ينتقص شيئاً من هذا اللاهوت. فهناك أفعال وتصرفات صدرت من المسيح لا يمكن أن ننسبها للجسد، كما صدرت أمور عن المسيح لا يمكن نسبتها للاهوت (راجع إلى تاريخ الفكر المسيحى: د. حنا جرجس الخضرى ج١ص ٤٤١).

(القرن الثانى الميلادى)

ويستخدم كليمندس السكندرى(القرن الثانى للميلاد) أرفع العبارات عندما يتكلم عن اللوجوس(٥٢ ، ١٥)، وإن كان حديثه عن شخصية المسيح المستقلة بلغة الغموض ، وهو يرى أن اللوجوس هو العلة الأساسية لكل الوجود). فهو بلا بداية، ولا نهاية، وهو الذى يعلن الله، وهو جُماع كل كلمة وحق، وهو الكلمة الناطقة والقوة الخلاقة، وهو خالق الكون، ومصدر النور والحياة، وهو أعظم معلم للجنس البشرى، وأخيراً جاء فى الهيئة كإنسان، ليجعلنا فى علاقة شركة معه، ويجعلنا شركاء طبيعته الإلهية.

أما أوريجانوس(نهاية القرن الثانى وبداية الثالث) فقد كان يدرك أن المسائل التى تتعلق بشخص السيد المسيح، والثالوث هى مسائل شائكة، ومع ذلك فقد كان جريئاً فى تناولها ومعالجتها، إلا أن فكره كان يكتنفه الغموض نظراً للشطحات الغريبة التى لازمته. فقد خلط بين مفهومى «واحد مع الآب فى الجوهر» homo-ousian، و«مشابه للآب فى الجوهر» homoi- ousian أى نظرية التابعية كما يقول شاف فى تاريخ الكنيسة المسيحية. وقد حدث صراع فكرى حاد بين المفهومين، ظهر بقوة فى الجدل الأريوسى فمن جهة، جعل الابن أقرب ما يكون لجوهر الآب، فلم يجعله الحكمة المتجسدة المطلقة والحق والبر والعقل فحسب، ولكنه أيضا الإعلان الأزلى الذى يعبر عن الآب، وهو الذى اقترح عقيدة الكنيسة فى مسألة أزلية ولادة الابن، وهو يقدم أزلية ولادة الابن على أنها صادرة من إرادة الآب، كما أنه يصورها على أنها منبثقة أيضاً من جوهره، ومن ثم فهو يعلن على الأقل فى أحد أقواله مساواة الابن للآب فى الجوهر أو الطبيعة، مع أن فكرة أزلية الولادة أخذت عند أوريجانوس شكلاً خاصاً. من ارتباطها

الوثيق مع تعليمه عن الخليقة الأزلية، فلم يعد فى مقدوره أن يفكر فى وجود الآب، دون وجود الابن، أو التفكير فى إله قادر على كل شئ بدون الخليقة،كما لا يمكن التفكير فى الضوء بدون شعاع. حيث يصف هذه الولادة على أنها عمل لحظى فريد. ولكن على أنها مستمرة كاستمرار الخلق. إلا أنه من ناحية أخرى، يميز بين جوهر الابن وجوهر الآب، متكلماً عن اختلاف الطبيعة. وجعل بكل وضوح الابن فى درجة أدنى من الآب. مستشهداً بما جاء فى (يو١:١) «وكان الكلمة إلهاً» بدون أداة تعريف. علّم أوريجانوس أنه يجب ألا توجه الصلاة إلى الابن مباشرة، بل إلى الآب من خلال الابن بالروح القدس.

ولكن هذا الأمر يجب أن يقتصر على العبادة. لأنه فى موضع آخر يعترف بالصلاة للابن، وللروح القدس. لكن تابعية الابن للآب هذه كانت خطوة إلى الأريوسية. وبعض تلاميذ أوريجانوس، وبخاصة ديونيسيوس السكندرى اقترب من تلك الهرطقة بصورة واضحة.

ويوجز كيلى فى نقطتين ما يرى أنه يجب التأكيد عليهما فى تعليم الآباء هما:

(أ) بالنسبة لهم جميعاً لا تشير عبارة «الله الآب»إلى الآب فحسب، وإنما تشير إلى الإله الواحد الخالق لكل ما هو موجود.

(ب) إنهم جميعاً، يحددون ميلاد اللوجوس منذ قام بأعمال الخلق، والإعلان الإلهى، والفداء.

وما لم تُفهم هاتان النقطتان بكل عمق،وتقدّر أهميتهما حق قدرهما فمن المحتمل أن ينجم عن ذلك رأى مشوّه تماماً عن الفكر اللاهوتى للآباء المدافعين إلا أن ثمة نقدين يوجهان لتلك الآراء:

إنهم لم يميزوا بين اللوجوس والآب، إلى أن قام الابن بعملية الخلق، مما نجم عنه اتهامهم بأنهم أخضعوا الابن للآب، وهذه الاعتراضات تبدو صحيحة ظاهرياً على ضوء الإيمان القويم بعد مجمع نيقية، وتعليمهم القائل بولادة الابن منذ الأزل، ومفهومهم السليم الذى توصلوا إليه عن الأقانيم الثلاثة. وإنها لحقيقة أنهم كانوا يفتقرون إلى مفردات اللغة المتخصصة (الفنية)، والكافية لوصف تلك الفروق فى إطار الألوهية، غير أنه ليس هناك شك فى أنهم كانوا يدركونها. فقبل الخليقة ومنذ الأزل كان لدى الله كلمته (اللوجوس)، لأن الله بالضرورة عاقل.

فقد أدركوا أن الكلمة شخص يمكن للآب أن يحادثه. والفكر القويم وصف هذه العلاقة الأزلية بالآب على أنها ولادة. وهذا التعبير يجب ألا يحملنا على الاستنتاج أنهم لم يكونوا يدركون وجود الكلمة قبل ذلك.

وحين أكد كل الآباء المدافعين على أن ولادة الابن جاءت نتيجة إرادة الآب، فلم يكن غرضهم أن يخضعوه للآب بأى حال، **بل كانوا يستهدفون حماية الإيمان بإله واحد**، الأمر الذى يعتبرونه حتمياً وضرورياً. فاللوجوس من ناحية ظهوره لابد وأن يكون محدوداً بالمقارنة بالألوهية نفسها.

وكان من الضرورى التأكيد على أنه لم يكن هناك مصدران للمبادرة فى الله.

ولم يدّخر الآباء المدافعون وسعاً فى تكرار القول بأن اللوجوس واحد مع الآب فى الجوهر، لا ينفصل عنه من ناحية كيانه الأساسى سواء بعد ولادته أو قبل ذلك.

٤- الآباء والروح القدس

ما ذكره الآباء المدافعون عن الروح القدس كان ضئيلاً للغاية، حتى يكاد لا يستحق أن يُطلق عليه الفكر اللاهوتى العلمى. وهذا أمر مفهوم لأن المشكلة التى استغرقتهم بصفة

أساسية كانت علاقة المسيح بالله الآب كما يقول كيلى (مرجع سابق صـ١٠١) فحتى منتصف القرن الرابع الميلادى لم يكن الروح القدس موضع جدل أبداً. وفى قانون الرسل يُذكر بند واحد فقط عن الروح القدس بينما الاعتراف بابن الله يأتى ذكره فى حوالى ستة أو سبعة بنود، وحتى قانون نيقية الأول يتوقف مع الكلمات «وبالروح القدس». أما البنود الأخرى فقد أضيفت لاحقاً (شاف - مرجع سابق).

ويضيف شاف مؤكداً أن التعاليم عن ألوهية السيد المسيح والروح القدس لم تكن قد اكتملت دراستها على نحو دقيق، فى الفترة السابقة على نيقية، فلا يتوقع أن يكون التعليم عن الثالوث فى تلك الفترة أكثر وضوحاً. وذلك ينطبق أيضا على كل العقائد الكتابية البسيطة والعملية خلال القرون الثلاثة الأولى حيث اعتمد الرسل ومجمع نيقية على صيغة المعمودية. ومن ثم نُظمت فى ثالوث. وقد ظهر ذلك بداية فى التسبيح للثالوث. وقد ذكر ذلك فى رسالة كليمندس الرومانى إلى كنيسة سميرنا عن استشهاد بوليكاربوس فيدعوه «الله، الرب يسوع المسيح، والروح القدس»(شاف مرجع سابق).

يذكر يوستينوس فى مناسبات عديدة مساواة الأقانيم الثلاثة فى المرتبة. ويقتبس فى بعض الأحيان صيغاً مستمدة من صيغة المعمودية والإفخارستيا. وقد قاوم تهمة الإلحاد التى وجهت إلى المسيحيين بالإشارة إلى التبجيل الذى يوليه المسيحيون للآب والابن وروح النبوة. والواقع إن كتاباته تزخر بالإشارات إلى «الروح القدس»، أو «روح النبوة». وعلى الرغم من أن كثيراً من كتاباته كان يشوبها الغموض بالنسبة لعلاقة أعمال الروح القدس بأعمال اللوجوس. إلا أنه ينظر إليهما ككيانين أو شخصين متميزين بالفعل(كيلى-مرجع سابق صـ١٠٢).

وطبقاً لما يقوله تاتيان(طاطيان)(Tatian) فإن روح الله لا يكون فى الجميع، بل يحل فى البعض ممن يعيشون باستقامة، فهو يوحد نفسه مع نفوسهم. وبواسطة تنبؤاته يعلق المستقبل الخفى بالنسبة لنفوس أخرى. والروح القدس كما يرى أثيناغوراس هو الذى يلهم الأنبياء، وكان أثيناغوراس يعرف صيغة الثالوث القدوس، بل إنه عرف الروح القدس، على أنه «يتدفق أو ينبثق من الله» ثم يعود إليه مثل شعاع الشمس. وقد اختلف ثاؤفيلس حول هذه النقطة مع يوستينوس، إذ عرف الروح بالحكمة، مساوياً بين الحكمة والروح. والتى طبقاً للمزمور(٣٣: ٦) استخدمها الله مع كلمته فى عملية الخلق.

وكما سبق أن ذكرنا كان ثاؤفيلس هو أول من استخدم تعبير «الثالوث»، وقال إن الأيام الثلاثة التى سبقت خلق الشمس والقمر، كانت إشارة إلى الثالوث، الله وكلمته وحكمته.

وإذا قورن هذا مع فكر الآباء المدافعين فيما يتعلق باللوجوس، فسوف يتضح أنهم كانوا فى حيرة تامة بالنسبة للدور الحقيقى للروح القدس. إذ يبدو أن عمله الأساسى، كما فهموه، كان إلهام الأنبياء وعلى ضوء هذا يفسر يوستينوس ما جاء فى (إش١١: ٢)«ويحل عليه روح الرب» على أنه إشارة إلى أنه مع مجئ المسيح، سوف يغدق مواهبه ونعمه على المؤمنين. حيث هو روح الاستنارة التى تجعل من المسيحية أسمى فلسفة. ومع ذلك فهناك فقرات ينسب فيها إلهام الأنبياء إلى اللوجوس. **ومما يجدر ذكره فى هذا السياق أن يوستينوس لم ينسب إلى الروح القدس أى دور فى التجسد.** وهو مثل آباء ما بعد مجمع نيقية الآخرين، قد رأى أن «الروح القدس» «وقوة العلى» اللذين ورد ذكرهما فى (لو١: ٣٥) لا يشيران إلى الروح القدس، بل إلى اللوجوس، الذى تخيل أنه دخل إلى بطن السيدة العذراء مريم، وعمل كوسيط لتجسده(راجع كيلى المرجع السابق)، ومع ذلك وعلى الرغم من عدم الترابط فى كتابات الآباء المدافعين، إلا أن تعليم الثالوث المقدس نراه واضحاً فى كتاباتهم. والروح القدس فى كتاباتهم هو

روح الله، ومثل الكلمة، يشارك فى الطبيعة الإلهية، إذ إنه (حسب ما قاله أثيناغوراس) هو «دفق من الله» وعلى الرغم من أن كثيراً مما قاله يوستينوس عنه يتسم بنغمة أقل من شخصية، إلا أنها تصبح شخصية أكثر حين يتكلم عن «روح النبوة»، ولا يمكن إغفال المضامين الشخصية التى احتوتها حججه من أن أفلاطون استعار مفهومه عن «ثالث» من موسى، والعادة الوثنية بإقامة تماثيل للصبية المدثرة كورى(Kore) عند ينابيع المياة، استلهمت من الصورة الكتابية للروح الذى يرف على وجه المياه (كيلى- مرجع سابق).

أما الرأى العقلانى الذى يرى أن تعليم الكنيسة عن الثالوث ينبع من الأفلاطونية الحديثة إنما هو عارٍ تماماً من الصحة كما يرى شاف، ويضيف إن الثالوث الهندوسى (براهما- فيشنو-سيڤا) حيث يتحدون معاً فى الروح ما يزال بعيداً جداً عن الثالوث فى المسيحية. وما يعتبر حقيقياً فعلاً هو أن الفلسفة الهيلِّينية قد عملت من الخارج كقوة مؤثرة تركت أثرهافى معظم صيغ الفكر اللاهوتى عند الآباء.ومن بين التعليم الذى تأثر بذلك، التعليم عن اللوجوس والثالوث. وقد رأى فى وقت سابق بعض المثقفين من الوثنيين وجود ثالوث متميز فى الجوهر الإلهى. وبالرغم من أن الفكرة غامضة وبعيدة، إلا أنها استخدمت فى تدعيم الإيمان المسيحى.

وكانت الأفكار التى عرضت فى العهد القديم، أكثر وضوحاً لا سيما فيما يتعلق بالتعليم فى موضوعات عن المسيا، والروح، والكلمة، وحكمة الله. (وحتى فى نظام الأعداد الرمزية، والتى اعتمدت على تقديس الأرقام: ثلاثة (وهى ترمز إلى الله). وأربعة (وترمز إلى العالم) وسبعة واثنا عشر (ويشيران إلى اتحاد الله والعالم) وهى أرقام العهد. أما سر الثالوث فقد أُعلن بالكامل فى العهد الجديد فحسب، بعد اتمام الفداء وعمل الروح القدس. والظهور التاريخى للثالوث هو أساس المعرفة بالثالوث. (شاف مرجع سابق).

كان الثالوث العامل يأتى فى المقام الأول من فكر الكنيسة. أى الثالوث الذى أعلنه الله فى عمله فى:الخلق والفداء، والتقديس. لقد ظهر الثالوث فى كتابات الآباء باعتبار أنه حقيقة حية. وعلى ذلك، وباتفاق العقل والكتاب المقدس، أعلن جوهر الثالوث. حيث يمكن فهمه-إلى حد ما- عندما يعلن نفسه فى أعماله وأقواله. فالطبيعة الإلهية فُهمت لاعلى أنها وحدة مجردة، مطلقة، بل على أنها ملء لانهائى.

يعترف أثيناغوراس نهاية القرن الثانى بالإيمان بالآب والابن والروح القدس وأنهم واحد فى القوة، ولكنه يميز بينهم فى الدرجة أو المنزلة ويشير إلى التابعية (تابعية الابن للآب).

أما أوريجانوس فيصور الثالوث بثلاث دوائر متحدة المركز، وكل دائرة تغطى جزءاً صغيراً من الدائرة التى تليها. فالله الآب يتسع مجال عمله ليشمل كل المخلوقات، واللوجوس يعمل فقط فى دائرة المخلوقات العاقلة، والروح القدس يعمل فى دائرة القديسين فى الكنيسة. ولكن عمل الروح للتقديس يعود مرةأخرى للابن، ومن الابن للآب، الذى هو غاية كل الكائنات، وحيث أن نطاق عمل الآب هو الأكثر اتساعاً فهو يأتى فى مرتبه أعلى.

ولا يذهب إيريناوس أبعد من صياغة المعمودية وثالوث الإعلان الإلهى. متتبعاً تطور رسالة الله إلى العالم. ويمثل العلاقة بين الأشخاص كما وردت فى(أفسس ٤:٦) **الآب الذى على الكل**، ورأس المسيح، الابن، الذى **بالكل**، ورأس الكنيسة، والروح الذى **فى الكل**، ومصدر الحياة.

أما ترتليانوس(القرن الثانى الميلادى) فيتقدم خطوة. إذ يفترض تميزاً فى الله نفسه، على أساس أن الصورة المخلوقة تكون بمثابة المفتاح للأصل غير المخلوق، فيشرح التمييز فى الطبيعة الالهية بمناظرته بالفكر الإنسانى، فالإنسان يعبر عن نفسه بالكلمة، ولكنه يؤكد على ضرورة وحدانية الآب والابن والروح القدس وهذه الوحدة مؤسسة على التمييز لا على

الانقسام، ولكن فى محاولته لشرح العلاقة بين الآب والابن سقط فى عقيدة التابعية وأولية الآب على الابن، أو سمو الآب على الابن باستشهاده بكلمات السيد المسيح: «أبى أعظم منى»(يو ١٤:٢٨). ويستخدم العديد من التشبيهات لشرح هذه العقيدة، فيقول إن خروج الابن من الآب يشبه خروج شعاع الشمس من الشمس، وكما يخرج الفرع من الشجرة والنهر من الينبوع، كل هذه خارجة من مصادر مولودة منها. ونحن نقول بلا تردد إن الفرع هو ابن الجذع، والنهر ابن الينبوع، والشعاع ابن الشمس، وهكذا يمكن أن نطبق نفس الشئ على الكلمة الذى دُعى ابن الله. ولا يفرق ترتليانوس بين جوهر الينبوع وجوهر النهر، هكذا فإن الابن هو من نفس جوهر الآب وخارج منه.

كان ترتليانوس أول كاتب لاتينى يستخدم اصطلاح «التثليث» كما كان أول شخص يستخدم اصطلاح(Persona) وهو ما ندعوه «أقنوما»، وهذا الاصطلاح كان له دور مهم جداً فى المجامع التى عُقدت فيما بعد.

ويؤكد ترتليانوس بشدة على أن الآب والابن والروح القدس من جوهر واحد إلا أن يعطى المكانة الأولى فى الثالوث للآب، والمكانة الثانية للابن، والمكانة الثالثة للروح القدس. ويرد على اليهود الذين يرفضون عقيدة الثالوث خشية الصراع والغيرة بين أفراد الثالوث، بشرحه لمفهوم الثالوث ومفهوم الوحدة، إذ يرى أن الله الآب يظل السيد على الكون ويحتفظ بهذا السلطان، ومع ذلك فقد منحه للابن، والابن يستخدم هذا السلطان فى العالم لكى يُنفِّذ ما يريده الآب. لأن ما يريده الآب يريده الابن وينفذه الروح القدس. فلا يوجد صراع فى داخل الله، بل الانسجام والتوافق والمحبة. (راجع شاف- مرجع سابق،د.ق حنا جرجس الخضرى- مرجع سابق).

وقد كتب نوفاتيان(Novatian) من القرن الثالث كتاباً عن «الثالوث» هو أول لاهوتى رومانى يكتب باللاتينية، وفى هذا الكتاب شدد على التمييز بين الآب والابن والروح القدس، وأن السيد المسيح كان إلهاً حقاً، وانساناً حقاً منذ الأزل. وفى محاولته للتميز بين الآب والابن والروح القدس، سقط فى بعض الأخطاء إذ علَّم بأن الابن متميز عن الآب، والدليل على ذلك أن الآب أعظم من الابن، وأن الابن أقل من الآب، كما أن الروح أقل من الابن. فقد كان جُل اهتمامه مركزاً على مقاومة هرطقات مثل الانتحالية وعقيدة التبنى وعقيدة الدوسيتية، ليحاول إثبات التمييز بين الأقانيم الثلاثة الذين يكونون وحدة واحدة هى الله، وبذلك ابتعد عن هذه الوحدة.

كانت الانتحالية تقول إن الله واحد وأن «الآب والابن والروح» ما هم إلا أسماء وليسوا أقانيم. لذا نادى نوفاتيان بأن الله الآب، والابن، والروح القدس هم ثلاثة أقانيم وليسوا ثلاثة آلهة مختلفين فى الجوهر. وكذلك ميز نوفاتيان بين ابن الله وابن الإنسان وخلط بينهما. إلا أنه لا يذكر شيئاً عن الروح. (راجع شاف- مرجع سابق، د. ق حنا جرجس الخضرى- مرجع سابق).

بذلك نكون قد استعرضنا السياق الرئيسى لفكر الآباء قبل نيقية فيما يتعلق بموضوع الثالوث. وسوف نتناوله بأكثر تفصيل عند الحديث عن مجمع نيقية وقراراته وقانون الإيمان الصادر عنه، فى المجلد الخاص بذلك.

✣ ✣ ✣ ✣

الباب السادس

هرطقات قبل عصر نيقية

١ - تقديم

لقد أحدثت المسيحية تغييراً عظيماً فى التاريخ، أثَّر على الحياة والفكر، وكذلك على النظم الدينية المعروفة من إيطاليا إلى الهند فى ذلك العالم القديم.

لقد جذبت المسيحية كثيرين من اليهودية والوثنية. وقد حاولت كل منهما أن تقيم تحالفاً زائفاً مع المسيحية، وهو ما أدى إلى صراع الكنيسة مع الهرطقة. ولا يمكن فهم كتابات الآباء وفكرهم بالكامل ما لم نلم بالهرطقات والحركات الفكرية المنحرفة فى زمن الآباء. فقد كانت لها أهمية كبرى، وأثر بالغ على الحركات الفكرية اللاهوتية لكل من الكنائس اليونانية واللاتينية فى ذلك العصر(شاف - مرجع سابق ص ٤٢٨).

كانت اليهودية المتطرفة، وكذلك الوثنية تنظران إلى المسيحية على أنها تعمل على هدم التعاليم والنظم الراسخة لكل منهما، لذا كانا يريان أنه يجب اجتثاثها من جذورها.

بينما ثمة فئة يهودية وفئة وثنية أكثر تحرراً اعترفتا بفضائل المسيحية، وشعرتا بالانجذاب إليها (شيلدون - مرجع سابق ص ١٩٣).

هرطقة

كلمة أصلها يونانى (hairesis) مشتقة من كلمة تعنى «انتقاء» أو «اختيار». وهى فى اليونانية الهيلّينية تشير إلى الاختيار العقلانى فيما يتعلق بالتعليم أو المدارس الفكرية. كما كانت فى المدارس الفلسفية عند كل من فيلو ويوسيفوس، والترجمة السبعينية تدل على طوائف عديدة أو اتجاهات قائمة فى اليهودية، وهى تتضمن معنى الازدراء للشخص الذى ينحرف عن تعليم الربيين. وفى هذا المعنى كان يستخدمها اليهود فى إشارتهم إلى المسيحيين. حيث اعتبروا المسيحيين

«هراطقة»، بمعنى أنهم انحرفوا عن اليهودية، وعن طوائفها (الفريسيين .. الصدوقيين .. الخ) ثم تطورت الكلمة فأصبحت تستعمل للدلالة على مذهب من مذاهب الفلسفة أو مدارس الفكر. ثم أصبحت تستخدم في الفكر اللاهوتي بمعنى الأفكار الغريبة التي لا تتفق والتعليم المستقيم أو إنكاره. (موسوعة الكنيسة الأولى، موسوعة بيكر).

فكان لابد لليهودية بديانتها وكتبها المقدسة، والوثنية اليونانية- الرومانية بثقافتها الدنيوية وعلومها وفنونها أن تدخلا إلى المسيحية لتتغيرا وتتقدسا، وحتى في عصر الرسل تعمد كثيرون من اليهود والأمم، ولكن بالماء فقط أي لم يعتمدوا بالروح القدس (شاف- مرجع سابق ص٤٢٨)، ولكن لم يكن بعض هؤلاء ولا من تحت ولائهم أكثر استعداداً، لأن يتخلوا عن تعاليمهم وآرائهم السابقة، ولذلك احتفظوا بها رغم اعتناقهم للمسيحية، وقاموا بتحريف التفاسير المسيحية لصالحهم.

وخلاصة القول إنهم احتفظوا بقدر كبير أو قليل من اليهودية والوثنية في نفس الوقت الذي كانوا يدّعون فيه بأنهم مسيحيون.

ويرى شيلدون أن معظم الهرطقات المبكرة تعتبر بوجه عام محاولات للمزج بين التعليم القديم والتعليم الجديد الذي أتت به المسيحية، وقد تمت مقاومة تلك الحركات الفكرية والهرطقات مقاومة شديدة في كتابات العهد الجديد، ويبدو ذلك واضحاً في رسائل بولس الرسول والرسائل الجامعة.

ونتقابل مرة أخرى مع نفس الهرطقات في القرن الثاني، حيث أخذت تلك الهرطقات صيغة أكثر تحديداً، وأصبحت أكثر انتشاراً في أنحاء العالم المسيحي. وقد برهنت على الأهمية العالمية للديانة المسيحية في التاريخ -هذا من ناحية- وعلى قوتها التي لا تقاوم في تأثيرها على المثقفين والجادين من ناحية أخرى.

وقد وضعت المسيحية كل المعتقدات والأفكار الدينية الأخرى محل حيرة ودهشة، فقد كان المثقفون مرتبطين بالديانة الجديدة بحقائقها وقوتها فلم يستطيعوا أن يظلوا بعد في اليهودية والوثنية، إلا أن بعضهم كان غير قادر أو غير راغب في أن يتخلى داخلياً عن ديانته أو فلسفته القديمة، مما نتج عنه مزيج غريب من عناصر مسيحية وعناصر غير مسيحية.

لقد بذلت تلك الديانات جهوداً مضنية لتظل على قيد الحياة، وذلك بانتحال الأفكار المسيحية. وكان لذلك من ناحية أخرى تأثيره السلبي، حيث عرَّض حقائق مسيحية محددة إلى التشويه، مما ألزم الكنيسة بالدفاع عن نفسها ضد تشويه الحقائق وتحريفها، أو النكوص إلى مستوى اليهودية أو الوثنية.

وكما سبق وقلنا إنه بظهور المسيحية على مسرح التاريخ قد التقت بديانتين إحداهما حقيقية، والأخرى زائفة، وهكذا.

ظهرت الهرطقة بطريقة مماثلة، متمثلة في الهرطقتين الأوليين، وهما: الأبيونية والغنوسية، حيث جذبتا انتباه الرسل، والملاحظة التي كتبها هيجيسبوس من أن الكنيسة حفظت تعليمها نقياً حتى حكم هادريان، فيها جانب من الحقيقة ويجب فهمها في ضوء الغنوسية- فحسب- فقد ازدهرت الغنوسية في القرن الثاني.

ويضيف هيجيسبوس أن الهرطقة بدأت فعلاً سراً منذ أيام سيمون الساحر، فالإبيونية كانت محاولة لتهويد المسيحية، والغنوسية محاولة لصبغ المسيحية بالوثنية (**شاف- مرجع سابق ص ٤٢٨**).

وهذان النموذجان الواضحان من الهرطقة هما على طرفي نقيض، فالإبيونية أساساً تقليص للديانة المسيحية، والغنوسية تحديد غامض لها. فالإبيونية تنكر ألوهية المسيح، وتنظر إلى الإنجيل باعتباره ناموساً جديداً فحسب، أما الغنوسية

فتنكر الطبيعة الإنسانية الحقيقية للفادى، وتجعل من شخصيته وأعماله مجرد سراب، فهى ترى أن ناسوت المسيح كان مجرد وهم.

إلا أن هذين النقيضين يلتقيان عند نتيجة واحدة، وهى إنكار التجسد، وإنكار الاتحاد الحقيقى الدائم الثابت للعنصرين السماوى والإنسانى فى المسيح. وهكذا يقعون تحت حكم الرسول يوحنا عن المضل وضد المسيح (راجع ١يو٢:١٨ ، ٢يو٧). فهما يريان أن المسيح شفيع أو مصلح بين الله والناس، وأن الديانة التى جاء بها لم تقدم شيئاً محدداً متقدماً عن اليهودية والوثنية. فهما يضعان الله والإنسان فى ثنائية مجردة، أو يقدمان اتحاداً مؤقتاً وهمياً.

إلا أن ثمة مدارس فى إطار اليهودية تتضمن عناصر غنوسية، وكان هذا هو الحال، إلى حد ما، مع الأسيلنيين. وكان على نحو خاص هو حال الفكر اليهودى فى الإسكندرية وكان يمثله فيلو فى بداية القرن الأول، وقد نتج عن ذلك بعض الهرطقات حيث اختلطت فيها عناصر يهودية وغنوسية، ففى الكتابات المزيفة لكليمندس نجد غنوسية إبيونية.

وفى كتابات كيرنثوس، وآخرين، نجد غنوسية يهودية. وقد تمت مقاومة هذين الشكلين فى العصر الرسولى.

وثمة نموذج ثالث ويمثله معارضو الثالوث، وهم أصحاب عقيدة التوحيد المطلق، ويرون أن الله كائن واحد، أى أنه لا يوجد سوى أقنوم إلهى واحد.

وعلى ذلك يمكن اعتبار أن ثمة فئات ثلاث من الهرطقات، وهى:

١- الهرطقات النابعة من اليهودية.

٢- الهرطقات الغنوسية والمانوية.

٣- معارضو الثالوث.

١- الهرطقات النابعة من اليهودية

أ- الإبيونيون والناصريون.

ب- هرطقة كيرنثوس.

جـ- كتابات كليمندس المنحولة.

١- الإبيونيون والناصريون

لم تقنع اليهودية بأن يكون دورها قاصراً على التمهيد للمسيحية، بل كانت تريد أن تحتفظ بمكانها ومكانتها حتى بعد أن أتمت دورها وعملها المتمثل فى تقديم المسيحية. وكانت عازفة عن تبنِّى الحكمة الصادقة، والتى قالها يوحنا المعمدان الذى جاء ليمهد للمسيح، حيث قال: «ينبغى أن ذلك [المسيح] يزيد وأنى أنا أنقص» (يوحنا ٣: ٣٠)، ولكن الغالبية العظمى من اليهود رفضوا الإنجيل.

ومن بين اليهود الذين قبلوا المسيح، كان هناك من دخلوا فى شركة كاملة مع إخوتهم الأمميين، ولم يدَّعوا لأنفسهم أى امتياز عنهم استناداً إلى الناموس. ومع ذلك فإن يهوداً آخرين استمروا على نهج أولئك الذين كانوا يزعجون الكنائس التى أسسها القديس بولس، وذلك بإصرارهم على ضرورة حفظ ناموس موسى، بل إن خراب الهيكل على يد تيطس فى عهد الامبراطور فسباسيان (Vespasian)، وإقصاء اليهودية بشكل كامل من أورشليم، وما حولها على يد هادريان (Hadrian)، لم يستطيعا منع الأكثر غيرة منهم من التقوقع داخل اليهودية.

على هذا فقد انتقلوا من حال كونهم حزباً فى إطار الكنيسة إلى وضع شيعة خارجة عنها، ونجدهم فى نحومنتصف القرن الثانى وقد أصبحوا زمرة من الهراطقة، ولانعرف على وجه التحديد كم بلغ عددهم(راجع موسوعة الكنيسة الأولى).

وبعد ذلك بوقت قصير صنفهم الكاتبون تحت اسم الإبيونيين (Ebionites)، ويرى شيلدون كما يرى شاف أن



الأصل المقترح لهذا الاسم بحسب ما اقترحه العلامة أوريجانوس، مشتق من كلمة «Ebion» العبرية، وتعني «فقير». ولعل هذا الاسم أطلقه الفريسيون فى بداية الأمر على المسيحيين من أصل يهودى، حيث أرادوا أن يصموهم بانتمائهم للطبقات الأكثر فقراً.

وهكذا فإن هذا المصطلح إذ أصبح على هذا النحو- مرتبطاً بأولئك الذين هم من أصل يهودى، كان من الطبيعى أن يطبقه عليهم المسيحيون الذين هم من أصل أممى، وذلك فى إشارة إلى نوعية إيمانهم اليهودى. ولا يؤيد شاف رأى القديس ترتليانوس الذى يرى أن التسمية نسبت إلى إبيون «Ebion» كمؤسس لتلك الطائفة. (شاف-مرجع سابق ص٤٣٢).

والنظام الأساسى لأولئك الذين صُنِّفوا على أنهم إبيونيون، أكد التزامهم بحفظ ناموس موسى، ولقد أنكروا أن يكون بولس «رسولاً».ولم يستخدموا سوى إنجيل متى، بل وفى صورة مشوهة. وكان من رأيهم أن المسيح رجل عادى، حبل به بالشكل العادى، ولم يتميز سوى ببره وعطية الروح القدس السامية، حيث حل الروح عليه فى أثناء عماده، وكانوا يعتقدون أيضاً فى المُلك الألفى، وكانوا ينتظرون مجئ المسيح ليبدأ حكماً متطوراً فى أورشليم، إلا أن هذه الطائفة التى من أصل يهودى، لم تكن فى تجانس كامل، ولكن إيريناوس وهيبوليتس لم يفرقا بين طوائف الإبيونيين المختلفة.

ومن ناحية أخرى يتحدث العلامة أوريجانوس عن طائفتين من الأبيونيين، ويوضح أن إحدى الطائفتين تنكر الحمل العذراوى بالمسيح، بينما تؤيد ذلك الرأى الطائفة الأخرى.

وقبل ذلك بنحو قرن من الزمان أشار يوستينوس الشهيد إلى أن الكنيسة كان لها أن تتعامل مع طائفتين من التهوديين(المسيحيين الناموسيين)، إحداهما تفرض ناموس موسى على أتباعها فقط، أما الأخرى فتصر على أن الجميع يجب أن يحفظوه. وهو يرى أنه كان من الصواب التعامل معها، على الرغم من أن البعض-بحسب قوله- كان له رأى مخالف.

على أن طائفة من المسيحيين التهوديين تمسكوا بعادات آبائهم، وكانوا منتشرين فى كنائس سوريا حتى ختام القرن الرابع الميلادى، واتخذوا لهم لقب «الناصريون» «Nazarenes».

إلا أن شاف يرى أنه قد يكون اليهود هم سبب إطلاق ذلك اللقب الذى خلعوه على اليهود الذين تبعوا يسوع المسيح، وذلك على سبيل الازدراء. ولا يوجد مرجع محدد يتحدث عن أصل نشأتهم(راجع شيلدون-مرجع سابق). إلا أن الوصف الذى جاء فى تاريخ الكنيسة ليوسابيوس المؤرخ-وهو لم يذكرهم بذلك اللقب- يتفق مع ما ذكره كلاين(Klyn) فى موسوعة الكنيسة الأولى من أن أبيفانوس وجيروم يتفقان على أنهم عاشوا فى البرية. (بالتحديد عاشوا فى بلا (Pella)، شرقى الأردن، إلى شمالى بيرية(Perea)، ويذكر يوسابيوس أنهم هربوا إليها بعد سقوط أورشليم فى سنة ٧٠م (يوسابيوس تاريخ الكنيسة ٣: ٥: ٢-٣)، وكانوا يتحدثون بالآرامية، وكان لهم إنجيلهم الخاص. ويذكر شاف أنهم استخدموا إنجيل متى فى العربية.

جمع الناصريون بين الناموس الموسوى الطقسى وعقيدتهم فى مسيانية وألوهية السيد المسيح، ولم يتهموا الأمميين بأنهم هراطقة، لأنهم لم يتقيدوا بالناموس، وكانوا مسيحيين منفصلين منغلقين، ولم يكونوا هراطقة، وقد توقفوا عند بعض الأمور الثانوية فى المسيحية واليهودية. وتقلصوا إلى طائفة غير ذات شأن (راجع شاف مرجع سابق).

ويرجح شيلدون أنه كانت لهذه الجماعة علاقة تاريخية بالتهوديين الذين أشار إليهم يوستينوس الشهيد والإبيونيين الذين وصفهم العلامة أوريجانوس. وقد قال عنهم القديس

جيروم أنه تمنى لو أنهم مسيحيين أو يهوداً، لأنهم لا هذا ولا ذاك.

ب- هرطقة كيرنثوس

كان كيرنثوس(Cerinthus) مصرياً يهودياً إما بالمولد أو لأنه اعتنق اليهودية، ودرس فى مدرسة فيلو، وذلك كما يذكر إبيفانيوس. ويؤكد إبيفانيوس أيضاً أنه أحد الرسل الكذبة، وعارض بولس وطلب منه أن يختتن (غلاطية ٢:٤، كورنثوس١١:١٣). وادّعى أنه أوحى إليه فى رؤيا ملائكية، وكان معروفاً بالمكر والدهاء. وتجول فى أنحاء فلسطين وغلاطية، وسافر ذات مرة إلى أفسس، أما تاريخ وفاته فمجهول.

ومعروف أنه كان معاصراً للرسول يوحنا الحبيب فى نهاية القرن الأول، وكان يعيش فى أسيا الصغرى، ويفترض إيريانيوس أن الرسول يوحنا كان يعارضه لنزعته وأفكاره الغنوسية، وأنه رفض ادعاءاته وأفكاره فى الإنجيل والرسائل التى كتبها (راجع شاف مرجع سابق).

إن القصة التى تقال عن أن القديس يوحنا ترك حمّاماً عاماً عندما رأى كيرنثوس، عدو الحق، مخافة أن يسقط الحمام، وكذلك القصة المشابهة عن بوليكاربوس عند لقائه بمارقيون-راجع مارقيون-ودعاه «الابن البكر للشيطان» إنما توضحان مدى الاشمئزاز العميق الذى كان يكنه رجال الكنيسة من أصحاب الرأى المستقيم تجاه الهرطقات التى ظهرت فى تلك الأيام(راجع إيريناوس- بند الهرطقات٣:٣-٤، يوسابيوس-تاريخ الكنيسة ٣:٢٨:٥٦، موسوعة الكنيسة الأولى جـ١).

وتظهر تعاليم كيرنثوس الغنوسية بوضوح فى فصله بين خالق العالم، والله. فقد اعتبر أن خالق العالم هو إله ثانوى، كائن وسيط ولكنه لم يكن معادياً لله. وفى تفريقه بين يسوع والمسيح، حيث اعتبر الأول أنه ابن مريم ويوسف، فى حين أنه وصف الآخر بأنه كائن أسمى، حلّ عليه فى الفترة الواقعة بين معموديته وآلامه، وكل هذه أفكار تبنَّاها الغنوسيون (راجع شيلدون- مرجع سابق، شاف مرجع سابق، موسوعة تاريخ الكنيسة الأولى).

إلا أنه فى ذات الوقت اتفق فى الرأى مع التهوديين من ناحية التأكيد على مواصلة الالتزام بحفظ الناموس الموسوى، وفى إعلان الملك الألفى للمسيح على الأرض، على أن تكون أورشليم مركز مملكته.

وكان يوسابيوس المؤرخ القيصرى أول من ذكر أن كيرنثوس رأس جماعة نُسبت إليه(وهم الكيرنثيون راجع موسوعة الكنيسة الأولى جـ١).

جـ- كتابات كليمندس المنحولة

ظهرت أعمال تتضمن مرحلة متميزة من الفكر اليهودى مع بداية منتصف القرن الثانى تقريباً. وهى تحمل اسم «كليمندس» لتعطيها وزناً ومصداقية، لسرعة تداولها وانتشارها، ويذكر شاف أن هذه الكتابات المنحولة لكليمندس لعلها حلت محل عمل أصلى لكليمندس الرومانى، وقد ضاع العمل الأصلى وواراه النسيان. وهذه الكتابات يذكرها شاف كما يلى:

١- الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

وقد أُعطيت ذاك الاسم المزيف، وعُرفت جزئياً فى(١٢) اثنى عشر فصلاً، ومنذ عام ١٨٥٧ ظهرت كاملة فى عشرين فصلاً وهى تعد أقل شأناً فى المحتوى والأسلوب من الرسالة الأولى، لعلها كُتبت فى كورنثوس بين سنتى ١٢٠ ، ١٤٠م، وقد ذكرها يوسابيوس القيصرى المؤرخ، بينما لم يذكرها كل من إيريناوس وكليمندس السكندرى وأوريجانوس. إنها ليست رسالة على الإطلاق، وإنما عظة موجهة إلى «الإخوة

والأخوات»، وهذا أقدم نوع عُرف من العظات بعد عظات الرسل.

وهنا فقط تكمن أهميتها وقيمتها، وهى جادة، وإن كانت إلى حد ما تحمل نصائح ضعيفة لمسيحية نشيطة وأمينة فى الاستشهاد، إلا أن الرسالة فى نفس الوقت تؤكد إنكار القيامة.

ويقول الكاتب فى الفصل الأول: «لقد كنا ناقصى الفهم، نعبد الجماد والأحجار، والذهب والفضة والنحاس، صنائع الإنسان، ولم تعنِ حياتنا سوى الموت، واستطعنا أن نرى عندما قشع بإرادته الظلمة التى كانت تحيط بنا، وقد خلصنا برحمته، ودعانا قبل أن نكون، وبإرادته خلقنا من العدم وحصلنا على الوجود الحقيقى».

٢- رسالتان عامتان عن العذراوية

اكتشفهما فى البداية ج.ج.وستين (J.J.Westin) فى مكتبة رمونسترانتس (Remonstrants) بأمستردام، فى سنة ١٤٧٠م، مكتوبتان بالسريانية وطبعتا كملحق لكتاب بالمعهد اليونانى الشهير فى سنة١٧٥٢م. وفيهما يوصى بعدم الزواج، كما تحتويان على نصائح عن قواعد التقشف لكلا الجنسين، وفيهما يظهر الفكر المتطور المبكر عن النسك. إلا أن بعض علماء اللاهوت من الروم الكاثوليك يدافعون عن الأصل الذى ينسبونه لكليمندس، بينما يعزو آخرون بعد جدل عنيف تلك النسخ إلى منتصف القرن الثانى أو نهايته.

٣- القوانين والدساتير الرسولية

ويدعى ليتورجيا القديس كليمندس، هو جزء من الكتاب الثامن من الدساتير.

٤- عشرون عظة إبيونية

عشرون عظة إبيونية مزيفة، صدرت فى روما بعنوان «الاعترافات». ويذكر شيلدون أنه زُعم أن كليمندس الرومانى نفسه قدم قصة تجديد الكاتب، كما عرض لاختباره الناجم عن مصاحبته لبطرس، كما يتحدث عن عظات الرسول وجداله مع سيمون الساحر، ولا يمكن إسناد العقيدة الواردة فى العظات إلى أية شيعة معروفة، وإن كان يفترض أنها تعبر عن عقيدة شيعة «إلكساى» «نسبة إلى مؤسسها (Elxai)أو (Elchesa)، الذى أدَّعى النبوة، وسطَّر كتاباً كان يؤكد أنه كتبه بوحى إلهى، ونشأت هذه الشيعة بالقرب من البحر الميت. كما تظهر فى العظات الدينية مظاهر الثنائية، إذ أكدت العظات على نظرية ثنائية العالم.

وقد أكدت العظات على حرية الإرادة بعبارات واضحة. وينهج الكاتب فى تناوله للعهد القديم أسلوباً متحرراً للغاية، حيث يرفض كل مالايتفق مع آرائه الشخصية، بل ويعتبره اقحامات زائفة، وهو ينسب إلى بطرس الرسول القول إن بعض الأسفار حقيقية والبعض الآخر زائف، وإنه علينا أن نميز بينهما كما يميز الصراف الذكى بين العملة الحقيقية والعملة المزيفة، ثم إنه يضفى المثالية على شخصية آدم والآباء، وينكر الخطايا المنسوبة إليهم. وينبذ الذبائح. ولم يُول أى اهتمام بالختان. وقد اعتبر المسيحية واليهودية شيئاً واحداً، وذكر أن الإنسان سيكون مقبولاً إذا اتبع إرشاد موسى تماماً، مثل ذاك الذى يتبع يسوع. ونسب إلى بطرس أنه قال: «تذكروا أن تنبذوا أى رسول أو معلم أو نبى لا يقوم من البداية بوضع كرازته بحيث تكون مطابقة تماماً لما يقول به يعقوب، الذى دُعى أخا الرب، والذى عُهد إليه بإدارة كنيسة العبرانيين فى أورشليم. ولم يأت ذكر لبولس، وثمة بعض الأمثلة التى تحمل على الشك فى أن طعنة قد صُوِّبت إليه. إلا أن ذروة الهجوم العنيف الذى شنه الكاتب لم يكن ضد تعليم بولس بقدر ما كان ضد غنوسية مارقيون المضادة لليهود.

٥- خمس رسائل

والتى وضعها إيسيدور (أو إزيدور) (Isidor) الكاذب على قائمة مجموعة، حيث وجَّه اثنتين منها إلى يعقوب أخى



الرب، وهما ترجعان إلى تاريخ أقدم من إيزيدور الكاذب، إذ يرجع تاريخهما إلى القرن الثانى أو الثالث، بينما قام بتلفيق الرسائل الثلاث الأخرى، وهى تشكل الأساس الأكبر وأكثر عمل مزيف يتميز بالجرأة، وذلك بغرض تأييد السلطة البابوية.

والرسالة الأولى إلى يعقوب توضح كيف أن بطرس اختار كليمندس ليخلفه على كرسى روما، مع توجيهات تتعلق بوظائف رجال الدين والإدارة العامة للكنيسة. والرسالة الثانية ليعقوب تشير إلى الافخارستيا، وأمور أخرى تتعلق بالتقليد، وهى تتعلق بعظات واعترافات كليمندس المزورة. ومن الجدير بالذكر أن يعقوب(فى أورشليم)يبدو فى درجة أعلى من بطرس(فى روما).

٣- الهرطقات النابعة من الغنوسية والمانوية

تمهيد

ثمة ثلاثة أسباب أدت - بصفة خاصة - إلى ظهور الغنوسية، هى:

أولاً: روح الأرستقراطية الفكرية التى سادت-إلى حد كبير- العالم القديم، فقد تبنَّى رجال الفلسفة ورجال الدين النظرية القائلة بأن السواد الأعظم من الناس ليس لديهم القدرة التى تؤهلهم لتولى المناصب الدينية العليا، وكذلك الحال أيضاً بالنسبة للمعرفة الدنيوية، أما القلة من أصحاب الحظوة فقد أقيموا على الكثيرين كنوع من الارستقراطية الروحية.

وقد أذكت الأفلاطونية هذه الروح، وذلك باعتبار الجهل هو مصدر الخطية، ومن ثم جعلت الخلاص فى شفاء الفهم وتهذيبه، وأن السبيل إلى حضرة الله يكون من خلال التفكير الفلسفى الرفيع، وبالتالى فالأمل فى الوصول إلى الله ضعيف أمام الجهلاء. وقد أراد كثيرون منهم أن يتميزوا عن الجماهير الجاهلة على اعتبار أنهم رجال معرفة، كالغنوسيين.

ويقول مانسيل (Mansel) إن شعار الغنوسيين، الذى يمكن ذكره بنفس كلمات فيلسوف بارز هو: **«الناس يخلصون لا بواسطة ما هو تاريخى بل بواسطة ما هو خارق للطبيعة».**

وهدف الغنوسيين- كما يقول بريزنسيه (Pressense) هو:

«أن يعملوا دائماً على أن يتفوق عنصر المعرفة على عنصر الحياة الأخلاقية».

ومع ذلك يجب ألا يستدل من هذا على أن الغنوسية فى إجمالها، كانت مميزة بالسمة الفكرية الرفيعة.فثمة جانب كبير منها لا يعد نتاج فكر حقيقى بقدر ما يعد نتاج خيال جامح. وقد ادَّعى الغنوسيون أن المسيح أعلن لنخبة مختارة ما لم يعلنه إطلاقاً بشكل علنى، وأن هذا التعليم السرى كان يُنقل بصفة مستمرة من خلال نخبة من التلاميذ ممن كانت طبائعهم تجعلهم مؤهلين لتلقى هذا السر.

ثانياً: الروح الشرقية للمذهب الباطنى، كانت لها دور كبير فى الغنوسية، وكما هو معروف- بدرجة كبيرة- فى التاريخ، إن الذهن الشرقى له نزعته الخاصة تجاه كل ما هو رمزى، وأسطورى، وغامض. والفكر الذى له مثل هذه النزعة لا يقبل الأشكال الواضحة والبساطة الدينية إلا بقدر ضئيل.

فالتاريخ اليهودى، بدا محدوداً للغاية، ومألوفا. ومن ثم كان الظن أنه من الضرورى النفاذ والتغلغل إلى ما وراء نطاق الإعلان الإلهى لارتياد جوانب الكون السرية إن جاز التعبير (راجع شيلدون-مرجع سابق).

ثالثاً: الشعور بالثنائية، فثمة إحساس أليم بقوة الشر الذى يبغى السيادة على الخير. وهذا الشعور يعكس إلى حد كبير مدى الانحطاط الذى بلغه الفكر فى العالم القديم، وظل الشعور بوجود الشر فى العالم مثل عبء ثقيل يسيطر على أذهان الكثيرين من الوثنيين، وقد انعكس هذا الشعور فى صور من التشاؤم الفلسفى، فقد كان من الطبيعى أن يتولد

عن ذلك تلك الرؤية القاتمة للعالم.

لقد حققت الغنوسية تقدماً ملحوظاً إبان حياة الرسل، وقد نسبها آباء الكنيسة الأولون إلى سيمون الساحر- الذى قاومه بطرس فى السامرة- وهو يتحمل عار كونه أول غنوسى. ونجد فى العهد الجديد عدداً لا بأس به من الفقرات التى ربما تشير إلى هرطقة غنوسية (كولوسى٢:٨. ١٨. ١تيموثاوس ٤:١ ، ٦:٢٠، ٢ تيموثاوس ٢:١٦-١٨، يهوذا ١٧-١٩، رؤ٢:٦. ١٤، ١يوحنا:١-٣. ٤:١-٣ وغيرها). وكما يشهد إيريناوس، وكما تبين أيضاً محتويات الكتاب، فقد كتب الرسول يوحنا أجزاءً من الإنجيل، وهو يشير بصفة مباشرة إلى الأوهام الغنوسية لكيرنثوس والنيقولاويين. وقد تطورت الغنوسية فى القرن الثانى، حتى أصبحت أبعد التعاليم أثراً. وكانت الغنوسية، مع بداية القرن الثالث قد انهارت أمام المقاومة النشطة والفعالة التى قابلتها بها الكنيسة.

ومع أن الغنوسية لم تكن تفتقر إلى أفكار قيمة، بل كانت تتضمن بعض العناصر التى تتسم بحدة الفكر، إلا أنها كانت على وجه الإجمال تمثل صورة مشوهة للمسيحية. ومع ذلك لم تكن عديمة الفائدة، فمن ناحية كان من شأن الجهد الذى بذل فى مقاومتها أن أضفى مزيداً من الوضوح على الحقائق الأساسية للمسيحية، بأكثر مما كان يمكن أن يتم فى عدم وجودها. كما أن للغنوسية، من ناحية أخرى إسهامها الإيجابى، حيث جذبت الانتباه إلى المسيحية باعتبارها عنصراً أساسياً فى خطة الكون.

وفيما يلى عرض لبعض الهرطقات والتعاليم الغنوسية المنحرفة:

أولاً: الغنوسية

أ- تعليم سيمون الساحر.

ب- تعليم النيقولاويين.

جـ- تعليم باسيليدس.

د- تعليم فالنتينوس.

هـ- تعليم تاتيان.

و- تعليم هيراقليون.

ز- تعليم كاربوكراتس.

ح- تعليم إبيفانس.

ط- تعليم بطليموس.

ى- تعليم ماركوس.

ك- تعليم كولارباسوس.

ل- تعليم بارديسانس.

مـ- تعليم ساتورنينوس.

ن- تعليم مارقيون.

س- تعليم يوستينوس الغنوسى.

ع- تعليم هرموجينس.

ف- تعليم مناندر.

ص- عابدو الحيات.

١- المشايعون لشيث.

٢- المتأملون.

٣- نسل قايين.

ق- أنواع أخرى:

١- الدوسيتيون.

٢- من ينتمون إلى أكثر من مذهب واحد.

٣- أتباع بروديشيان.

أولاً: الغنوسية

١- سيمون الساحر

كان سيمون الساحر (Simon Magus) معاصراً للرسل، ويرجح أنه وُلد فى مدينة جيتون (Gitton) إحدى مدن السامرة، وهناك قابل فيلبس (أحد الرجال السبعة الذين أقامهم الرسل، (راجع أعمال الرسل ٦:٣). انحدر فيلبس إلى تلك المدينة بعد الاضطهاد العظيم الذى حدث على الكنيسة، وكان من نتائجه أن تشتت المؤمنون-عدا الرسل (راجع أعمال الرسل ٨:١-٨). وقد أدهش سيمون شعب السامرة باستعماله للسحر، وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين: «هذا هو قوة الله العظيمة» (أعمال الرسل٨: ١٠). وقد آمن سيمون واعتمد مع آخرين من أهل السامرة، وكان ذلك نحو عام ٤٠م، غير أنه كان مندهشاً من الآيات والقوات العظيمة التى كانت تجرى بواسطة فيلبس (أعمال الرسل ٨:١٢-١٣).

وصل كل من بطرس ويوحنا إلى السامرة للصلاة من أجل المؤمنين من السامريين، لكى يقبلوا الروح القدس، لأنه لم يكن قد حَل بعد على أحد منهم. حينئذ وضعوا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس، ولما رأى سيمون أنه بوضع أيدى الرسل يعطى الروح القدس، قدم لهم دراهم حتى يحصل هو أيضاً على هذا السلطان العجيب الذى كان عندهما. فقال له الرسول بطرس: «لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم» (أعمال الرسل ٨: ١٨-٢٥). كانت تلك هى المرة الأولى فى تاريخ الكنيسة التى تحدث فيها محاولة للتوفيق بين الدين وفنون السحر، وقد وصفه آباء الكنيسة بأنه «الأب» أو «المؤسس» أو بحسب وصف القديس إيريناوس «الجد الأكبر» لكل الهرطقات، ولا سيما الغنوسية (راجع شاف- مرجع سابق). وذلك بالإضافة إلى اثنين آخرين من السامرة، وهما منانـدر (Menander)، ودوسيثيوس (Dositheus). حيث كانت السامرة أرضاً خصبة للتوفيق بين الديانات حتى قبل السيد المسيح، وكذلك كانت المكان الطبيعى لظهور هرطقة «الغنوسية».

بينما يرى إ. بريتو (E.Pretto)، أن سيمون هو مؤسس الطائفة التى نُسبت إليه، ولكنه لم يصفهم بأنهم غنوسيون. وكان أبرز تعليم ينادون به هو: إن سيمون كان يعتبر «الإله الأسمى»، وإن «هلينا» (Helena) التى أنقذها من بيت للدعارة فى مدينة «صور»، كانت هى فكرة «إنويا» (Ennoia) حيث انبثقت من عقله، وقامت هيلينا بخلق القوات الوسيطة (الملائكة ورؤساء الملائكة). ثم قامت بعد ذلك بخلق العالم.

حاصرت الغيرة والحسد هيلينا متخذتين لنفسيهما جسدين بشريين، وأجبرتاها على أن تتقمص أجساداً بشرية الواحد تلو الآخر. ولكى يحرر سيمون هيلينا وكل الناس من سلطات القوات الوسيطة، نزل إلى الأرض وجعل نفسه معروفاً كابن فى اليهودية، وكآب فى السامرية وكالروح القدس فى مكان آخر. والخلاص يحدث من خلال الإيمان بقوة سيمون المحررة، وهذا التعليم الذى نادى به سيمون لا يتفق مع التعاليم التى نادى بها الغنوسيون. إن تأليه سيمون وهلينا، وإدعائهما بالخلود وعدم ذكر أى سقوط محدد يفسر لماذا نزل سيمون إلى الأرض، أو أى علاقة بين الفداء وطبيعة المعرفة عند سيمون. كل هذه الأمور تبين أنها لم تكن غنوسية، فهى تعطى انطباعاً بأنها كانت تسير على الطريق نحو الغنوسية اليهودية-المسيحية، إلا أنها لم تدخل بعد إلى تلك الدائرة (راجع موسوعة الكنيسة الأولى).

ب- تعليم النقولاويين

لقد ذُكر النيقولاويون (Nicolatians) بالارتباط ببلعام (رؤيا ٢ :١٤-١٥). وقد يكون ذلك إشارة إلى أنهم ناموسيون، فيأكلون ما ذُبح للأوثان ويمارسون الزنى، إذ يذكر ذلك على أنه أمر يحدث فعلاً فيقول: «هكذا عندك أنت أيضاً» (رؤيا ٢ :١٥). وهو ما يعد مرادفاً للنيقولاويين

(دائرة المعارف وكلف Wycliffe للكتاب المقدس)، وحيث ينسب النيقولاويون إلى نيقولاوس الدخيل الأنطاكى، أحد السبعة الذين ورد ذكرهم فى سفر أعمال الرسل (٦:٥).

وقد تأكدت معرفتنا عن حزب النقولاويين من خلال كتابات الآباء الأولين، فيذكرهم القديس إغناطيوس(١١٠م)على أنهم «محبو الملذات»، ويُعَرّف النيقولاوى، فيقول عن إنه: «من يسئ إلى جسده»(رسالة إغناطيوس إلى أهل فلادلفيا. الفصل السادس). أما القديس إيريناوس(١٨٠م) فيذكر أنهم «من يعيشون حياة الانغماس بلا قيود» (ضد الهرطقات). أما كليمندس السكندرى فيذكر أن نيقولاوس كان زوجاً مخلصاً، وقد نشَّأ أبناءه على النقاوة والطهارة، لكن تلاميذه أساءوا فهم تعليمه- الذى هو تعليم القديس متياس أيضاً، وهو «أننا يجب أن نحارب ضد الجسد، وأن نسئ استخدام الجسد»(شاف مرجع سابق).

وكتب هيبوليتس(٢٠٠م) «أن يوحنا الرائى يوبخهم على أنهم يزنون ويأكلون ما ذُبح للأوثان»(ضد الهرطقات).

إن الشهادة العامة تدين النيقولاويين لأنهم كانوا بلا ناموس(موسوعة وكلف).

جـ- تعليم باسيليدس

تعد كتابات هيبوليتس وكليمندس السكندرى من أهم المصادر التى نستقى منها المعلومات التى نثق فيها عن تعليم باسيليدس، وكان باسيليدس (Basilides) يعلم فى الإسكندرية فى أيام هادريان(١١٧-١٣٨م). ونقطة البداية لتعليمه هى ذروة غموض الغنوسية، ولقد تخطى كل الحدود فى تأكيده سمو الكائن الأول، معلناً بأنه ليس فقط فوق كل اسم وكل مفهوم، بل إنه فوق الوجود ذاته، وهو مطابق لفكرنا عن شخص لا يمكن إدراكه إلا فى الذهن. وإذ ينتقل من الكائن الأول إلى النظام الأدنى للوجود، نجد أن باسيليدس يتخذ سبيلاً غير عادى- إلى حد ما- بالنسبة لغنوسى.

وإذ أنكر نظرية الانبثاق، أو النزول إلى أسفل، نراه يؤكد خليقة فورية، وتطوراً يتجه إلى أعلى، وأول كل شئ ينتج الكائن الذى يجل عن الوصف نتيجة أمر لا إرادى، بذرة العالم. وفى البذرة، والتى تحتوى الكون فى داخلها على شكل نواة، توجد بنوة ثلاثية من نفس جوهر خالقها. جانب منها مهذب، والجانب الثانى غير مهذب، والجانب الثالث فى حاجة إلى التطهير. وأولها يرتفع فى الحال إلى الألوهية السامية، والثانى- بمساعدة الروح القدس كجناح- يرتفع إلى المكان الأدنى التالى، فى حين أن الجناح الحر، يظل بينه وبين المنطقة الأدنى. ومن البذرة ينبثق الآن الحاكم الأعظم، الذى يصعد إلى السماء، أو إلى منطقة الروح القدس، وكذلك ينبثق حاكم أدنى، وهو مُعطى ناموس العهد القديم، حيث يحكم مكاناً أدنى، وفى ظل هؤلاء الحكام بدأت خطة محكمة للخلق. والحاكم العظيم، الذى يسمى أبراكساس(Abraxas أو أبراساكس Abrasax)، أُفترض أنه يترأس ما لا يقل عن ثلاثمائة وخمسةً وستين سماء، أو دائرة من دوائر الخلق. وفى غضون ذلك، ولد كل حاكم ابناً أعظم منه.

وأبناء الحكام هؤلاء يخدمون غرضاً فدائياً. ويعملون على أن يستنير آباؤهم، فيدبرون وسيلة عن طريقها يحدث التنوير. للنبوة التى تحتاج إلى تطهير، وكان يسوع الناصرى أول المتلقين، ويصور بصعوده إلى المناطق الأعلى المجد الذى ينتظر أتباعه.

وبرغم أن تعليم باسيليدس يحط من شأن اليهودية إلا أنه يكشف عن مرارة خاصة تجاهها.

د- تعليم فالنتينوس

يعد فالتينوس (Valentinus) من أبرز الكتبة الغنوسيون وكثيراً ما كان يمزج ما هو شعرى بما هو تأملى، يُفترض أنه

كان مواطناً مصرياً، ومن سلالة يهودية. وكان يعلّم فى روما فى الفترة الواقعة بين سنتى ١٤٠ ،١٦٠ اختتم عمله فى قبرص، وطبقاً لما ذكره ترتليانوس كان رجلاً قادراً وفصيحاً، وقد خاب رجاؤه كثيراً لإخفاقه فى أن يكون أسقفاً.

ويبدأ تعليم فالنتينوس بافتراض أن الله هو الأساس الأول، والأساس المطلق لكل وجود حقيقى. أما من ناحية ما إذا كان هو وحده قبل ولادة أول الأيونات، فيوجد ثمة اختلاف فى الرأى بين أتباع فالنتينوس أنفسهم. وبحسب هيبوليتس: فإن البعض منهم يقولون إن الآب غير مؤنث، وغير متزوج،وهو وحيد. إلا أن الآخرين يقولون إن أبا الكون، لكى يكون أبا فلابد أنه توجد معه سيجى(Sige) كزوجة. ولعل أول هذه التصورات هو ما قدمه فالنتينوس نفسه. فمن الآب الأسمى باعتباره الحلقة الأولى فى سلسلة الانبثاقات، انبثق منها (Nous)وآليثيا (Aletheia). ومن هذين الأخيرين انبثق اثنان آخران هما لوجوس logos، وزوZoe، ومن هذين الآخرين انبثق انثروبوس (Anthropos)، وإكليسيا (Ecclesia). ثم انبثقت عشرة انبثاقات من الأيونين الأولين.

إن لوجوس وزو- إذ خدما أيضاً كأساس لانبثاقات- أضافا اثنى عشر أيوناً، وبذلك أصبح العدد الكلى ثمانية وعشرين أيوناً، وهؤلاء يشكلون معاً البليروما أو ملء اللاهوت.

لقد انتهكت صوفيا- أبعد الأيونات- منطقة البليروما لأول مرة، حيث تملكتها الرغبة فى أن تبحث فى طبيعة الآب الأسمى، بل ومنافسته أيضاً بأن تلد بدون زوجها. ومع ذلك فالذى ولدته كان كائناً لا شكل له، ولم يكن كاملاً، وعلى هذا لم يكن يصلح ليكون ضمن هيئة البليروما.

ولمواجهة هذا الأمر، وُلد اثنان من الأيونات وهما على وجه التحديد، المسيح والروح القدس. أما أكاموث(Achamoth) التى لا صورة لها، والتى وُلدت نتيجة أهواء صوفيا، فقد طُردت من البليروما. وقد أخذت على الرغم من ذلك شكلاً، نتيجة للعون الذى قدمه المسيح والروح القدس، وأنتج الآب أيوناً جديداً هو حوروس(Horos) كى يحرس الحدود. وكان نتيجة الرثاء لأكاموث التى سقطت أن حملت أيونات على إنتاج الأيون المخلص، والذى عليه أن يساعدها فى أمر خلاصها.

وقد نزل مع ملائكته إلى منطقة الفضاء الذى لا شكل له، حيث كانت ابنته صوفيا تتعذب بالرغبة والخوف والحزن والارتباك، ودفع أهواءها بعيداً عنها. وقد نجم عن ذلك أشكال مختلفة من الكائنات. ومن أحزان أكاموث جاء الشيطان وملائكته، وكل شئ مما له طبيعة مادية، ومن دموعها كانت المادة السائلة، كما جاء من ضحكها كل ما هو بهيج فى الطبيعة . وقد تولدت عن توبتها ورغباتها طبائع مادية، كان على رأسها الإله خالق الكون المادى(Demiurge)، وتغرسها بسعادة، فى جمال مرافقى المخلص، تولد عنه طبائع روحية.

وإذ بدأ على هذا النحو فداء أكاموث، عاد المخلص وانسحب لفترة ما.

أما خالق الكون المادى، الذى عُهد إليه بتفاصيل العالم الدنيوى، والذى دون وعى منه كان أداة لقوة أعظم، فهو إله العهد القديم.

وفى تشكيله الناس لم يكن لخالق الكون المادى سلطان سوى أن يعطيهم عناصر مادية ونفسية فقط، غير أنه- دون علمه- ضمنت أكاموث أن جزءاً مختاراً من البشرية يجب أن يصبحوا شركاء فى الجوهر الروحى. واتساقاً مع نوعيات المادة الثلاث توجد ثلاث نوعيات من الناس: الترابى(أو الجسدانى أو المادى)، والنفسى والروحى. والسيد المباشر للنوع الأول هو الشيطان، وللثانى هو خالق الكون المادى، وللثالث أكاموث.

إن تحقيق الخلاص جاء على النحو التالى: وعد الإله

الخالق للكون المادى بمجئ المسيح، وهذا المسيا الموعود به ظهر فى شخص يسوع الناصرى، وقد خُلق على صورة الإله خالق الكون المادى، وهو فى الهيئة كإنسان، ومع ذلك، فإن جسده لم يكن من مادة بل من جوهر سماوى من المناطق العليا.

وعند عماد هذا المسيح اتحد معه المخلص الذى من البليروما (ملء اللاهوت) واستمر معه حتى آلامه، وبفضل العمل الخلاصى، تسلم النا إعلاناً إلهياً عن الحق يتناسب مع طبيعتهم، وقد جُذبوا نحو مجالهم الصحيح. أما الخروف الضال، أكاموث، فقد أعيدت أخيراً إلى البليروما كعروس للمخلص. والناس الروحيون سوف يستقبلون فى محضرهما، ويتحدون مع الملائكة الخادمين، أما الجسديون، فإنهم إذ ما حسَّنوا فرصتهم، فلسوف يجدون نصيباً صالحاً فى فردوس خالق الكون المادى، ولو أنه أقل رفعة. وسوف تلتهم النار الناس الماديين وكل الأشياء المادية الأخرى.

لذلك كانت المحصلة النهائية لنظرية فالنتينوس هى الإخفاق فى تحقيق هدفها الحقيقى الذى يرتكز على المذهب القائل بوحدة الوجود. إلا أنه يجب النظر إلى هذا الموضوع على أنه بالأحرى نتيجة عدم ترابط منطقى لنتيجة التزام صارم بمتطلبات فرضياته، ويقول مانسل: «من حيث أن الفكر الذى ترتكز عليه نظريته كلها هو فى جوهره فكر المذهب الهندى القائل بوحدة الوجود، والذى يرى أن كل الوجود المحدود إن هو إلا غلطة، وغير حقيقى، ومن ثم فإن خطته للخلاص إذ ما افترض تنفيذها، فمن المنطقى أنها ستنتهى إلى احتواء كل وجود محدود، وما يتعلق به فى صدر المطلق وغير المحدود».

لقد اجتذبت مدرسة فالنتينوس كثيرين. ومن بين أبرز تلاميذها: بطليموس ومرقس وهيراقليون، كما يجب أن يضاف إليهم اسم بارديسانيس. إلا أنه تبنّى تعاليم فالنتينوس بصفة مؤقتة فحسب (راجع شيلدون-مرجع سابق).

هـ- تعليم تاتيان

تاتيان (طاطيان) Tatian هو الكاتب السريانى البارع، الذى وُلد فى سوريا فى سنة ١١٠م، وكان من عائلة وثنية، عرف الإيمان على يد «يوستينوس الشهيد» فى روما، ولكنه انحرف إلى الغنوسية، وتوفى فى سنة ١٧٢م. أساء تفسير (١كورنثوس ٧: ٥).

حيث أوضح أن الزواج يعد ضرباً من الفسق والفساد وفى خدمة الشرير. ويرى أيريناوس أن تاتيان بعد استشهاد يوستينوس انحرف عن طريق الكنيسة القويم، حيث أخذته الخيلاء وإعجابه بنفسه، وظن أنه متقدم عل كل من حوله. وقد ابتدع بعض الأيونات (Aeons) غير المنظورة، شبيهة بتلك التى ابتدعها فالنتينوس، وقد اتفق مع كل من مارقيون، وساتورنينوس فى أن الزواج هو زنى وفسق.

وله كتابان:

الأول: يرى البعض أنه دفاعى موسع ضد الأمميين، فى حين يرى البعض الآخر أنه دعوة للجماهير لاتباع مدرسته، **والكتاب الآخر** هو الدياطسرون (توافق الأناجيل) - وقد كتبهما بين سنة ١٥٣ - ١٧٠م ولا تبدو فيهما آثار واضحة للغنوسية، ما لم يكن ذلك متمثلاً فى إسقاط سلسلة نسب يسوع فى «الدياطسرون» (Diatessaron) أو الكتب الأربعة، وكان تاتيان ناسكاً.

حافظ أتباع تاتيان على منهجه حتى القرن الخامس، ونظراً لتقشفهم وزهدهم فى الحياة فقد سموا «الممتنعين» (Encratites)، حيث استخدموا الماء عوضاً عن الخمر فى عشاء الرب، وامتنعوا عن اللحم والخمر والزواج تماماً، لا بصفة وقتية كما فعل ذلك الأولون لظروف العبادة. فقد افترضوا أساساً نجاسة الزواج. وتندرج تحت ذلك الاسم طوائف عديدة من الغنوسية المتقشفة، لاسيما أتباع ساتورنينوس ومارقيون

وساويرس، كما استظل بها المانيون أيضاً. ويشير كليمندس السكندرى إلى الطوائف الزاهدة من الهنود، على أنهم سابقون لطائفة «الممتنعين». ولقد دان كل من كليمندس السكندرى وكبريانوس وذهبى الفم استخدام الماء بدلاً من الخمر فى عشاء الرب، وقد أصدر ثيودسيوس مرسوماً فى سنة ٣٨٢م، بمنع هذه الممارسة.

و- تعليم هراقليون

تعلم هراقليون (Heraclion) على يد ڤالنتينوس، وربما ذاع صيته بين (١٧٠-١٨٠م)فى مكان ما بإيطاليا. والهراقليون أهمية خاصة إذ أنه أول من عُرف بشرح إنجيل يوحنا. وفى تعليق أوريجانوس على نفس الكتاب، احتفظ لنا بنحو خمسين شذرة (اقتباساً) منه. وهى تعليق على الأصحاحين الأولين والأصحاحين الرابع والثامن. وقد اعترف هراقليون اعترافاً صريحاً بقانونية الإنجيل الرابع، وله منهج خاص فى قراءته. فقد استخدم الأسلوب الرمزى، كما فعل أوريجانوس، الذى هاجمه لاهتمامه الشديد بالحرف، ولأنه لم يتعمق فى فهمه فهماً روحياً. وقد وجد فى إنجيل يوحنا أفكار فالنتينوس المفضلة عن اللوجوس أو الحياة والنور والمحبة والصراع مع الظلمة وأسراراً فى كل الأرقام، مجرِّداً الحقائق من واقعها التاريخى. ففى الأصحاح الرابع ترمز المرأة السامرية إلى فداء الحكمة، كما يرمز الماء فى بئر يعقوب إلى اليهودية، وزوجها هو زوجها الروحى من البليروما (ملء اللاهوت) وأزواجها السابقون يرمزون إلى مملكة الشر، وخادم الملك فى كفر ناحوم (يو ٤:٤٧) يرمز إلى إله العالم المادى، وهو ليس عدواً بل جاهلاً، ولكنه على استعداد أن يناشد المخلص لكى يساعده. وابن خادم الملك يرمز إلى النفوس، حيث نالت الشفاء والفداء، عندما تخلصوا من جهلهم.

والحقيقة هى أن إنجيل يوحنا وجد تقديراً كبيراً عند مستقيمى الرأى، وأتباع فالنتينوس، مما يؤكد بشدة على وجوده المبكر، وعلى أصله الرسولى.

ز- تعليم كاربوكراتس

عاش كاربوكراتس(أو كاربوكرات Carpocrates) فى زمن حكم هادريان(Hadrian) (١١٧-١٣٨م).

وقد أسس حزباً أو طائفة من الغنوسيين، وأطلق اسمه عليه، ووضع المسيح على نفس مستوى الفلاسفة الوثنيين، حيث افتخروا بأنهم ارتفعوا فوق كل الأديان المعروفة. وقد أوغلوا فى الفجور، وأطلقوا لأنفسهم العنان لفعل الشر. ويعتقدون أن الملائكة قاموا بخلق العالم، وهم أدى كثيراً من الآب غير المولود. وأن المسيح هو ابن يوسف، مثله مثل باقى البشر، إلا أنه كان قوياً وطاهراً. وقد تذكر على نحو كامل ما رآه من أمور تقع فى نطاق الآب غير المنظور. ولهذا فقد حلت عليه قوة من الآب، تمكن بواسطتها من الهروب والنجاة ممن خلقوا العالم. وبعد أن اجتازهم جميعاً بسلام فإنه عاد مرة أخرى إلى الآب. ويمكن أن يصل إلى المساواة مع يسوع إذا ما أمكن ازدراء خالقى العالم، والهروب منهم بنفس الطريقة التى اتبعها يسوع.

ويذكر كل من إيريناوس وهيبوليتس أن أتباع كاربوكراتس كانوا يمارسون فنون السحر من استخدام تمائم، وشراب سحرى لجلب الحب، واللجوء إلى الأرواح الشيطانية، وكثير من الأمور الأخرى البغيضة. وقد أعلنوا أنهم يمتلكون القوة لحكم أمراء هذا العالم وسادته، ولكنهم قادوا الناس إلى الفسق واقتراف الرذيلة، وأساءوا استخدام اسم المسيح ليخفوا وراءه شرورهم. وكانوا أول طائفة معروفة استخدمت صور المسيح (راجع شاف- مرجع سابق).

ح- إبيفانس

إبيفانس(Epiphanes) هو ابن كاربوكراتس، وقد توفى عن عمر يبلغ (١٧) سبعة عشر عاماً. وهو مؤسس الطائفة

التى تنادى بالأحادية الغنوسية، وهى تقابل الثنائية الغنوسية، إذ أنها أنكرت الوجود المستقل للشر، وحولته إلى قوانين إنسانية خرافية.

وقام إبيفانس بتأليف كتاب عن «العدل»، وقد عرفه بأنه هو «المساواة». وقد ذكر كليمندس أن أتباعه قد عبدوه بعد موته. وأقاموا له الاحتفال والذبائح، وأنشدوا له الأناشيد.

وهكذا يتضح اقتران العبادة العقلية بالتحرر الجسدى، والتى ظهرت مرة أخرى فى عصور تالية.

وربما يكون كليمندس قد أخطأ عندما ذكر هذه الحقيقة، مثلما فعل يوستينوس الشهيد مع سيمون الساحر، إذ خلط بين احتفال وثنى محلى للقمر مع احتفال على شرف إبيفانس(راجع موسوعة الكنيسة الأولى جـ١، شاف- مرجع سابق جـ٢).

ط- بطليموس

بطليموس هو كاتب الرسالة إلى فلورا(Flora) السيدة المسيحية الغنية، التى أراد لها أن تتجدد وتتبع فالنتينوس، وهو يعالج أساساً الرفض القائل إن خلق العالم، وأسفار العهد القديم لا يمكن أن تكون قد صدرت عن الله، وهو يؤمن بطقس الآباء وبأقوال السيد المسيح، وأن المسيح الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبَّر(يوحنا ١:١٨) «وأن ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» (متى ١٩:١٧).

ولذلك فهو لا يستطيع أن يكون خالق العالم الذى يكثر فيه الشر، وقد استقى إيريناوس كثيراً من المعلومات من أتباع بطليموس المعاصرين له.

ى- ماركوس

ماركوس(أو مرقس)(Marcos) هو أحد تلاميذ فالنتينوس-أيضاً- فى النصف الثانى من القرن الثانى، ربما فى أسيا الصغرى أو فى بلاد الغال(فرنسا)، حيث مزج الرمزية الفيثاغورثية والرمزية القبلانية مع أفكار معلمه- فالنتينوس- مقدماً طقساً وفيراً فى مظاهره، سعياً لجذب انتباه السيدات الموسرات بفنون السحر. ودعى تلاميذه (المرقسيون- أو أتباع ماركوس-راجع شاف - مرجع سابق).

ك- كولارباسوس

يرتبط اسم كولارباسوس(Colarbasos) كثيراً باسم ماركوس(مرقس). ويجب حذف اسمه من قائمة الغنوسيين، إذ أنه حُسب منهم، وذلك للخلط بين ترجمة «كول أربع»(فى العبرانية)أو «الآلهة الأربعة»الذين على رأس البليروما مع شخص، التى وردت فى كتاباته. وقد اكتشف ذلك هيومان (Heumann) فى سنة ١٧٤٣م.

ل- بارديسانس

بارديسانس (Bardesanes) أو (Baradaisan)(ابن دايسان)يعد عالماً وشاعراً سورياً متميزاً، وكان أحد حاشية أمير الرُها (Edessa) فى نهاية القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى.

ولا يحسب من بين الغنوسيين، إلا بالمعنى الواسع. وطبقاً لإبيفانوس كان مستقيم العقيدة فى البداية، ثم انحرف باتصاله بأتباع فالنتينوس.

ولكن يوسابيوس المؤرخ له رأى يخالف ذلك، فهو يرى أنه بدأ هرطوقياً ثم أصبح قويم العقيدة. وقد ذكر أن بارديسانس أيضاً كتب ضد هرطقة مارقيون باللغة السريانية، والأرجح أنه قبِل الإيمان المسيحى مع بعض التعديلات. وقد مارس بعض الحرية فيما يتعلق بالتعاليم موضع المناقشة حيث لم تكن قد رسخت تماماً فى الكنيسة السريانية فى ذلك الوقت. ولكن أعماله الكثيرة فقدت، فيما عدا {حوار حول القضاء والقدر}، والذى طُبع بالكامل فى لندن فى سنة ١٩٥٥، وذلك عن النسخة السريانية الأصلية الموجودة فى متحف

إنجلترا، ولا يذكر فيه تاريخ محدد، كما لا يبدو فيه أثر لأساطير غنوسية أو ثنائية تُنسب له. وهو أو ابنه هارمونيوس (Harmonius) (تختلف الآراء). يعد الكاتب لكل الترانيم السريانية، فقد كتب مائة وخمسين ترنيمة (على مثال المزامير)، حيث استخدمت فى مختلف المناسبات والاحتفالات الكنيسة، إلى أن حلت محلها ترانيم القديس إفرايم السريانى قويم الرأى. والذى تمتع بنفس القدرة الفنية، حتى ذاع صيته، وكما يقال فإنها انتشرت جنوبى نهر الفرات إلى أن وصلت إلى الصين. ويقال أن ابنة هارمونيوس، الذى كان موطنه الرُها، قد تبع خطوات أبيه، ودرس الفلسفة بأثينا.

م- تعليم ساتورنينوس

لم يتوفر من تعليم ساتورنينوس (Saturninus) أو ساتورنيلوس (Saturnilus) سوى القليل، وهى جديرة بالاهتمام بصفة أساسية بسبب ما تكشف عنه من تأثير الثنائية الفارسية. فقد قامت كل من منطقة النور ومنطقة الظلام ضد الأخرى، وعلى حدود الأولى يقف سبعة ملائكة، ورئيسهم هو إله اليهود، وفى ممارستهم لوظيفة الخلق قاموا بخلق الأرض والإنسان.

وقد فسر بواسطة قوى الظلام تحت قيادة الشيطان، بأنه ضد مملكتهم، ونتج عن ذلك حرب مستمرة، والناس ينضمون إلى هذا الفريق أو ذاك، طبقاً لامتلاكهم مبدأ النور أو لافتقارهم إليه. ولكى يساعد أولئك الذين يستحقون أرسل الإله الأسمى كائناً مخلصاً، أخذ شبه الجسد، وأصبح مُعَلم الناس الروحيين ومرشدهم، وهو يرى أن النسك هو الطريق إلى التحرر.

ويقال إن أتباع ساتورنينوس كانوا يعارضون الزواج، والإنجاب باعتبار أن ذلك من الشيطان، وأنهم كانوا يمتنعون عن تناول الطعام الحيوانى (راجع شيلدون-مرجع سابق).

ن- تعليم مارقيون

كان مارقيون أو ماركيون (Marcion) أكثرجدة وعملية وخطورة من سائر الغنوسيين، وكان مليئاً بالطاقة والغيرة للتغيير، وكان قلقاً خشناً غريب الأطوار (راجع شاف- مرجع سابق).

وكانت له صلة كبيرة بنقد الكتاب المقدس، والمعارضة العقلانية للعهد القديم والرسائل الرسولية،ولكن بطريقة غير مدروسة تخلو من القيم، وقد ذكر بعض الاختلافات السطحية -فحسب- فى الكتاب المقدس، من وجهة نظره، ولكنه لم يستطيع أن يتعمق أكثر من ذلك.

ورفض الأساطير الوثنية للغنوسيين الآخرين، والتصق بالمسيحية كالديانة الحقيقة الوحيدة.

كان أقل إعمالاً للعقل، لأنه أعطى مكاناً أكبر للإيمان. لم يكن عنده الحس التاريخى إطلاقاً، وقد جعل المسيحية فى صراع جذرى مع كل الإعلانات الإلهية السابقة، إذ أنكر سلطان العهد القديم، كما لو أن الله تجاهل العالم آلاف السنين، ليظهر فجأة فى المسيح، ولم يعترف بشئ من العهد الجديد إلا بأنجيل لوقا البشير، وعشر رسائل فقط من رسائل الرسول بولس. فقد رأى أن الرسل الآخرين مزيفون وشوهوا الحقيقة (شيلدون- مرجع سابق).

وقبل أن نسرد قصة حياة مارقيون وأفكاره اللاهوتية، نذكر أن بعض مورخى العقائد المسيحية قد اختلفوا فيما إذا كان مارقيون غنوسياً أم لا.

فبينما يرى إيريناوس أنه كان غنوسياً يرى أ.هارناك أنه لم يكن غنوسياً على الإطلاق، لأن مارقيون لم يمد جسراً بين اللانهائى والنهائى من خلال سلسلة الأيونات (Aeons)، كما فعل الغنوسيون الآخرون، ولا أعمل فكره فى سبب الاضطراب فى العالم المنظور (راجع شاف- مرجع سابق جـ٢ ،كواستن- مرجع سابق جـ١-د.ق.حنا جرجس الخضرى جـ١).

١- نشأته

وُلد مارقيون فى مدينة سينوب (Sinope) التى تقع على شاطئ البحر الأسود شمالى تركيا فى نحو عام ١٢٠م. ونشأ متديناً إذ تربى فى بيت مسيحى، فكان أبوه أسقفاً على مدينة سينوب. وكان لمارقيون نشاط فى الكنيسة.

إلا أنه يبدو أن أباه طرده من الكنيسة، بسبب تعاليمه المنحرفة التى تخالف الكتاب المقدس. فذهب إلى روما فى منتصف القرن الثانى(١٤٠-١٥٥م) فى أيام حكم أنطونيوس بيوس. وروما لم يخرج منها أصلاً أى غنوسى، وإن كانت قد جذبتهم جميعاً.

٢- فكر مارقيون الهرطقى

فى روما أقبل مارقيون على تعليم سِردون(Cerdo) الغنوسى السريانى حيث تردد على مدرسته، واستقى منه الأساس الذى بنى عليه تعليمه، الذى نشره من خلال أسفاره، وتلمذ كثيرين من مختلف الجنسيات. وقيل عنه إنه كان يريد- قبل وفاته- أن يعود إلى الكنيسة. أما زمان ومكان وفاته فمجهولان.

كتب مارقيون دراسة نقدية عن إنجيل لوقا، ورسائل بولس والتناقضات بين العهدين القديم والجديد.

وقال عنه يوستينوس الشهيد إنه كان أقوى الهراطقة فى زمانه. وقد عبَّر إيريناوس فى تقرير له عن مدى الاحتقار الذى كانت تكنه له كنيسة روما، فعندما التقى بوليكاربوس ومارقيون فى روما، فسأل الأخير بوليكاربوس: «هل تعرفنى؟»، فأجابه بوليكاربوس: «إننى أعرف الابن البكر للشيطان» (شاف- مرجع سابق، كواستن- مرجع سابق).

يختلف مارقيون عن الغنوسيين الآخرين فى أنه يرفض التفسير المجازى للكتاب المقدس،كما أنه يخلط بين الأفكار المسيحية والأفكار الوثنية، وهو ما يميز الغنوسية. ويرى كواستن أن فكره عن الألوهية غنوسى لأنه يميز بوضوح بين إله الخير الذى يعيش فى السماء الثالثة، والإله الآخر الأقل فى الدرجة، الذى قام بخلق العالم والإنسان. وهو ليس إلا الإله الخالق للكون المادى(Demiurge) المعروف عند الغنوسيين الآخرين، وكذلك فإن مارقيون غنوسى التفكير أيضاً حين يقول إن الإله الآخر لم يخلق العالم من العدم، ولكن خلقه من مادة أزلية، وهى بذرة كل شر.

ويرى مارقيون أن ذلك الإله هو إله اليهود، إله الناموس والأنبياء، وهو إله عادل، ولكنه سريع الغضب ومنتقم، وهو إله كل شر مادى أو أخلاقى. ولهذا فهو علة كل الحروب.

ويبدو الفكر الغنوسى واضحاً فى تعليم مارقيون عن شخص المسيح، فهو يرى أن المسيح ليس هو المسيا الذى تنبأ عنه الأنبياء فى العهد القديم، ولا هو ذاك الذى وُلد من العذراء مريم، لأن المسيح فى الحقيقة، لم يعرف ميلاداً، ونمواً، ولا حتى المظهر لهذين الحدثين. وإنما المسيح الحقيقى، ظهر بطريقة فجائية فى أثناء حكم الامبراطور طيباريوس التى تصل إلى خمسة عشر عاماً، فى مجمع كفر ناحوم، حيث أصبح المسيح من تلك اللحظة فى هيئة بشرية، واحتفظ بها حتى موته على الصليب. وقد قدس كل النفوس بدمه الذى سفكه على الصليب. وهنا فكرة غنوسية أخرى، فالفداء للنفوس فقط، حيث أن الجسد تحت سلطة الإله الخالق المادى، ومصيره الهلاك.

ويرى مارقيون أنه لا توجد ضرورة لكى يشرح أصل إله العدل، ولا لماذا يحمل قيمة كبرى لذبيحة الصليب، ما دامت تلك الذبيحة لروح له مظهر الهيئة البشرية.

ويظهر ميله للغنوسية- أيضاً- فى طريقته فى حذف كثير من نصوص العهد الجديد، فقد حذف ما يشير إلى أن الله الآب أبا ربنا يسوع المسيح، هو نفسه الله الخالق للعالم،

وأن المسيح هو ابن الله خالق السماء والأرض. وأن الله أبا ربنا يسوع المسيح هو نفسه إله اليهود، فكل تلك الفقرات التى حذفها تتناقض مع أفكاره الغنوسية. بالإضافة إلى ذلك فإن مارقيون يشترك مع فالنتينوس فى رفضه لكل العهد القديم، ولكنه يختلف عن معظم الغنوسيين فى أنه لم يؤلف أى إنجيل جديد أو كتب مقدسة، بالرغم من رفضه للعهد القديم بالكامل، وحذفه للعديد من أسفار العهد الجديد.

وهو يعتقد أن المسيحيين من اليهود قاموا بتحريف الأناجيل، وأدخلوا عليها عناصر يهودية، ولهذا السبب فإن المسيح دعا بولس الرسول لكى يقدم الإنجيل الأصلى الصحيح، إلا أنه حتى رسائل بولس قام أعداؤه بتزويرها.

لقد قام مارقيون بحذف أناجيل كل من البشيرين مرقس ويوحنا، وحذف ما يتصل بالعقائد اليهودية من إنجيل لوقا البشير، والتى تحتوى أساساً على إنجيل المسيح، بل وقد استبعد من كتاب بولس الرسول الرسائل الرعوية والرسالة إلى العبرانيين، ووضع الرسالة إلى أهل غلاطية فى بداية الرسائل، وقام بتغيير عنوان الرسالة إلى أهل أفسس، ليصبح الرسالة إلى أهل لاودكية.

وهو بذلك اختصر العهد الجديد إلى جزءين يحتويان على وثائق الإيمان، وأسماهما: الإنجيل أو الرسول. وأضاف إليهما كتابه الذى يحمل عنوان (**المتناقضات**) (Antithese) حيث جمع فيه كل الفقرات موضع الاعتراض التى وردت فى العهد القديم ليبرر استبعاده للعهد القديم، وليبرهن على الطبيعة الشريرة لإله اليهود.

ويشرح فى كتابه أيضاً اعتراضه على الأناجيل وسفر أعمال الرسل.

س- تعليم يوستينوس الغنوسى

إننا نعرف عن يوستينوس (يوستين) الغنوسى من هيبوليتس، غير أن زمان ميلاده ومكان نشأته مجهولان، حيث نشر تعليمه سراً، وألزم تلاميذه بالصمت، بالقسم الذى اتخذوه على أنفسهم. وكتب العديد من الكتب، أحدها يسمى «باروخ» (Baruch)، ومنه يستخلص هيبوليتس فكرته عن يوستينوس الغنوسى، وفيه يقدم شرحاً رمزياً لسفر التكوين، إلا أن له نظرة يهودية.

وهيبوليتس فى الواقع يصنفه مع طائفة «النحشتان»، إلا أنه كان ليوستينوس نظرة تخالف نظرة عابدى الحية، فهو يرى أنها سبب كل شر فى التاريخ.

وقد استخدم الميثولوجيا اليونانية، لا سيما مآثر هرقل الإثنتى عشرة. وقد افترض ثلاثة مبادئ، مبدآن مذكران، ومبدأ مونثاً. الأول هو الكائن الصالح، والثانى هو إلوهيم أب الخليقة، والثالث يسمى عدن واسرائيل، وله شكل مزدوج، النصف الأعلى لامرأة والنصف الأسفل لحية. ووقع إلوهيم فى حب عدن، ونتج عن حبهما وعلاقتهما العالم الروحى ويتكون من عشرين ملاكاً، عشرة منهم من جهة الأب، والعشرة الآخرون من جهة الأم، وهؤلاء هم شعب العالم. والمسئول عن مجموعتى الملائكة هو باروخ الذى هو سبب كل خير أيضاً. وهو الذى تمثله شجرة الحياة فى الجنة. والحية هى المسئولة عن كل شر، وكانت تمثلها شجرة المعرفة فى جنة عدن. والأنهار الأربعة التى تجرى فى الجنة هى رموز للملائكة الأربعة المنقسمين.

وقد قررت الحية أن تزنى مع حواء، وكانت أسوأ جريمة ترتكب فى حق آدم، ولذلك قام آدم بتزييف الناموس والأنبياء، وهو الذى قام بصلب المسيح، وتثبيته على الصليب بالمسامير، ولكن عن طريق الصلب تخلص المسيح من جسده المادى. وارتفع إلى حيث الإله الصالح الذى عهد إليه بروحه بعد الموت، وهكذا جاء المسيح ليكون المخلص.

ع- تعليم هرموجينس

كان هرموجينس (Hermogenes) رساماً بقرطاجنة فى

نهاية القرن الثانى، وبداية القرن الثالث الميلادى. وقد وصفه القديس ترتليانوس بأنه متمرد ومشاغب ورجل أحمق، حيث تزوج عدداً من المرات أكثر مما قام به من أعمال فنية (رسم). كان ينتمى إلى الغنوسية لمجرد أنه يؤمن بالثنائية الأفلاطونية، ولإنكاره الخلق من العدم. وينسب العالم بما فى ذلك روح الإنسان إلى المادة الأزلية التى لم يكن لها شكل.

وأن القبح فى العالم الطبيعى، تماماً كما الشر فى العالم الروحى، وذلك بفعل مقاومة المادة لقوة الله التى تشكلها. وهو يظن أنه بذلك التفسير وحده يعلل أصل الشر، إذ لو أن الله خلق العالم من العدم، فلابد أن يكون كله خيراً.

كما علّم أن المسيح وهو يصعد ترك جسده فى الشمس، مستعيراً تلك الفكرة من (مزمور١٩: ٤)، ثم صعد إلى الآب. ولكن لم يكن هرموجينس يرغب فى أن ينفصل عن الكنيسة.

ف- تعليم مناندر

إن معرفتنا عن مناندر (Menander) الغنوسى معرفة محدودة. فنعرف من يوستينوس أن مناندر وُلد فى كباراتيا (Kapparatia) إحدى بلاد السامرة (Samaria).

وأصبح تلميذاً لسيمون الساحر، وعندما انتقل إلى أنطاكية تبعه تلاميذ كثيرون بسبب أعمال السحر، ولأنه وعدهم بالخلود، أما إيريناوس فيؤكد أصله السامرى، ويقدم لنا فكرة عن تعليمه.

وكما يقول «كستاجنو» (castagno) إن مناندر ادعَّى أنه المخلِّص الذى أرسلته الآلهه غير المنظورة ليخلص البشرية.

والغنوسية التى انتشرت عن طريق مناندر بيَّنت الطريق للانتصار على الملائكة، الذين خلقوا العالم،والذين صدروا عن الفكر (الإله الأعظم).

وكذلك ادعى أن كل من اعتمد على اسم مناندر سيحظى بالقيامة والخلود (راجع موسوعة الكنيسة الأولى).

✣ ✣ ✣ ✣

ص- عابدو الحيات

١- المشايعون لشيث.

٢- المتأملون.

٣- نسل قايين.

إن أصل التسمية غير معروف على وجه الدقة، وهو بالعبرية «نحشتان» (راجع ٢مل١٨: ٤)، وقد وضعه موسهيم (Mosheim)، وآخرون قبل زمن المسيح. على أية حال فإن تعاليمهم تفيض بالوثنية، ويوضح لبسوس (Lipsus) ارتباطهم بالأساطير الكلدانية- الأشورية، وقد استمرت هذه الطائفة حتى القرن السادس، لأن جستنيان أصدر قوانين ضدها فى سنة ٥٣٠م.

لا توجد معلومات مؤكدة-فى الحقيقة-عن لماذا يتخذون من الحية علامة خاصة لهم فى عبادتهم، ولكن ربما ترجع التسمية لأنهم يعيرون أهمية خاصة للحية كرمز للمعرفة، فيما يتعلق بالسقوط (تك٣: ١)، وعصا موسى (خر٤: ٢-٣)، والقوة الشافية التى للحية النحاسية فى البرية (عدد ٢١: ٩)، قارن يو٣: ١٤)، وقد استخدموا شكل الحية كتمائم (أحراز) لهم.

وتلك الحية العجيبة توحى بالرهبة، حيث تبدو مثل ملاك ساقط يزحف على التراب معذباً، والحية فى الكتاب المقدس ترمز إلى روح الشر حيث استخدمت شعار: «أحقا قال الله»، وهى أول كذبة صدرت عن أبى الكذاب (الشيطان)، والتى تسببت فى هلاك الجنس البشرى، ولكن الحية فى الأديان الزائفة تعد رمزاً للحكمة الالهية، وهدفاً ملموساً للعبادة، حيث يظهر مرة أخرى نفس الشعار كحقيقة عظمى، والتى

تفتح الطريق إلى التقدم. وبصرف النظر عن كون الحية هى التى أغوت الجنس البشرى، فإنها كانت أول من علمته الفرق بين الخير والشر.

ولذلك فإن عابدى الحيات اعتبروا أن سقوط آدم مرحلة انتقالية من حالة العبودية غير الواعية إلى حالة التبرير والحرية الواعية، حيث المدخل الأساسى إلى الخير ولتقدم روح الإنسان النبيلة.

لقد وحّدوا بين الحية واللوجوس، أو الوسيط بين الآب والمادة، حيث جعلوا القوى الخاصة للعالم الأعلى تأتى للعالم الأدنى، وفى المقابل من العالم الأدنى للأعلى. وقد رأى «المانيون» أيضاً أن الحية تعتبر مثالاً مباشراً للمسيح.

ومع هذا الرأى ارتبطت معارضتهم المجحفة للعهد القديم. وقد أطلقوا على إله اليهود «حالداباؤث» وخالق العالم، حيث صوَّروه على أنه حقود، يكره البشر.

ومن جهة أخرى، فإن تعليمهم يشبه إلى حد بعيد تعليم فالنتينوس، فيما عدا أنها تنادى- أكثر منها- بوحدة الوجود، ولا أخلاقية وأقل منها كثيراً فى التطور.

*وتوجد ثلاث طوائف تندرج تحت عابدى الحية وهى:

(١) الشيثيون: إذ يعتبرون أن شيث الابن الثالث لآدم هو الإنسان الروحى الأول، والذى مهد الطريق للمسيح. واحتفظوا بثلاثة مبادئ: الظلمة تحت، والنور فوق، وبينهما يوجد الروح.

(٢) المتأملون: طائفة تؤمن أن معرفة الحقيقة تتم عن طريق التأمل المجرد دون الحاجة إلى الإحساس أو الخبرة. وقد ذكر هيبولتيس أنهم مجوس، ويُعلمون أن ثمة ثلاثة آلهة يتميز أحدهم عن الآخر، ثلاثة لوجوس(كلمة)، ثلاثة عقول، ثلاثة من البشر. وكان المسيح ثلاثى الطبيعة، وثلاثى الجسد، وثلاثى القوة. فقد نزل من فوق، وأن كل الأشياء التى تنقسم إلى ثلاثة فإنها تُحفظ بسلام.

(٣) نسل قايين: يفتخرون بأنهم من نسل قايين قاتل أخيه، ويتخذونه قائداً لهم، ويعتبرون أن إله اليهود وخالق العالم هو- إيجابياً- كائن شرير. والذى تعد مقاومته فضيلة، حيث أنهم قلبوا تاريخ الخلاص رأساً على عقب. وكرَّموا كل الشخصيات التى فعلت ما يشين فى العهدين القديم والجديد، من قايين إلى يهوذا الأسخريوطى على أنهم رجال روحيون، وشهداء الحق. ويدَّعون أن من بين الرسل ينفرد يهوذا الأسخريوطى، وقد خان المسيا بنية حسنة، لأنه كان يريد أن يدمر إمبراطورية إله الشر عند اليهود. وقد ذكر أوريجانوس هذا الفرع الذى يخرج من جذع شجرة عابدى الحية، حيث كانوا يكنون عداءً شديداً للمسيح، مثل سيلسوس الوثنى، ولم يقبلوا فى مجتمعهم أى شخص إلا إذا لعن اسمه أولاً. ولكن الغالبية العظمى منهم تعترف بصلاح المسيح والفائدة من صلبه التى ترجع إلى حكمة يهوذا الأسخريوطى البعيدة. وقد تداولوا فيما بينهم كتاباً بعنوان «إنجيل يهوذا».

ولا عجب أن ارتبطت مثل هذه التجديفات وتزييف التاريخ المقدس، والولع الشديد بالحية، بإطلاق العنان للمخالفات والتناقضات التى جعلت من الرزيلة فضيلة. وقد ظنوا أنهم لكى يصلوا إلى «المعرفة الكاملة»، فمن الضرورى أن يختبروا اختباراً كاملاً كل الخطايا والرزائل.

لقد اعتبر البعض أن عابدى الحية هم الذين أشار إليهم يهوذا فى رسالته «المعلمون الكذبة المحتملون الذين ينجسون الجسد ويتهاونون بالسيادة ويفترون على ذوى الأمجاد،..لأنهم سلكوا طريق قايين، وانصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة وهلكوا فى مشاجرة قورح..» وبهذا «فهم نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد»(يهوذا٨ ،١١ ،١٣). والتشابه واضح إلى حد كبير، وهؤلاء الهراطقة ربما كانوا هم السابقين لعابدى الحية فى القرن الثانى الميلادى(راجع شاف- مرجع

سابق).

ويغلب على الظن أن كثيراً من هذه الأسماء ترجع إلى مؤسسى تلك الطوائف الذين إليهم تُعزَى كل الأخطاء اللاهوتية والرذائل التى نادوا بها. ولذلك فإننا لا نندهش للمعارضة العنيدة للآباء الأولين تجاه الانحرافات الفكرية اللاهوتية التى نادى بها أولئك الهراطقة فى تعاليمهم التى تشوه حقيقة المسيحية.

✣ ✣ ✣ ✣

ذكر الآباء الأولون، لا سيما هيبوليتس وإبيفانيوس العديد من الطوائف الغنوسية تحت العديد من الأسماء:

(١) الدوسيتية

كانوا يعلّمون أن جسد المسيح ليس جسداً حقيقياً من دم ولحم، ولكنه مجرد خداع، فكانوا يرون أنه جسد مؤقت وشبحى، وبالتالى فالمسيح لم يتألم ولم يمت ولم يقم من بين الأموات ثانيةً. وينسحب هذا الاسم على معظم الغنوسيين، لاسيما على باسيليدس (Basilides) وساتورنينوس (Saturninus) وفالنتينوس (Valentinus) ومارقيون (Marcion) وأتباع مانى (Manichaeans) السابق ذكرهم.

والدوسيتيون كانوا أول من علّم تعاليم منحرفة ضد المسيح، حيث كتب القديس يوحنا «وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه يأتى والآن هو فى العالم» «لأنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً فى الجسد. هذا هو المضل والضد للمسيح» (١يوحنا ٤:٢ ، ٢:٢ يو٧).

(٢) من ينتمون إلى أكثر من جماعة واحدة:

حيث يدل على ذلك تحررهم وتناقضهم، مما يعنى أنهم لم يكونوا أتباع معلم واحد.

(٣) تعليم أتباع بروديشيان (Prodicians)

والمفروض أنه المؤسس لهذه الجماعة. وقد اعتبروا أنفسهم فوق الناموس والسبت وكل أشكال العبادة، بل وحتى فوق الصلاة نفسها. وهم يشبهون أتباع نيقولاوس، ومن لا ينتمون إلى مذهب واحد، وقد سموا أيضاً «أتباع آدم»، كما سموا أيضاً الباربلاتيين والبوربويانيين، والكوديانيين، والفيبيونايتيين، وبأسماء أخرى غامضة.

ثانياً: بدعة مانى

تعد المانوية الشكل الأخير من التعاليم الغنوسية، وهى أكثرها خطورة وتنظيماً، وأكثرها دقة واتساقاً. ولذلك كان على المسيحية أن تشن عليها حرباً طويلة.

لم تكن المانوية مجرد مدرسة فكر منحرف، مثل أشكال الغنوسية الأخرى. وإنما كانت ديانة أخرى وكنيسة أخرى تحارب المسيحية. (راجع شاف-مرجع سابق). كانت المانوية خليطاً من الوثنية والمسيحية.

إن أصل المانوية غامض وغير واضح. وأكثر ما يمكن أن يوثق به هو أن «المانوية» أخذت اسمها من مؤسسها «مانى» (Mani) أو «مينز» (Manes) أومانيكايوس (Manichaeus) (راجع شيلدون-مرجع سابق، شاف- مرجع سابق). ويقول شاف إن «مانى» كان فيلسوفاً ورساماً مجوسياً، وقيل إنه تجدد وأصبح مسيحياً، بل وخدم كشيخ، وكان ذلك فى القرن الثالث (٢١٥-٢٧٧م).

كانت ثمة جهود تُبذل، فى ذلك الحين، لاستعادة الإيمان الزرادشتى النقى، وجرت مناقشات كثيرة بالنسبة لاختيار المواد التى يجب تضمنيها فى ذلك الإيمان، وكذلك لزيادة العداء للمسيحية. وفى قلب هذه الظروف واتت مانى أن يجمع بين المسيحية والزرادشتية.

وقد افترض البعض أن البوذية قد أضيفت كعنصر ثالث، والأمر المؤكد هو أن تعليم مانى (الهرطقة التى ابتدعها) يضم عناصر لا توجد فى المسيحية الخالصة أو الزرادشتية الخالصة.

وفضلاً عن ذلك، فمن المؤكد- كما يذكر شاف وشيلدون- أن مانى قام بزيارة للهند.

لقد قدم مانى نفسه على أنه الباراقليط (Paraclete) الذى وعد به المسيح، وهكذا فعل غيره كثيرون. وقد كتب العديد من الكتب باللغة الفارسية واللغة السريانية، ويقال إنه ابتكر أبجدية، وإن كانت قد ضاعت (راجع شاف- مرجع سابق صـ١٠٥).

وقد شرع يشرح آراءه نحو منتصف القرن الثالث، وثمة فترة وجيزة من الدعاية الناجحة، ولكنها قوطعت بالاضطهاد، إلا أنه وجدها أيضاً فرصة مواتية تحت رعاية الملك شهبور(Shapur) أو سابور(Sapor). واكتسب مانى أتباعاً لتعاليمه، إلا أن تغييراً فى الحكم كان من شأنه أن يغير هذه الظروف المواتية بالنسبة لمانى، فقد هوجم بشكل عنيف نتيجة سوء نية الملك وكراهية السحرة، ومن ثم لاقى مانى نهاية مأساوية.

وطبقاً لإحدى الروايات، فقد صدر الحكم بسلخ جلده وشنقه أمام باب المدينة، ومنذ ذلك الحين، أطلق على هذا الباب باب مانى. (راجع شيلدون- مرجع سابق صـ٢٢١).

تعليم مانى

تبنَّى مانى ثنائية مطلقة، ففى مقابل عالم النور يوجد عالم الظلمة، والمادة، والنار التى لا قدرة لها على الإضاءة، وعلى رأس عالم النور يقف الإله الطيب مع ملائكته، الذين هم منبثقون منه، وهم قنوات نوره.

وفى مملكة الظلمة تعمل قوى وحشية لا سيطرة عليها. كانت المملكتان واضحتين تماماً فى البداية، إلا أنه حدث أخيراً أن قوى الظلام- فى ثورتها العنيفة- اقتربت جداً من الفضاء العلوى، حتى أنها رأت وميضاً من نوره، فانجذبت رغماً عنها لهذا المنظر غير المألوف، ولذلك وجد الإله الصالح أنه من المناسب أن يرسل ابن أم الحياة، الإنسان الأول، لكى يدافع عن المملكة. وإذ أحاطت به قوى الظلام التى اندفعت نحوه برغبة عارمة نهمة، أصبح الإنسان الأول فى خطر الدمار. وقد هرب بمساعدة الروح الحى الذى أُرسل لإنقاذه. والواقع أنه ترك وراءه جانباً من جوهر النور الذى ينتمى إليه. وقد رفع الروح الحى، الذى له قدرة على الخلق، هذا الجزء من الجوهر المنير، والذى لم يتأثر نتيجة اتصاله بالمادة إلى الشمس والقمر. ولكنه ترك جزءاً سجيناً فى المادة التى انتسب إليها كنفس.

وهكذا تأسس نظام الطبيعة. وفى كل مكان من العالم وعلى جميع جوانبه يوجد تقريباً شئ من النور المحبوس، أو النفس. ويمكن أن ينظر إلى هذا على أنه ابن الإنسان المتألم، يسوع المتألم. والصلب فى أحد معانيه هو حدث مستمر، ويقول فستوس المانوى: «الأرض تحبل وتلد يسوع الذى مصيره الموت، والذى، إذ يتدلى من كل شجرة، هو حياة وخلاص البشر. (راجع شيلدون- مرجع سابق صـ٢٢٣).

والإنسان نفسه، فى هرطقة مانى، جزء من نفس العالم، وجسمه جزء من المادة الشريرة. وأصله يرجع إلى قوى الظلمة. وإذ يخشى أتباع المملكة الشريرة، أن يُسحب النور الذى حبسوه بالقوة الجاذبة للشمس والقمر فقد حبسوه فى جسد بشرى. وإذ تركز على هذا النحو، فقد كان من شأن ذلك أن أدرك الجوهر السماوى أصله السامى، وبدا أن الإنسان الذى خُلق من جديد، من المحتمل أن يهرب من سلطان القوى الشريرة. وللحيلولة دون ذلك، أخذوا يجربونه فى شهواته الجسدية، حيث يضاعفون هذا العنصر، وبتقسيم الجوهر يُضعفون فى الفرد إدراكه لسمو طبيعته.

والخلاصة- فى بدعة مانى- وهى تحرير الجوهر المضئ من قيود الظلمة. والفادى هو ابن الإنسان الأول، المسيح، روح الشمس الذى صُوِر بصورة رائعة على أنه يسكن فى

الشمس بقوته، وفى القمر بحكمته. وإذ نزل إلى الأرض فى هيئة جسدية- ولكن بشبه جسد فحسب- علَّم الناس كيف يصلون إلى نصيبهم الحقيقى- وكانت حياة الزهد هى جوهر وصاياه، وبهذه الوسيلة تُهيَّأ النفس للعودة إلى نورها الحقيقى.

والواقع أن هذا قد يساعد على تحرير بعض النور المحبوس فى الطبيعة. فالإنسان الذى يحتذى به فى كبح النفس، والذى يراعى التحكم فى فمه ويده ومشاعره، حينما يشارك فى ثمرات الأرض، يحرر جزءاً من النور الحبيس.

والموت كما فهمه المانيون، هو محور الجزء الروحى فى المؤمن والذى يَعْبُر على متن سفن النور العظيمة فى السماء، وازدياد قوة القمر تعد دليلاً ظاهراً على الشحنة التى تم استلامها.

وقد أقيمت جماعة دائمة من اثنى عشر تلميذاً، كان مانى على رأسها، لإدارة شئونها. وتحت هذه الإدارة، كان هناك اثنان وسبعون أسقفاً، وتحت هؤلاء كان هناك شيوخ وشمامسة وكارزون.

وهذه الطائفة تنقسم إلى فئتين:

المختارون والسامعون

وكانوا ملزمين باتباع أسلوب تقشف صارم، يمتنعون عن الزواج، ويرفضون كل ملكية خاصة ويمتنعون عن أكل لحوم الحيوان، ولا يشتركون فى إعداد الطعام من الخضروات، حتى لا يواجهون الاتهام بأنهم يجرحون تلك الحياة التى هى حبيسة قيود المادة.

وكان السامعون يحيون حياة، أقل تقشفاً، ولم يتعمقوا فى الإيمان.

ولقد انتشرت طائفة «المانوية» من فارس إلى غربى أسيا وشمالى أفريقيا وصقلية وإيطاليا. وعلى الرغم من أنها عانت الاضطهاد على يد دقلديانوس، وبعد ذلك على يد الأباطرة المسيحيين، إلا أنها وجدت بعض أفكارها تحت أسماء جديدة فى تاريخ لاحق. ومن بين أبرز الكاتبين المسيحيين، قدم القديس أغسطينوس مقاومة بالغة الشدة لدحض هذه الهرطقة، لأنه كان مؤهلاً لذلك تماماً، لخبرته السابقة كأحد المانويين لمدة تسع سنوات.

(٤) معارضو عقيدة الثالوث

لقد بدا أن ثمة مشكلة للتوفيق بين تعليم الثالوث ووحدانية الله، لذا فقد بدأت تُطرح على بساط البحث فى الكنيسة. فقد أخذ البعض أقصر الطرق للتغلب على هذه الصعوبة، وذلك بإنكارهم وجود أى ثالوث حقيقى فى الألوهية. ومن هنا برز نزاع جديد، ذلك أن مهمة دحض الغنوسية تبعتها مباشرة مهمة تفنيد عقيدة معارضى عقيدة الثالوث (Monarchianism).

لقد جذبت تلك الهرطقة الانتباه، فى أواخر القرن الثانى، ويبدو أنها لم تنتشر على نطاق واسع، ولا نقرأ عن تلاميذها أنهم قد أصبحوا بارزين إلا فى أماكن قليلة.

أما وأنها ظهرت فى ذاك الوقت فى شكلين مختلفين ومتعارضين، فيمكن أخذه كدليل على أنها كانت خارج نطاق الفكر الكنسى تماماً، وأنها كانت محاولة فكرية للتغلب على الصعوبات التى كانت تكتنف العقائد الى قُبلت عموماً.

يتفق معارضو عقيدة الثالوث فى صورتيها على أن الله شخص واحد، فقد أكدوا على أنه لا يوجد سوى أقنوم إلهى واحد. أما الخلاف الجذرى بين الفرقتين فهو أن **إحداهما** كانت تنكر أن الإله، الذى هو شخص واحد، قد تجسد شخصياً فى يسوع المسيح.

فى حين أن الأخرى تؤكد أنه تجسد على هذا النحو، ومن وجهة نظر إحدى الجماعتين، فإن المخلص، الذى ظهر بين الناس، كان إنساناً وُهب الروح القدس، بصفة خاصة. أما من

وجهة نظر الجماعة الأخرى، فقد كان هو الله الذى ظهر فى الجسد. وطبقاً لهذا الرأى الأخير، فإنه لا يوجد أى فرق عددى بين الآب والابن، فالآب هو نفسه الابن الذى رأيناه فى الجسد.

ومن حيث أن تعليمهم يبدو أنه كان يتضمن استنتاجاً بأن الآب قد صُلب، فقد قالوا إن الآب تجسد وتألم فى الابن.

والفئة الأولى-التى تختلف عن الإبيونيين بقولهم إن الروح القدس سكن بطريقة غير عادية فى المسيح منذ ميلاده- تضم عدة جماعات، وكذلك الفئة الثانية، والتى وجدت تعاطفاً من الكنيسة بأكثر مما لاقته الفئة الأولى، كان من بينهم سابليوس ويراكسياس.

ينتمى إلى الفئة الأولى كل من:

١- منكرو اللوجوس أو الكلمة.

٢- أتباع ثيؤدوتس.

٣- أتباع أرتيمون.

٤- بولس الساموساطى.

١- منكرو اللوجوس أو الكلمة (Alogians)

أتباع شيعة هرطوقية ظهرت فى أسيا الصغرى فى حوالى سنة ١٧٠م، ولا يعرف عنهم سوى القليل. وقد أطلق عليهم أبيفانوس هذا الاسم، لأنهم رفضوا تعليم اللوجوس(الكلمة)، وقد رفضوا إنجيل الكلمة (إنجيل يوحنا)إلى جانب سفر الرؤيا. وكانوا يقولون: ما الفائدة التى نجتنيها من سفر الرؤيا بملائكته السبعة وأختامه السبعة؟ وما علاقتى بالملائكة الأربعة الذين كانوا عند نهر الفرات، الذين يجب أن يطلقهم ملاك آخر، وكذلك فرقة الفرسان ودروعهم التى من نار وكبريت؟ وقد نسبوا بكل حماقة كتابات يوحنا الرسولى إلى كيرنثوس الغنوسى، الذى كان الرسول يوحنا يقاومه، وهذا يعد أول إنتاج للنقد الكتابى السلبى، بعد تشويه مارقيون للعقائد الكتابية.

٢- اتباع ثيؤدوتس

وهذا الاسم ينسب إلى مؤسس شيعتهم ثيؤدوتس الدباغ(Theodotus) وقد جاء من بيزنطية، وكان قد أنكر المسيح فى أحد الاضطهادات متعللاً بأنه لم ينكر سوى إنسان. إلا أنه كان لا يزال يؤمن أن المسيا مولود ولادة طبيعية. وقد اكتسب أتباعاً له فى روما، ولكن الأسقف فيكتور حرمه كنسياً(١٩٢-٢٠٢).

وبعد موت الأسقف اختارت شيعته ناتاليس المعترف أسقفاً، والذى قيل إنه بعد ذلك عاد تائباً إلى حضن الكنيسة الجامعة. أما ثيؤدوتس الصغير، وكان صرافاً، فقد اعتبر ملكى صادق وسيطاً بين الله والملائكة، ولهذا فهو أسمى من المسيح الذى هو وسيط بين اللّه والناس. وكان أتباعه يسمون «الملكيصادقيون».

٣- اتباع ارتيمون

أتباع أرتيمون (Artemon) أو أرتيموس (Artemos). والذى جاء إلى روما، حيث أعلن أن التعليم القائل بألوهية المسيح إن هو إلا بدعة، وانتكاسة إلى الوثنية الى تؤمن بتعدد الآلهة، وقد حرّمه زافيرنيوس كنسياً (٢٠٢-٢١٧)، وربما بعد ذلك. وقد وضع أتباع أرتيمون إقليدس وأرسطو فى مكانة أعلى من مكانة المسيح، وكانوا يقدرون الرياضيات والمنطق وأصوله بأكثر مما قدروا الإنجيل. وهذا ما يشير إلى أن البعض استخدم أرسطو ضد لاهوت المسيح، كما سبق أن استخدم أفلاطون لنفس الغرض.

٤- بولس الساموساطى

كان بولس الساموساطى (Paul of Samosta) أسقفاً فى أنطاكية فى نحو سنة ٢٦٠م. وكان فى ذلك الوقت يشغل وظيفة عامة رفيعة، وهو من أكبر العقلانيين القائلين بإله واحد مطلق، وهو بهذه الهرطقة شوه عقيدة كنيسة من أولى

الكنائس الرسولية.

فقد أنكر شخص اللوجوس والروح القدس، واعتبرهما مجرد قوى من قوى الله مثل العقل والفكر فى الإنسان، إلا أنه سلّم بأن اللوجوس يسكن فى المسيح بمقدار يفوق سكنه فى أى نبى أو رسول من رسل اللّه السابقين.

وعلّم على غرار ما علّم به السوسينيون (Socinians) فى وقت لاحق، بارتفاع تدريجى للمسيح، يحدده النمو الأدبى، إلى كرامة إلهية. وقد أقر بأن المسيح ظل متحرراً من الخطية، وأنه هزم خطية آبائنا، وبعد ذلك أصبح مخلص جنسنا، ولكى يجعل تعليمه عن المسيح يصل إلى الشعب، قام بتغيير ترانيم الكنيسة، ولكنه كان عنيفاً إلى درجة لم تمكنه من أن يكيف نفسه مع الصيغة الأرثوذكسية، فقد سمى السيد المسيح- على سبيل المثال- إله من العذراء.

أما الأساقفة الذين كانوا تحت رئاسته فقد اتهموه لا بالهرطقة فحسب، وإنما بالمبالغة أيضاً فى التفاهة والغرور والجشع والغرطسة، والاهتمام الذى لا مبرر له بالعمل الدنيوى.

وقد أعلنوا خلعه فى مجمع عُقد فى أنطاكية فى نحو سنة ٢٦٨م أو سنة ٢٦٩م، أما عدد الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع فقد كان محل خلاف (٧٠ أو ٨٠ أو ١٨٠ أسقفاً)، وقد عُين دومنوس (Domnus) خليفةً له. وأبلغت النتيجة للأساقفة فى روما، والإسكندرية، وكافة الكنائس. إلا أن بولس الساموساطى إذ كان يحظى برعاية الملكة زنوبيا (Zenobia) ملكة «تدمر» (Palmyra) تعذر تنفيذ قرار خلعه حتى قام الامبراطور أورليان بتنفيذه فى سنة ٢٧٢م، وذلك بعد المشاورات مع الأساقفة الإيطاليين.

الفئة الثانية

الفئة الثانية من معارضى عقيدة الثالوث، الذين وصفهم ترتليانوس بعبارة «القائلين بأن الآب قد تجسد وتألم فى الابن» (حيث أصبحوا بعد ذلك فرعاً من القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة، وأن الطبيعة الإلهية التى فى المسيح هى التى تألمت على الصليب Theopaschite). ذلك بالإضافة إلى تحمسهم للتوحيد، فشعروا بالحافز المسيحى الأعمق للتمسك بألوهية المسيح، إلا أنهم ضحوا فى سبيل ذلك بشخصه المستقل، ودمجوه فى جوهر الآب، وقد علّموا بأن الإله الواحد الأسمى، وبدافع من مشيئته الحرة، صار إنساناً، ولذلك فالابن هو الآب محجوباً فى الجسد. ولم يعرفوا أى إله سوى ذاك الذى أعلن فى المسيح، واتهموا خصومهم بأنهم يعبدون إلهين.

لقد كانوا أكثر خطورة من أصحاب المذهب الآخر الذين يرفضون عقيدة الثالوث ويقولون بالتوحيد، ولعدة سنوات تمكنوا من أن يحصلوا على تعاطف الكرسى البابوى وتأييده، وكان لهم سلسلة متعاقبة من المعلمين فى روما. وكان عددهم كبيراً حتى فى عهد أبيفانوس فى ختام القرن الرابع.

وتضم الفئة الثانية كلاً من:

(١) براكسياس.

(٢) نويتوس.

(٣) كالستوس.

(٤) بيريللوس.

(٥) سابيليوس.

(أ) براكسياس

كان أول الشخصيات البارزة المؤيدة لهرطقة القائلين بأن الآب تجسد وتألم فى الابن، وهو براكسياس (Praxeas)، الذى من أسيا الصغرى.

وقد جاء إلى روما إبان عهد ماركوس أورليوس، حيث اشتهر هناك ككاهن الاعتراف، وحيث أدانته المونتانية، واقترح عقيدة الإيمان بأن الآب تجسد وتألم فى الابن، وقد اكتسب

لها أتباعاً حتى الأسقف فيكتور نفسه. وقد اتهمه القديس ترتليانوس بأنه نفَّذ فى روما مهمتين للشيطان، فقد أنكر الروح القدس، وصلب الآب، وكان براكسياس يستشهد دائماً بما جاء فى(إشعيا٤٥:٥) «أنا الرب وليس آخر» و(يوحنا ١٠:٣) «أنا والآب واحد»و(يوحنا ١٤:٩) «الذى رآنى فقد رأى الآب»، كما لوكان الكتاب المقدس كله يتكون من هذه الآيات فحسب.

وكان يعلم بأن الآب نفسه صار إنساناً، جاع، وعطش، وتألم، ومات فى المسيح. والواقع أنه يجب ألا يفهم بأنه يتكلم بصفة مباشرة عن آلام الآب، بل كان يتحدث عن مجرد تعاطف الآب مع الابن، إلا أنه على أية حال أنكر الشخصية المستقلة للابن.

وكان يرى العلاقة بين الآب والابن مثل علاقة الروح بالجسد، فكان يرى أن الآب كالروح، والابن كالجسد، وكان يرى أن عقيدة الكنيسة الجامعة تؤمن بثلاثة آلهة.

(٢) نويتوس

من سميرنا ،نشر رأيه فى سنة ٢٠٠م، مستنداً إلى ما جاء فى (رو٩:٥)حيث وصف نوتيس (Noetus) أو نؤيتس المسيح بالقول: «الكائن على الكل إلهاً مباركاً». وعندما انتقده أحد المجالس، احتج دفاعاً عن نفسه، قائلاً بأن تعليمه يعزز مجد المسيح. ويربط بين هيبوليتس وبين فلسفة هيراقليتس القائلة بوحدة الوجود، وما نعرفه هنا لأول مرة، هو أنه، كان ينظر إلى الطبيعة على اعتبار أنها تناسق من كل المتضادات.

وقال عن الكون إنه قابل للانحلال وغير قابل للانحلال فى ذات الوقت، فانٍ وغير فانٍ. وهكذا افترض نويتس أن نفس الشخص الإلهى يتوجب أن يكون قادراً على أن يجمع فى نفسه سمات متضاربة.

وقد قام اثنان من تلاميذه، وهما ابيجونوس (Epigonus) وكليومينيس(Cleomenes) بنشر هذا التعليم فى روما تحت رعاية البابا زافيرينوس (Zephyinus).

(٣) كالستوس

هو البابا كالستوس الأول (Calixtus1) تبنَّى تعليم نويتس، ودافع عنه. وأعلن كالستوس أن الابن ما هو إلا ظهور الآب فى هيئة إنسان، فالآب يحيى الابن كما يحيى الروح الجسد، وقد تألم الآب معه على الصليب. كما قال: «إن الآب الذى كان فى الابن، أخذ جسداً وجعله إلهاً واتحد به». ولذلك فإن الآب والابن هو اسم الإله الواحد، وهذا الشخص الواحد لا يمكن أن يكون اثنين، وهكذا تألم الآب مع الابن. واعتبر خصومه من الشيعة التى تعبد إلهين. وكان لكالستوس أتباعه الذين نُسبوا إليه وهم«الكاليستوسيون»(Callistians).

كان هيبوليتس الخصم العنيد لكالستوس، وهو فى تعليمه عن الثالوث كان يميل للقول بتابعية الابن للآب، وهذا على النقيض تماماً من تعليم كالستوس. وكان يقول عن كالستوس(ربما فى ظل غضب شديد): «إنه رجل غير معقول وخائن، حيث يجمع التجديفات من هنا وهناك، وما كان ليفعل ذلك إلا ليتكلم ضد الحق، ولم يكن يخجل من أن يقع تارة فى خطأ سابيليوس، وتارة أخرى فى خطأ ثيودوتس (ومع ذلك فإنه بعد ذلك لم يظهر أى أثر لهذه الأخطاء، بل ظهر ما هو على عكسها تماماً).

وكان كالستوس يختلف عن من يفصلون بين اللوجوس والله، ولكنه كان يختلف أيضاً عن أتباع سابيليوس الذين كانوا يخلطون بين الآب والابن، وكان يقول بالحلول المتبادل بين الآب والابن، وبعبارة أخرى فإنه انتقل من مذهب القائلين بأن الله أقنوم واحد فى أطوار ثلاثة، أو من مذهب التوحيد المطلق إلى القول بالتثليث الذى تبنَّاه مجمع نيقية، إلا أنه لم يكن واضحاً أو متسقاً مع نفسه بالنسبة لأقواله.

وقد أصدر حرماً كنسياً ضد كل من سابيليوس وهيبوليتس، وقد عضدته في ذلك كنيسة روما، وجعلت اسمه من بين أبرز الباباوات القدامى.

وبعد وفاة كالستوس، الذي شغل كرسي البابوية بين عامي ٢١٨م،٢٢٣م(أو ٢٢٤م)، اختفت تماماً من كنيسة روما الهرطقة القائلة بأن الآب تجسد وتألم في الابن.

(٤) بيريللوس

بيريللوس (Beryllus) وهو من بوسترا، وهي البصرة في العربية . ولا تتوفر من كتاباته سوى فقرة غامضة إلى حد ما، وفسرت على أوجه مختلفة للغاية، وهي محفوظة في كتابات يوسابيوس. وقد أنكر الوجود الشخصي السابق للمسيح، وبصفة عامة أنكر ألوهيته. إلا أنه في ذات الوقت أكد على حلول لاهوت الآب فيه إبان حياته على الأرض. وهويشكل، من ناحية ما، نقطة الانطلاق من المذهب القائل بأن الآب تجسد وتألم في الابن، إلى الانتحالية السابيليانية التي تنادي بأن اللّه أقنوم واحد ظهر في أطوار ثلاثة متعاقبة.

وفي مجمع عربي عقد في سنة ٢٤٤م، طُلب أوريجانوس للمشورة وإبداء الرأي، وقد اقتنع بيريللوس حينئذ بخطئه، بواسطة ذلك المعلم العظيم، واقتنع بصفة خاصة بأن للمسيح نفساً بشرية، ويقال إنه شكر بعد ذلك أوريجانوس على تعليمه.

وفي ذلك نجد أن هذا الموقف يعد من المواقف النادرة الى أدت فيها المجالات اللاهوتية إلى الوحدة بدلاً من الشقاق العظيم.

(٥) هرطقة سابيليوس

يعتبر سابيليوس أقدم وأبرع من انتموا إلى معارضي عقيدة الثالوث، فقد ظهر كمدافع عن الآراء المضادة لعقيدة الثالوث، وهو يعتبر المبتدع والمؤسس لفكرة التوحيد المنكر للثالوث، قبل مجمع نيقية. وهذه الفكرة تظهر من وقت لآخر بعد إجراء بعض التعديلات عليها، وقد وقعت عليه عقوبة الحرم الكنسي في الإسكندرية في سنة ٢٦١م(راجع شيلدون- مرجع سابق).

إننا لا نعرف سوى القليل عن حياة سابيليوس. ربما كان ليبياً من احدى مدن بنتابوليس (المدن الخمس الغربية)، وقضى جانباً من عمره في روما في بداية القرن الثالث الميلادي، تعلم على يد كالستوس أن الآب قد تألم في الابن.

ولكن عندما أصبح كالستوس أسقفاً حرمه كنسياً، إلا أن هذا الأمر موضع شك (شاف- مرجع سابق). وقد انتشر ذلك التعليم في روما، كما في مصر.

وقد حرمه ديونيسيوس أسقف الإسكندرية في سنة ٢٦٠م أو ٢٦١م في مجمع الإسكندرية، في مقاومة عنيفة لفكره، لكنّه عبَّر عن ذلك بتعبيرات قريبة من التعبيرات الأريوسية- التي استخدمت فيما بعد- عن انفصال الأقانيم، وتابعية الابن للآب. مما دعا أتباع سابيليوس إلى أن يتقدموا بشكوى ذلك الأسقف لديونيسيوس أسقف روما، فعقد مجمعاً في سنة ٢٦٢م، وأصدر رسالة خاصة في تفنيد إدعاءات سابيليوس، وكذلك في مسألة تابعية الابن، وموضوع الثالوث.

وقد تخلى عنْ ذلك أسقف الإسكندرية، وتراجع في هدوء عن تأكيده أن الابن مخلوق أدنى من الآب، وأن الابن من نفس جوهر الآب (Homo-ousios). وقد هدأ ذلك النزاع إلى حين، حيث تجدد مرة أخرى مع أريوس بعد ذلك بنحو خمسين عاماً.

فسابيليوس يرى أن الثالوث يظهر على نحو تعاقبي في الإعلان، فقد أعلن الله نفسه في إعطاء الناموس أو تدبير العهد القديم، والابن في تجسده، والروح القدس في الوحي

وفى تقديس المؤمنين. وهذه الألقاب الثلاثة لا تشير إلى مراحل فى التدبير الإلهى، وإنما تشير إلى نفس الأقنوم الإلهى تحت أشكال متعاقبة من الإعلان الإلهى.

وهذه النظرية تمهد لظهور إلهى لا إلى تجسد إلهى، وهى تُعلّم بسكنى اللّه بشكل عابر فى الجسد بدلاً من اتحاد دائم بين اللّه والإنسان فى شخص يسوع المسيح.

✣ ✣ ✣ ✣

الباب السابع

نشأة الفن فى المسيحية

١- خلفية تاريخية عن الفن فى الكتاب المقدس.
٢- فن العمارة الكنسية.
٣- فن الشعر.
٤- فن الموسيقى.
٥- الرمز فى الفن المسيحى.

(١)- خلفية تاريخية عن الفن فى الكتاب المقدس

أ- الفن فى الشرق قديماً.
ب- الفن فى مصر قديماً.
جـ- الفن فى بلاد بين النهرين قديماً.
د- الفن فى وقت الكتاب المقدس.
هـ- موقف الكتاب المقدس من الفن.

إن معرفة الفنون فى المنطقة التى ظهرت فيها الديانة اليهودية، إنما يساعدنا على فهم مصادر الفن فى الكتاب المقدس. بل ويساعدنا أيضاً على معرفة وجهة نظر الكتاب المقدس تجاه الله والإنسان والفداء، وهو ما ينطوى أيضاً على رأى المسيحية تجاه الفن والجمال.

(أ)- الفن فى الشرق قديماً

لقد نبعت الثقافة قديماً من حضارتين عظيمتين هما: الحضارة المصرية وحضارة ما بين النهرين. وقد تفاعل أهل سائر بلاد المنطقة مع هاتين الحضارتين العظيمتين. ولمعرفة الخلفية الثقافية للكتاب المقدس يجب دراسة هاتين الحضارتين.

كان تركيز الشعبين، فى هاتين الحضارتين، على النواحى الدينية، فكان اهتمام كل منهما أن يعبِّر عن الفكر الذى مَلَك عليه، ألا وهو الهدف من الحياة والخليقة. وكان يُنظر للحكام على أنهم ينتمون للآلهة. ففى مصر، كان يُنظر إلى الفراعنة أنهم ظهورات فعلية للإله. وفى سومر جنوبى بلاد بين النهرين كان الملك وكيلاً إلهياً.

الفن

جاء تعريف الفن فى دائرة المعارف البريطانية على أنه تعبير عن الأفكار الجمالية أو الغايات من خلال المهارات والتخيلات التى تستخدم فى إبداع الأشياء، والأجواء، والخبرات التى يمكن مشاركة الآخرين فيها.

وكلمة فن قد تدل على أحد أشكال التعبير المتفق عليها، والتى يحددها الوسط الذى تستخدم فيه، أو شكل الانتاج، وهكذا فنحن نتكلم عن «الرسم»، والنحت، وصناعة الفيلم، والرقص، وغيرها من أساليب التعبير الجمالى.

ويقال عنها بكل أشكالها وأساليبها بأنها «فنون».

وربما تستخدم كلمة «فن» للتعبير عن شئ محدد، أو خبرة محددة كمثال للتعبير الجمالى، وهو ما يسمح لنا بالقول، على سبيل المثال، إن هذا الرسم أو هذا النسيج المزدان بالصور والرسوم هو «فن».

وينقسم الفن- تقليدياً إلى فنون جميلة (fine arts) وفنون عقلية (liberal arts) وهى التى تستخدم المهارات فى التعبير اللغوى والحديث والتفكير، أما الفنون الجميلة فهى التى تهتم بخاصة، بالغايات الجمالية الخالصة، وبالجمال بصفة عامة، إن كثيراً من التعبيرات تجمع بين الاهتمامات الجمالية والأهداف النفعية، مثل الخزف، والعمارة، والأشغال المعدنية، وقد يذكر على سبيل المثال- تصميم الإعلانات وقد يكون من المفيد أن نتصور أن مختلف الفنون التى تشغل مجالات عديدة على مدى يصل بين أهداف جمالية خالصة من ناحية، إلى أهداف نفعية خالصة على الطرف الآخر. وهذان القطبان هما ما يعبر عنهما بكلمة فنان(Artist) وصانع ماهر (حِرَفى Artisan) وهو الذى يتركز اهتمامه على القيمة النفعية. على أن ذلك يجب أن لا يؤخذ على نحو جامد. حتى فى إطار أحد أشكال الفن. فقد تختلف الدوافع تماماً. إذ يمكن للخزاف أو النسَّاج أن يبدع سجادة - وهى فى نفس الوقت جميلة، أو ربما ينفذ أعمالاً بلا هدف إلا لتكون موضع الإعجاب.

غير أنه يوجد نوع آخر من التصنيف يتصل بالفنون الجميلة، فتنقسم إلى الآداب (وتتضمن الشعر، الدراما، القصة...الخ)، والفنون المرئية (التصوير، الرسم، النحت وأشكال أخرى منها) و فنون التصميمات (الرسم، التصوير، التصميمات التى تنفذ على السُطوح المستوية). والفنون التشكيلية (النحت، وصناعة النماذج) وفنون الديكور(الرسم على الخزف، تصميم الأثاث والفُسَيْفساء..إلخ) وفنون الأداء (المسرح، الرقص، الموسيقى(التأليف الموسيقى) العمارة (وهى تتضمن تصميمات داخلية).

(ب)- الفن فى مصر قديماً

يتضح لدارس تاريخ مصر القديمة أن الفن فى ذلك الوقت ارتبط بفكرة دينية، ولم يكن فناً مجرداً. فقد كان الاهتمام الأكبر عند المصرى قديماً يتركز على مسألة الحياة بعد الموت، أى الخلود.

فقد كرّس الفنان المصرى القديم موهبته فى وصف الحياة بعد الموت وتصويرها. فكانت أهداف الفن فى عصر بناة الأهرامات فى الألف الثالثة قبل الميلاد، بل وكذلك كان «أبو الهول»، تخليداً للشخص الذى شُيدت من أجله، وأثراً عظيماً يعبر عن رغبته الحميمة فى الخلود.

وهكذا كان الفن عند قدماء المصريين فى خدمة الأغراض الدينية بالكامل، ولابد أن شعب بنى إسرائيل قد لاحظ ذلك خلال فترة إقامته الطويلة فى مصر. كان شعب بنى إسرائيل متميزاً بالتعبير الفنى، متمثلاً فى الحفر على الخشب. وقد

وظّف الرب هذه الموهبة عند إقامة خيمة الاجتماع، وذلك بعد خروج شعب بنى إسرائيل من مصر. (راجع دائرة معارف بيكر للكتاب المقدس B.A.K.E.R)

(جـ)- الفن فى بلاد النهرين قديماً

لقد وجد الفن عند بلاد هذه المنطقة إجابات أخرى مختلفة للتساؤلات الدينية التى واجهته. فكانوا يرون أن الآلهة بعد أن خلقت الإنسان، جعلت الموت هو الشرك الذى يتربص به، فالحياة فى أيدى الآلهة فقط (ملحمة جلجامش).

كان اعتمادهم على النهر الذى يمدهم بالحياة، وقد وجدوا أن نجاحهم مرتبط تماماً بخصوبة الأرض، وأن الخصوبة تتوقف على المساحة ومخافة الآلهة. ولذلك فإن الأساطير السومرية كانت قائمة على فكرة الحياة المعطاءة. وكان الفن السومرى تصويراً لتلك الأساطير.

(د)- الفن فى وقت الكتاب المقدس

نذكر باختصار بعض النماذج للفن فى زمن الكتاب المقدس. لقد سرقت راحيل أصنام أبيها (راجع تكوين ٣١: ١٩-٣٥) ويحتمل أن هذه الأصنام تشبه كثيراً تلك الأصنام التى وُجدت فى حفائر معابد تشبه بين النهرين. فلهم تاريخ طويل مؤسف فى إسرائيل. ونحن نعرف أن هذه «الترافيم» كانت فى بعض الأحيان فى حجم الإنسان وشكله (راجع صموئيل الأول ١٩: ١١-١٦). أما النهى عن صناعة التماثيل والصورة التى ذكرها فى سفر الخروج (٢٠: ٤ و٥) فلا ينسحب على الأعمال الفنية بصفة عامة، ففى نفس الوقت الذى تلقى فيه موسى الناموس، تلقى التعليمات أيضاً بأن يقيم خيمة الاجتماع ويزينها.

كانت خيمة الاجتماع عملاً فنياً بارزاً، وكان الله نفسه هو الذى أعطى النموذج المحدد (راجع خر ٢٥: ٩ و٤٠). كانت الخيمة تحتوى على تابوت من خشب السنط يغشيه ذهب نقى (خروج ٢٥: ١٠-١٧). ويصنع كروبين من ذهب، ويضعهما على طرفى الغطاء (خروج ٢٥: ١٨-٢٢). ولم يصف شكل الكروبين بالتحديد إلا أن يكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء. وكذلك أن يصنع منارة من ذهب نقى (راجع وصف الزخارف البديعة من صناعة المنارة فى خروج ٢٥: ٣١-٣٩). ويصنع حجاباً من اسمانجونى وأرجوان وقرمز مما جعل خيمة الاجتماع من الداخل بالغة الروعة، هذا بالاضافة إلى ثياب المجد والبهاء لرئيس الكهنة. لقد اختار الرب أشخاصاً معينيين وملأهم من روحه بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة، وهم بصلئيل ومعه أهوليآب، وكذلك فى قلب كل حكيم القلب (أى صانع) جعل حكمة ليصنعوا كل ما أمر به الرب موسى (راجع خروج ٣١: ١-٦).

وهكذا فإن أعظم تفويض لبصلئيل وأهوليآب يقترن بأنهما أول من ذُكرا فى الكتاب المقدس أن الله أعطاهما من روحه من أجل أهداف جمالية لخدمة الله.

وقد قّدم الرب نموذج بناء الهيكل، والحجارة المستخدمة «حجارة كريمة للجمال» (راجع أخبار الأيام الأول ٢٨: ١١و١٢و١٩، أخبار الأيام الثانى ٣: ٦، ملوك الأول ٦: ٢٣-٢٨، ٦: ٢٩-٣٦).

(هـ)- موقف الكتاب المقدس من الفن

إن أكثر الأمثلة أهمية يمكن ذكرها فيما يتعلق بالنواحى الفنية هى عملية الخلق نفسها، حيث «رأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً (تكوين ١: ٣١). ومن الواضح منذ البداية أن المادة التى خلقها الله واستخدمها يمكن تشكيلها، والأمر الهام أن الله قد شارك بنفسه فى ذلك.

إن الله يوصى بعدم صناعة التماثيل المنحوتة وأى صور بعبادتها (راجع خروج ٢٠: ٤-٦). ومن الخلفية التاريخية

والكتابية للأصحاح العشرين من سفر الخروج فإنه يتضح أن النهى المقصود هو النهى عن الوثنية لا النهى عن الفن. بصفة عامة. فالله لم يقصد أن ينهى عن فن التصوير، لأنه وعد بأن يجعل من روحه على من اختارهم لتنفيذ ما أمر به. إن المحاذير تنبع من أن الفن قديماً ارتبط تاريخياً بالوثنية وبالممارسات الوثنية. حيث كانت الشعوب المجاورة لشعب بنى إسرائيل تمارس ذلك. ولذلك فإن الله أوصاهم بأن يكونوا حريصين، أما هم فكانوا أكثر حرصاً وتزمتاً فى تطبيق الوصية مما قصد الله (راجع دائرة معارف بيكر للكتاب المقدس).

كان تفسير المعلمين الربيين بصفة عامة هو أن النهى يشير إلى ما ذكره الأنبياء فى رؤاهم عن الكائنات التى تحيط بعرش الله. فقد رفضوا رسم الأشكال الأربعة التى ذكرها حزقيال النبى، أو أى كائنات ملائكية أو أى تماثيل بشرية خشية أن تستخدم فى أغراض العبادة. ولكن لم يمنع الناموس رسم صور لأشخاص، فيما يعرف الآن بفن البورتريه. إذ كانوا ينظرون إلى الناموس بتدقيق، حتى إنه فى الوقت اللاحق للمسيح، كان المتدينون من اليهود يتجنبون النظر إلى الصور المصكوكة على العملة الرومانية، لأنها كانت تمثل صوراً للأباطرة الرومانيين، الذين كانوا يُعبدون كآلهة.

لم يكن العهد القديم يعتبر أن المادة شر (راجع مزمور ١٩). بل كان ثمة اعتقاد سائد بأن الجمال الفنى يشتت المصليين. وكانت لإشعياء رؤية أخرى عن صناعة التماثيل وعبادتها إذ قال: «فبمن تشبهون الله وأىَّ شَبهٍ تُعادلون به» (راجع إشعياء ٤٠:١٨-٢٢).

وعندما احتدت روح بولس بينما كان فى طريقه إلى أريوس باغوس إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً (أعمال ١٧:١٦). لم يكن ذلك بسبب الفن، ولا لأنه لم يكن حساساً أو مقدراً له، كلا لم يكن الأمر كذلك مطلقاً، ولكن لأنه كان يرى أن ما لم يكن الفن فى خدمة الله فإنه يعد شَرَكاً. وأن ملكوت الله يعنى أكثر مما أنجزه الإنسان أو فعله بيديه. فالخطأ الذى وقع فيه الأثينيون ليس فى نظرتهم للفنون بل فى نظرتهم لله، وقد اتضح ذلك من خلال فنونهم.

والقديس يوحنا يخص المسيحيين أن يحفظوا أنفسهم من الأصنام (رسالة يوحنا ٥:٢١)، ولكنه لم يحذرهم من الفنون. ونحن نجد تأكيداً فى الكتاب المقدس على أن كل الأشياء يمكن أن تستخدم فى خدمة الله. بما فى ذلك الفنون.

الدين والفنون

الإنسان كائن عاقل، يفكر ويعرف، وكائن أخلاقى يريد ويفعل، ومحب للجمال يشعر ويستمتع. وتنسب إلى هذه القدرات والملكات الرئيسية التى يتمتع بها الإنسان الثلاثية القديمة ألا وهى: معرفة الحق، والفضيلة أو ممارسة وفعل الخير، والفن أى تصوير ومحاكاة الجمال. وهذه العناصر هى عناصر إلهية فى أصلها. (راجع شاف مرجع سابق).

والدين ليس دائرة مستقلة منعزلة عن هذه العناصر الثلاثة فالدين يتسامى بكل شئ لمجد الله. والدين هو تمثيل لفكرة القداسة، أو للاتحاد بالله، أصل كل ما هو حق وخير وجمال. والمسيحية تدعو إلى حياة أفضل، إلى إنسانية كاملة، تكره الخطية فحسب، فالمسيحية تهدف إلى بسط التناغم بين مواهب النفس وقوتها. فالمسيحية تفدى وتجدد الإنسان كله. وتُعده لعلاقة مباركة مع الله. فالمسيحية تغير الفهم وتقدس الإرادة، وتهب سلاماً للقلب. وتكرس الجسد أيضاً ليكون هيكلاً للروح القدس. وكما قال القديس بولس: «لأن جميع الأشياء هى من أجلكم» (٢كو ٤:١٥).

إن الفنون تتكامل فى إطار النظام الدينى، والكتاب المقدس يفسح لها مكاناً لتؤديه فى إطار كل ما هو بنَّاء للإنسان. وهذا الأمر حقيقى وينطبق على أسمى الفنون متمثلاً فى الشعر والموسيقى، فمن الأصحاح الأول من سفر التكوين

وحتى الأصحاح الأخير من سفر الرؤيا نجد أن الشعر والموسيقى تمجيد الله خلال المراحل التاريخية. ونجد أسفاراً شعرية بكل ما تحمله الكلمة من معنى مثل أسفار: المزامير، وسفر أيوب، سفر نشيد الأناشيد، وسفر الأمثال، وبعض أجزاء من سفر الرؤيا. وكذلك توجد أجزاء شعرية فى الأسفار التاريخية والنبوية والتعليمية. لقد قُدمت المسيحية إلى العالم بنشيد سماوى، وتختتم الكنيسة خدمتها للعالم بنشيد سماوى أيضاً.

تتضح إذن مكانة الفنون فى الكتاب المقدس. وعلينا أن نذكر مدى اهتمام الله بالعبادة. ففى كل من خيمة الاجتماع والهيكل، كان كل جزء قد أعد بحرص شديد حتى إنها فى مجموعها تعكس الروعة البالغة. إن أعمق وأسمى خدمة للفن تتجلى فى عبادتها لله. فنحن نعبد الله فى «زينة مقدسة» (مز ٢٩: ٢، ٩٦: ٩) (شاف مرجع سابق).

إن الكتاب المقدس ينظر إلى الجمال على أن الله قد وضعه فى نظام الخليقة، ويطلق على الجمال «الحكمة» (راجع أمثال ٤: ١-٩ ، ٨: ٢٢-٣٦). وبالرغم من أن هذا النوع من الجمال (أو الحكمة) لا يوجد فى الخليقة الساقطة (مز ١٤: ١-٣). إلا أن العهد الجديد يؤكد على أن هذا الجمال قد قُدِّم للجميع فى شخص المسيح يسوع. فعلى صليب المسيح قد أعيد النظام الذى يعكسه الفن، وكذلك تم تجديد الفنان الذى يعطيه الله من روحه.

والخليقة نفسها تأخذ مكانها فى هذا التجديد والمصالحة العظيمة التى ندعوها «الخلاص» (راجع رومية ٨: ١٨-٢٣).

إن خبرة الفن تساعد المسيحى على النمو فى النعمة. ويجب ألا ننظر إلى الفن على أنه يحل محل الغذاء الروحى أو حياة الروح، بل يجب أن ننظر إليه على أنه دعم وامتداد لهما. فالموسيقى البسيطة التى استخدمها داود، بينما كان يرعى الغنم، انتقلت إلى العبادة التى كان يقوم بها، ومن ثم إلى كتاب المزامير. فالفن يمكن أن يقوم بدور فعَّال فى جعل الإنسان أكثر حساسية. تلك الحساسية (الإيجابية) التى يمكن أن تكون أداة طيِّعة فى يد الروح القدس لجعل الإنسان أكثر تفاعلاً مع إرادة الله الصالحة، منمياً فيه نعمة الإحساس بمشاعر الآخرين وظروفهم.

(٢) فن العمارة الكنسية

تأتى أهمية فن العمارة الكنسية من الرغبة فى بناء كنائس، ليجتمع فيها المؤمنون للعبادة الجهارية. فى العهد القديم، لم يوجد مكان أكثر أهمية وبهاءً من هيكل أورشليم، الذى شُيد بناءً على وصية الله، حيث كان صورة مكبرة لخيمة الاجتماع التى كانت تقام فى البرية.

حقا إن المسيحية ديانة ليست مقيَّدة بمكان معين للعبادة، بل يمكن عبادة الله فى أى مكان، فالله حاضر فى كل مكان. لقد أقام الرسل والشهداء عبادتهم فى مساكنهم الخاصة، بل وفى الأماكن المهجورة، والسراديب (الدياميس)، فى بادئ الأمر. ويمكن القول إنه كانت توجد أماكن خاصة للعبادة، أى كنائس، ولكنها كانت قليلة جداً. ومرجع ذلك تلك الحالة التى كانت عليها الكنيسة فى ذلك الوقت من اضطهاد وقهر. ولكن عندما توفر السلام الخارجى إلى جانب السلام الداخلى، بدأوا فى تشييد أماكن للعبادة الجهارية.

إن أول آثار لكنائس مشيَّدة، مستقلة عن الأماكن الخاصة. تظهر فى النصف الأخير من القرن الثالث الميلادى. خلال الأربعين عاماً تقريباً، أى فترة الهدوء النسبى التى مرت بها الكنيسة فى ذلك الوقت، بين اضطهاد ديسيوس Decius واضطهاد دقلديانوس Diocletian ولكنها هُدمت مع الاضطهاد الأخير (راجع يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ٨: ١). (راجع العبادة المسيحية فى القرنين الثالث والرابع فى موضعها من هذا الجزء).

الفن وتشييد الكنائس

تمهيد

سبق أن تناولنا الرابطة القوية التى كانت تربط العبادة بالفن فى الأمم المتحضرة قديماً. حيث كان الفن فى خدمة الأوثان. ولذلك كان توجس وتشكك المسيحيين تجاه الفن فى العصر الأول للمسيحية. ولكن التغيرات الخارجية التى أحاطت بالكنيسة تحت حكم قسطنطين قد أنهت ذلك الموقف ضد الفن وكل المعوقات التى وقعت فى طريق توظيفه فى خدمة الكنيسة. وقد ظهر الفن فى المسيحية ليكون فى خدمة العبادة. فشيدت الكنائس على أسس الفن المعمارى. وازدانت الكنائس بالرسوم. واستخدمت الكنيسة فن الشعر وفن الموسيقى فى الترانيم والتسابيح التى تبنى الأجيال (راجع شاف مرجع سابق).

ربما يكون ثمة بعض النقائص أو المشاكل التى تحتاج إلى وقفة. فهناك بعض الفنانين قد أساءوا إلى الفكر اللاهوتى. ولكن لا يأتى علاج تلك المشاكل أو النقائص من خلال تحريم الفن أو إلغائه. بل من خلال إصلاحه وتجديده. والتوعية بدوره المتميز فى خدمة الكنيسة، وخدمة الحق والجمال والقداسة.

تبدأ فترة تشييد وبناء الكنائس أساساً مع الإمبراطور قسطنطين الكبير. بعد أن اعترفت الدولة بالكنيسة، وأصبحت من القوة ليكون لها كيانها الخاص، فانتشر بناء الكنائس فى كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية. وازداد عددها بدرجة كبيرة فى القرن الرابع الميلادى. فكان قسطنطين ووالدته هيلانا (Helena) خير مثال على ذلك . فقام الإمبراطور إلى جانب تجميل مدينة إقامته، بالاهتمام بالأماكن المقدسة فى فلسطين، وقام ببناء الكاتدرائيات فى شمال أفريقيا على نفقته الخاصة، ومن ميزانية الدولة. وكان خلفاؤه على العرش يتنافسون على بناء وتجميل الكنائس والعناية بها- فيما عدا يوليان- وكان يشاركهم فى ذلك الأساقفة والأغنياء من العلمانيين، وكانوا يعتبرون ذلك محل تقدير من الله بل وموضع رضا.

ويرثى القديس يوحنا ذهبى الفم حال الفقراء ممن لا يهتم بهم أحد. ويرى أنه لا يكفى أن نهتم بتجميل الكنيسة وتزيينها، بل يجب فوق كل شئ أن نقدم أنفسنا ذبيحة حية لله. وكذلك فعل القديس چيروم إذ وبَّخ أولئك الذين يفتخرون بأنفسهم لأنهم قدموا عطايا سخية لله، ويطلب منهم أن يساعدوا أتباع المسيح من المحتاجين، فذلك أفضل من تقديم عطايا لمبانٍ حجرية ، والأحرى بهم أن يساعدوا المؤمنين، الهياكل الحقيقية للمسيح.

لقد شهد القرن الرابع، فى مدينة روما، بناء أكثر من أربعين كنيسة. وكذلك فى القسطنطينية حيث قام الإمبراطور قسطنطين بتشييد كنيسة «الرسل»، وكنيسة «صوفيا»، وهما يتميزان بدرجة فائقة من الإبداع والروعة. وقد جاء چستنيان(Justinian)فى القرن الخامس ليجعلهما أكثر اتساعاً وجمالاً. وفى بعض الأحيان، تحولت الهياكل الوثنية، والمبانى العامة، إلى كنائس للعبادة. وعلى سبيل المثال، قدم الإمبراطور فوكاس(Phocas)(٦٠٢-٦١٠) البانثيون(Pantheon) الذى بناه أغريباس فى روما فى عهد أوغسطس، إلى بونيفاس(Poniface) أسقف روما.

وقد اشتهرت بفخامتها وروعة قبتها. وقد كُرِّست منذ ذلك الحين للسيدة العذراء مريم والشهداء. كانت الكنائس المقامة فى ذلك الوقت أكثر اتساعاً من المعابد الوثنية. فمثلاً هيكل باندروسوس(Pandrosos) على قمة الأكروبوليس فى أثينا لم يكن يتسع إلا لأشخاص قليلين .إلا أن البانثيون فى روما كان أكثر اتساعاً من معظم الهياكل الوثنية.

(٣)- فن الشعر

أولاً: خلفية تاريخية

أ- فى العهد القديم.

ب- فى العهد الجديد.

تُستخدم فى الشعر الصور البلاغية من تشبيه ومجاز واستعارة، وقد عُرف المجاز وأشتهر فى الشعر العبرى. ونجد ذلك واضحاً فى ترنيمة موسى(خروج ١٥: ١ وما بعده) وترنيمة دبورة(قضاة ٥: ١وما بعده) والمزامير. وكذلك المرادفات وتكرار نفس الأفكار(مز ٤٩: ١ قارن مع مز ١٠٤).

داود النبى هو أبلغ وأقوى من قرضَ الشعر العبرى فهو صاحب المزامير. ويوجد آخرون مثل أيوب، وسليمان الذى تُنسب إليه عدة أسفار تُصنف على أنها أسفار شعرية وهى الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد. وقد بارك يعقوب بنيه قبل موته فى لغة شعرية(تكوين ٤٩).

أما فى العهد الجديد، فتوجد بعض الأجزاء الشعرية، ونجد ذلك فى كتابات القديس بولس(راجع رومية ٨: ٣١- ٣٩ ، ١كورنثوس ١٣)، وفى كتابات القديس يعقوب والقديس يوحنا (راجع رؤيا ١٨: ٢و٢١). بل والرب يسوع المسيح نفسه استخدم بعض صور الشعر العبرى(راجع متى ١٠: ٢٤، ولوقا ٦: ٤١ وفى أجزاء أخرى (مت ٥: ٣ وما بعده ولوقا ٧: ٣١ و٣٢).

(ب)- فى العهد الجديد

لا يحتوى العهد الجديد على سفر يمكن أن يُصَنَّف أنه سفر شعرى كما فى العهد القديم، إلا أنه يمكن استثناء سفر الرؤيا. والعهد الجديد، فيما يتعلق بهذا الأمر، يختلف عن العهد القديم بما يحتويه العهد القديم من أسفار شعرية. إلا أن للشعر مكانة مهمة فى العهد الجديد، بالرغم من أنه ليس على نفس الدرجة التى كان عليها فى العهد القديم. فنجد بعض أجزاء من الأناجيل ومن سفر أعمال الرسل، وبعض أجزاء من الرسائل، وعلى نحو أكثر توسعاً فى سفر الرؤيا، لا سيما إذا أخذنا مفهوم الشعر بمعناه الواسع لا الضيق.فإذا كان الشعر يعنى الالتزام بالأوزان الموسيقية فحسب، فإنه يمكن القول إن الشعر فى العهد الجديد قليل جداً. أما إذا كان يتفق والنقد الأدبى الحديث، فإنه يمكن القول إن الشعر هو تعبير عن خبرة وجدانية أو فكر مكتوب بطريقة بلاغية فى أوزان موسيقية أو بدونها. فإذا أخذنا المفهوم الأخير فإن العهد الجديد يتضمن أجزاءً شعرية أكثر مما يلاحظه القارئ (دائرة معارف زوندرڤان Zondervan الكتابية).

وطبقاً لهذا المفهوم الأكثر توسعاً عن الشعر، فإنه ربما توجد خمسة أنواع من الشعر فى العهد الجديد وهى:

(١) اقتباسات العهد الجديد من الأشعار اليونانية القديمة.

(٢) اقتباسات من أسفار غير معروف مصدرها.

(٣) اقتباسات العهد الجديد من فقرات شعرية من العهد القديم.

(٤) بعض الفقرات تُصَنَّف شعراً لما تحتويه من خبرة وجدانية برغم عدم التزامها بالأوزان الموسيقية.

(٥) الكتابات الرؤوية.

(١) اقتباسات العهد الجديد من الأشعار اليونانية القديمة

ويمكن الرجوع إليها فى سفر أعمال الرسل، حيث كان يعظ القديس بولس فى أريوس باغوس (راجع أعمال ١٧: ٢٢- ٣١)، حيث اقتبس القديس بولس فى عدد(٢٨) من ثلاثة شعراء، ابيمينيدس(epimenides) ومسقط رأسه كريت والذى قال: «لأننا به (فيه فى الأصل اليونانى) نحيا ونتحرك ونوجد»، وكل من أراتوس(Aratus) من كيليكية،

وكلينثوس(Cleanthos) الرواقى، حيث عبَّر الاثنان قائلين: «لأننا أيضاً ذريته» ومن الواضح أن القديس استخدمها استخداماً صحيحاً يختلف تماماً عن مقصد الشاعر اليونانى، فالرسول يتكلم عن الله الحى الحقيقى لا المصنوع بأيدى الناس وكذلك اقتبس بولس أيضاً فى رسالته إلى تيطس(١٢:١) «الكريتيون دائماً كذابون وحوش ردية بطون بطالة» وكذلك اقتبس من ميناندر قوله إن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة»(كورنثوس الأولى ١٥:٣٣).

(٢) اقتباسات من أسفار غير معروف مصدرها.

وبالإضافة إلى هذه الاقتباسات، فإن ثمة اقتباسات شعرية أخرى يوردها القديس بولس فى رسائله، ربما ترجع إلى شعر مسيحى من القرن الأول، انظر الرسالة الأولى إلى تيموثاوس(٣:١٦)حيث لا يُعرف على وجه الدقة إن كانت لبولس أو لأحد الشعراء المسيحيين المجهولين. راجع أيضا رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس (٢:١١-١٣) وكذلك فيلبى(٢:٥-١١).

(٣) اقتباسات العهد الجديد من فقرات شعرية من العهد القديم

فى إنجيل لوقا توجد ثمانى أناشيد شعرية فى الأصحاحين الأولين وهى: لوقا١:١٤-١٧و٣٢و٣٣و٣٥، نشيد السيدة العذراء «فقالت مريم تعظم نفسى الرب. وتبتهج روحى بالله مخلصى. لأنه نظر إلى اتضاع أمته. فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى. لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه. صنع قوة بذراعه. شتت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين. أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين. عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة. كما كلم آباءنا لابراهيم ونسله إلى الأبد»(١:٤٦-٥٥)، وأنشودة زكريا (١:٦٨-٧٩)، وأنشودة الملائكة (٢:١٤)، ونشيد سمعان(٢:٢٩-٣٢و٣٤و٣٥). ويوجد أكثر من مائتى اقتباس شعرى من العهد القديم فى العهد الجديد.

(٤) بعض الفقرات تصنّف شعراً لما تحتويه من خبرة وجدانية برغم عدم التزامها بالأوزان الموسيقية.

تتضمن الأناجيل والرسائل عدة اقتباسات شعرية أخرى وهى تعتبر شعرية إما للأسلوب أو للخبرة الوجدانية أو التعبير البليغ، أو لأنها تمجد الله وتعظمه، راجع إنجيل يوحنا (١:١-١٨) وإنجيل متى (٥:٣-١٢، ٦:٢٥-٣٤، ١١:٢٨-٣٠، ٢٣:٣٧-٣٩ قارن الأخير مع لوقا ١٣:٣٤ و٣٥،يوحنا ١٤:١-٧ و٢٧). وبالإضافة إلى ما جاء فى البندين (١)و(٢) أعلاه فإن رسائل العهد الجديد تحتوى على بعض الأجزاء الرائعة من الشعر، فبعض أجزاء من رسالة يعقوب تشبه الموعظة على الجبل، وتوجد بعض الأجزاء الشعرية القوية فى رسائل رومية(٨:٣٥-٣٨، ١١:٣٣-٣٦) وكورنثوس الأولى (١٣) وكورنثوس الأولى(١٥:٥١-٥٧) والرسالة إلى العبرانيين(١١:٣٢-٣٨)ورسالة يهوذا(٢٤و٢٥).

(٥) الكتابات الرؤوية

إن سفر الرؤيا(مع متى أصحاح ٢٤ وما يقابله فى كل من مرقس ولوقا) كتبوا بالعبرية. وهى شكل من أشكال الكتابة الرؤوية. وهى تتضمن ترانيم تمجد الله(راجع رؤيا ٤: ٨ و١١، ٥: ٩ و ١٠و١٢و١٣، ٧:١٥-١٧، ١١: ١٧-١٩، ١٥:٣و٤، ١٨:٢و٨ و١٤-٢٤، ١٩:٦-٨)، إن سفر الرؤيا يتميز بأنه أكثر أسفار العهد الجديد يصف فى بلاغة كل من مجد السيد المسيح، والسماء.

ثانياً: بدايات الشعر المسيحى

أ- التسابيح المسيحية الأولى.

ب- قصائد تنسب إلى سليمان.

جـ- قصائد سيبيل(المسيحية).

د- أقوال سكستوس.

هـ- الشعر المسيحى على شواهد القبور.

(أ)- التسابيح المسيحية الأولى

كان الترنيم أحد العناصر الأساسية فى العبادة المسيحية منذ البداية. وقد قامت الترانيم والأناشيد الروحية المذكورة فى العهد القديم- الذى تُرجم إلى اليونانية (الترجمة السبعينية)- بدور هام فى الليتورجية المسيحية فى باكر عهدها. ولكن كان للمسيحيين إسهامهم الخاص فى هذا الأمر إذ قاموا بنظم الشعر على نمطها.

وكما سبق أن ذكرنا فإن القديس بولس يذكر عدة أنواع منها وهى المزامير والتسابيح والأغانى الروحية (كولوسى ٣:١٦)، والتى يحتوى العهد الجديد على العديد منها.

لقد قام الغنوسيون(راجع الباب السادس الخاص بالهرطقات فى موضعه من هذا المجلد).خلال القرن الثانى بنظم الشعر الموزون حيث كانوا على اتصال بالأدب الهلّينستى. وذلك لكى ينشروا تعاليمهم الخاصة. ونجد كثيراً منها فى كتاب أعمال الرسل الأبوكريفى. وأقوى النماذج من الشعر الغنوسى مذكورفى تسابيح نحشتان التى ذكرها هيبوليتس فى كتابه(Philosophoumena 5,10,2). وليس من قبيل الصدفة أن كليمندس السكندرى الذى أراد أن يجعل ثمة صلة بين المسيحية والثقافة، قد نظم شعراً موزوناً لتمجيد السيد المسيح. وقد وُجدت ترنيمة مكتوبة للمسيح المخلص فى نهاية كتابه (Paidagogos) أى التعليم، وهو فى هذه الترنيمة يمجد السيد المسيح أنه:

الكلمة القادر، الملك على القديسين

الذى من الآب، السيد فوق الجميع

رأس الحكمة ومصدرها

الشافى من كل الأحزان

السيد على الكل.

على المكان والزمان.

المسيح، المخلص للبشر.

كما ترجع الترنيمة المشهورة التالية إلى القرن الثانى الميلادى ضمن التسابيح المسائية، وتستخدمها حتى الآن الكنيسة اليونانية فى الخدمة المسائية(راجع كواستن Quasten مرجع سابق).

وإليك بعض الأبيات منها:

يسوع المسيح

الذى من بهاه غربت الشمس

وإذ نرى ضوء الغسق

نحمد الآب والابن

والروح القدس

لك ينبغى التسبيح

فى كل حين

بترانيم مقدسة

لك يا ابن الله

يا واهب الحياة

لهذا فإن العالم كله يمجدك.

وقد أكتشفت بعض القصاصات التى تحتوى على تسابيح مسيحية مع نوتة موسيقية فى عام ١٩٢٢فى نجع حمادى بمصر. ويبدو أنها ترجع إلى نهاية القرن الثالث الميلادى. وقد

تبقّت منها بعض الكلمات: «سبحوا الله يا كل خلائقه المجيدة...

ولتُسبح الآب والابن والروح القدس

المياة التى تنساب فى مجاريها

لقد ذكر يوسابيوس عن بولس الساموساطى أنه أدين لأنه لم يسمح بالتسابيح التى كانت تُنظم لتمجيد السيد المسيح، على أساس أنها كانت جديدة ولمؤلفين جدد. ومع الوقت انتشرت التسابيح حتى فى البيوت وذلك لتحل محل الأناشيد التى كانت تُنشد للأوثان.

وهكذا كان للتسابيح دورها لا فى تطوير الليتورجية فحسب، ولكن فى صبغ الثقافة المحيطة بهم فى ذلك الوقت بالأفكار المسيحية أيضاً.

ب- قصائد تنسب إلى سليمان

وهى مجموعة من اثنين وأربعين قصيدة. وتعتبر من أهم الاكتشافات فى إطار الأدب المسيحى منذ العثور على الدسقولية أو تعاليم الرسل. وقد عُثر عليها ريندل هارس (Rendel Harris) فى عام ١٩٠٥م بحسب كواستن. أما موسوعة الكنيسة الأولى فتذكر أنها أكتشفت فى عام ١٩٠٧م. حيث عُثر عليها ضمن مخطوطات سريانية، وقد طُبعت منذ وقت طويل فى عام ١٩٠٩م. وبعض هذه القصائد غنوسية (وهما يحملان رقمى١٩و٣٥). إلا أنه لا يمكن أن نطلق على هذه القصائد «كتاب تسبيح الكنائس الغنوسية». إذ تنقصها الثنائية الغنوسية.

وقد رأى البعض أن هذه القصائد كانت يهودية خالصة فى شكلها الأصلى. وأن ثمة عبارات قد دُست على نطاق واسع بمعرفة أحد المسيحيين فى عام ١٠٠م. ويوجد سببان لنسبة هذه القصائد إلى اليهودية:

١- لقد اكتشفت قصائد سليمان جنباً إلى جنب مزامير سليمان، وهى فعلاً على خط الفكر اليهودى.

٢- والسبب الآخر يتعلق باللغة. حيث أن الكاتب يستخدم بعض التعبيرات التى تذكرنا بالعهد القديم، مثل الأمثال، والمجاز الذى تكرر استخدامه. ولكن يرى كواستن أن استخدامهما كان يرجع إلى أن الكاتب كان يرمى إلى تقليد المزامير ولغتها.

إن وحدة الأسلوب الذى تستعرضه القصائد، لهو أمر قاطع ضد أى رأى يرى أنها يهودية الأصل وتم تعديلها لتكون مسيحية. لذا فإن الكاتب لابد أن يكون شخصاً واحداً كون صاحبها بَرديزانيس(Baradesanes)أو أفرايم سيروس(Aphraim Syruas). والإشارات العديدة الواردة فيها عن التعليم والعماد تبرهن على أنها تسابيح خاصة بالعماد.

ولا توجد أسباب مقنعة للرأى القائل بأنها مونتانية. وإنما الاحتمال الغالب هو أنها تعبير فعلى عن عقيدة ورجاء الكنيسة الشرقية. وهذا لا يعنى أنها لا تخلو من التأثر بالأساطير والفلسفة اليونانية، إلى حد ما. ويرجح كواستن أن هذه القصائد ترجع إلى النصف الأول من القرن الثانى. بينما تذكر موسوعة الكنيسة الأولى أنها ترجع إلى النصف الثانى من القرن الثانى. وقد كُتبت باليونانية لا بالعبرية أو الأرامية أو السريانية .لقد اكتشف إنى.س بوركيت المجموعة الثانية (وهى مجموعة غير كاملة، وذلك فى عام ١٩١٢فى المتحف البريطانى(ضمن مجموعة نيتريان(Nitrian) وهى تحتوى على قصائد أقل مما ضمنتها المجموعة التى طبعها ريندل هاريس. وقد ذكر النص السريانى فقط للقصيدة رقم(١٧) إلى النهاية.

كل ما كان يُعرف عن هذه القصائد حتى عام ١٩٠٩ هو ما يلى:

(١) اقتبس منها لاكتانتيوس اقتباساً واحداً فى كتاب القانون(inst.4, 12 ,3).

(٢) ذكرت فى الكتابات الزائفة التى نسبت إلى أثناسيوس. ،كذلك نجد فى فهرس من القرن السادس أسماء الكتب المقدسة، وتحتوى على قائمة بأسماء الكتب القانونية للعهد القديم، وجاء فيها «توجد كتب أخرى من العهد القديم لا تعتبر أسفاراً قانونية، وإنما كانت تقرأ للمتقدمين للعماد..المكابيين..مزامير وقصائد سليمان».

(٣) ذكرت خمس قصائد كاملة من قصائد سليمان على أنها من الكتابات المقدسة، فى رسائل الغنوسيين، منها ترجمة قبطية، وترجمة سريانية منقحة لمخطوطات هاريس وبُركيت، ويبدو أنها اعتمدت على الأصل اليونانى، الذى فُقد.

محتوى قصائد سليمان

لقد كُتبت هذه القصائد بروح تعبر عن أعلى درجات الصوفية، ويبدو فيها التأثر بإنجيل القديس يوحنا ومعظمها يتضمن تسابيح عامة لله مع عدم وجود فكر أو آراء لاهوتية. على أن بعضها يتضمن تمجيداً لبعض العقائد مثل التجسد، وفضل النعمة الإلهية..وغيرهما.

ونختار على سبيل المثال بعض الأبيات من قصيدة رقم (١٢) عن اللوجوس:

لقد ملأنى بكلام الحق

حتى أستطيع أن أتكلم بالحق

وكما تفيض المياه، هكذا يفيض الحق من فمى

وتلوك شفتاى ثمره

وجعل معرفته زاخرة فى داخلى

لأن فم الرب هو الذى ينطق بالكلمة الحق

وأن نافذة ضيائه

وكل ما هو سامٍ

قد أعطاه لخليقته

وهى المعبرة فى جماله

وتُردد التسبيح له

وأيضاً المعترفون بمشورته

والمنادون بأفكاره

إنه لا يمكن أن يُعَبَّر

عن قوة الكلمة

ولا انطلاقته

فلا حدود له

فهو لا يفشل أبداً

بل ينتصر دائماً

فالكلمة مصدر الحب والانسجام

اللذين ينتشران فى العالم

من خلال الكلمة

إن الكلمة يسكن فى الإنسان

هللويا

جـ- قصائد سيبيل المسيحية

يوجد أربعة عشر كتاباً يحمل اسم سيبيل (Sibyl) (وهى العرافة فى الأساطير اليونانية) وتحتوى على قصائد تعليمية نظمت على أوزان معينة. ويرجع تاريخ هذه القصائد إلى القرن الثانى الميلادى. وكان الناظمون من المسيحيين الشرقيين. قد نظموا تلك القصائد على نمط القصائد اليهودية. وكما قام اليهود من الهيلِّينستيين بتبنِّى فكرة سيبيل للترويج للديانة اليهودية فى الدوائر الوثنية. هكذا فعل المسيحيون للترويج

للمسيحية فى القرن الثانى الميلادى. وهذا العمل فى شكله هو مزيج وتأليف بين الوثنية واليهودية والمسيحية فى مجالات التاريخ والسياسة والدين.

والكتب التى لها أساس مسيحى خالص هى الكتب أرقام: (٦و٧) وأجزاء كبيرة من كتاب رقم(٨)، ويحتمل أيضاً الكتابان اللذان يحملان رقمى (١٣و١٥). أما الكتب التى تحمل أرقام (١و٢و٥) فيحتمل أنها من أصل يهودى، إلا أنه يحتمل أن ثمة تدخلات مسيحية. أما الكتابان رقما (٩و١٠) فلم يكتشفا حتى الآن. وقد اكتشفت الكاردينال أ. ماى (A.Mai). الكتب أرقام(١١-١٤) وذلك فى عام ١٨١٧م.

والكتاب السادس يحتوى على تسبحة لتمجيد السيد المسيح. ويذكر معجزات السيد المسيح التى جاءت فى الأناجيل القانونية على أنها نبوات تتعلق بالمستقبل. والكتاب السابع(١٦٢بيتاً) يتنبأ بالفجيعة والكارثة التى تنتظر الأمم والمدن الوثنية.

أما الكتاب الثامن فيتحدث عن الأخرويات. والجزء الأول من (١-٢١٦)ملئ بكراهية روما، ويشير إلى الامبراطور هادريان(Hadrian) والثلاثة الذين خلفوه بيوس(Pius)، ولوسيوس(Lusius)، وفيروس(Verus)، ثم ماركوس(Marcus). وهذا يبرهن أن الكتاب كُتب قبيل عام ١٨٠م. ويغلب على الظن أن كاتبه يهودى. أما الجزء الآخر من الكتاب فيغلب عليه الطابع المسيحى، ونجد فى بدايته قصيدة شهيرة يشير إليها كل من قسطنطين وأغسطينوس. ثم بعد التفاسير التى تتعلق بالأخرويات توجد أجزاء عن طبيعة الله والمسيح، وعن العبادة المسيحية.

ويبدو أن المسيحين قد استخدموا نبوات سيبيل فى بداية القرن الثانى الميلادى. إذ أن سلسوس(كلسوس) (Celsuc) بذل جهداً كبيراً لشرح تدخل المسيحيين فيها. ولكن لاكتانتيوس(Lactantius) فى القرن الرابع، يرفض هذه الفكرة. وكان لقصائد سيبيل شأن كبير، لاسيما فى العصور الوسطى، إذ قد تأثر بها الأديب دانتى واللاهوتى توما الأكوينى، والرسام رافائيل(فى رسم كنيسة سستين Sistine).

د- اقوال سكستوس

إن أقوال سكستوس هى مجموعة من الكتابات الوثنية عن العقوبات الأخلاقية، والقواعد الحياتية، تنسب إلى الفيلسوف الفيثاغورى سكستوس.

وقد قام أحد الكاتبين المسيحيين (يظن أنه من الإسكندرية) بمراجعتها وتحريرها. وكان أوريجانوس هو أول من ذكر هذه الأقوال فى كتاباته(Contra Celsum). فاقتبس منها قول سكتوس: «إن الأكل من لحوم الحيوانات أمر لا أهمية له، أما الامتناع عنها فأمر يتفق مع العقل».

وقد ترجم روفينوس(Rufinus) هذه الأقوال من اليونانية إلى اللاتينية فى عام ٤٥١م. وقد خلط فى تلك الترجمة اللاتينية بين الفيلسوف الفيثاغورى سكستوس، وكل من الأسقف الرومانى والشهيد سكستوس الثانى(٢٥٧-٢٥٨م). وقد انتقد چيروم بشدة هذا الخطأ الفادح.

لقد أثرت الأفكار الأفلاطونية عن التطهر والإشراق والألوهية على معظم تلك الأقوال. وفيها نصيحة عن الاعتدال فى الطعام والنوم، والتوصية بعدم الزواج.

وكل هذه الأقوال تذكرنا بفلسفة كلميندس السكندرى فى الحياة. لذا فإنه من المحتمل أنه هو الكاتب المسيحى الذى قام بتحريرها.

هـ- الشعر المسيحى على شواهد القبور

نقش الشعر المسيحى على قبور المسيحيين، فى وقت مبكر من تاريخ المسيحية. ويوجد لها نموذجان بارزان لقدمهما وأهميتهما.

١- نقوش ابركيوس

تعتبر النقوش المسيحية الخاصة بأبركيوس(Abercius) هى أهمها على الإطلاق. وقد اكتشف عالم الآثار وليم رامساى(W.Ramsay) من جامعة ابردين باسكتلندة فى عام ١٨٨٣م بالقرب من هيروبوليس(Hieropolis) فى فريجيَّة(Phrygia) جزءان منقوشان منهما، وهما موجودان الآن فى متحف لاتيران(Lateran) وقبل ذلك بنحو عام اكتشف نقش الإسكندر والذى يرجع إلى عام ٢١٦م، وكان مجرد تقليد لنقش ابركسيوس.

وبمعاونة نقش الإسكندر وسيرة حياة ابركيوس، فى اليونانية فى القرن الرابع والتى طُبعت بمعرفة بيوسوند(Boissonade) فى عام ١٨٣٨م أمكن ترميم النص الكامل المنقوش. وهو يتكون من (٢٢بيتاً) حيث كل بيت من الشعر له شطرتين، ومن (٢٠بيتاً) على وزن سداسى التفاعيل. وهى تحتوى على ملخص لحياة أبركيوس. وقد نظم ذلك الشعر فى نهاية القرن الميلادى وقبل عام ٢١٦م، وهو تاريخ نقش الإسكندر.

وأبراكيوس، هو أسقف هيروبوليس، وهو ناظم الشعر الذى نُقش، وكان فى ذلك الوقت يبلغ من العمر اثنين وسبعين عاماً. وكان أبرز حدث فى حياته هو ذهابه إلى روما. وقد كتب النقش بأسلوب رمزى غامض، وذلك لحفظ السرية، ولكى يخفى صفته المسيحية وذلك بحسب الظروف التاريخية التى كانت وقتئذ. لذلك فإنه يحفل بالعبارات المجازية، والتى كثر استخدامها بعد استخدام شواهد القبور للذكرى. ولذلك فإن بعض الباحثين مثل چى فيكر(G.Ficker)، وأ، ديتيرتيش(A.dieterich). حاولا إثبات أن أبركيوس لم يكن مسيحياً. ولكنه كان أحد الذين يبجلون الألهة سيبيل. بينما دعاه أ. هارناك(A.Harnack) أبركيوس الذى يحاول التوفيق بين الأديان. على أن دو روسى (De rossi)، ودوشيسن (Du chesene)، وكومنت(Cument)، ودولجر(Dolger) وهابيل(Abel) قد نجحوا فى إثبات أن المحتوى واللغة يبرهنان بما لا يدع مكاناً للشك فى أصلها المسيحى.

وقد تُرجمت إلى الإنجليزية وهى كما يلى:

(١) أنا مواطن فى مدينة عظيمة، أقمت هذا (القبر).

(٢) خلال سنى حياتى، لعلى أجد هنا مكاناً لراحة جسدى.

(٣) اسمى أبركيوس، تلميذ للراعى الطاهر.

(٤) الذى يطعم قطيعه على الجبال وفى السهول .

(٥) وله عينان قادرتان على النظر فى كل الاتجاهات.

(٦) وقد علمنى....الكتابات المخلصة.

(٧) وقد أرسلنى إلى روما.. لكى أرى المملكة.

(٨) ولكى أرى ملكة برداء ذهبى، وحذاء ذهبى.

(٩) وقد رأيت هناك الناس تحمل الختم الرائع.

(١٠) لقد شاهدت سهل سوريا، وكل المدن حتى نيسيبس.

(١١) وقد عبرت الفرات، ولى أصدقاء أينما حللت.

(١٢) إذ رافقت بولس، فالإيمان يقود الطريق فى كل مكان.

(١٣) وقد وضع أمامى سمكة من الينبوع لإطعامى.

(١٤) عظيمة وطاهرة، أمسكتها عذراء طاهرة.

(١٥) وقدمها لأصدقائه ليأكلوا منها، دائما.

(١٦) عنده خمر جيد والكأس الممزوجة بالخبز

(١٧) هذه الكلمات، أنا، أبركيوس- الشاهد-أمرت بأن تُنقش .

(١٨) فى الحقيقة كنت فى العام الثانى والسبعين.

(١٩) فليصلِ كل من يفهم هذا ويؤمن به من أجل أبركيوس.

(٢٠) لا يضع أحد قبراً فوق قبرى.

(٢١) أما إذا فعل أحد هذا، فعليه أن يدفع لخزانة المالية فى روما ألفى قطعة من الذهب.

(٢٢) وإلى وطنى الحبيب هيروبوليس، ألف قطعة من الذهب.

إن الأهمية اللاهوتية لهذا النص واضحة. فهو أقدم نص يذكر الإفخارستيا. والراعى الطاهر، الذى يدعو أبركيوس نفسه تلميذاً له، هو السيد المسيح. وقد أرسله السيد المسيح إلى روما لكى يرى الكنيسة «ملكة برداء ذهبى، وحذاء ذهبى». والمسيحيون هم «الناس الذين يحملون الختم الرائع»، والختم هنا كلمة كانت شائعة عن المعمودية فى القرن الرابع. وكان يلتقى بأحد الإخوة فى الإيمان- أينما ذهب- ممن قدموا له الافخارستيا (الخمر والخبز). والسمكة التى من الينبوع «العظيمة والطاهرة» هى السيد المسيح.

أما «العذراء الطاهرة التى أمسكتها»، وبحسب اللغة المستخدمة فى تلك الأيام، هى السيدة العذراء مريم، التى ولدت المخلص. أما مدينة نيسبس فتقع بتركيا.

ب- نقش بكتوريوس

اكتشف نقش بكتوريوس (Pictorius) فى سبعة أجزاء وذلك فى عام ١٨٣٠ فى مقابر مسيحية قديمة، لا يبعد كثيراً عن أوتون جنوبى فرنسا. وكان الكاردينال چ پى بترا (J.p.petra) أول من قام بطبع كلماته. وقد رأى هو و دو روسى أنها ترجع إلى بداية القرن الثانى. بينما رأى كل من إ.لو. بلانت (E.le.plant)، چ وِلبرت (J.wilpert) أنها ترجع إلى ختام القرن الثالث الميلادى. فالشكل والأسلوب يرجعان إلى الفترة (٣٥٠م-٤٠٠م). إلا أن الأسلوب المستخدم هو نفس الأسلوب المستخدم فى نقوش ابرسيوس، والذى يرجع إلى نهاية القرن الثانى.

والنقش عبارة عن قصيدة رائعة من ثلاثة أبيات ذات شطرتين، وخمسة أبيات على وزن سداسى التفاعيل. والأبيات الخمسة الأولى ترتبط بفكرة تدور حول السمكة كرمز. والقصيدة تتكون من جزءين، يحتوى الجزء الأول منها على الأبيات السبعة الأولى. ولها سمة تعليمية، تخاطب القارئ.

(٤) فن الموسيقى

(أ) الموسيقى فى العهد القديم.

(ب) دور الموسيقى فى العبادة.

(جـ) الموسيقى فى القرن الأول.

(د) أثر الثقافتين اليونانية والرومانية.

(هـ) الموسيقى فى العهد الجديد.

الموسيقى هى التعبير الطبيعى للإنسان، وربما يكون بدأ مع التفوه بالكلمات، ثم تطور إلى الغناء. حيث اقترن الغناء بآلات موسيقية. كانت الموسيقى تعبر عن مختلف مجالات الحياة اليومية فى العمل وفى العبادة. ثم تطورت وأصبحت تخضع للأسلوب العلمى.

إن عبارة «رنموا للرب» الواردة فى خروج (١٥:٢١) وأخبار الأيام الأول (١٦:٩)، ومزامير (٦٨:٣٢)، و(٩٦:١و٢)، لم تكن هى الوحيدة التى ذُكرت فى الأدب اليهودى. فكل الأديان تجتذب النزعة الإنسانية الطبيعية للغناء أو الترنيم. وعبارة «رنموا للرب» هى دعوة للناس لكى يعبروا عما فى أعماقهم من حمدٍ وتسبيح لله بالترنيم.

(أ) الموسيقى فى العهد القديم

إن أول من ذُكر فى الكتاب المقدس يعزف الموسيقى هو يوبال الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار(تكوين ٤:٢١).

كانت للموسيقى أهمية خاصة حيث أصبحت جزءاً مهماً من العبادة فى الهيكل. وقد شغلت الموسيقى مكانة مهمة فى مختلف المناسبات مثل: الوداع(تكوين ٣١:٢٧) الفرح(إشعياء ٥:١٢، ٢٤:٨ و٩)وفى الانتصارات الحربية (أخبار الأيام الثانى ٢٠: ٢٧و٢٨) ومن أجل العمل (عدد ٢١:١٧ نشيد حفر البئر)، (إشعياء ١٦: ١٠،إرميا ٤٨: ٣٣). أغلب هذه الموسيقى كانت بالحرى بدائية وبسيطة، ولاسيما الموسيقى التى كانت لأغراض حربية لبثّ الرهبة فى نفوس الأعداء (قضاة ٧:١٧-٢٠).

حيث أن العهد القديم يهدف إلى أن يخبرنا عن العلاقة بين اليهود والله. فإن أغلب ما ذُكر عن الموسيقى يتعلق بمكانتها أو دورها فى العبادة وحسب. على أن ثمة براهين تؤكد أنه كانت توجد موسيقى دينوية على نطاق واسع، فكانت الموسيقى والغناء والرقص جزء من الثقافة العامة (راجع دائرة معارف بيكرB.A.K.E.R الكتابية).

كانت الأناشيد التى سُجلت فى فترة مبكرة من تاريخ العهد القديم تعبر عن فكر الشعب ومشاعره. فالنشيد الذى عَبَّر فيه موسى والشعب عن شكرهم لله بعد عبور البحر الأحمر، إنما هو ترنيمة قومية بليغة. وبعض الكاتبين قد عبَّروا عن شعر ملحمى، وقد ذُكرت بعض الأحداث التى تتعلق بالحرب فى أخبار الأيام الثانى(٢٠-٢٧و٢٨) وترانيم العمل إشعياء (٨:٥٦) وترانيم الانتصار فى قضاة(٥).

(ب) دور الموسيقى فى العبادة

كانت الموسيقى فى الهيكل بأورشليم على مستوى رفيع من الفخامة والجلال. وكان المرنمون والعازفون يُختارون من سبط لاوى، وكانوا يكرسون حياتهم للترنيم نحو عشرين عاماً أى منذ سن الثلاثين وحتى سن الخمسين (أخبار الأيام الأول٢٣:٣).

وكانوا يقسَّمون إلى أربع وعشرين جماعة، وكل منها تتكون من اثنى عشر مرنماً(راجع أخبار الأيام الأول ٢٥:١و٧).

كانت المزامير تشغل مكانة بارزة فى الصلاة فى الهيكل حيث كان لكل يوم من أيام الأسبوع مزموراً محدداً. وكذلك كان للمزامير دور هام فى المجمع. فبعد أن هدم الرومان الهيكل، فإن الميراث اليهودى فى العبادة كان قد فُقد، ما لم تصبح الموسيقى جزءاً متكاملاً مع نظام العبادة فى المجمع.

(جـ) الموسيقى فى القرن الأول

أخذ المجمع مكانة رئيسية فى العبادة عن اليهود، وذلك فى أيام السيد المسيح لا سيما عند اليهود خارج أورشليم. إذ بدأ كمكان لدراسة الناموس. ولكنه أصبح شيئا فشيئا مركزاً لعبادة اليهود غير القادرين على الحضور إلى الهيكل. ولكن كانت الذبائح الطقسية تجرى فى الهيكل فقط، كذلك لم تكن ثمة موسيقى فى المجمع بنفس القدرة التى كانت عليها فى الهيكل لأنه لم يوجد عازفون من اللاويين المدربين.

إن الموسيقى كانت تعزف فى المجمع كما كانت فى الهيكل. ونحصل على هذه المعلومات من التلمود. حيث نعرف من أن الترنيم فى المجمع كان من المزامير، ومن الترانيم الروحية، والصلوات. وقد حل المرنم الواحد فى المجمع محل جوقة الترنيم التى كانت تقوم بالترنيم فى الهيكل، وكان المرنم من العلمانيين، وطبقا للتقليد اليهودى كان يجب أن يتحلى بعدة صفات وهى: أن يكون متعلماً، وصوته جميل، ومتواضع، ويتحلى بسمعة بين أقرانه، وأن لا يكون غنياً حتى تكون صلواته من القلب.



لقد انتقل الترنيم شيئاً فشيئاً من الهيكل إلى المجمع حيث كان تأثيره كبيراً على الكنيسة المسيحية الأولى.

(د) أثر الثقافتين اليونانية والرومانية

فى الوقت الذى كان فيه الهيكل والمجمع معروفين لدى المسيحيين الأوائل(أعمال ٢:٤٦ و٤٧، ٣:١، ٥:٤٢، ٩:٢٠، ١٨:٤....إلخ) لعبت كل من الثقافتين اليونانية والرومانية دوراً رئيسياً أيضاً فى تشكيل ثقافة الكنيسة الأولى الناشئة، فى ذلكم الوقت. وقد استشعر التأثير الهيِّلينستى فى الشرق الأوسط فى زمن السيد المسيح.

لقد اخترقت الفنون اليونانية الثقافة اليهودية، إلا أن قادة اليهود كانوا يعارضونها بشدة. وقد اعتبر الفلاسفة اليونانية أن الموسيقى قوة تساعد الإنسان على المعرفة الميتافيزيقية. وقد قاد هذا المفهوم إلى الاعتقاد بأن للموسيقى جوهراً أخلاقياً يمكن أن يؤثر على الإنسان سواء كان التأثير خيراً أم شراً.

بينما اعتبر معلمو اليهود أن الموسيقى لون من الفنون من خلاله نسبح الرب، واعتبر المفكرون اليونانيون أن للموسيقى تأثيراً أخلاقياً، فإن الرومانيين اعتبروا الموسيقى مجرد وسيلة للتسلية. وقد احتل العازفون فى الإمبراطورية الرومانية المرتبة الدنيا، وكان يُنظر إليهم على أنهم أدوات للتسلية. وكان ذلك أحد أسباب عدم استخدام الكنيسة الأولى للأدوات الموسيقية فى العبادة.

(هـ) الموسيقى فى العهد الجديد

يمكن تصنيف الموسيقى فى العهد الجديد إلى خمس فئات:

(١) معظم الإشارات إلى الموسيقى موجودة فى الأجزاء التى تتحدث عن الأخرويات، أو الفقرات النبوية وهى عديدة فى كتاب العهد الجديد، ولكنها تظهر على نحو متكرر فى سفر الرؤيا، وفى إنجيل متى(٢٤:٣١)، وكورنثوس الأولى(١٥:٥٢)، وتسالونيكى الأولى (٤:١٦)، وعبرانيين (١٢:١٩). ومعظم هذه الإشارات ترتبط على نحو مباشر بالموسيقى فى العهد القديم.

(٢) آلة المزمار ذُكرت على نحو قليل جداً، حيث استخدمت فى الندب على الميت(راجع متى ٩:٢٣).

(٣) ارتباط الموسيقى بالولائم والأفراح (راجع مثل الابن الضال لوقا ١٥:١١-٣٢).

(٤) توجد خمس إشارات مجازية للآلات الموسيقية راجع متى (٦:٢، ١١:١٧، لوقا ٧:٣٢،كورنثوس الأولى ١٣:١، ١٤:٧ و٨)، وأكثرها ذيوعاً ما ذكرها القديس بولس فى أنشودة المحبة فى كورنثوس الأولى(١٣).

ويذكر القديس بولس آلتى المزمار والقيثارة فى كورنثوس الأولى (١٤:٧و٨) حيث تستخدمان فى العبادة فى الكنيسة على أنهما أفضل الآلات الموسيقية. ويمكن فهم ذلك فى الإطار التاريخى للكنيسة الأولى فى ضوء استخدام تلك الآلات فى الهيكل والمجمع، وفى ضوء رد فعل الكنيسة الأولى لاستخدام الوثنيين الرومان للآلات الموسيقية.

(٥) توجد إشارتان عن العشاء الربانى ذُكر فيهما أن السيد المسيح وتلاميذه «سبحوا»(راجع متى ٢٦: ٣٠، ومرقس ١٤:٢٦). وهذا هو الموقف الوحيد الذى فيه إشارة مباشرة إلى تسبيح السيد المسيح.

كان بولس وسيلا فى السجن يصليان ويسبحان الله (راجع أعمال ١٦:٢٥). وقد قدم بولس تعليماً فيما يتعلق بالموسيقى والترتيل ويطلب التوازن بين العقلانية والعاطفة فيقول: «أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً»، ومثل كل المواهب الروحية فإن بولس يطلب أن يكون كل شئ للبنيان»(راجع كورنثوس الأولى ١٤:١٥و٢٦).

وفى فقرتين متشابهتين يذكر بولس ثلاثة نماذج معاً وهى

«المزامير، والتسابيح، والأغانى الروحية» (أفسس ٥: ١٩، وكولوسى ٣: ١٦). ففيما يتعلق بالمزامير، فمن الواضح أنها انتقلت إلى الكنيسة من المجمع. ويمكن أن نفترض أن الترنم بالمزامير عند المسيحيين فى الكنيسة الأولى انتهج الأسلوب اليهودى. وربما كان التسبيح يشير إلى نصوص شعرية، صيغت على نمط المزامير، ولكن كانت بغرض تمجيد السيد المسيح. أما الأغانى الروحية فيحتمل أنها تشير إلى الموسيقى غير المصحوبة بكلمات، وإنما تصاحبها الصلوات، وهو نموذج يهودى كان شائعاً عند الصوفيين من اليهود، ولعلها كانت تسبق ترنيمة هللويا.

(٥) الرمز فى الفن المسيحى

أ- الفن والرمز.

ب- الصليب رمزاً.

جـ- رموز مسيحية أخرى.

د- صور تاريخية ورمزية.

هـ- صور أخرى.

أ- الفن والرمز

كانت الكنيسة منذ نشأتها وحتى الفترة السابقة لمجمع نيقية فى صراع مع الوثنية. فكانت الكنيسة فى بداية الأمر تنفر من تلك الفنون التى كان الوثنيون يستخدمونها فى تزيين معابدهم، لاسيما صناعة التماثيل، والرسوم التى كانوا يرسمونها على جدران معابدهم، كما سبق وأن ذكرنا. فضلاً عن ذلك، فإن احتقار المسيحية لكل مامن شأنه أن يستعرض المظاهر الأرضية الباطلة، وحماسها للاستشهاد، وتوقعها بنهاية العالم سريعاً، والمجئ الثانى للرب يسوع، كل هذه الأمور جعلت الكنيسة تهمل ولا تكترث بالجانب الجمالى فى الحياة.

كان المتشددون من أتباع المونتانية-والسابقين للتطهريين- هم أول من عادى الفنون عداءً شديداً ولكن حتى كليمندس السكندرى كشخص واسع الثقافة يضع فرقا صارخاً بين العبادة الروحية لله، والرسم الذى يصور أموراً سماوية فيقول: « إن العادة اليومية للنظر إلى الرسومات إنما يقلل من سمو ما هو إلهى، فهذه الأمور الإلهية لا يمكن أن تكون تلك هى الوسيلة لإكرامها، بل إن المحسوسات تعمل على الإقلال من سموها ».

إلاَّ أن مثل هذا النفور من الفنون لم يمتد إلى الرموز، وهذا ما نراه حتى فى العهد القديم. كالحية النحاسية، والشاروبيم فى الهيكل. وعلى أية حال، فإنه فى النصف الثانى من القرن الثانى، نجد البدايات البسيطة للفنون المسيحية فى أشكال ذات رموز لها دلالاتها فى الحياة الخاصة للمسيحيين، وفى عبادتهم الجهارية.

وهذا الأمر واضح منذ عهد ترتليانوس، وكاتبين آخرين من القرن الثالث الميلادى. وهذا مؤكد بكثرة من الآثار الموجودة فى الداميس (Catacombs)، بالرغم من أنها موضع جدل وشك.

لعل الدافع الأصلى لهذه الرموز يرجع إلى رغبة المسيحيين فى أن يكون لديهم علامة أو رمز مرئى للحقائق السماوية، والتى تذكِّرهم دائما بفاديهم، وبدعوتهم المقدسة، التى تمدهم فى نفس الوقت ببديل أفضل للرموز الوثنية. فقد كانوا محاطين برموز الأساطير كل يوم، لا فى المعابد الوثنية، والأماكن العامة فحسب، وإنما فى الأماكن الخاصة، وعلى الحوائط، والأرضيات، والكؤوس، والأختام، بل وأحجار القبور أيضاً.

وبالرغم من براءة تلك الرموز، وأنها أمر طبيعى، إلا أنه كان من الممكن بسهولة أن تؤدى إلى الخلط بين العلامة والشئ المشار إليه، وتعتبر خزعبلات وخرافات لكثيرين من غير المثقفين. وكانت الأعمال الفنية خلال القرون الثلاثة الأولى قاصرة على الرمز والتصوير المجازى.

لقد انتقلت الرموز الفنية، لما هو سماوي، من البيوت الخاصة للمسيحيين، والدياميس، إلى الكنائس في القرن الرابع الميلادي. ولكن واجهتها حركة من الرفض استمرت فترة طويلة من الزمن، ولم تستقر، حتى انعقاد المجمع الثاني لنيقية(عام ٧٨٧م).

وقد عارض الرسوم في الكنائس المجمع الأسباني في إلفيرا (Elvira)(جرانادا Granada) في عام ٣٠٦م، في بادئ الأمر، وعلى ذلك أصدر المرسوم رقم(٣٦) «لتحريم رسم الصور في الكنائس خشية أن مواضع الاحترام والتقدير والسيادة ترسم على الجدران». ويرى شاف Schaff أن في ذلك ضرباً من البيوريتانية أو التطهرية في معارضة رسم الصور، ولكن نظراً لكثرة الصور والتماثيل القديمة وانتشارها في الدياميس، فإن ذلك يشير إلى أن النهى كان إجراءً مؤقتاً يناسب تلك المرحلة الانتقالية.

ب- الصليب.. رمزاً

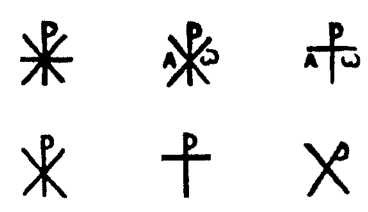
كان رمز الصليب محل اعتزاز وتقدير المسيحيين.

فكان أول الرموز وأقدمها، علامة الفداء. كان يُرسم الصليب أحياناً منفرداً، وأحياناً أخرى يقترن بحرف ألفا وأوميجا (وهما أول وآخر حرفين في الأبجدية اليونانية)، وأحياناً يقترن بهلب الرجاء أو غصن السلام. وقد ظهر ذلك نحو القرن الثاني. وكان رسم علامة الصليب يقترن بأداء شئون الحياة اليومية. ونظراً لهجوم الوثنيين على المسيحيين، واتهامهم بعبادة الصليب، دعا ترتليانوس المسيحيين أن يدافعوا عن أنفسهم في مواجهة هذا الاتهام.

الصليب وألفا أوميجا

إن ارتباط الصليب بحرفي ألفا a وأوميجا w (الحرفان الأول والأخير في الأبجدية اليونانية) إنما يرجع إلى سفر الرؤيا حيث يشيران إلى السيد المسيح(راجع رؤيا ١:٨، ٢١:٦، ٢٢:١٣)، وبرودنتيوس Prudentius هو صاحب هذا التفسير.

وقد وُجد الحرفان الأولان من اسم السيد المسيح X P حيث يقترنان معاً على شكل صليب. وأحياناً يقترن معهما الحرفان ألفا و أوميجا. وقد انتشرت علامة الصليب في أعقاب انتصار الإمبراطور قسطنطين على ماكسنتيوس(في سنة ٣١٢م) حيث ظهرت على الرايات والخوذات والتروس والتيجان والصولجانات والعملات والأختام في عديد من الأشكال.



بل وظهرت أشكال أخرى عديدة

*** يميز الأثريون نحو سبعة أشكال أو أكثر من الصليب:**

١- صليب القديس أندراوس X

٢- الصليب المصرى T

٣- صليب لاتيني قائم (عادى) +

٤- صليب لاتيني مقلوب رأساً على عقب، للقديس بطرس الذى لم يحسب نفسه مستحقاً أن يُصلب كسيده في الوضع القائم العادى.

٥- الصليب اليونانى، ويتألف من أربعة أذرع متساوية.

٦- صليب مزدوج

٧- صليب مثلث (كان يستخدمه البابا)

كان الصليب موضع احتقار الرومانيين الوثنيين، إذ كان الصلب عقوبة مزرية للعبيد ومقترفي الجرائم.

لقد وُجدت علامة الصليب في كل من مصر القديمة وفي البوذية بالهند، وفي المكسيك قديماً أيضاً.

إن النقوش أو التماثيل التي تمثل مخلصنا معلقاً على الصليب إنما ترجع إلى وقت متأخر نسبياً، فلا يمكن تتبعها قبل منتصف القرن السادس الميلادي، إذ لم يذكر الكاتبون شيئاً عن ذلك في فترة نيقية أو خلقدونية.

وقد وجد فى فلورنسا Florence أحد أقدم الصلبان، إن لم يكن أقدمها، فى نسخة سريانية للإنجيل غنية بالصور ترجع تقريباً إلى عام (٥٨٦م).

جـ- رموز مسيحية أخرى

وُجدت رموز أخرى مأخوذة من الكتاب المقدس، كانت أُستخدمت مرات عديدة فى الدياميس. ولهذه الرموز دلالاتها فيما يتصل بحياة المسيحيين. فقد استخدمت «**الحمامة**» كرمز سواء مع غصن الزيتون أو بدونه. وهى تمثل البساطة والبراءة (قارن متى ١٦:٣ ،١٦:١٠، وتكوين ١١:٨). واستخدم رمز «**السفينة**»، والسفينة تمثل الكنيسة، وهى تبحر فى أمان عبر طوفان الفساد، وهى تشير إلى سفينة نوح. وكذلك أُستخدم «**سعف النخيل**»، وهو ما يخبرنا عنه الرائى، إذ وجده فى أيدى المنتصرين، علامة على الانتصار (رؤيا٧:٩). «**المرساة**»(الهلب) وترمز إلى الرجاء(عبرانيين ١٩:٦). وكذلك استخدمت الألة الموسيقية «**القيثارة**»، وهى تشير إلى الفرح (أفسس٥:١٩). وأُستخدم «**الديك**» رمزاً للتحذير والتذكير باليقظة، مع الإشارة إلى إنكار بطرس للسيد المسيح (متى ٣٤:٢٦). «**والإيّل**»: فكما تشتاق الإبل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق النفس إلى الله(مز٤٢:١و٢). «**الكرمة**»: وهى بأغصانها وثمرها تصور وحدة المؤمنين مع الرب يسوع، ومع بعضهم البعض، بحسب ما جاء فى مثل الرب يسوع (يوحنا ١٥:١-٦). والعنقاء طائر أسطورى زعم قدماء المصريين أنه يعيش لمدة خمسة أو ستة قرون، وبعد أن يحرق نفسه، فإن لديه القدرة أن ينبعث من رماده، وهو فى أوج شبابه وقوته وجماله. وهذا الطائر يرمز إلى القيامة، ولم يرد ذكره فى الكتاب المقدس. وأول من استخدم ذلك التشبيه كان كليمندس الرومانى ثم ترتليانوس.

د- صور تاريخية ورمزية

لم تكن هناك سوى خطوة واحدة للانتقال من تلك الرموز إلى **فن الأيقونة**، فالكتاب المقدس زاخر بالمواد التاريخية والرمزية التى يمكن رسمها. وقد وجد الكثير منها فى الدياميس. وبعضها يرجع إلى القرن الثانى الميلادى. وثمة صور أيقونات محببة رُسمت مستوحاة من العهد القديم. وقد تناولت موضوعات منها:

آدم وحواء، وأنهار الجنة، وسفينة نوح، وتقديم إسحق ذبيحة، والعبور فى البحر الأحمر، وتقديم الناموس، وموسى يضرب الصخرة، ونجاة يونان، وارتفاع إيليا إلى السماء، ودانيال فى جب الأسود، والفتية الثلاثة فى جب الأسود.

وكذلك رُسمت صور مستوحاة من العهد الجديد ومنها: صورة المجوس ومقابلتهم للملك هيرودس، ومعمودية السيد المسيح فى نهر الأردن، وشفاء المشلول، ومعجزة تحويل الماء إلى خمر، ومعجزة إشباع الجموع، والعذارى الحكيمات والعذارى الجاهلات، ومعجزة قيامة لعازر، ودخول السيد المسيح إلى أورشليم، والعشاء الربانى.

لم تمثل أبداً آلام المسيح وصلبه فى تماثيل أو صور إلا برمز الصليب فقط.

كان ثمة تأثير قوى للغنوسية على الفنون، كما كان على الفكر اللاهوتى. وقد أيدت المذاهب الفكرية المنحرفة الفنون مثل أتباع كربوكرايت، ومانى، وباسيليدس.

تعتبر الصور الأولى التى رُسمت فى الدياميس، هى الأفضل فنياً. وهى تعبِّر عن التأثير الكلاسيكى للجمال والذوق. ولكن منذ القرن الرابع أصبح الفن جامداً غليظاً، فانتقل إلى الأسلوب البيزنطى.

وقد وصف راوول.روشيت(Raoul-rochette) الفن المسيحى فى بدايته على أنه فن وثنى تم تشويهه. فمثلاً صورة الراعى الصالح هى صورة لأبوللو أو هِرماس.

ولكن لأن الشكل هو نقل ومحاكاة، فالروح مختلفة، وقد

فهمت الأساطير على أنها نبوءات وأشكال من الحقائق المسيحية، كما هو مسجل فى كتب السابليانية. وما فعلته المسيحية هو أنها حررت الفن القديم من خدمة الوثنية، وملأته بمعانٍ عميقة، وكرسته لأسمى هدف.

رسم من أحد سراديب الموتى
تصوير رمزى يمثل السيد المسيح كراع صالح



الراعى الصالح
(رسم جصى لسقف من بوسيو)

فى منتصف الصورة "الراعى الصالح" والموضوعات من أعلى الرسم وجهة اليمين ترتيبها كالتالى:

١- المفلوج يحمل سريره
٢- خمس سلال مملوءة بالكسر
٣- قيامة لعازر
٤- دانيال فى جب الأسود
٦- الحوت يبتلع يونان
٧- موسى يضرب الصخرة
٨- نوح والحمامة

إن دمج الخبرات الكلاسيكية مع الأفكار المسيحية قد تجسَّدت فى الصور الرمزية ذات الذوق الجمالى المرتفع مثل صورة الراعى الصالح.

وكانت صورة الراعى الصالح هى الصورة المفضلة لا فقط لترسم على جدران الدياميس، ولكنها كانت تُرسم على أدوات الاستخدام اليومى، مثل الكؤوس والمصابيح والحلى (مثل الخواتم). الراعى هو الرمز المناسب للسيد المسيح، حيث كان يُرسم المسيح شاباً مؤتزراً بمنطقة ومرتديا صندلاً، وبدون لحية، ومعه ناى أو فلوت (Flute)، حاملاً حَمَلاً على كتفيه، وتحيط به بعض الرعية، ويقف من حوله خروفان أو ثلاثة، يركزون النظر إليه. وفى صورة أخرى يصورون السيد المسيح وهو يطعم القطيع الكبير بالعشب.

بدأ استخدام صور السيد المسيح شيئاً فشيئاً، لأن المفاهيم الخاصة بمظهره الشخصى قد تغيرت. فالبشيرون صمتوا صمتاً حكيماً تجاه هذا الموضوع. ولا يمكن لأى نموذج تبتكره المهارة البشرية أن ينصف السيد المسيح، الإله الظاهر فى الجسد.

لقد انتشرت فكرة غريبة فى عصر ما قبل نيقية وهى أن مخلصنا، فى حالة اتضاعه، كان عادى الملامح، وذلك طبقاً للتفسير الحرفى للنبوة عن المسيا «لا صورة له ولا جمال» (إش ٥٣: ٢). وكان ذلك رأى الشهيد يوستينوس وترتليانوس وكليمندس وأوريجانوس. بل بالأحرى إن الشعور الصادق والحقيقى يقود إلى عكس ذلك، فلم تكن للمسيح ملامح خاطئ، حاشا لله. ولابد أن نقاوته السماوية واتساقها مع نفسه قد ظهرت من خلال حجاب جسده، كما حدث على جبل التجلى. وتفسير أن لا صورة له، لا تتفق ومفهوم «الكاهن» فى العهد القديم، فكم بالحرى مع مفهوم «المسيا».

ويرى القديس ذهبى الفم أن وصف إشعياء يشير فقط إلى مشاهد الآلام والصلب. ويأخذ فكرة المظهر الخارجى للرب يسوع من المزمور الخامس والأربعين «أبرع جمالاً من بنى البشر»، كان لكل من القديس چيروم والقديس أغسطينوس نفس الرأى. ولكن فى ذلك الوقت لم تكن ثمة صورة محددة للسيد المسيح.

فقد تركت المحاولات غير الكاملة للخيال لتبين ذلك الوجه

السماوى الإنسانى والذى عكس جمال القداسة.

كان تصوير السيد المسيح مجازياً تماماً فى البداية، فكان يصوَّر كالراعى، الذى يبذل نفسه عن الخراف (يوحنا ١٠:١١). أو الذى يحمل الخروف الضال على منكبيه(لو ١٥:٣-٧، قارن مع إش ٤٠:١١)، كالحمل الذى يحمل خطايا العالم (يوحنا ١:٢٩، وبطرس الأولى ١:١٩ ، رؤ٥:١٢). وفى مرات قليلة صوِّر كالكبش، وهو ما يشير إلى الذبيحة البديلة فى التاريخ المقدس لإبراهيم وإسحق (راجع تكوين ٢٢:١٣). ومرات كثيرة كان يصور كصياد سمك حيث دعا تلاميذه «صيادى الناس»(متى ٤:١٩).

ويبدو أن رمز السمكة كان هو الرمز الأكثر تفضيلاً. فكان رمزاً مزدوجاً يرمز إلى الفادى وإلى المفديين. والكلمة اليونانية (اخثوس Ichthys) هى الأحرف الأولى للعبارة اليونانية «يسوع المسيح، ابن الله، المخلص».

وكانت السمكة تمثل «النفس» وهى فى شبكة صيادى الناس، فى إشارة إلى (متى ٤:١٩، قارنها مع متى ١٣:٤٧).

لقد جعل الخيال الفنى المسيحى من السمكة رمزاً لكل سر الخلاص المسيحى. كانت الكنيسة الأولى تشهد بإيمانها بشخص الرب المسيح، ابن الله، وبعمله مخلصاً للعالم. وربما يرجع أصل هذا الرمز إلى الإسكندرية، إلى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى حيث عرف شغف الإسكندريين فى ذلك الوقت بالرموز السرية. وقد ذكر ذلك كل من كليمندس السكندرى، وأوريجانوس وترتليانوس. وقد تأكد ذلك من الآثار التى وجدت فى الدياميس الرومانية، ووجدت على أحجار المدافن، والأختام والمصابيح ، وصور الحائط. لقد توقف استخدام رمز السمكة قبل منتصف القرن الرابع الميلادى، حيث عُثر على آثار تدل عليها فى الفترات السابقة.

ولا نجد أى أثر لرسم عن السيد المسيح قبل عصر قسطنطين، إلا بين الغنوسيين وأتباع الكربوكرات.

وأيضاً فى أيام الامبراطور الوثنى السكندر ساويرس(Alexander Severus) الذى حاول أن يوفق بين مختلف الأديان.

إن الفكرة التى ذكرناها آنفا عن أن المسيح «لا منظر له ولا جمال»، وصمت الأناجيل عنها تماماً، وتحريم العهد القديم تصوير الأشخاص، قد قيد الكنيسة من صنع التماثيل أو الصور لشخص السيد المسيح. وقد حدث تغيير كبير فى عصر نيقية، بالرغم من المعارضة القوية التى استمرت طويلاً. ويقدم لنا يوسابيوس رأيه الخاص عن تمثال السيد المسيح الذى شيدته امرأة، فيقول: «إن المرأة كانت نازفة دم ،فأقامت التمثال لذكر شفائها وذلك قبل أن تقيم فى قيصرية فيلبى» ولكن فى رسالة يوسابيوس إلى الامبراطورة قسطنطياCostantia(أخت الامبراطور قسطنطين ، وأرملة ليسينيوسLicinius،كتب معارضاً بشدة إقامة تمثال للسيد المسيح.

هـ- صور أخرى

لقد ظهرت صور كثيرة للسيد العذراء، ترجع إلى القرن الثالث، إن لم يكن القرن الثانى، ومعظم هذه الصور يظهر فيها الطفل يسوع. وكذلك توجد آثار متبقية لصورة مرسومة على حائط فى سرداب بريسكلا بروما تمثل السيدة العذراء تحتضن الطفل يسوع وهى جالسة، بينما هو يشخص إليها. وبالقرب منها يقف رجل بدون لحية(يُرجَّح أنه يوسف النجار) يرتدى الملابس الرومانية، وممسكاً بدرج فى يد، وبيده الأخرى يشير إلى نجم فى السماء، وهو يتطلع إلى الأم والطفل فى سرور.

وقد وُجدت صور أخرى فى روما، من الموزاييك عن بشارة الملاك للعذراء، والمجوس وهم يقدمون هدايا للطفل، وصورة للسيد المسيح وهو فى الهيكل، وصور للعائلة المقدسة وهى فى المزود.

كما وُجدت عدة صور لسيدة وهى تصلى رافعة يديها،

وإلى جوارها الراعى الصالح، وقد فسر ذلك رجال الآثار الرومانيين أن الكنيسة أو السيدة العذراء أو كليهما يصليان من أجل الخطاة. وتوجد صور كثيرة فى سراديب روما تمثل رجالاً ونساءً فى وضع الصلاة، وهى عادة تمثل الشخص الذى دفن فى تلك المدفنة ومكتوب على شاهد القبر اسم الشخص المدفون فى القبر . وظلت كل الرسوم تقريباً حتى القرن الرابع تعالج أحداثاً كتابية. حيث بدأت بعد الانحلال الفنى بعد القرن الرابع تأخذ أشكالاً مغايرة.

رسم من أحد سراديب الموتى
تصوير رمزى يمثل السيد المسيح على مثال أورفيوس



أورفيوس(رسم جصى لسقف فى كريبت للقديسة دوميتيلا)
فى المنتصف أوروفيوس يعزف على القيثارة للحيوانات وقد سحرتها حلاوة ألحانه، وتحيط به المناظر الطبيعية ومشاهد من الكتاب المقدس.
وهى تبدأ من جهة اليمين:
١ـ إقامة ميت يرجح أنه لعازر ٢ـ دانيال فى جب الأسود
٣ـ موسى يضرب الصخرة ٤ـ داود يضرب بالمقلاع

✣ ✣ ✣ ✣

الباب الثامن

نظرة عامة على تاريخ الآباء وانجازاتهم

١- تاريخ الآباء.

٢- نظرة عامة على انجازات الآباء.

ا - تاريخ الآباء

أ- آباء الكنيسة.

ب- الكتّاب الكنسيون.

جـ- اللغة التى استخدمها الآباء.

د- تاريخ علم الآباء.

ا- آباء الكنيسة

أُطلق منذ زمن بعيد على كاتبى المؤلفات المسيحية الأوائل لقب «آباء الكنيسة». فكلمة «أب» لها دلالة روحية خاصة. وقد استخدمت بمعنى «مُعَلِّم» فى الكتاب المقدس، والكتابات المسيحية الأولى. فالمعلم هو بمثابة «أب» لتلاميذه.

وهكذا أُستخدمها الرسول بولس: «لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس آباء كثيرون. لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل». (كورنثوس الأولى ٤:١٥).

وهذا أيضا ما يعلنه القديس إيريناوس إذ يقول: «عندما يتعلم شخص من فم شخص آخر فإنه يسمى ابناً لمن علَّمه، ومن علَّمه يُدعى أباه». والقديس كليمندس الإسكندرى يقول: «الكلمات هى ذرية النفس، لهذا فإننا نطلق على من علمونا «آباءنا»... وكل من تعلم هو من جهة الخضوع ابن لمعلمه».

الأسقف- الشيخ

ذكرت صفات الأسقف فى(تيموثاوس الأولى ٣:٢-٧) وفى تيطس(١:٦-٩).

وردت كلمة أسقف(episcopos) خمس مرات فى العهد الجديد: حيث ذُكرت مرة عن السيد المسيح فى بطرس الأولى(٢:٢٥) وأربع مرات فى مواضع مختلفة عن الشيوخ فى الكنيسة المحلية: فى أعمال (٢٠:٨)، فيلبى(١:١)، تيموثاوس الأولى (٣:٢)، وتيطس (١:٧). أما الفعل «episkopeo» فيرد فى العبرانيين(١٢:١٥) بمعنى «ملاحظين»كما جاء بمعنى «ارعوا»، بينما الاسم(episkope)

ذُكر فى تيموثاوس الأولى (١:٣) بمعنى الأسقفية.

ومن المتفق عليه بعامة أن كلمة «أسقف» مرادفة لكلمة «شيخ» فى العهد الجديد، فى مرات عديدة فى سفر أعمال الرسل، وفى تيموثاوس الأولى (٥:١٧و١٩)، وتيطس (١:٥) ويعقوب (٥:١٤) وبطرس الأولى (٥:١و٥). لقد لُقِّب السيد المسيح «براعٍ وأسقف»: «راعى نفوسكم وأسقفها» (بطرس الأولى ٢:٢٥)، ويكتب الرسول بولس لتيطس أن «يقيم فى كل مدينة شيوخاً» ثم «يذكر الصفات التى يجب أن تتوفر فى الأسقف» لأنه يجب أن يكون الأسقف...» (راجع تيطس ١:٥و٧).

ومن ميليتس أرسل الرسول بولس إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة، ويقول لهم إن الروح القدس أقامهم أساقفة «لترعوا رعية الله» (أعمال ٢٠:١٧و٢٨) وفى رسالته إلى فيلبى يرسل تحياته إلى «أساقفة وشمامسة» (فيلبى ١:١) مما يدل على أنه كان هناك عدد كبير من الأساقفة فى فيلبى كما كان الأمر فى أفسس، وهذا يدل على أن مفهوم الأسقفية لم يكن قد تطور إلى الصورة التى أصبحت عليها فيما بعد: أى يكون الأسقف راعياً لكنيسة أو أكثر.

ومن الواضح أنه كان للأسقف خدمته، إلا أن واجباته لم تحدد بوضوح كافٍ فى العهد الجديد. وكانت إحدى المهام الرئيسية له هى مواجهة الهرطقات «المناقضين» (تيطس ١:٩)، وأن يكون «بلا لوم وصالحاً للتعليم» (تيموثاوس الأولى ٣:٢)، وذلك فضلاً عن وجود بعض الإشارات إلى وجوب اهتمامه بالفقراء وبرعاية شعب كنيسته. وتلك القائمة من المواصفات التى ذكرها الرسول بولس فى رسائله إلى تيموثاوس وتيطس، تشير إلى أن الأسقف كان يعتبر «قائداً» لشعب الكنيسة، على «أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج» (تيموثاوس الأولى ٣:٧).

كانت مهمة التعليم فى العصور المسيحية الأولى منوطة بالأسقف (أو الشيخ) «Bishop» لذلك أُطلق عليه فى البداية لقب «أب». إلا أن بعض الخلافات العقائدية التى ظهرت فى القرن الرابع الميلادى أدت إلى تطوير استخدام لقب «أب». فصار الاستخدام الأكثر شمولاً. فأطلق على كل الكاتبين الكنسيين، ما داموا يمثلون تعليم الكنيسة. فأغسطينوس - على سبيل المثال - يعتبر چيروم شاهداً على التقليد، أى كان يعتبره «أباً»، وإن لم يكن أسقفاً.

فالآباء هم المعلمون الذين ساهموا فى تحديد مضمون الإيمان أو صياغته أو شرحه، حيث أن المقصود بالإيمان ليس هو العقيدة فقط وإنما التقليد الذى يفترض أن الكنيسة قد استلمته من الرسل وما يعبر عنه القديس يهوذا فى رسالته بعبارة «الإيمان المسَلَّم مرة للقديسين». فآباء الكنيسة هم معلمو الإيمان والعقيدة والحياة الروحية فى القرون الخمسة الأولى، سواء كانوا أساقفة أم غير الأساقفة أو حتى من المؤمنين العاديين الذين ساهموا فى تحديد مضمون وصياغة وشرح الإيمان حتى استقر فى الإطار الذى أجمعت عليه الكنيسة فى مجامعها المسكونية حتى القرن الخامس.

ب- الكتّاب الكنسيون

ونحن الآن نطلق لقب «آباء الكنيسة» على من تتوفر فيهم العناصر الأربعة التالية مجتمعة وهى: **مستقيم التعليم، والحياة المقدسة، والقبول الكنسى، والقِدَم**، وكل الكتبة اللاهوتيين الآخرين يُدعون كُتَّاباً كنسيين.

وقد أطلق لقب «آباء الكنيسة العظماء» على الآباء التاليين: امبروزوس (امبروسيوس) وچيروم، وأغسطينوس، وغريغوريوس الكبير. كما أن الكنيسة اليونانية تبجل فقط الآباء الثلاثة الذين عُرفوا بأنهم قد علّموا تعليماً مسكونياً وهم: باسيليوس الكبير، وغريغوريوس النزيانزى (أوالنزينزى)، ويوحنا ذهبى الفم. بينما تضيف إليهم الكنيسة الكاثوليكية فى الشرق القديس أثناسيوس، وتضيف الكنيسة الأرثوذكسية

مع القديس أثناسيوس القديس كيرلس السكندرى باعتباره أيضا من الآباء المسكونيين العظام.

تعتمد بعض الكنائس اعتماداً كبيراً على تفسيرات الآباء للكتاب المقدس منذ القرن الخامس وحتى الآن. فقد أصبحت كتابات الآباء هى الأساس، وبخاصة فيما يتعلق بتفسير الآيات التى تستقى منها العقائد الإيمانية. وتُعتبر كتابات الآباء هى المصدر الأساسى عند بعض الكنائس منذ العصور الأولى وحتى الآن، فمثلاً الكنيسة الأرثوذكسية وكذلك الكنيسة الكاثوليكية تأخذ منها القداسات التى تصلى بها ونصوص التسابيح التى تستخدمها الكنسية فى عبادتها الجماعية، أو فى العبادة العائلية والفردية كما أن كتابات الآباء هى مصدر سير الشهداء والقديسين فى العصور المسيحية الأولى.

جـ- اللغة التى استخدمها الآباء

انتشرت منذ القرن الثالث قبل الميلاد الحضارة اليونانية، وآدابها، ومن ثم لغتها فى ربوع الامبراطورية الرومانية، ومن بينها كل مدن حوض البحر المتوسط. حتى إنه نادراً ما كانت توجد مدينة فى الغرب لا تستخدم اللغة اليونانية فى المعاملات اليومية. وقد استمر استخدام اللغة اليونانية فى روما، وشمالى أفريقيا وبلاد الغال(فرنسا حالياً) حتى القرن الثالث الميلادى لهذا السبب.

وعلى ذلك فإن اللغة اليونانية هى اللغة الأصلية التى استخدمها المسيحيون الأوائل، والتى كتب بها الآباء فى القرنين الأول والثانى فى الشرق، حيث حلت محلها بعد ذلك اللغات المحلية، فمثلا فى مصر استخدمت اللغة القبطية، وفى سوريا اللغة السريانية. أما فى الغرب فقد استخدموا اللغة اللاتينية التى حلت تماماً محل اللغة اليونانية، وذلك بعد القرن الثالث الميلادى.

لذا نجد أن اللغة التى كُتب بها العهد الجديد هى اللغة اليونانية، وكذلك كتابات آباء الكنيسة الأوائل، إلا أنهم استخدموا اللغة اليونانية «العامة» أو «الدارجة» وتسمى كوينىKoine ، ولم يستخدموا «الفصحى» أو «الكلاسيكية»(أى لغة الفلاسفة من اليونانيين) وهكذا صارت هذه اللغة «أى الدارجة» هى لغة كل العالم الهيلّينى منذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الخامس الميلادى، أى حتى نهاية العصور المسيحية الأولى.

كوينى(Koine)

اللغة اليونانية «كوينى»Koine تتألف من لغة الأتيك لغة مقاطعة «أتيك»Attic فى اليونان واللغة اليونانية الشعبية حيث صارت لغة كوينى هى لغة كل العالم الهيلّينى.

د- تاريخ علم الآباء

«تاريخ علم الآباء»هو الذى يعنى بدراسة تاريخ الآباء الأوائل للكنيسة المسيحية، وما تركوه لنا من كتابات.

ولا سيما أولئك الذين تمثل كتاباتهم أساس التعليم الكنسى عند بعض الكنائس.

إن ما تم تسجيله كتابةً من آداب العصور المسيحية الأولى لا يشكل سوى جزء ضئيل للغاية منها. ومن بين ما كُتب لم ينجُ من الضياع غير جانب قليل جداً منه، وكما يقول جوته: «إن المواد المطبوعة إن هى إلا جزازة الجزازات»، وهذا ما ينطبق أيضا وبشكل جلى على الكتابات المسيحية المبكرة.

كان المعلمون المسيحيون فى العصور الأولى كارزين لاكاتبين، وكانوا واعظين لا مؤرخين. أما المادة المكتوبة فكانت نتاجاً عادياً للمادة الشفهية. أما التميز الأدبى وما يتبعه من شهرة فقد كان آخر شئ يمكن أن يطرأ على فكرهم. فقد كانوا مستغرقين تماماً فى أعمالهم-الحاضرة والعاجلة- بحيث لم يكن وقتهم يتيح لهم أن يفكروا ولو فى عجالة فى المستقبل البعيد. فقد كانوا يتوقعون المجئ الثانى للرب فى أى وقت.

فى الوقت الذى «كانت فيه كتابات أثناسيوس وباسيليوس ويوحنا ذهبى الفم، وچيروم وأغسطينوس وأمبروزيوس (امبروسيووس) تُقرأ على نطاق واسع وتُنسخ أو تُترجم، نجد أن اهتماماً قليلاً نسبياً أولى لكتابات القرنين الأول والثانى، لذا كان مآلها الضياع بسبب الإهمال، ولم ينجُ من هذا المصير سوى جزازات قليلة وُجدت مبعثرة فى مكان أو آخر.

إن فكرة دراسة تاريخ الكتابات المسيحية الأولى هى فكرة قديمة ترجع إلى يوسابيوس القيصرى المؤرخ الكنسى (٢٦٤-٣٠٤م).

إذ كتب فى مقدمة كتابه «تاريخ الكنيسة» عن رغبته فى أن يحصى عدد سفراء كلمة الله فى كل جيل سواء من المتكلمين أو الكاتبين. وكذلك أن يحصى عدد أولئك- الذين رغبة فى ابتداع الجديد- ارتكبوا أخطاءً فادحةً، وابتدعوا «العلم الكاذب الاسم» (تيموثاوس الأولى ٦: ٢٠). وعلى هذا قام يوسابيوس القيصرى بوضع قوائم الكاتبين وكتاباتهم. وقد اقتبس الكثير عن معظمهم. وعلى ذلك فإن يوسابيوس يُعد أحد أهم المصادر فى دراسة «تاريخ الآباء» لأن عدداً كبيراً من تلك الأعمال التى أُقتبس منها قد ضاع. وهو يُعد المصدر الوحيد للمعلومات عن بعض الكاتبين الكنسيين.

أما الدافع عند القديس چيروم فقد كان بسبب التهكم والسخرية التى أثارها الوثنيون على المسيحيين وأدعوا عليهم بأنهم متوسطى الذكاء؛ لذا قام چيروم بإحصاء الكاتبين المسيحيين ممن أثروا الأدب المسيحى فى باكر عهده. وقد انجز چيروم عمله المعرف بعنوان « مشاهير الرجال» فى بيت لحم فى عام ٣٩٢م وذلك بناء على طلب صدقه الوالى ديكستر (Dexter). ويمتد هذا العمل من عصر الاثنى عشر رسولاً وحتى عصر چيروم نفسه. وسيظل هذا العمل- أيضا- المصدر الوحيد للمعلومات عن بعض الكاتبين أمثال: فيلكس وترتليانوس وكبريناوس ونوڤاتيان، وغيرهم.

وفى نحو عام ٤٨٠م قام القس چنَّاديوس (Gennadius) باستكمال الموضوع بعمل إضافات مفيدة تحت نفس العنوان، والذى تدمجه كثير من المخطوطات كجزء ثانٍ لعمل القديس چيروم. كان جناديوس يميل إلى البلاجيوسية، هذه الحقيقة التى أثرت كثيرا على شروحاته. فقد وصف نفسه أنه واسع المعرفة ودقيق فى أحكامه. ويظل لهذا العمل الذى قام به أهمية كبيرة فى تاريخ الكتابات الأدبية القديمة.

ويأتى فى درجة أقل من حيث الأهمية العمل الذى قام به ايزيدور (ايسيدور) الأشبيلى فيما بين عامى ٦١٥م و٦١٨م والذى يمثل امتداداً لعمل چيروم، إلا أنه يركز على الفكر اللاهوتى الأسبانى، على نحو خاص.

مؤرخو تاريخ الكنيسة

ثمة مؤرخون آخرون جاءوا بعد يوسابيوس المؤرخ القيصرى. ففى الكنيسة الشرقية ثمة تاريخ سقراط، وتاريخ سوذومين، وتاريخ ثيؤدريت، وتعتبر تلك الأعمال متقاربة إلى حد كبير. أما فى الغرب فقام روفينوس بترجمة كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس من اليونانية إلى اللاتينية، وأضاف إليه بعض الأحداث حتى عصر الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير فى سنة ٣٩٢م.

وقد قام الديفونسوس- الذى من توليدو، تلميذ ايزيدور- فى عام ٦٦٧م بكتابة امتداد لعمل چيروم وجناديوس، إلا أنه يتصف بأنه عمل محلى. فقد كان يريد تمجيد سابقيه فى توليدو. وكان القديس غريغوريوس الكبير هو الكاتب الوحيد الذى ذكره من غير الأسبانيين. ولم تقم أية محاولة لدراسة الجديد فى الكتابات الأدبية المسيحية قبل القرن الثانى عشر. إلى أن أخذ المؤرخ الراهب سيجبرت البلجيكى فى عام ١١١٢م على عاتقه هذه المهمة. حيث اتبع نهج چيروم وچناديوس. فقام بإضافة سيرة ومؤلفات اللاهوتيين من اللاتين، فى أوائل القرون الوسطى. ولم يذكر أى كاتبين بيزنطيين. وفى نحو

عام١١٢٢م كتب خلاصة وافية على شرف أغسطو دونم. وبعد ذلك بسنوات قليلة قام المدعو ميلليسينسيس فى نحو عام ١١٣٥م بإعداد عمل مماثل. كذلك فى نحو عام ١٤٩٤م قام الراهب يوحانس (أو جوهانس) تريثيميوس بإعداد عمل باللغة اللاتينية يحتوى على ٩٦٣ كاتباً وسيرة حياتهم ونبذة عن كتاباتهم وأسماه «الكُتَّاب الكنسيون». إلا أن بعضهم ليسوا لاهوتيين. وقد حصل تريثيميوس على كل معلوماته عن الآباء من چيروم وچناديوس.

لقد استيقظت الرغبة فى دراسة تاريخ الآداب المسيحية القديمة فى الوقت الذى سادت فيه الفلسفة الإنسانية.

حيث ظهرت مجموعات متميزة بين الدارسين فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر يعنون بدراسة نصوص كتابات الآباء.

المؤرخ يوحنا النيقيوسى

قام المؤرخ يوحنا النيقيوسى، وهو أسقف نيقيوس من أعمال المنوفية، بكتابة تاريخ ضخم منذ آدم وحتى عصره فى نهاية القرن السابع. هذا التاريخ كُتب أصلاً بالقبطية، وتُرجم إلى اللغة الأثيوبية. ولكن بفقد النسخة القبطية، لم تتبق سوى الترجمة الأثيوبية، حيث تُرجمت إلى الفرنسية فى العصر الحديث.

وأول من استخدم هذا العنوان «Patrologia» ليتصدر عمله اللاهوتى اللوثرى يوحنا چيرهارد، وقد نشر ذلكم العمل فى عام ١٦٥٣م.

أما كوتيلييه Cotelier فإليه تعود فكرة تجميع الكتابات الأدبية التى تركها لنا أولئك الذين ازدهروا فى الجيل الذى أعقب الرسل مباشرة، والذين لهذا السبب يمكن افتراض أنهم كانوا تلاميذ الرسل أنفسهم. وقد تجسمت هذه الفكرة لأول مرة فى الطبعة التى صدرت فى النصف الأخير من القرن السابع عشر فى سنة ١٦٧٢م فى باريس.

والواقع أن مثل هذه المجموعة كانت تعد أمراً مستحيلاً قبل ذلك بعدة سنوات، حيث كانت المواد شحيحة للغاية بالنسبة لمشروع كهذا. وقد شهد النصف الأول من ذلك القرن، ولأول مرة، صدور رسائل كليمندس(١٦٣٣م) ورسائل برنابا(١٦٤٥م) إلى جانب رسائل بوليكاربوس(١٦٣٣م)، ورسائل إغناطيوس(١٦٤٤م، ١٦٤٦م).

لم يستخدم كوتيلييه تعبير «آباء الكنيسة» عنواناً لعمله، ولو أنه اقترب منه كثيراً. إلا أن المحرر التالى له اتيج(Ittig) قد استخدم عنوان «الآباء الرسوليون» فى طبع ليبزج (١٦٩٩م)، ثم أصبح شائعاً منذ ذلك الوقت.

إن التعبير نفسه مرن. فقد يشير بصفة عامة إلى أولئك الآباء الذين كان تعليمهم العقيدى يتفق مع تعليم الرسل، أو بمعنى أكثر تحديداً أولئك الذين ارتبطوا بالرسل من الناحية التاريخية. ومع ذلك كان ثمة اتفاق عام على قبوله بهذا المعنى الأخير، وحصره فى أولئك الذين عرف عنهم، أو كانت هناك من المبادرات التى تفترض أنهم كانوا مرتبطين برسول ما، أو أنهم حصلوا منه على تعليمهم، أو على الأقل بالنسبة لأولئك الذين كانوا معاصرين للرسل.

كان لاتهام رجال الإصلاح البروتستانتى كنيسة روما بأنها ابتعدت عن آباء الكنيسة، من ناحية، وللقرارات التى اتخذها مجمع ترنت، من ناحية أخرى، الأثر الكبير فى ازدياد الاهتمام بكتابات الآباء. فقام الكاردينال بيلارمين بكتابة كتاب «الكُتَّاب الكنسيين» حتى سنة ١٥٠٠م، وقد ظهر الكتاب فى سنة ١٦١٣م. وبعد ذلك ظهر عملان آخران، الأول عن «تاريخ الكنيسة فى القرون الستة الأولى وصدر فى باريس فى ستة عشر مجلداً بين (١٦٩٣-١٧١٢م) «للكاتب تيلمونت Tillemont أما العمل الآخر فصدر بعنوان «التاريخ العام للمؤلفين المقدسين والكنسيين» وصدر فى باريس أيضاً

بين (١٧٢٩- ١٧٦٣م) فى ثلاثة وعشرين مجلداً للكاتب ر. سيليبه (R.ceillier) ،وفيه دراسة لكل الكُتاب الكنسيين منذ العصر المسيحى الأول حتى سنة ١٢٥٠م.

يعتبر القرنان السادس عشر والسابع عشر هما القرنان الهامان حيث فيهما تم تجميع كتابات الآباء وظهرت فيهما الطبعات الخاصة الممتازة للنصوص الآبائية. أما القرن التاسع عشر فقد أثرى الكتابات المسيحية القديمة بعدد كبير من الاكتشافات الجديدة وبخاصة اكتشافات نصوص شرقية. وهذا ما دعا إلى ظهور الحاجة إلى طبعات جديدة محققة علمياً. فاستهلت أكاديمية ڤيينا وأكاديمية برلين ذلكم العمل بطبع مجموعات محققة لكتابات الآباء باللغتين اليونانية واللاتينية، بينما بدأ علماء الآباء فى فرنسا بنشر أعظم مجموعتين للكتابات المسيحية الشرقية. كذلك بدأت فى القرن التاسع عشر معظم الجامعات فى الغرب، فى إنشاء كراسى خاصة لدراسة علم الآباء.

أما فى القرن العشرين فقد ظهر اتجاه غالب للاهتمام بدراسة تاريخ الأفكار، وتاريخ المفاهيم، وتاريخ التعبيرات فى الكتابات المسيحية القديمة، واهتمام بدراسة تعاليم الآباء وعقائدهم، وكذلك تعاليم كل الكتَّاب الكنسيين. ويقول الأستاذ كواستين Quasten أستاذ الآباء بجامعة واشنطن إن الاكتشافات الحديثة لأوراق البردى المصرية، قد مكنت العلماء من استعادة كثير من أعمال الآباء التى كانت مفقودة. وهنا نذكر مخطوط مشهور اسمه «اعترافات الآباء»، وهو يحتوى على اقتباسات للآباء. منذ العصر التالى لعصر الرسل وحتى نهاية القرن الخامس الميلادى، أما المقصود بكلمة «اعترافات» هو تعاليم الآباء العقائدية فيما يخص الثالوث والتجسد، وبخاصة عقيدة طبيعة المسيح. فمن المعروف أن النُسَّاخ فى الأديرة التابعة للكنيسة الأرثوذكسية كانوا يقومون بنسخ كتابات الآباء فى مختلف العصور سواء باللغات اليونانية أم القبطية أو المترجمة إلى العربية. (د. نصحى عبد الشهيد:الآباء فى حياتنا).

الطبعات التى صدرت عن الكتابات المسيحية الأولى

١- الطبعات الأولى للكتابات المسيحية القديمة لا يمكن أن تعتبر طبعات نقدية، حيث أن القواعد العلمية لاختيار المخطوطات لم تكن قد وُضعت بعد، ومع ذلك فإن للكثير من تلك الطبعات الأولى قيمة عظيمه جداً، لأن بعض المخطوطات التى أُخذت عنها هذه المطبوعات قد فُقدت.

وتحظى المجموعة التى طبعها الرهبان الفرنسيون البندكتيون من بين كل الطبعات الأولى بقيمة علمية، وقد نشرت فى القرنين السابع عشر والثامن عشر. وتحتوى تلك المجموعة على النص اليونانى وترجمة لاتينية مع فهارس دقيقة تذيل كل مجلد.

أما المجموعة التى نشرها الراهب چى. پى. مينى(J.P.Migne) (توفى ١٨٧٥م) فهى أكمل مجموعة للنصوص الآبائية، لأنها تحتوى على إعادة طبع لكل النصوص التى سبق طبعها حتى وقته، وذلك لكى تكون فى متناول اللاهوتيين، ولكى يكون الوصول إلى نصوص الآباء سهلاً. وبالرغم من كثرة الأخطاء المطبعية التى وقعت فى تلك الطبعة فإنها تظل بالنسبة للكثير من كتابات الآباء، المصدر الوحيد الذى يمكن الرجوع إليه.

تقع مجموعة باترولوچيا «مينى» فى قسمين:

القسم الأول: «مينى باترولوچيا جريكا»: وهى القسم الذى يشمل كتابات الآباء والكتَّاب الكنسيون باللغة اليونانية الأصلية مع ترجمة لاتينية أمام النص اليونانى. وهذه المجموعة تغطى الفترة حتى مجمع فلورنسا فى القرن الخامس عشر، وكذلك تشمل كل كتابات آباء كنيسة الإسكندرية، والكتابات الرهبانية المصرية باليونانية. وتقع فى (١٦١) مجلداً كبيراً.

القسم الآخر: «مينى باترولوچيا لاتينا» أى الكتابات التى كُتبت أصلاً باللغة اللاتينية. وهذه المجموعة تقع فى (٢٢١) مجلداً كبيراً، منها (٤) مجلدات فهارس، وتتوقف الكتابات اللاتينية عند البابا اينوسنت الثالث (توفى سنة ١٢١٦م). نُشرت مجموعتى باترولوچيامينى اليونانية واللاتينية ما بين سنة ١٨٤٤م و١٨٦٦م فى باريس.

بدأت كل من أكاديمية ڤيينا، وأكاديمية برلين، بنشر مجموعة من كتابات الآباء، وهى تجمع بين الدقة اللغوية والاكتمال، وذلك من أواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن. وتنشر كل منهما الكتابات فى لغاتها الأصلية أى اليونانية واللاتينية مع مقدمات وفهارس بالألمانية.

نُشرت مجموعة الآباء الشرقيين (Patrologia Orientalis) وهى كتابات كنسية باللغات القبطية والعربية والأثيوبية، وقد صدرت فى باريس منذ سنة ١٩٠٧م فى (٢٥) مجلداً، حتى الآن.

كما صدرت مجموعة باترولوچيا سيرياكا (Patrologia Syriaca) وهى كتابات الكنيسة السريانية، وصدرت فى باريس فى (٣) مجلدات .

ترجمات لنصوص الآباء

صدرت فى القرن التاسع عشر ترجمات لكتابات الآباء من اليونانية واللاتينية إلى اللغات، الإنجليزية والألمانية والفرنسية والنرويجية والعربية. وقد بدأت تصدر فى القرن العشرين بلغات أخرى مثل الإيطالية والأسبانية والبولندية وغيرها.

وتوجد فى مصر حالياً حركة نشطة لترجمة أعمال آباء الكنيسة إلى العربية، إذ توجد العديد من المراكز ودور النشر التى تخصصت فى ترجمة أعمال الآباء.

كذلك صدرت مجموعتان باللغة الإنجليزية فى أمريكا.

وتعتبران مصدراً أساسياً للكثير من الكتب التى تُرجمت إلى العربية. هاتان المجموعتان هما: مجموعة: (Ante-Nicene) أى آباء ما قبل نيقية وتقع فى (١٠) مجلدات، ومجموعة: (Nicene and Post-Nicene Fathers) أى مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية. وهى تقع فى (٢٨) مجلداً. وهاتان المجموعتان تحتويان على كتابات بعض الآباء الشرقيين وبعض الآباء الغربيين، ولكنهما لا تحتويان على كتابات مهمة مثل عظات القديس مقاريوس، ورسائل القديس أنطونيوس، كما لا تحتويان على أية كتابات للقديس كيرلس الكبير السكندرى.



٢- نظرة عامة على انجازات الآباء فى الأساس

لأن المسيحية -فى الاساس- ديانة الحقائق الإلهية والتعاليم الأخلاقية للخليقة الجديدة لذا فإن العنصر الأدبى والعلمى فى تاريخها أخذ، فى البداية، مكانة ثانوية. فمن بين الرسل لم يتلق أحد التعليم فيما عدا بولس الرسول. إلا أنه وظّف ثقافته الربوية rabbinical ومواهبه الطبيعية الأخرى لخدمة المعرفة الروحية السامية والتى مُنحت له فى الإعلان الإلهى وهو فى طريقه إلى دمشق. ولنفس هذا السبب فإنه يجب على المسيحية أن تنتج علماً جديداً وأدباً جديداً ليناسب الحياة الجديدة، من ناحية، بسبب الدافع المتأصل فى الإيمان تجاه معرفة أعمق وأوضح لأهدافها، ومن ناحية ثانية من حاجتها للحفاظ عى نفسها تجاه الهجوم عليها. ومن ناحية ثالثة، لاحتياج أتباعها للتعليم والتوجيه العلمى. وقد استفادت الكنيسة من الثقافة الكلاسيكية السائدة وجعلتها فى خدمة الفكر اللاهوتى. وأصبحت الكنيسة فى العصور الوسطى هى الوحيدة التى تحافظ وتحرس الفنون والآداب، والأم لأفضل عناصر الحضارة. إن التعليم المسيحى الشامل

فى القرون الستة الأولى قد تشكَّل فى قالب الثقافة اليونانية الرومانية.

فقد استخدم آباء الكنيسة الأولون اللغة اليونانية وبخاصة كليمندس الرومانى، وهرماس، وهيبوليتس حيث عاشوا وعملوا فى روما أو نحوها. وقد استخدمت اللغة اللاتينية فى نهاية القرن الثانى لا فى إيطاليا فقط وإنما فى شمالى أفريقيا أيضاً حيث استخدمها ترتليانوس،وقد استمرت الكنيسة اللاتينية لفترة طويلة تعتمد على تعليم الكنيسة الشرقية. فقد كانت الكنيسة الشرقية كنيسة حماسية مفكِّرة، ومجادلة. فى حين كانت الكنيسة اللاتينية أكثر هدوءاً، وعملية، وكانت مولعة بالتنظيم الخارجى. إلا أنه فى كلتا الكنيستين توجد استثناءات جلية لهذه القاعدة. ففى الكنيسة الشرقية اليونانية كان يوحنا ذهبى الفم أعظم الخطباء. كما كان أغسطينوس فى الكنيسة اللاتينية أعمق المفكرين اللاهوتيين.

كانت كتابات الآباء الأولين على وجه العموم أقل بلاغة من الكتابات الأدبية الكلاسيكية.

إلاَّ أن المحتوى كان يفوق ذلك بكثير. فكان المحتوى مقنعاً بقوة الحقائق المسيحية، مما جعل الكاتبون لا يهتمون كثيراً بالشكل الذى يقدمون فيه كتاباتهم.بالإضافة إلى أن العديد من الكاتبين الأوائل كان ينقصهم التعليم المبكر، وكانوا يمقتمون الفن مقتاً شديداً، حيث كانت له استخدامات عديدة سيئة فى تلك الأيام، فكان يستخدم فى خدمة عبادة الأوثان، والنواحى اللاخلاقية. إلاَّ أن بعض الآباء جاءوا على رأس المثقفين والفلاسفة فى عصرهم، حتى فى القرنين الثانى والثالث، ولا سيما كليمندس وأريجانوس، وكذلك فى القرنين الرابع والخامس، فالكتابات الأدبية لأثناسيوس وغريغوريوس، وذهبى الفم، وأغسطينوس، وچيروم، قد فاقت الكتابات الأدبية للوثنيين من المعاصرين لهم من كل الوجوه.

لقد اعتنق الكثيرون من الآباء المسيحية ،أو ذلك بعد أن بلغوا سن الرشد مثل كليمندس الرومانى وكليمندس الإسكندرى، ويوستينوس الشهيد، وأثيناغوراس، وثيوفيلوس، وترتليانوس وكبريانوس، وحتى چيروم وأغسطينوس، ولذا فإنه من المشوق أن نرى مدى حماسهم وطاقتهم وأعمالهم الفكرية .

إن لقب «**آباء الكنيسة**» والذى اقتصر على أكثر المتميزين من معلمى الكنيسة فى القرون الستة الأولى. ويستثنى من ذلك الرسل ممن تتلمذوا على يدى رسل المسيح حيث أنهم يشغلون مكانة أسمى من ذلك. وهذا ما ينطبق على الفترة التى تشكلت فيها العقيدة المسكونية قبل انقسام الكنيسة فى الشرق والغرب.

إن كنيسة الآباء تتحلى ببعض الصفات من حيث قدمها، أو اتصالها مباشرة بالعهد الذى نشأت فيه الكنيسة التى أسسها الرسل، فيما يتعلق بالتعليم، والتقوى، واستقامة الرأى. والاعتراف به بصفة عامة تلك الصفات نسبية على أية حال، ونحن لا نستطيع أن نطبق مثلاً مقياس استقامة الرأى على آباء كنيسة روما أو كنيسة الشرق قبل مجمع نيقية. **فقد كانت مفاهيمهم للعقيدة غير محددة وغير مؤكدة**. فى الحقيقة إن كنيسة روما تستبعد كلا من Tertulllian ترتليانوس لأنه كان من أتباع المونتانية Montanism، وأوريجانوس Origen لأنه كان أفلاطونياً ولآرائه المثالية، ويوسابيوس لأنه كان أريوسياً فى بعض آرائه، وهكذا أيضاً كليمندس Clement الإسكندرى، ولاكتانتيوسLactantius، وثيودورTheodoret، وآخرين من الآباء ولذا يصفونهم بأنهم« **كُتَّاب كنسيون**» فقط.

إن لا يوجد من آباء الكنيسة، قبل مجمع نيقية، من يتفق مع تعليم كنيسة روما فى جميع الوجوه. حتى ايريناوس وكبريانوس فإنهما يختلفان عن الأساقفة الرومانيين. فيختلف

إيريناوس عنهم فى إيمانه بالملك الألفى وبالمونتانية، وكبريانوس فى اعتقاده بصحة معمودية الهراطقة. وجيروم شاهد قوى على عدم قانونية الأسفار الأبوكريفية. وأغسطينوس الذى له تأثير عظيم فى الفكر اللاهوتى للكنيسة الجامعة من بين الآباء، إلا أن آراءه عن الخطية والنعمة غير كتابية. (شاف: الجزء الثانى).

لقد تبرأ البابا غريغوريوس الكبير من لقب «بابا المسكونة» كما لو كان هذا اللقب- افتراضاً- ضد المسيحية. إلا أن هذا الأمر أقل ضرراً بالمقارنة بالألقاب الرسمية لمن خلفوه، حيث ادَّعو أنهم «نواب المسيح»، أو النواب الأوصياء عن الرب القدير على الأرض وأنهم معصومون من الخطأ كأوانٍ للروح القدس فى كل ما يتعلق بأمور الإيمان والتعليم.

وبصفة عامة فإن تمييز الكنيسة للآباء أمر يتنوع فى أسبابه. فنجد أن بوليكاربوس متميز لا لعبقريته أو تعليمه، ولكن لأجل وقاره وبساطته كأسقف. وكليمندس الرومانى لموهبته الإدارية، واغناطيوس لوحدة الكنيسة،ويوستينوس) الشهيد-من أجل غيرته فى الدفاع عن المسيحية وقراءته الواسعة، وإيريناوس من أجل تعليمه الصحيح واعتداله. وكليمندس الإسكندرى من أجل آرائه المثيره للتفكير، وأوريجانوس لأجل تعاليمه العميقة وآرائه الجريئة، وترتليانوس لأجل ذكائه المتوقد وعذوبته وشخصيته القوية، وكبريانوس من أجل نشاطه الكنسى، ويوسابيوس لأجل مثابرته وصبره فى تجميع المواد الأدبية، ولاكتانتيوس لأسلوبه البديع الفخم، كذلك كان لكل منهم ضعفاته.

ولا يمكن أن نقارن أيًا منهم مع ما تميز به بولس الرسول أو يوحنا الرسول من العمق والامتلاء بالروح. وهكذا فإن كل الكتابات الأدبية للآباء والتى لا تحصى فى قيمتها، تظل بعيدة جداً فى مقام أدنى من العهد الجديد، وقد تم تصنيف آباء الكنيسة قبل نيقية إلى نحو خمسة أو ستة أقسام:

(١) من تتلمذ على يد الرسل، ومنهم بوليكاربوس، وكليمندس الرومانى، وأغناطيوس، وهم أكثرهم بروزاً.

(٢) الآباء المدافعون عن المسيحية ضد اليهودية والوثنية ومنهم يوستينوس(يوستين) الشهيد ومن جاء بعده حتى نهاية القرن الثانى.

(٣) المجادلون ضد الهرطقة فى الكنيسة ومنهم إيريناوس وهيبوليتس، فى نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث.

(٤) لاهوتيو مدرسة الإسكندرية للاهوت: ومنهم: كليمندس وأوريجانوس فى النصف الأول للقرن الثالث.

(٥) مدرسة شمالى أفريقيا المعاصرة لترتليانوس وكبريانُوس.

(٦) مدرسة أنطاكية، وبعض الكاتبين الأقل شهرة، حيث لا يمكن وضعهم فى قسم بعينه.

لقد ظهر إلى جانب الكتابات الأصلية لآباء الكنيسة فى القرون الأولى، كتابات أخرى تُعَبر عن الهرطقات كما عن الرأى القويم، كذلك ظهرت العديد من الأعمال الأبوكريفية(من أناجيل وأخرويات) وقد نُسبت إلى أسماء بعض الرسل الأوائل المشهورين وكذلك ظهرت كتابات أدبية مزيفة تحمل نبوات كاذبة يهودية ووثنية عن المسيحية، مثل عهود أبناء الأسباط الاثنى عشر،وكُتب هيداسبسHydaspes، وهرماس تريسميجيستس Hermas Trismegistos وسيبيلSibyls وقد استخدمت تلك الكتابات الملفقة المبنية على تصورات باطلة استخدامات عديدة حتى من بعض معلمى الكنيسة المبرزين، لا سيما المدافعون، مما يبرهن على أنهم كانوا يتمتعون لا بالبساطة والاحتياج للنقد الأدبى فحسب، وإنما كانوا بحاجة إلى الإدراك الناضج للحقيقة أيضا، والتى لم تكن قد تم تعليمها على مدى واسع لاستبعاد تلك الكتابات المزيفة. (شاف مرجع سابق).

إننا لا نعرف سوى القليل عن حياة وتعليم وعمل آباء الكنيسة قبل الإيمان. فلم تشجع الظروف الصعبة لذلكم العصر على الكتابة فى مثل هذه الأمور، كذلك فإنه سادت فى الكنيسة فى ذلك الوقت نظرة الاهتمام البالغ بالحياة الجديدة فى المسيح على أنها الحياة الحقيقية الوحيدة، وأنها الحياة الوحيدة الجديرة بالتسجيل والكتابة عنها. حتى حياة الرسل أنفسهم قبل دعوتهم، فإنه توجد لدينا فكرة خاطفة عنها. أما الآباء من الشهداء، فتوجد كتابات كثيرة عنهم. ويمكن القول إنهم كانوا صالحين بحق، ولهم غيرة فى المسيح، بالحرى عن القول إن لهم إسهامات فى الكتابات الأدبية. فقد كانوا عاملين عمليين بأمانة فى حقل المسيحية، ومن ثم يمكن القول إنهم كانوا أكثر فائدة للكنيسة فى تلك الأيام عما كان يمكن أن يكون عليه. المفكرون الكبار أو العلماء العظماء. فبينما أعمال كبار المؤلفين الوثنيين أمثال تاسيتوسTacitus، وسوتون Sueton، چوڤينال Juvenal، ومارتيال Martial وآخرين امتلأت بالتفاصيل التى تقزز النفس عن السلوك الإنسانى الأحمق، وعن الجريمة، وعن أمور أخرى مزرية، كانت حياة المسيحيين البسطاء تلتهب محبة لله والناس، وتحض الناس على حياة النقاء والقداسة على مثال السيد المسيح. وقد وجدوا القوة الدافعة والتعزية فى قلب التجربة، والإيمان فى الاضطهادات والرجاء فى المسيح.

كان نطاق أعمال آباء الكنيسة محدوداً، فتوجد رسائل قليلة عن الحياة المقدسة والموت، وهى تأتى جميعها فى ضعف حجم كتاب العهد الجديد. ونصف هذه الرسائل مشكوك فى صحته وهى (رسائل أغناطيوس السبع، ورسالة برنابا، وراعى هرماس، إلا أنها تأتى فى المرحلة الانتقالية الغامضة بين نهاية القرن الأول ومنتصف القرن الثانى. وقد قامت، لا على أساس علمى من الدراسة، بل على أساس الشعور الدينى العملى، وتحتوى على كثير من الأمثلة كتأكيد مباشر على الإيمان والحث على حياة القداسة، وكلها (فيما عدا راعى وهرماس،) تعاليم الرسل (Didache) تأتى فى شكل رسائل، وهى تأتى على نفس نهج رسائل بولس الرسول، إلا أنها تنوعت بين الدفاعيات والجدل والعقيدة واللاهوت الأخلاقى وكذلك تعرضت للتنظيم الخارجى، ولنظام العبادة فى الكنيسة الأولى الجامعة.

إن رسائل برنابا، وكليمندس الرومانى، وبوليكاربوس، وراعى هرماس، كانت تُقرأ فى بعض الكنائس فى العبادة العامة حتى إن بعض مخطوطات الكتاب المقدس قد تضمنت بعضاً منها.

وهذا يوضح أنه لم يكن قد استقر الرأى بعد فى شأن قانونية الأسفار فى مختلف الأماكن. وتأتى أهمية نلك الرسائل فى درجة تالية وثانوية بالنسبة للأناجيل. فتلك الرسائل كانت تعبيراً عن الكنيسة فى ذلك العصر. وبدون شك يوجد فارق كبير بين الأسفار المُوحى بها، والكتابات الآبائية التى جاءت بعدها. إن مستوى كتابات ما بعد عصر الرسل إنما يبين السمو الفائق لكتابات الرسل، وهى أشبه بالسيد المسيح،فهى إلهية وإنسانية فى أصلها وصفاتها وتأثيرها.



أهم المراجع الخاصة بالجزء الأول من موسوعة تاريخ آباء الكنيسة

١- فى العربية

١- نصحى عبد الشهيد، دكتور
الآباء فى حياتنا. القاهرة فى ٣٠ مايو ١٩٩٥

٢- حنا جرجس الخضرى، الدكتور القس
تاريخ الفكر المسيحى. الجزءان الأول والثانى
القاهرة: إصدار دار الثقافة

٣- يوسابيوس القيصرى، المؤرخ
تاريخ الكنيسة. ترجم القمص مرقس داود
مكتبة المحبة، الطبعة الثانية ١٩٧٩

٤- صليب سوريال: القمص
دراسات فى القوانين الكنسية
الكتاب الأول. الكلية الإكليريكية واللاهوتية
للقبط الأرثوذكسى. ١٩٩١

٥- ثروت عكاشة، الدكتور
المعجم الموسوعى، للمصطلحات الثقافية
إنجليزى- فرنسى- عربى
مكتبة لبنان، الشركة العربية العالمية للنشر- لونجمان
طبع فى مصر ١٩٩٠.

٦- حبيب سعيد
سيرة بولس الرسول
القاهرة: دار الثقافة: الطبعة الثالثة ١٩٨٧

٧- المعجم الوسيط. معجم اللغة العربية

فى جزءين

الطبعة الثانية

٨- وليم سليمان قلادة، دكتور

تعاليم الرسل- الدسقولية. القاهرة: دار الثقافة،

الطبعة الثانيـة ١٩٨٩.

٩- صموئيل حبيب، الدكتور القس

المرأة فى الكنيسة والمجتمع

دار الثقافة: طبعة ثانية ١٩٩٤

١٠- عبد المنعم حفنى، دكتور

الموسوعة الفلسفية، القاهرة: مكتبة مدبولى

لبنان: دار ابن زيدون. الطبعة الأولى :ب.ن

١١-الكتب الشهرية للشباب والخدام

بيت التكريس للشباب والخدام، نصحى عبد الشهيد الدكتور.

الكتب الى صدرت فى شهور:

مايو١٩٨١- يونيو١٩٨١- أكتور١٩٨١- مايو١٩٨٢

سبتمبر ١٩٨٢- نوفمبر/ديسمبر١٩٨٢-نوفمبر١٩٨٣-يناير١٩٨٤

مارس ١٩٨٤- ديسمبر ١٩٨٤- أغسطس ١٩٩٠- سبتمبر ١٩٩٠

ديسمبر ١٩٩٣- فبراير ١٩٩٤- مارس ١٩٩٤- يونيو/ يوليو ١٩٩٤

12- Brown, L E S L E Y, E D:
Shorter OX Ford
English Dictionary, 2 Volumes
CLARENDON. PRESS. OXFORD 1993

13- FREND, W.H.C: **THE EARLY CHURCH FROM BEGINNINGS TO 461,**
The publisher SCM Tottenhan road, London, 1991

14- KELLY, J.N.D. **EARLY CHRISTIAN DOCTORINE**, FIFTH EDITION, A&C BLACK, LONDON, 1989.

15- MARTIN, RALPH P.
WORSHIP IN THE EARLY CHURCH, LONDON:
EERDAMNS, MARCH 1992

16- QUESTEN, JOHANNES. **PATROLOGY,** V.1-2, **CHRISTIAN CLASSICS,** INC. 1992

17- RICHARDSON, ALAN : **CREEDS IN THE MAKING,** THE PUBLISHER SCM PRESS, 1982

18- SHAFF, PHILIP, **History in the CHRISTIAN CHURCH,** 8 Volumes set. WM.B EERDAMNS Publishing company, GRAND, rapids Michigan FIFTH EDITION, reprinted, September, 1989

19- SHELDON, HENRY C. **HISTORY OF THE CHRISTIAN CHURCH,** 5 volumes set, HENDRICKSON PUBLISHERS, APRIL 1988

20- THOMPSON J.A.
HAND BOOK OF LIFE IN BIBLE TIMES, LEICESTER, INTER-VARSITY PRESS, FIRIST PUBLISHED 1986

21- WAKE FIELD GARDON S., ED., **A DICTIONARY OF CHRISTIAN SPIRITUALITY**, GREAT BRITAIN: SCM, 1993

22- WALKER, WILLISTON: **A HISTORY OF THE CHRISTIAN CHURCH,** THE PUBLISHER T&T CLARK, 4th EDITION, 1968

23- WOND J.W.: **HISTORY OF THE EARLY CHURCH TO A.D. 500. 1974**

PUBLISHING HOUSE, special edition, ICKNIELD way, TRING, HERTS, ENGLAND 1986

25- DI BERARDINO, ANGELO, ED. TRANS. By WOLFORD, ADRIAN: ENCYCLOPEDIA OF THE EARLY CHURCH, 2 vol. Set , JAMES CLARKE & CO. CAMBRIDGE, FIRST PUBLISHING Great Britain IN 1992

26- DOUGLAS J.D.
THE ILLUSTRATED BIBLE DICTIONARY, 3 vol. Set. Inter-varsity press,1980

27- ELIADE MIRCEA, ED. THE ENCYCLOPEDIA OF RELIGION, MAC MILLAN publishing company, NEWYORK 1986

28- ELWELL WALTER A.,G. ED., BAKER ENCYCLOPEDIA OF THE BIBLE, 2 vol. Set, BAKER BOOK HOUSE. GRAND rapids, second printing 1989

29- MERRIL C. TENNEY . G. ED., PICTORIAL ENCYCLOPEDIA OF THE BIBLE, 5 vol. Set, ZONDERVAN PUBLISHING HOUSE .

30- MURRAY CHAMBERS LATIN-ENGLISH DICTIONARY, CAMBRIDGE 1996

31- PFEIFFER, HOWARD F. VOS, JOHN REA, EDS., WYCLIFFE BIBLE ENCYCLOPEDIA, JOHNREA, 2vol. Set, MOODY PRESS, CHICAGO 1987

32- UNGER, MERRILL F., THE NEW UNGER'S BIBLE DICTIONARY, MOODY PRESS CHICAGO, 1988

33- W. PHILIP, ED. M CHIEF
THE NEW ENCYCLOPEDIA BRITANNICA, 15th EDITION.